٤٨٥

رياض السالكين

في شرح صحيفة

سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ

الجزء الخامس

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٤٨٥

رياض السالكين

في

شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق

الجزء الخامس

شبكة الفكر
alfeker.net

يا علي يا فاطمة

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

سرشناسه: مدنی، علی خان بن احمد، ١٠٥٢ ـ ١١٢٠ ق.
عنوان قراردادی: صحيفهٔ سجّاديه. شرح.
عنوان و نام پدیدآور: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين صلوات الله عليه / تأليف علي خان حسيني الحسني المدني الشيرازي، المحقّق محسن الحسيني الأميني.
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٨ ـ ١٣٨٥.
مشخّصات ظاهری: ٧ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة. ٤٨٥.
شابک: دورة ٨ ـ ٢٩٣ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨؛ ج. ٥: ٠ ـ ٧٦٥ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨.
وضعيّت فهرست‌نويسی: فاپا. يادداشت: عربی.
يادداشت: ج. ١ـ٧ (چاپ سوم: ١٣٨٥). يادداشت: ج. ١ و ٤ و ٦ (چاپ پنجم: ١٣٨٥).
يادداشت: ج. ١، ٢، ٦ و ٧ (چاپ ششم: ١٤٢٨ ق. ١٣٨٦).
يادداشت: ج. ٢ و ٥ (چاپ پنجم: ١٤٢٧ ق. = ١٣٨٥). يادداشت: كتابنامه.
موضوع: علی بن حسين عليه السلام، امام چهارم، ٢٨ ـ ٩٤ ق. صحيفه سجاديه -- نقد و تفسير.
موضوع: دعاها.
شناسه افزوده: حسينی امينی، سيد محسن، ١٣٢١ ـ، مصحّح.
شناسه افزوده: علی بن حسين عليه السلام، امام چهارم، ٢٨ ـ ٩٤ ق. صحيفهٔ سجاديه. شرح.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسين حوزهٔ علميهٔ قم. دفتر انتشارات اسلامی.
رده‌بندی کنگره: ١٣٦٨ ٣٠٢١٧ ص ٨ ع / ١ / ٢٦٧ Bp
رده بندی ديويی: ٢٩٧/٧٢٢
شمارهٔ كتابشناسی ملی: ٢١٢١ ـ ٦٨م

رياض السالكين

في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام

(ج ٥)

■ المؤلّف: العلّامة الأديب السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ رحمه الله □
■ المحقّق: فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ □
■ الموضوع: المعارف الإلهيّة □
■ طبع و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٦٠٠ □
■ الطبعة: الثامنة □
■ المطبوع: ٥٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٣٥ هـ. ق □
■ شابك ج ٥: ٠ ـ ٧٦٥ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 765 - 0

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

الروضة الثانية والثلا ثون

وكان من دعائه عليه السلام بعد الفراغ من صلوة الليل لنفسه في الاعتراف بالذنب

اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان الممتنع بغير جنود ولا
اعوان والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الاعوام ومواضي الازمان
والايام عز سلطانك عزا لا حد له باولية ولا منتهى له باخرية
واستعلى ملكك علوا سقطت الاشياء دون بلوغ امده ولا يبلغ
ادنى ما استاثرت به من ذلك اقصى نعت الناعتين ضلت فيك
الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت في كبريائك
لطائف الاوهام كذلك انت الله الاول في اوليتك وعلى ذلك انت
دائم لا تزول وانا العبد الضعيف عملا الجسيم املا خرجت من يدي
اسباب الوصلات الا ما وصله رحمتك وتقطعت عني عصم الامال
الا ما انا معتصم به من عفوك قل عندي ما اعتد به من طاعتك
وكثر علي ما ابوء به من معصيتك ولن يضيق عليك عفو عن عبدك
وان اساء فاعف عني اللهم وقد اشرف على خفايا الاعمال علمك و
انكشف كل مستور دون خبرك ولا تنطوي عنك دقائق الامور ولا
تعزب عنك غيبات السرائر وقد استحوذ علي عدوك الذي استنظرك

لِغَوَايَتِي فَأَنْظَرْتَهُ وَاسْتَمْهَلَكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِإِضْلَالِي فَأَمْهَلْتَهُ فَأَوْقَعَنِي
وَقَدْ هَرَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ صَغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ وَكَبَائِرِ أَعْمَالٍ مُرْدِيَةٍ حَتَّى
إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ وَاسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخْطَتَكَ فَتَلَ عَنِّي
عِذَارَ غَدْرِهِ وَتَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ وَتَوَلَّى الْبَرَاءَةَ مِنِّي وَأَدْبَرَ مُوَلِّياً
عَنِّي فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَرِيداً وَأَخْرَجَنِي إِلَى فِنَاءِ نَقِمَتِكَ طَرِيداً لَا شَفِيعٌ
يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ وَلَا خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْكَ وَلَا حِصْنٌ يَحْجُبُنِي عَنْكَ وَلَا
مَلَاذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ فَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ
فَلَا يَضِيقَنَّ عَنِّي فَضْلُكَ وَلَا يَقْصُرَنَّ دُونِي عَفْوُكَ وَلَا أَكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ
التَّائِبِينَ وَلَا أَقْنَطَ وُفُودِكَ الْآمِلِينَ وَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ وَنَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ وَسَوَّلَ لِيَ الْخَطَاءَ خَاطِرُ
السُّوءِ فَفَرَّطْتُ وَلَا أَسْتَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي نَهَاراً وَلَا أَسْتَجِيرُ بِتَهَجُّدِي لَيْلاً
وَلَا تُثْنِي عَلَيَّ بِإِحْيَائِهَا سُنَّةٌ حَاشَا فُرُوضِكَ الَّتِي مَنْ ضَيَّعَهَا هَلَكَ وَ
لَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ
وَتَعَدَّيْتُ عَنْ مَقَامَاتِ حُدُودِكَ إِلَى حُرُمَاتٍ انْتَهَكْتُهَا وَكَبَائِرِ
ذُنُوبٍ اجْتَرَحْتُهَا كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِهَا سِتْراً وَهَذَا مَقَامُ

مَنِ اسْتَخْزَى لِنَفْسِهِ مِنْكَ وَسَخِطَ عَلَيْهَا وَرَضِيَ عَنْكَ فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ
خَاشِعَةٍ وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ
إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاهُ وَأَحَقُّ مَنْ خَشِيَهُ
وَاتَّقَاهُ فَأَعْطِنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ وَآمِنِّي مَا حَذِرْتُ وَعُدْ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ
رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْؤُولِينَ اَللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ وَتَغَمَّدْتَنِي
بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِحَضْرَةِ الْأَكْفَاءِ فَأَجِرْنِي مِنْ فَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ
عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالرُّسُلِ الْمُكَرَّمِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ جَارٍ كُنْتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئَاتِي وَمِنْ ذِي رَحِمٍ
كُنْتُ أَحْتَشِمُ مِنْهُ فِي سَرِيرَاتِي لَمْ أَثِقْ بِهِمْ رَبِّ فِي السِّتْرِ عَلَيَّ وَوَثِقْتُ
بِكَ رَبِّ فِي الْمَغْفِرَةِ لِي وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ وُثِقَ بِهِ وَأَعْطَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ
وَأَرْأَفُ مَنِ اسْتُرْحِمَ فَارْحَمْنِي اَللَّهُمَّ وَأَنْتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً مِنْ
صُلْبٍ مُتَضَايِقِ الْعِظَامِ حَرِجِ الْمَسَالِكِ إِلَى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ
تُصَرِّفُنِي حَالاً عَنْ حَالٍ حَتَّى انْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ وَأَثْبَتَّ فِيَّ
الْجَوَارِحَ كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عَظْماً
ثُمَّ كَسَوْتَ الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقاً آخَرَ كَمَا شِئْتَ حَتَّى إِذَا احْتَجْتُ

إِلَىٰ رِزْقِكَ وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِ فَضْلِكَ جَعَلْتَ لِي قُوتاً مِنْ فَضْلِ
طَعَامٍ وَشَرَابٍ أَجْرَيْتَهُ لِأَمَتِكَ الَّتِي أَسْكَنْتَنِي جَوْفَهَا وَأَوْدَعْتَنِي قَرَارَ
رَحِمِهَا وَلَوْ تَكِلُنِي يَا رَبِّ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ إِلَىٰ حَوْلِي أَوْ تَضْطَرُّنِي إِلَىٰ قُوَّتِي
لَكَانَ الْحَوْلُ عَنِّي مُعْتَزِلاً وَلَكَانَتِ الْقُوَّةُ مِنِّي بَعِيدَةً فَغَذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ
غِذَاءَ الْبَرِّ اللَّطِيفِ تَفْعَلُ ذٰلِكَ بِي تَطَوُّلاً عَلَيَّ إِلَىٰ غَايَتِي هٰذِهِ لَا أَعْدَمُ
بِرَّكَ وَلَا يُبْطِئُ بِي حُسْنُ صَنِيعِكَ وَلَا تَتَأَكَّدُ مَعَ ذٰلِكَ ثِقَتِي فَأَتَفَرَّغَ
لِمَا هُوَ أَحْظَىٰ لِي عِنْدَكَ قَدْ مَلَكَ الشَّيْطَانُ عِنَانِي فِي سُوءِ الظَّنِّ وَضَعْفِ
الْيَقِينِ فَأَنَا أَشْكُو سُوءَ مُجَاوَرَتِهِ لِي وَطَاعَةَ نَفْسِي لَهُ وَأَسْتَعْصِمُكَ
مِنْ مَلَكَتِهِ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إِلَىٰ رِزْقِي سَبِيلاً فَلَكَ الْحَمْدُ
عَلَىٰ ابْتِدَائِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ وَإِلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ
فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي وَأَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِي
وَأَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا قَسَمْتَ لِي وَأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وَعُمُرِي
فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ إِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ
تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَىٰ مَنْ عَصَاكَ وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ
وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ

بَعْضُهَا بَعْضاً وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَمِنْ نَارٍ تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً
وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً وَمِنْ نَارٍ لَا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا وَلَا تَرْحَمُ مَنِ
اسْتَعْطَفَهَا وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسْلَمَ إِلَيْهَا تَلْقَى
سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
عَقَارِبِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهُهَا وَحَيَّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا وَشَرَابِهَا الَّذِي
يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ
مِنْهَا وَأَخَّرَ عَنْهَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَجِرْنِي مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ
وَأَقِلْنِي عَثَرَاتِي بِحُسْنِ إِقَالَتِكَ وَلَا تَخْذُلْنِي يَا خَيْرَ الْمُجِيرِينَ إِنَّكَ تَقِي
الْكَرِيهَةَ وَتُعْطِي الْحَسَنَةَ وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ إِذَا ذُكِرَ الْأَبْرَارُ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ صَلَاةً لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا وَلَا يُحْصَى عَدَدُهَا صَلَاةً تَشْحَنُ الْهَوَاءَ
وَتَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ بَعْدَ الرِّضَا صَلَاةً لَا حَدَّ لَهَا
وَلَا مُنْتَهَى يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين(١)

الحمد لله غافر الذّنب لمن اعترف له بذنبه، قابل التوب ممّن تاب إليه قبل الحسرة على التفريط في جنبه، والصلاة والسّلام على نبيّه الذي أرسله رحمة للعالمين، كرماً منه وَجوداً، المُنزّل عليه «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مقاماً محموداً»(٢)، وعلى آله الذين جعلهم «بَصائر للنّاسِ وَهُدَىً وَرحْمَةً لِقَوم يُوقِنُونَ»(٣)، والذين «كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبالأسْحارِهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»(٤).

وبعد: فهذه الروضة الثانية والثلاثون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الثاني والثلاثين، من صحيفة سيّد العابدين، صلّى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ، عليّ بن أحمد الحسينيّ الحسنيّ، كان الله تعالى لهما وليّاً، وجعل لهما لسان صدق عليّاً.

---

(١) «ألف» وبه ثقتي.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٧٩.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٠.

(٤) سورة الذاريات: الآيات ١٧ و ١٨.

شرح الدعاء الثاني والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام - بعد الفراغ من صلاة الليل - لنفسهِ في الاعتراف بذنبهِ.

صلاة الليل: تطلق في الأحاديث تارةً على الركعات الثماني، وأُخرى على الإحدى عشرة بإضافة الشفع والوتر، وأُخرى على الثلاث عشرة بإضافة ركعتي الفجر. وعلى هذا فيُحتمل قراءة الدعاء بعد الثماني، وبعد الإحدى عشرة، وبعد الثلاث عشرة. فلو نذر قراءته، أو قراءة غيره بعد صلاة الليل، برئت ذمّته بعد كلّ منها ما لم يقصد معيّناً.

وقد أورده شيخنا البهائيّ - رحمه الله - بعد ركعتي الفجر في المفتاح، تبعاً لشيخ الطائفة في المصباح(١)، فقال: وينبغي أن تدعو بعد فراغك من صلاة الليل، أعني الثلاث عشرة ركعة، بما كان يدعو به سيّد العابدين عليه السَّلام، وهو من أدعية الصحيفة، وأورد الدعاء(٢).

وذكره الكفعميّ بعد صلاة الوتر(٣).

---

(١) مصباح المتهجّد: ص١٦٥.

(٢) مفتاح الفلاح: ص٢٦٩.

(٣) مصباح الكفعميّ: ص٥٥.

قال صلوات الله وسلامُه عليه:

اللّهُمَّ ياذَا المُلْكِ المُتأبِّد بالْخُلُود وَالسُّلطان، المُمْتَنِع بلا جُنُودٍ وَلا أعْوان، وَالعِزِّ البَاقِي عَلى مَرِّ الدُّهُور وَخَوالي الأَعوام، وَمَواضِي الأَزْمانِ وَالأَيّام.

وقد أجمع علماؤنا-رضوان الله-عليهم على أنَّ أوّل وقت صلاة الليل انتصاف الليل، وأنّها كلّما قربت من الفجر الثاني كانت أفضل. فإن طلع الفجر، وقد تلبّس بأربع منها أتمّها مخفّفة بالحمد أداءً. والمشهور تجويز تقديمها على الانتصاف لذي العذر، وقضاؤها أفضل من تقديمها.

واعترف بذنبه اعترافاً: أقرّ به، وقد تقدّم الكلام على توجيه اعتراف المعصومين عليهم السّلام بالذنوب مستوفىً، فليرجع إليه * .

«الميم»: في «اللّهمَّ» عوض من «يا» ولذلك لايجتمعان إلّا شاذّاً، قياساً واستعمالاً، كأنّهم لما أرادوا أن يكون نداؤه تعالى متميّزاً عن نداء عباده بأسمائهم حذفوا حرف النداء، وعوّضوا منه الميم، وشدّدت لأنّها عوض من حرفين، وقد مرّ الكلام عليها مستوفى.

«وذاالملك»: صاحبه. لكنْ ذو تقتضي تعظيم ما اضيفت إليه والموصوف بها، بخلاف صاحب فيهما.

قال الخليل رحمه الله: وزن ذو «فعْل» بالسكون(١).

والصحيح: أنَّ وزنه «فَعَل» بفتح الفاء والعين، بدليل مؤنّثه وهو ذات، وأصلها ذوات، كنواة لقولهم في مثنّاها ذواتا، فحذفت العين في ذات لكثرة الاستعمال، ولو كانت ساكنة العين لكانت «ذيه» كطيه. واللام محذوفة في جميع متصرفات «ذو» إلّا في ذوات وذواتا، ولامه ياء(٢)، لأنّ عينه واوٌ، بدليل ذواتا

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٩٨.

(٢) «ألف» تا.

....

وذوات، وباب طويت اكثر من باب القوّة، والحمل على الأغلب أولى.

والمُلك: -بالضمّ- يطلق على الولاية العامّة على الخلق -ويُعبّر عنه بالسلطنة- وعلى المملكة. ومملكته تعالى عبارة عن الموجودات كلّها، وهو صاحبها ومالكها.

قال الغزاليّ: الموجودات كلّها مملكة واحدة له تعالى، وهو صاحبها ومالكها. وإنّما كانت الموجودات كلُّها مملكة واحدة، لأنّها مرتبطة بعضها ببعض، فإنّها وإنْ كانت كثيرة من وجه فلها وحدة. ومثالها بدن الإنسان، فإنّه مملكة لحقيقة الإنسان، وهي أعضاء كثيرة مختلفة، ولكنّها كالمتعاونة على تحقيق غرض مُدبّر واحدٍ. فكذلك العالم كلّه كشخص واحد، وأجزاء العالم كأعضائه، وهي متعاونة على مقصود واحد، وهو إتمام غاية الخير الممكن وجوده على ماقتضاه الجود الإلهي، ولأجل انتظامها على ترتيب منسّق، وارتباطها رابطة واحدة كانت مملكة واحدة، والله تعالى صاحبها ومالكها(١). إنتهى.

والمتأبّد: اسم فاعل من تأبّد الشيء تأبّداً: بقي على الأبد، وهو استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة، غير متناهية في المستقبل. وفي رواية «المتأبد» -بفتح الباء- كأنّه اسم مفعول من تأبّده تأبُّداً، بمعنى أبّده تأبيداً.

قال الفارابيّ: من وجوه باب تَفعّل مايكون داخلاً على التفعيل، كالتقسُّم بمعنى التقسيم، والتقطع بمعنى التقطيع، قال الله تعالى «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ»(٢).

وفي الصحاح: تقسّمهم الدّهر فتقسّموا: أي فرّقهم فتفرّقوا، والتقسيم التفريق(٣). إنتهى.

وما وقع في بعض الحواشي من أنّه بالفتح، اسم مكان، أي موضع الأبد والأبديّة، وموضوع الدوام والسرمديّة، فلا يخفى مافيه.

والخلود: دوام البقاء. يقال: خلد الشيء خلوداً -من باب قعد-.

---

(١) لايوجد لدينا كتابه. (٢) ديوان الأدب: ج٢: ص٤٦٦. (٣) الصحاح: ج٥ ص٢٠١١.

....

قال الزمخشريّ: الخلد: الثبات الدائم، والبقاء اللازم الذي لاينقطع. قال الله تعالى: «وَما جَعلْنا لَبشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ، أفإن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ»(١) إنتهى.

وهذا المعنى هو المراد هنا. وقيل: هو في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم، وقد تقدّم الكلام على ذلك مستوفى.

والباء للملابسة، أي ملتبساً بالخلود، وتسمّى باء الحال، فتكون ظرفاً مستقراً، ويحتمل أن تكون متعلّقة بالمتأبّد، فتكون ظرفاً لغواً.

قال صاحب اللباب: لامانع عندي من جعل الباء لغواً في نحو: اشتريت الفرس بسرجه، فتعلّق الباء فيه بـ«اشتريت»، كما في كتبت بالقلم، فإنّ وجوه التعلّق مختلفة(٢). إنتهى.

فإن قلت: ما المراد بالملك المتأبّد بالخلود؟ أمعنى السلطنة أم معنى المملكة؟

قلت: كلٌّ من المعنيين محتمل. فإن حملناه على معنى السلطنة، فوجه اتّصافها بالخلود أنّ سلطنته تعالى بعلمه وقدرته على الممكنات عند أصحاب العصمة عليهم السّلام سواء أوجد الممكنات أم لا، فهي لم تزل ولا تزال. وإن حملناه على معنى المملكة، فخلودها باعتبار أنّه تعالى لمّا لم يكن زماناً ولا زمانيّاً، ولا مكاناً ولا مكانياً، ولا امتداد فيه، كانت نسبته إلى ملكه ـ وهو الموجودات العينيّة قبل إنشائها، وحال إنشائها، وبعد فنائها ـ نسبة واحدة، لا تقدُّم ولا تأخُّر فيها، بل كلّها حاضرة عنده، لاباعتبار أنّها كانت في الأزل، أو تكون معه فيما لايزال، لبطلان ذلك، بل باعتبار أنّه لايجري فيه زمان وأحكامه، وأنّ نسبته إلى الأزل والأبد والوسط واحدة. فالعقل الصحيح إذا تجرّد عن شبهات الأوهام، ولواحق الزمان، ولاحظ أنّه لاامتداد في قدس وجود الحق يحكم حكما جازماً بأنه تعالى لايخلو من الملك قبل إنشائه وبعد فنائه. هكذا قرّره بعض المحقّقين من أصحابنا المتأخرين، في

---

(١) تفسير الكشّاف: ج١ ص١١٠.

(٢) لايوجد لدينا كتابه.

....

بيـان قول أميـرالمؤمـنين صلوات الله عـليه في خطبتـه الطالوتيّة «ولا كـان خلواً عن الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه»(١).

ولبعض أرباب العـرفان من أصحابـنا تقرير آخر في بيان ذلك، فإنّه قال: بيان ذلك وتحقـيقه: أنّ المخـلوقات ـ وإن لم تكـن موجودة في الأزل لأنـفسـها، وبقـياس بعضها إلى بـعض على أن يكون الأزل ظـرفاً لوجوداتها كذلك، إلّا أنّـها ـ موجودة في الأزل لله سبحـانه، وجـوداً جمعيّـاً وحدانـيّاً غير متغيّـر، بمعنى أنّ وجوداتها اللايـزاليّة الحادثة ثابتة لله سبـحانه في الأزل كذلك. وهذا كما أنّ الموجودات الذهنيّة موجودة في الخارج إذا قيّدت بقـيامها بالـذهن، وإذا أُطلقت من هذا القيد فلا وجود لها إلّا في الذهن. فالأزل يسع القـديم والحـادث، والأزمنة، ومافيها وماخرج عنهـا، وليس الأزل كـالـزمان وأجزائه محصوراً مضـيّـقـاً، يغيب بعضـه عـن بـعض، ويتقدّم جزء ويتـأخّر آخر، فـإنّ الحصر والضـيق والغـيبة من خواص الزمان والمكان، وما يـتعلّق بهما.

والأزل: عبارة عن اللازمان السابق على الزمان سبقاً غير زماني، وليس بين الله سبحانه وبين الـعالم بُعد مقـدّر؛ لأنّه إن كان موجوداً يـكون من العالم، وإلّا لم يكن شيئاً. ولايـنسب أحدهمـا إلى الآخر من حيـث الزمان بـقبليّـة ولا بعديّـة ولا معيّة، لانتفاء الزمان عن الحـق، وعن ابتداء العالم. فسقط السـؤال بمتى عن العالم، كما هو ساقط عن وجود الحق، لأنّ متى سؤال عن الـزمان، ولا زمان قبل العالم. فـليس إلّا وجود بحت خالص ليس من العدم ـ وهو وجود الحق ـ، و وجود من العدم ـ وهو وجود العالم ـ، فالعالم حادث في غير زمان.

وإنّما يتعسّـر فهم ذلك على الأكثريـن، لتوهّـمهم الأزل جزءاً من الـزمان بتـقدّم سائر الأجزاء، وإن لم يسمّوه بالزمان، فإنّهم أثبتوا له معناه، وتوهّموا أنّ الله سبحانه

---

(١) الكافي: ج٨ ص٣١ ح٥.

....

فيه، ولا موجود فيه سواه، ثمّ أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً في أجزاء أُخر منه. وهذا توهّم باطل، وأمرٌ محال، فإنّ الله عزّوجلّ ليس في زمان، ولا في مكانٍ، بل هو محيط بهما، وبما فيهما، وما معهما، وما تقدّمهما. قال: وتحقيق المقام يقتضي بسطاً من الكلام لا تسعه العقول المشوبة بالأوهام، ونحن نشير إلى لمعة منه لمن كان من أهله، فنقول:

ليُعلم أنّ نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته تمتنع أن تختلف بالمعيّة واللامعيّة، وإلّا فتكون بالفعل مع بعضٍ، وبالقوّة مع آخرين، فتتركّب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوّة، وتتغيّر صفاته حسب تغيّر المتجدّدات المتعاقبات، تعالى عن ذلك. بل نسبة ذاته التي هي فعليّة صرفة، وغناء محض من حيث الوجوه إلى الجميع ـ وإن كان من الحوادث الزمانيّة ـ نسبة واحدة، ومعيّة قيّوميّة ثابتة، غير زمانيّة، ولا متغيّرة أصلاً، والكلّ بغنائه بقدر استعداداتها مستغنيات، كلٌّ في وقته ومحلّه، وعلى حسب طاقته، وإنّما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس إلى ذواتها، وقوابل ذواتها، وليس هناك إمكان وقوّة البتّة. فالمكان والمكانيّات بأسرها بالنسبة إلى الله سبحانه كنقطة واحدة في معيّة الوجود «والسَّموات مَطويَّاتٌ بِيمينِهِ»(١)، والزمان والزمانيّات بآزالها وآبادها كآن واحد عنده في ذلك، جفّ القلم بما هو كائن، ما من نسمة كائنة إلّا هي كائنة، والموجودات كلّها، شهادياتها وغيبياتها، كموجود واحد في الفيضان عنه، «مَا خَلْقكُمْ وَلا بَعْثكُمْ إلاّ كَنفْسٍ وَاحِدَةٍ»(٢).

وإنّما التقدّم والتأخّر، والتجدّد والتصرّم، والحضور والغيبة، في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض، وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان، المسجونين في سجن المكان ولاغير، وإن كان هذا ممّا تستغرب به الأوهام، ويشمئزّ منه قاصر الأفهام.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧. (٢) سورة لقمان: الآية ٢٨.

....

وأمّا قوله تعالى: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»(١) فهو كما قاله بعضُ أهل العلم: إنّها شؤون يبديها، لاشؤون يبتديها. ولعلّ مَنْ لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب فيصول، ويرجع فيقول: كيف يكون وجود الحادث في الأزل؟ أم كيف يكون المُتغيّر في نفسه ثابتاً عند ربّه؟ أم كيف يكون الأمر المتكثّر المتفرّق وحدانياً جمعياً؟(٢)، أم كيف يكون الأمر الممتدّ ـ أعني الزمان ـ واقعاً في غير الممتدّ ـ أعني اللازمان ـ مع التقابل الظاهر بين هذه الأُمور؟

فلنمثّل له بمثال حسّيّ يكسر سورة استبعاده، فإنّ مثل هذا المعترض لم يتجاوز بُعد درجة الحس والمحسوس، فليأخذ شيئاً ممتدّاً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون، ثمّ ليمرّره في محاذاة نملة أو نحوها ممّا تضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد، فإنّ تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها، تظهر لها شيئاً فشيئاً، واحداً بعد آخر، لضيق نظرها، ومتساوية في الحضور لديه، يراها كلّها دفعة، لقوّة إحاطة نظره، وسعة حدقته «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» (٣). إنتهى كلامه.

ووقع في بعض النسخ «المتأبّد» بالنصب على أنّه نعت للمضاف، قال بعضهم: وعلى هذا فينبغي أنْ يكون قوله: «الممتنع» بالنصب، وليس بلازم، بل جرّه على أنّه صفة للسلطان المجرور بالعطف، على الملك المجرور بالإضافة.

والسلطان: كالملك يطلق على الولاية، وعلى المملكة.

وفي القاموس: السلطان: قدرة الملك (٤).

والممتنع: القوي في نفسه. من امتنع إذا منع نفسه وحمى جانبه.

والجنود: جمع جُند، وهو العسكر والأنصار.

والأعوان: جمع عون ـ بالفتح ـ وهو الظهير والمعين على الأمر.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٢) «ألف» جمعاً.

(٣) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٤) القاموس المحيط: ج٢ ص٣٦٥.

....

وفي محكم اللغة: الظهير الواحد والمثنّى والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حُكي في تكسيره: أعوان(١).

وفي الأساس: هؤلاء عونك ، وأعوانك ، وهذه عونك (٢).

«ولا» من قوله: «ولا أعوان» لدفع توهّم المعيّة، ويسمّونها زائدة.

قال ابن هشام: وليست بزائدة البتّة، ألا ترى أنّه إذا قيل: ماجاءني زيد وعمرو، احتمل أن يكون المراد نفي مجييء كلّ منهما على كلّ حال، وأن يراد نفي اجتماعهما في وقت المجييء. فإذا جييء بـ«لا» صار الكلام نصّاً في المعنى الأوّل(٣).

ووصف سلطانه تعالى بالامتناع بلاجنود ولا أعوان، تنزية له عن الاستعانة بالغير، إذ كان ذلك من لوازم الضعف والعجز والنقصان. وإنّما يحتاج إلى الجنود والأعوان ذوالعجز والنقصان، في ملكه الذي لايستطيع أن يمتنع بنفسه، دون الاستعانة بغيره. وهو سبحانه المنزّه عن الضعف والعجز، والغنيّ المطلق في كلّ شيء، عن كلّ شيء، والغرض تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين، وخواصّ المحدثين.

والعزّ: خلاف الذلّ والغلبة والرفعة والامتناع. ورجل عزيز: منيع لايغلب ولايُقهر.

وبقي الشيء -من باب رضي- بقاء -بالمدّ-: فهوباقٍ لم ينفد، ولم يفنَ.

و«على» بمعنى مع نحو: «وَ إنَّ ربَّك لَذُو مَغْفِرَةٍ للنّاس عَلى ظُلْمِهِمْ» أي: مع ظلمهم.

ومرّ يمرّ مروراً: ذهب أي الباقي مع ذهاب الدهور وانقضائها، وهي جمع دهر،

---

(١) محكم اللغة: ج٢ ص٢٦٤ وفيه: [الظهر].

(٢) أساس البلاغة: ص٤٤٠.

(٣) مغني اللبيب: ص٣٢٢.

....

بمعنى الزمان الطويل. وجمعه باعتبار أجزائه التي كلّ واحد منها زمان.

قال الفارسيّ: الدهر: زمان من ليلٍ ونهارٍ، وليس بينهما فرق، إلّا أنّ في الدهر أزمنة كثيرة.

وقال ابن السيّد: الدهر مدّة الأشياء الساكنة، والزمن مدّة الأشياء المتحركة(١).

ويقال: الزمن مدّة الأشياء المحسوسة، والدهر مدّة الأشياء المعقولة.

وخوالي الأعوام: مواضيها، جمع خالية، من خلى بمعنى مضى. ومنه قوله تعالى: «بِمَا أَسلَفْتُمْ فِي الأَيَّام الخَالِيَةِ»(٢)، وإضافتها إلى الأعوام من إضافة الصفة إلى الموصوف.

والأعوام: السنون، جمع عام. وفرّق بعضهم بين العام والسنة، وقد تقدّم ذكره.

والأزمان: جمع زمن، كسبب وأسباب، وهو اسم لقليل الوقت وكثيره، كالزمان.

وقال الحكماء: هو مقدار حركة الفلك الأعظم. وهو ينقسم إلى الأعوام والشهور والأسابيع والأيّام والساعات والدقائق.

والأيّام: جمع يوم، أصله: أيوام، كعون وأعوان، قلبت الواو ياء، وأُدغمت فيها الياء. وهو جزء من الزمان، أوّله طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

وبقاء عزّه تعالى: عبارة عن بقاء قدرته وغلبته على الممكنات، وذلك عين ذاته سبحانه، فاستحال أن يسبقه عدم، أو يلحقه انقطاع، بل هو باقٍ أزلاً وأبداً، وإن مرّت الدهور والأعوام، ومضت الأزمان والأيّام؛ إذْ لا غاية له من الزّمان ينتهي إليها ولا مدّة مضروبة منه يقف عليها، كما يكون للزمانيّات من زمانها، لأنّ الدهور

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) سورة الحاقّة: الآية ٢٤.

....

والأزمان، والأعوام والأيّام من جملة مخلوقاته. ووجوده تعالى وإن كان مساوقاً لوجود الزمان، بمعنى أنّه معه في الوجود، إذ كان تعالى هو موجده وخالقه، إلّا أن مساوقة الزمان لا تقتضي الكون في الزّمان كالعالم فإنّه مع الخردلة، وليس في الخردلة. وإذا كان تعالى ليس في الزمان، لم تكن له غاية منه يقف عندها، فثبت أنّه تعالى باقٍ دائم على مرّ الدهور والأزمان.

ولمّا كان البقاء لغة أعمّ من الدوام، الذي هو استمرار الوجود بلا انقطاع، قيّد عليه السّلام الباقي بقوله: «على مرّ الدهور» الى آخره نصّاً على أنّ المراد بالباقي في صفته تعالى هو بمعنى الدائم، ولذلك قال بعضهم: وصفه تعالى بالباقي معناه أنّه الذي لاينتهي تقدير وجوده في الاستقبال الى آخر. إنتهى.

وتضمّن مع ذلك الإشارة إلى تنزيهه تعالى عمّا يلحق الزمانيّات من التغيّر والبلى، كما قال جدّه سيّد الأوصياء عليه السّلام: لا تبليه الليالي والأيّام، ولا يغيّره الضياء والظلام(١)، وذلك لأنّه تعالى ليس بزمانيّ يدخل تحت تصريف(٢) الزمان حتى يبليه أو يغيّره،بخلاف غيره من الممكنات الزمانيّة،التي مرّ الدهور والأزمان من الأسباب المعدّة لتغيّرها وبلاها، كما قال الشاعر:

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا ... على جديدٍ أدنياه للبلى(٣)

وقال الآخر:

أفنى الشباب الذي أبليتُ جدّته ... كَرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلق(٤)

وقال الآخر:

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٧٤ الخطب١٨٦.

(٢) «ألف» تصرّف.

(٣) «ألف» اوتياه.

(٤) لم نعثر عليه.

عَزَّ سُلْطانُكَ عِزّاً لاحَدَّ لَهُ بأَوَّلِيَّةٍ، وَلا مُنْتَهى لَهُ بآخِرِيَّةٍ، واسْتَعْلى

مَنْ عاش أخلقت الأيام جدّته وخانه ثقتاه السّمعُ والبصرُ(١)

ونسبة ذلك إلى الزمان، وإسناده إليه إنّما هو جري على ما في أوهام العرب، وإن كان الفاعل هو الله تعالى وإنّما للزمان الإعداد.

وقد ينسبون ذلك إلى الشمس، كما قال:

منع البقاء تقلّب الشّمس وطلوعها من حيث لا تُمسي(٢)

وقد ينسب إلى القمرين كما وقع في خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام «والشمس والقمر دائبان، يُبليان كلّ جديد، ويُقرّبان كلّ بعيد»(٣).

وذلك لكون حركاتهما من الأسباب المعدّة لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيّراته، والله أعلم.

تبصرة

قال جدّنا العلامة أُستاذ البشر السيّد غياث الدين منصور-قدّس الله سرّه-في تذكرته: الواجب بالذات ممتنع العدم دائماً، لأنّه واجب الوجود دائماً. وكلّ واجب الوجود دائماً ممتنع العدم دائماً، لأنّ كلّ ما كان واجب الوجود لذاته في وقت فهو واجب الوجود في جميع الأوقات أزلاً وأبداً مادام الذات، لأنّ الواجب بالذات مايكون مجرّدُ ذاته كافياً في كونه واجب الوجود، وكلّ ما كان مجرّد ذاته كافياً في كونه واجباً وجب وجوده في كلّ وقتٍ، إذ لو وجد في وقتٍ دون وقتٍ آخر لزم الترجيح بلا مُرجّح، أو الوقوع بسبب. إنتهى.

العِزّ: الرفعة والغلبة والإمتناع.

(١) لم نعثر عليه.

(٢) شرح شذور الذهب: ص٩٨، الشاهد: ٤١.

(٣) نهج البلاغة: ص١٢٣، الخطب ٩٠.

مُلْكُكَ عُلُوّاً سَقَطَتِ الأَشْياءُ دُونَ بُلُوغ أَمدِه، ولا يَبْلُغُ أَدْنى مَا اسْتأْثرْتَ بِهِ مِنْ ذَلِك أَقْصَى نَعْتِ النّاعِتينَ.

والحدّ: مصدر حدّ الشيء حدّاً، إذا ميّزه بغاية ينتهي إليها.

والمراد بالأوّليّة والآخريّة: الابتداء والانتهاء، فإنّ ياء النسبة إذا لحقت آخر الاسم، وبعدها تاء التأنيث أفادت معنى المصدر، نحو الانسانيّة.

الباء: للملابسة في الموضعين، أي: لاحدّ له ملتبساً بأوّليّةٍ، ولا منتهى له ملتبساً بآخريّة.

والمعنى: أنّه لا أوّل له، هو مبدأه، ولا آخر له يقف عنده، وينتهي إليه، بل هو دائم سرمديّ؛ لأنّه ممتنع العدم دائماً كما عرفت. وكلّ ماامتنع عدمه كان سرمديّاً ضرورة، أي لاأوّل له ولا آخر.

وعزّ سلطانه ـ جلّ شأنه ـ عبارة عن تمام قدرته الباهرة، وكمال غلبته القاهرة، وذلك عين ذاته المقدّسة، ولذلك وصفه بالسرمديّة.

واستعلى الشيء علا، أي ارتفع. فالاستفعال هنا بمعنى الفعل.

وعلوّاً: مصدرٌ جار على غير الفعل، فهو نائب عن «استعلاء»، نحو: «وَاللهُ أَنْبتكُمْ مِنَ الأَرْض نَباتاً»(١) و«تَبتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً»(٢).

واستعلاء ملكه تعالى: عبارة عن عظمته، باعتبار كمال اقتداره، وتمام استيلائه على مخلوقاته.

ولمّا كانت ذاته المقدّسة هي مبدء كلّ موجود حسّيّ وعقليّ، وعلّته التامّة المطلقة التي لايُتصوّر فيها نقصان بوجهٍ، وكان أعلى مراتب الكمال العقليّ هو مرتبة العليّة كان المراد بعلوّه تعالى العلوّ العقليّ المطلق، بمعنى أنّه لارتبة فوق رتبته. فكانت مرتبة ملكه واقتداره، الذي هو عين ذاته المقدّسة، أعلى المراتب العقليّة مطلقاً، ولها الفوق المطلق في الوجود العاري عن الإضافة إلى شيء، وعن إمكان أن

---

(١) سورة نوح: الآية ١٧.

(٢) سورة المزمّل: الآية ٨.

....

يكون في مرتبته أو فوقها شيء، وذلك معنى استعلاء ملكه علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، لتفرّده في العلوّ المطلق، وفواته لكلّ شيء غيره أن يلحقه فيه. فهو في أوج الكمال الأعلى وكلّ شيء سواه في حضيض النقصان الذاتيّ، بذلّ الحاجة وخضوع الافتقار.

وسقط الشيء سقوطاً ـ من باب قعد ـ: وقع من أعلى إلى أسفل.

و«دون»: نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية. وقد سبق الكلام عليه مستوفىً.

والأمد: الغاية. وسقوط الأشياء دون بلوغ أمده، أي: قبل الوصول إلى غاية علوّ ملكه، عبارة عن عجزها وقصورها عن إدراك مالقدرته من التمام والكمال الذي لانهاية له، حتى لو ارتفعت لتدرك مُنقطع علوّ قدرته لسقطت دونه، ووقعت قبل الوصول إليه. وهذا من باب نفي الشيء بنفي لازمه، أي: لاأمد له ولا منقطع، فلا بلوغ ولا إدراك، كقوله: «ولا ترى الضبّ بها ينجحرُ»(١) أي: لاضبّ ولا انجحار. وقد مرّ نظيرُ ذلك في الروضة الأُولى، وبسطنا الكلام على بيانه هناك، فليرجع إليه.

قوله عليه السَّلام «ولا يبلغ أدنى مااستأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين» أدنى: أفعل تفضيل من دنى يدنو دنوّاً، بمعنى: قرب.

واستأثر بالشيء استبدّ به، وخصّ به نفسه.

والأقصى: الأبعد.

ونعتهُ نعتاً ـ من باب نفع ـ: وصفه.

قال في محكم اللغة: نعتهُ: وصفه، ورجلٌ ناعت: واصف، من قوم نعّاة، قال: أنعتُها إنّي من نعّاتها. والنّعت: مانعت به، والجمع نعوت، لايكسر على غير ذلك(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج١ ص١١٥.

(٢) محكم اللغة: ج٢ ص٣٩.

....

وفي النهاية لابن الأثير: النعت وصف الشيء بما هو فيه من حسن. ولا يقال: في القبيح إلّا أن يتكلّف متكلّف فيقول: نعت سوء، والوصف يقال: في الحسن والقبيح(١). إنتهى.

والإشارة بذلك إلى عزّ سلطانه، وعلوّ ملكه -جلّ شأنه- ومافيه من معنى البعد، مع قرب العهد بالمشار إليه؛ للإيذان ببعده في مراتب العلوّ، وكونه في الغاية القصوى من العظمة والجلال، تنزيلاً لبعد درجته، ورفعة محلّه منزلة بعد المسافة.

والمعنى: أنّ غاية نعت جميع الناعتين -لأنّ الجمع المحلّى باللام يفيدُ الاستغراق- لا تدرك أدنى ماخصَّ به نفسه تعالى من عزّ السلطان، وعلوّ الملك، لأنّ الناعتين إن بالغوا في النعت، وانتهوا به إلى أقصى غاياته، لم ينعتوه بماهو نعته، ولم يصفوه بما هو حقّه، ولم ينالوا حقيقة وصفه على الوجه اللائق به، لأنّ لسان النعت والتعبير إنّما يخبر عمّا في الضمير، وكلّ ماهو في الضمير مخلوق مثله، كما دلّ عليه قول الباقر عليه السّلام «كلُّ ماميّزتموه بأوهامكم في أدّق معانيه مصنوع مثلكم، مردودٌ اليكم»(٢).

فإن قلت: قوله عليه السّلام «أدنى ما استأثرت به من ذلك» يقتضي أنّ عزّ سلطانه، وعلوّ ملكه، ينقسم إلى أدنى وأعلى، فيلزم أن يتطرّق إليه الزيادة والنقصان، ولا شيء من كمال الواجب الأوّل سبحانه كذلك، لتنزّهه عن النقصان والتفاوت بوجهٍ ما.

قلتُ: هو إمّا على حذف مضاف، أي أدنى نعت مااستأثرت به، وإمّا على أنّ الدنوّ والعلوّ والتفضيل فيهما إنّما هو بالإضافة إلى نظر الناظرين، ومعقولهم بحسب متعلّقات القدرة وآثارها، وإلّا فعزّ السلطان، وعلوّ الملك، اللذان هما عبارة عن تمام الاقتدار، وكمال القدرة لا تفاوت فيه رأساً، وعلى ذلك جرى قوله تعالى:

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٧٩.

(٢) شرح مسألة العلم: ص٤٣.

ضلَّتْ فِيكَ الصِّفاتُ، وَتَفسَّختْ دُونَكَ النُّعوتُ، وَحارتْ في

«وَهُوَ الذي يبدؤُا الخلق ثُمَّ يُعِيدهُ وَهُو أَهْونُ عَلَيهِ»(١)، أي بالإضافة إلى نظركم وقياسكم من أنّ الإعادة أهون من الإبداء، وإلّا فهما عليه سواء، لا تفاوت في قدرته القاهرة عليهما حتّى يقع التفضيل على حدّه. ومثلهُ قوله تعالى: «لَخلقُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ أَكبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ»(٢) أي بالإضافة إلى عقول البشر، وإذعانها بأنّها خلق عظيم، لايقادر(٣) قدره، وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين، وإلّا فالخلقان عند قدرته عزّ وجلّ على حدٍّ سواء.

إذا عرفت ذلك، فالمراد بـ«أدنى ما استأثرت به من ذلك» قدرتهُ المتعلّقة بأدنى مقدوراته عند بديهة العقل، كالبعوضة مثلاً، فإنّ في خلقها من العجائب والغرائب والإعجاز ماتقصر عن معرفة الطريق إليه أرباب الألباب، وتتحيّر في كيفيّته حكمة الحكماء، وتتناهى دون علم ذلك عقول العقلاء، وترجع خاسئةً حسيرةً، مُعترفةً بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في إنشائها، مقرّةً بالقصور عن نعت حقيقة إيجادها وتكوينها. وإلى هذا المعنى يشير قول أميرالمؤمنين عليه السَّلام، في خطبةٍ له: «سبحانك ما أعظم مانرى من خلقك، وما أصغر عظيمة في جنب قدرتك، وما أهول مانرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من سلطانك(٤).

أي بالقياس إلى ماتعتبره العقول من مقدوراته تعالى، وما يمكن في كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهية. والله أعلم*.

ضلّ الرجل يضلّ -من باب ضرب- ضلالاً وضلالةً: عدل عن الطريق، فلم يهتدِ إليه. والضلال في الدين: العدول عن الحق. ولم يعطف الجملة على ماقبلها لما بينهما من كمال الاتّصال لكونها مؤكّدة للأُولى، ويحتمل الاستيناف البيانيّ.

وتفسّخت الفأرة في الماء: تقطعت. وتفسّخ الفصيل تحت الحمل الثقيل:

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٣) «ألف»: بقادر.

(٤) نهج البلاغة: ص١٥٨ - ١٥٩، الخطبة: ١٠٩.

كِبْريائكَ لَطائفُ الأَوْهامِ، كَذلِكَ أَنْتَ اللهُ، الأَوّلُ في أَوّلِيّتِكَ، وَ عَلى ذَلِكَ أَنْتَ دائمٌ لا تَزُولُ.

ضعف وعجز.

والمعنى: أنّ الصفات لم تهتدِ إلى طريق مايجب له، ويليق بشأنه تعالى، من مراتب الكمال، لأنّ ذلك موقوف على تعقلها كما هي، وهوبعيدٌ عن مدارك العقل الواهي.

وكذلك النعوت تقطعت أو ضعفت وعجزت قبل الوصول الى مايستحقه-جلّ شأنه-من المدح والثناء. فهي وإن بولغ فيها بالتعظيم والتكريم، كان له -عزّ شأنه- وراء ذلك أطوار من استحقاق المدحة والثناء تقف دونها بمراحل، كما قال سيّد المرسلين عليه الصلاة والسّلام:

لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك(١).

وحار في أمره يَحار حيرةً -من باب تعب-: لم يدر وجه الصواب.

والكبرياء: الشرف والعظمة، والتجبّر كالكبر، وصاحبها متكبّر. وهي صفة مدحٍ لله تعالى، وذمّ لغيره. وذلك أنّ حقيقة الكبر هيئة نفسانيّة، تنشأ من تصوّر الإنسان في نفسه أمرين أحدهما: كونه أكمل من غيره، والثاني: كونه أعلى رتبةً ممّن سواه.

ولمّا كان هذان الاعتباران إنّما يصدقان حقيقةً على الله سبحانه، لعلمه بكمال ذاته المقدّسة، وشرفه وعلوّه على مخلوقاته كان الكبر والكبرياء له صفة مدح، ولغيره صفة ذمّ. ولذلك ورد في الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله:يقول الله عزّوجلّ: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنّم»(٢).

والأوهام: جمع وهم. وهوقوّة جسمانيّة، محلّها آخر التجويف الأوسط من الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلّقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد،

---

(١) سنن أبي داود: ج١ ص٢٣٢ ح٨٧٩.

(٢) المحجة البيضاء: ج٦ ص٢١٣.

....

وسخاوة عمرو. وهذه القوّة هي التي تحكم في الشاة بأنّ الذّئب مهروب عنه، وأنّ الولد معطوف عليه. وهي قوّة حاكمة على القوى الجسمانيّة كلّها، مستخدمة إيّاها استخدام العقل القويّ العقليّة بأسرها.

وإضافة اللطائف إلى الأوهام؛ إمّا من باب إضافة النوع إلى الجنس مثلُ: أكابر الناس، أي مالطف ودقّ من الأوهام، أو من باب إضافة الفعل إلى الفاعل، أي مالطف ودقّ من ملاحظة الأوهام ومداركها. وعلى كلّ تقدير، فالغرض تنزيه ساحة كبريائه تعالى عن مدارك الأوهام، إذ كانت الأوهام إنّما تتعلّق بالمعاني الجزئية، المتعلّقة بالمحسوسات ذات الصور والأحياز والمحالّ الجسمانيّة. فالوهم وإن تلطّف في إرسال طرفه إلى قبلة وجوب الوجود، وتعمّق في تقليب حدقته نحو حرم ذي الكبرياء والجود،فلن يرجع إلّا حيراناً خاسئاً حسيراً، إذ كان غايته أن يرجع بمعنى جزئيّ يتعلّق بمحسوس لابدّله في إدراكه من بعث المتخيّلة على تشبيحه بمثالٍ من الصّور الجسمانية ليثبته، حتى أنّ الوهم إنّما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار. فأنّى له إدراك ماليس داخل العالم ولاخارجه، ولا في جهة، وليس بجسم، ولاعرض وهو لايثبت موجوداً بهذه الصفة، ولا يتصوّره بل ينكره، لأنّ من شأنه إنكار مالايتصوره، ومن هنا كان اكثر الناس يرى ربّه في جهةٍ ويشير إليه، مُتحيّزاً ذا مقدارٍ وصورة، ولذلك وردت الكتب الإلهيّة، والنواميس الشرعيّة مشحونةً بصفات التجسّم كالعين واليد والإصبع. والاستواء على العرش ونحو ذلك خطاباً للخلق بما تدركه أوهامُهم، وتوطيناً لهم، وإيناساً، حتّى أنّ الشارع لو أخذ في مبدء الأمر، يبيّن لهم أنَّ الصانع ليس بجسم ولا عرض، ولا هو في مكان ولا زمان إلى غير ذلك من صفاته جلّ شأنه لاشتدّ نفار أكثرهم عن قبوله، وعظم إنكارهم له، لما علمت من أنّ الوهم في طبيعته لايثبت هذا القسم من الموجودات بل ينكره.

والخطابات الشرعيّة وإن وردت بصفات التجسيم، إلّا أنّ الألفاظ الموهمة

....

لذلك لمّا كانت قابلةً للتأويل محتملةً له، كانت وافيةً بالمقاصد، إذ العاميّ المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره، ويحصل بذلك تقيّده عن تشتّت اعتقاده، وذو البصيرة المترقّي عن تلك الدرجة يحمله على مايحتمله عقله من التأويل، وكذلك حال من هو أعلى منه، والناس في ذلك على مراتب، فكان إيرادها حسناً وحكمةً.

قال بعض أصحابنا المحقّقين: ويمكن أن يراد بالأوهام النفس وقواها، لأنّ النّفس في معرفة الصانع-جلّ شأنه-كالوهم، في أنّ ماأحاطت به ليس هو الصانع سبحانه.

ويمكن أن يقال: إنّ التنزيه عن إدراك الأوهام يستلزم التنزيه عن إدراك سائرالقوى الباطنة، لأنّ الوهم أعمّ إدراكاً منها، لأنّه يدرك كلّ مايدركه غيره من القوى الباطنة من غير عكس.

والأولى: أن يكون المراد بالوهم الإدراك المتعلّق بالقوّة العقليّة المتعلّقة بالمعقولات، والقوّة الوهميّة المتعلّقة بالمحسوسات جميعاً، وقد شاع ذلك في الاستعمال، ودلّ عليه مضامين الأخبار دون الأخير فقط، وقد أوضحنا ذلك في الروضة الأُولى، فليرجع إليه.

قوله عليه السّلام «كذلك أنت الأوّل في أوّليّتك» إلى آخره كلام مستأنف للثناء عليه سبحانه بثبوت ماذكر من المادح له جلّ شأنه، أزلاً وأبداً، لأنّ صفة القديم لا تكون إلّا قديمةً، لأنّ القديم لايحدث له شيء، ولا يزول عنه شيءٌ كما عرف ذلك في محلّه، وذلك إشارة إلى جميع ماذكره عليه السّلام من الصفات والنعوت، ومافيه من معنى البُعد، للإشعار ببعد مرتبته في الشرف والعلوّ.

والجار والمجرور في محلّ رفع على أنّه خبرٌ، و«أنت» مبتدأ، والتقديم لإفادة القصر.

و «الله الأوّل» بيان على جهة المدح، كالبيت الحرام من قوله تعالى: «جَعل

....

اللهُ الكَعبَةَ البَيْتَ الحَرامَ»(١).

و«في أوّلـيّتك» حـال، أي على نحو هذه الصـفـة أنت كائـناً في أوّليـتـك قبل وجود الممكنات، وليس ذلك طارئاً عليك، وحادثاً لك بعد أن لم يكن.

والأوّليّة: عدم المسبوقيّة بالغير مع السابقيّة على الكلّ. والتشبيه بـ«كذلك» من باب تشبيه الشيء بنفسه في حالين،لأنّ الغرض بيان ثبوت ذلك له سبحانه أزلاً، كثبوته له حالاً.

وقوله عليه السّلام «وعلى ذلك أنت» بيان لثبوته له أبداً، فأنت مبتدأ، وعلى ذلك خبر.

و«دائم» عطف بيانٍ أو بدلٍ كأحدٍ من «قُلْ هو الله أَحد»(٢).

وجملة «لا تزول» نعت لدائم، يقتضي توكيده، كنفخةٍ واحدةٍ، لدفع توهّم كون المراد بالدوام طول البقاء لاشتهار ذلك عرفاً، نحو قولهم: أدام الله عزّك .

فإن قلت: قد ورد في كثيرٍ من الروايات عن أهل البيت عليهم السّلام نفي الأوّلية والآخريّة عنه تعالى، كقول أمير المؤمنين عليه السّلام: سبحان الذي ليس له أوّل مبتدأ، ولا غاية منتهى(٣)، وكقول سيّد العابدين عليه السّلام فيما تقدّم من هذا الدعاء «عزّ سلطانُك عِزاً لا حدَّ له بأوّليّةٍ»، فكيف أثبت له الأوّليّة هنا؟

قلت: المراد بالأوّليّة والآخرية المنفيّتين(٤) عنه عزّ شأنه هما الزمانيّتان، المعبّر عنهما بالابتداء والانتهاء، والمراد بالأوّليّة والآخريّة اللتين تثبتان له كونه قبل وجود الممكنات، وبقاؤه بعد فنائها، أو أنّ أوّليّته عبارة عن قِدَمِه، وآخريّتهُ عن استحالة عدمه، فلا منافاة في إثباتها له، ونفيها عنه تعالى.

ومن العجيب ماوقع لبعض المعاصرين في إعراب هذه الجملة من الدعاء

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٧.

(٢) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٣) الكافي: ج١ ص١٣٤ - ١٣٥، ح١.

(٤) «ألف» المنفّتين.

وَأَنا العَبْدُ الضَّعِيْفُ عَملاً، الجَسِيمُ أَملاً، خَرجَتْ مِنْ يَدي أَسْبابُ الوُصُلاتِ، إلّا ما وَصَلَهُ رَحْمَتُك، وَتَقَطَّعَتْ عَنّي عِصَمُ الآمالِ، إلّا مَا أَنا مُعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ عَفْوِك .

وتفسيرها، وعبارته:

قوله عليه السَّلام: «وكذلك» خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: ذلك كذلك؛ ليكون تأكيداً لجميع الجمل السابقة و«أنت» مبتدأ، و«الله» الخبر، و«الأوّل» نعت، أو خبر ثانٍ و«في أوّليتك» حال منه، أي ليست الأوّليّة بالإضافة إلى شيء كأوّليّة غيرك، بل أوّليّتك ذاتية، أي: منسوبة إلى ذلك «وعلى ذلك» حال من المبتدأ وهو «أنت» و«دائم» الخبر، و«لا تزول» خبر ثانٍ انتهى بنصّه.

فلينظر إلى هذا الإعراب في المعنى والإعراب، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

«الواو» للاستئناف، لا عاطفة، كما توهّمه بعضهم.

و«عملاً، وأملاً» تمييزان رافعان إجمال نسبة، محوّلان عن الفاعل، والأصل: الضعيف عمله، الجسيم أمله فحول الإسناد إلى الضمير، ونصباً على التميز مبالغة وتوكيداً، لأنّ ذكر الشيء مبهماً، ثمّ مفسّراً أوقعُ من ذكره من أوّل الأمر مفسّراً.

والعمل لغةً: فعل الجارحة، كما أنّ العلم فعل القلب، وشرعاً: هو الفعل الإنساني سواء كان بالقلب أو بالقالب. ولذلك رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه فسّر قوله تعالى: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحسَنُ عَمَلاً»(١) بقوله: أيُّكم أحسنُ عقلاً، وأورع عن(٢) محارم الله، وأسرع في طاعة الله تعالى(٣).

وضعف العمل قد يكون من جهة الكميّة كقلّة الحسنات، وقد يكون من جهة الكيفيّة كعدم خلوصه من الشوائب، وضعفه من هذه الجهة أشدّ ضرراً من ضعفه

(١) سورة هود: الآية ٧.

(٢) في نسخة «ألف» لم تكن واضحة ماأثبتناه هو الظاهر.

(٣) تفسير الكشاف: ج٢ ص٣٨٠.

....

من الجهة الأولى، كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» قال: ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله، والنيّة الصادقة(١).

وعن النّبي صلّى الله عليه وآله: أتمُّكم عقلاً وأشدّكم لله خوفاً، وأورعُ عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وإن كان أقلّكم تطوّعاً(٢).

وجسم جسامةً مثل ضخم ضخامةً: عظم، فهو جسيم. وأصله في الجسم وهو الجسد، ثمّ استعمل في المعاني مجازاً.

قال في الأساس: ومن المجاز أمرٌ جسيمٌ، وهو من أجسام الأُمور وجسيمات الخطوب(٣).

والأمل: الطمع والرجاء. وعرّف بأنّه ارتياح النفس لانتظار ماهو محبوب عندها، والمراد به هنا الأمل لرحمة الله تعالى وعفوه ورضوانه. وفي هاتين الفقرتين إشارة إلى أُمور:

أحدها: الإقرار بالتقصير في العمل، وهو من أشرف مقامات العبودية؛ لشرف مبدأه وثمرته.

أمّا مبدأه: فهو استشعار عظمة الله سبحانه وعزّ جلاله، فإنّ من أشعر قلبه عظمة ربّهِ، وجلال كبريائه علم أن ليس أحدٌ ـ وإن اشتّد في طلب مرضاة الله حرصه، وطال في العمل إجتهاده ـ ببالغ حقيقة ماالله سبحانه أهلهُ من الطاعة له، حتّى أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام ـ مع إتيانهم بما هو المطلوب من الإنسان على نهاية مايتصور من القدرة والإمكان ـ اعترفوا بالتقصير، ونظروا إلى أعمالهم بعين التحقير. وفي الصحيح أنّ الكاظم عليه السّلام قال لبعض ولده: يابُنيّ عليك

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٢ ص٣٤٠.

(٢) مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠ ص٣٢٢.

(٣) أساس البلاغة: ص٩٤.

....

بالجدّ، لاتخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله عزّوجلّ وطاعته، فإنّ الله لايعبد حقّ عبادته(١).

وأمّا ثمرته: فنفي العجب الذي هو من المهلكات، كما قال عليه السّلام: ثلاث مهلكات: شُحٌّ مطاعٌ، وهوىً متّبعٌ، وإعجاب المرء بنفسه(٢)، وإثبات الذّل والانكسار. فإنّ من عرف تقصير نفسه، وضعف عمله، كان في مقام الذلّ والحاجة والانكسار، ولاعبوديّة أشرف منها.

الثاني: استضعاف العمل تفادياً عن الاتّكال عليه، والإخلاد إليه في النّجاة والفوز بنيلِ الدرجات، بل الرّجاء لفضل الله ورحمته، والوثوق بكرمه ومنّته، هو التسبب الأقوى، والذريعة العظمى، كما جاء في الصحيح عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: قال الله تبارك وتعالى: «لايتّكلُ العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا واتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي، كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي، فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جنّاتي، ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تدركهم، ومنّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسُهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسمّيتُ»(٣).

الثالث: كون ضعف العمل لايوجب ضعف الأمل، بل ينبغي لمن ضعف عمله أن يعظم في الله سبحانه أمله، وهذا أمرٌ يشهد بإثباته العقل، إذ كان العبد عند إنارة العناية الإلهيّة بصيرته، يعلم استناد جميع الموجودات كليّتها وجزئيّتها إلى مدبّر حكيم وربّ رؤوف رحيم، فيظهر له من ذلك أنّ إيجاده له وأخذ العهد عليه

---

(١) الكافي: ج٢ ص٧٢ ح١.

(٢) المحجّة البيضاء: ج٦ ص٢٧٢.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي: ج١ ص٢١٥.

....

بالطاعة والعبادة، ليس إلّا لينجذب إلى موطنه الأصليّ، ومبدئه الأوّل بالتوحيد المحقّق، والحمد المطلق، عن نارأُجّجت، وجحيم سُعّرت، فلا ييأس من روح الله تعالى عند وقوع تقصير منه في أسباب ذلك الانجذاب، بل يكون برجائه أوثق، وقلبهُ بشمول العناية له أعلق، فإنّه لاييأسُ من روح الله الآ الذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار الله، فهم في طغيانهم يعمهون، وأُولئك هم الخاسرون، كما قال سبحانه «ومن يقنط من رحمة ربّه إلّا الضالّون»(١).

تنبيه

إعلم: أنّ الأمر المحبوب الذي تتوقّعه النفس، وتنتظره في المستقبل لابدّ وأن يكون لسبب، فإن كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء والأمل صادق عليه، وإن كان سببه غير معلوم الوجود والانتفاء فاسمُ التمنّي أصدق على توقّعه، وإن كان سببه معلوم الانتفاء فاسم الغرور والحمق أصدق على انتظاره.

إذا عرفت ذلك فاعلم: أنّ أرباب العرفان قد علموا أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، فالنفسُ هي الأَرض، وبذرها حُبُّ المعارف الإلهيّة، وسائر أنواع الطاعات جارية مجرى إصلاح هذه الأَرض، من تقليبها وتنقيتها وإعدادها للزراعة، وسياقة الماء إليها. والنفس المستغرقة بحبّ الدنيا والميل إليها كالأَرض السبخة التي لا تقبل الزرع والإنبات، لمخالطة الأجزاء الملحيّة، ويوم القيامة يوم الحصاد، فلا حصاد إلّا من زرع، ولازرع(٢) إلّا من بذر، وكما لاينفع الزرع في أرض سبخة كذلك لاينفع عمل مع خبث النفس، وسوء الأخلاق المنافية للإيمان، فينبغي أن يقاس عمل العبد ورجاؤه لرضوان الله بأمل صاحب الزرع ورجائه، والناس في ذلك على ثلاث درجات، سابقٌ، ولاحقٌ، ومُقصّر:

---

(١) سورة الحجر: الآية ٥٦.

(٢) «ألف»: يزرع.

....

فالأوّل: من طيّب أرضاً، وبذرها في وقت الزراعة بذراً غير متعفن ولا متآكل، ثمّ أمدّه بالماء العذب وسائر مايحتاج إليه في أوقاته، ثمّ نقّاه وصانه عمّا يمنع نباته ويفسده من النباتات الخبيثة، ثمّ انتظر من فضل الله تعالى منع الآفات المفسدة له إلى تمام زرعه، وبلوغ غايته، فذلك أملُه ورجاؤه في محلّه، إذ كان في مظنة أن يفوز مقصوده(١) من ذلك الزرع. وهكذا حال العبد إذا بذر المعارف الإلهيّة في أرض نفسه في وقته، وأبّانه، وهو مقتبل العمر، ومبدء التكليف، ودام على سقيه بالطاعات، واجتهد في طهارة نفسه عن شوائب الأخلاق الرديّة التي تمنع نماء العلم وزيادة الإيمان، وتوقّع من فضل الله تعالى وكرمه أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله، وحصاد عمله، فذلك التوقّع هو الأمل المحمود والرجاء الممدوح،وهو درجة السابقين.

والثاني: من بذر في أَرضٍ طيّبة كذلك، إلّا أنّه بذر في أُخريات الناس، ولم يبادر إليه في أوّل وقته، أو قصّر في بعض أسبابه، ثم أخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع، ويرجو الله في سلامته له، فهو من جملة المؤمّلين والراجين أيضاً. وكذلك العبد إذا ألقى بذر الإيمان في نفسه، لكنّه قصّر في بعض أسبابه، إمّا ببطئه في البذر أو في السقي، إلى غير ذلك ممّا يوجب ضعفه، ثمّ أخذ ينتظر وقت الحصاد، ويتوقّع من فضل الله تعالى أن يبارك له فيه، ويعتمد على أنّه هو الرزّاق ذوالقوّة المتين، فيصدق عليه أنّه ذو أمل ورجاء أيضاً، إذ أكثر أسباب المطلوب التي من جهته حاصلةٌ، وهذه درجة اللاحقين.

والثالث: من لم يحصل على بذر، أو بذر في أرض سبخة، أو ذات شاغل عن الإنبات، ثمّ أخذ يتوقّع الحصاد، فتوقعهُ هو الحمق والغرور، ومثله حال العبد إذا لم يزرع من قواعد الإيمان في نفسه شيئاً أصلاً، أو زرع ولم يلتفت إلى سقيه بماء

(١) «ألف»: بمقصوده.

....

الطاعة، ولاصيانته عن موجبات فساده، من شوك الأخلاق الرديّة، بل أنهمك في طلب آفات الدنيا، ثمّ جعل ينتظر الفضل من الله، ويتوقّع نيل الحُسنى لديه، فذلك الانتظار والتوقّع غرورٌ وحمق، وليس بأمل في الحقيقة، وهذه درجة المقصّرين.

فتبيّن: أنّ اسم الأمل والرجاء إنّما يصدق على توقّع ماحصل جميع أسبابه، أو اكثرها، الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلّا مالايدخل تحت اختياره، وهو فضل الله، بصرف القواطع والمفسدات.

فاحذر أن يغرّك الشيطان، ويثبّطك عن العمل، ويريك الحمق والغرور في صورة الرجاء والأمل، فإنّ مَنْ هذه حاله، لايأمن أن يكون من أهل الحسرة والندامة، في يوم القيامة يقول «يَالَيْتني قَدَّمْتُ لِحَياتِي * فَيوْمَئذٍ لاَيُعذِّبُ عذابَهُ اَحدٌ * وَلايُوثِقُ وَثاقَهُ أحدٌ»(١)، وفي المعنى ماقيل:

إذا أنت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله: الأحمق من اتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله(٢).

وعن الصادق عليه السّلام أنّه سئل عن قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فقال: هؤلاء قوم يترجّحون في الأماني، كذبوا، ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه(٣).

وفي روايةٍ أُولئك قومٌ ترجّحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيء هرب منه(٤).

وإلى الأقسام الثلاثة المذكورة أشار أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: ساعٍ سريعٌ

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٤ - ٢٦.

(٢) إحياء علوم الدين: ج٤ ص١٤٣.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٨ ح٥.

(٤) الكافي: ج٢ ص٦٨ ح٦.

....

نجا، وطالبٌ بطيء رجا، ومقصّر في النار(١).

وإنّما خصّ عليه السّلام القسم الثاني بالرجاء، إذ كان كما علمت، عمدته ضعف عمله، وقلّة الأسباب من جهته.

وإليها الإشارة أيضاً بقوله تعالى: «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخيْراتِ بإذْن الله ذلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبيرُ»(٢).

قوله عليه السّلام: «خرجت من يدي أسباب الوصلات» جملة مستأنفة.

والأسباب: جمع سبب، وهو كلّ شيء يُتوصّل به إلى أمر من الأمور، وأصله الحبل.

والوصلات: جمع وُصلة -بالضمّ- على وزن غرفة، يقال: بينهما وصلةٌ، أي: اتصال. والوصلة أيضاً مايتوصّل به إلى الشيء، يقال: هذا وصلةٌ إلى كذا.

وفي القاموس: الوُصلة -بالضمّ- الاتصال، وكلّ ما اتصل بشيء فما بينهما وصلة، والجمع كصرد(٣).

قال بعض المترجمين: الموجود في نسخ الصحيفة الشريفة ضبط الوصلات -بالضمّتين-. والظاهر من عبارة القاموس المذكورة فتح الصّاد. إنتهى.

وهذا جهل منه بعلم الصّرف، فقد نصّ علماء العربيّة، أنّ الاسم الثلاثي المؤنث إذا كان مضموم الفاء، ساكن العين، غير معتلّها، ولا مُدغمها، ولم تكن لامُه ياء، جاز في عينه الفتح للخفّة، والضمّ للإتباع، والسكون في لغة تميم، سواء في ذلك صحيح الفاء ومعتلها، كغرفة وظلمة ووصلة ووكنة، قال امرؤ القيس:

* وقد اعتدى والطير في وكناتها *(٤)

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٨، الخطب١٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٣) القاموس المحيط: ج٤ ص٦٤.

(٤) شرح المعلّقات السبعة للزوزني: ص٣٩ - ٤٠.

....

قال الشارح أبو عبدالله الزوزني: الوكنات: مواقع الطير، واحدتها وكنة ـ بالضمّ ـ ثمّ تجمع الوكنة على الوُكنات ـ بضمّ الفاء والعين ـ، وعلى الوكنات ـ بضمّ الفاء وفتح العين ـ، وعلى الوكنات ـ بضمّ الفاء وسكون العين، وتكسّر على الوكن، وهكذا حكم فُعلة نحو ظلمة وظلمات وظُلم(١). إنتهى بنصّه.

ومثله في الصحاح للجوهريّ(٢).

والاستثناء من قوله عليه السَّلام: «إلّا ماوصله رحمتك» يجوز أن يكون متّصلاً وهو الظاهر، فالموصول في محلّ نصب على الاستثناء، أي: إلّا السبب الذي وصله رحمتك، فإنّه لم يخرج من يدي. ويجوز أن يكون منقطعاً على أنّ «ما» مبتدأ، حذف خبره، فتكون الجملة في محلّ نصب على الاستثناء أي لكنّ ماوصله رحمتك لم يخرج من يدي.

نبّه على ذلك ابن مالك في شواهد التوضيح حيث قال: حقُّ المُستثنى بـ«إلّا» من كلام تامّ موجب أن ينصب، ولا يعرف أكثر المتأخّرين فيه إلّا النّصب، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء، ثابت الخبر ومحذوفهُ فمن الأوّل قول أبي قتادة: أحرموا كلّهم إلّا أبوقتادة لم يحرم، فإلّا بمعنى لكنّ، وأبو قتادة مبتدأ، ولم يحرم خبره. ومن الثاني: قوله عليه السَّلام: «كلّ أُمتي معافى إلّا المجاهرون» أي المجاهرون بالمعاصي لايعافون(٣). إنتهى.

وفي نسخة ابن إدريس «إلّا وصلة رحمتك» بالنّصب على أنّه مستثنى متّصل، والمراد: أنّه قد فاتتني الأسباب التي يتوصّل بها إلى السعادات الأُخرويّة إلّا السبب الذي هو رحمتك، فإنّه لايفوت من أحدٍ.

قوله عليه السَّلام: «وتقطعت عني عصم الآمال» العِصَم: جمع عصمة. قال

---

(١) شرح المعلّقات السبعة المزوزني: ص٣٩ ـ ٤٠.

(٢) الصّحاح: ج٦ ص٢٢١٥.

(٣) لم نعثر عليه.

قَلَّ عِنْدي ما أَعْتَدُّ بِهِ مِنْ طاعَتِكَ، وَكَثُرَ عَلَيَّ ما أَبُوءُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَلَنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وإنْ أَساءَ، فَاعْفُ عَنّي.

الفارابيّ في ديوان الأدب: العصمة: الحبل، قال الله تعالى «ولا تُمْسِكُوا بعِصَم الكوافر(١).

وفي الكشّاف: العصمة: مايعتصم به من عقد وسبب(٢). إنتهى.

وأصلهُ من العَصْم، وهو المَنع، يقال: عصمه الله، أي: منعهُ ووقاه، واعتصم بالله: امتنع. وإنّما سمّي الحبل ونحوه عصمة، لأنَّ المتمسّك به يعتصم به من السقوط ونحوه.

وقوله: «إلّا ما أنا معتصم به من عفوك» أي: من رجاء عفوك.

والكلام في الفقرتين استعارة، والغرض التبرّي من جميع الوسائل التي يتوصّل بها إلى الله سبحانه من الطاعات والأعمال الصالحة، والتمسّك بمحض رجاء رحمة الله تعالى وعفوه، إيذاناً بعدم اتّكاله واعتماده عليه السّلام على شيء من ذلك سوى رحمة ربّه، ورجاء عفوه عملاً بمقتضى الحديث القدسيّ المقدّم ذكره. والله أعلم بمقاصد أوليآئه.

قد يكون المراد بالقلّة ضدّ الكثرة، وقد يكون المراد بها العدم، فإنّهم كثيراً مايعبّرون بالقلّة عن العدم، ومنه حديث «كان صلّى الله عليه وآله يقلّ اللغو»(٣)، أي لايلغو أصلاً، وعليه حمل قوله تعالى: «فَقَلِيْلاً مَا يُؤْمِنُونَ»(٤)، أي لا إيمان لهم أصلاً، وهو المراد هنا؛ لدلالة ماقبله وما بعده عليه.

واعتددت بالشيء -على افتعلت-: أدخلته في العدّ والحساب، فهو معتدّ به، محسوب غير ساقط.

---

(١) ديوان الأدب: ج١ ص٢٠١.

(٢) تفسير الكشاف: ج٤ ص٥١٨.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص١٠٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٨.

....

وإنّما قال: «كثرعليّ» ولم يقل: «عندي» كما قال في الفقرة الأُولى؛ لأنّ مايبوءُبه(١) من المعصية أمر يكرهه ويستثقله،فجاء بـ«على» إيذاناً بأنّه قد علاه وبهظه ثقله.

قال ابن جنّي: تُستعمل «على» في الأفعال الشّاقّة المستثقلة، من حيث كانت كلفاً ومشاقّ تخفض الإنسان وتضعهُ وتعلوه وتتقرّعه(٢)، تقول: قد سرنا عشراً، وبقيت علينا ليلتان، وكذلك يقال في الاعتداد على الإنسان بذنوبه، وقبح أفعاله(٣). إنتهى.

وباء بذنبه يبوء بوءاً: أي احتمله، وقيل: اعترف به، وقيل: ثقل به، وقيل: رجع به.

وقال الفارابيّ في ديوان الأدب: باء بإثمه: أي احتمله، وباءوا بغضبٍ: أي رجعوا، وباء بحقه: أي أقرّ.

فإن قلت: كيف فصل قوله: «قلّ عندي ما أعتدّ به من طاعتك» ولم يعطفه على ماقبله؟

قلتُ: يحتمل أن يكون فصلَه للاستئناف على وجه التعليل، كأنّه سئل: كيف خرجت من يدك أسباب الوصلات، وتقطعت عنك عصم الآمال؟ فقال: لأنّه قلّ عندي ماأعتدّ به من طاعتك، وكثرعليّ مأابوء به من معصيتك، ويحتمل أن يكون فصَله لأنّه بصدد تعداد أحواله.

قوله عليه السَّلام: «ولن يضيق عليك عفوٌعن عبدك». الواو: عاطفة، أو للاستئناف، ولايتوهّم أنّها للحال، فإنّ الجملة الحاليّة لا تصدّر بدليل استقبال. و«لن»لنفي المستقبل كـ«لا»، غير أنّ النّفي بها أبلغُ من النفي بـ«لا»، فهي لتأكيد

(١) «ألف»:ماينوبه.

(٢) «ألف»: تتفرّغه.

(٣) لسان العرب: ج١٥ ص٨٨ نقلاً عن ابن جنيّ مع تقديم وتأخير.

....

النفي كما ذكره الزمخشري(١) وابن الخبّاز(٢). حتّى قال بعضهم: إنَّ منعه مكابرة.

وادّعى الزمخشريّ أيضاً: أنّها لتأبيد النفي(٣)، كقوله تعالى: «لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً»(٤) «وَلَنْ تَفْعَلُوا»(٥)، ووافقهُ على ذلك ابن عطيّة.

وضاق عليه الأمرُ: شقّ عليه، كأنّه لم يجد فيه مقرّاً تطمئنّ إليه نفسهُ كمن لايسعه مكانه. ومنه قولهم: ضاقت عليه الحيلة، فهو استعارة بالكناية قصد فيه إلى تشبيه العفو بالمكان في عدم الاتّساع، وجعل إثبات الضيق تنبيهاً على ذلك، ولك جعله استعارة تبعيّة وتمثيليّة كما تقدّم بيانه في نظيره.

وقوله «عن عبدك وإن أساء»، أصله عنّي وإن أسأت، لكنّه وضع الظاهر موضع المضمر للاستعطاف؛ فإنّ في ذكر عبدك من استحقاق الرحمة، وترقب الشفقة والعطف ماليس في لفظ عنّي، كقوله: «إلهي عبدُك العاصي أتاكا».

قال السيّد الشريف: هو على ترك الحكاية عن النفس إلى المظهر، ليكون أدخل في الاستعطاف، فإنَّ لفظ «العبد» فيه أدخلُ من الضمير، خصوصاً إذا أُضيف إلى المخاطب. إنتهى.

وفي لفظ «عبدك» في عبارة الدعاء مع ماذكر إيماء إلى أنّه سبحانه لايضيق عليه عفوٌ عمّن اتّصف بعبوديّته تعالى، كائناً من كان، هو أو غيره، إظهاراً لسعة عفوه جلّ شأنه.

قوله عليه السَّلام: «وإن أساء» وإنْ هذه هي المسمّاة بالوصليّة، وهي إن الشرطيّة. وماتقدّم من الكلام كالعوض عن جزائها، لدلالته عليه.

والواو للعطف على جملة شرط حاليّة محذوفة، والأصل: إن لم يسيء وإن أساء، كما تقول: آتيك إن لم تهجرني وإن هجرتني.

---

(١) تفسير الكشّاف: ج١ ص١٠٢ وج٣ ص١٧١.

(٢) همع الهوامع: ج٢ ص٤.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) سورة الحج: الآية ٧٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤.

....

ويجوز في الجملة الشرطيّة أن تقع حالاً إذا شرط فيه الشيء ونقيضه، نحو: لأضربنّه إن ذهب وإن مكث، وذلك لانسلاخ معنى الشرط، من جهة أنّ الشيء الواحد لايكون مشروطاً بالشيء ونقيضهُ، فتعيّن كون الشرط غير مراد. والذي سوّغ حذف الشرطيّة الأُولى أن الثانية أبداً منافية لثبوت الحكم، والأُولى مناسبة لثبوته، وإذاثبت الحكم على تقدير وجود المنافي، دلَّ ذلك على ثبوته على تقدير المناسب من باب الأولى، ودلّ هذا على ذلك المقدّر، ومتى أُسقطت الواو من مثل هذه العبارة فسد المعنى.

ولذلك قال بعض المحقّقين: كلمة «إن» في هذا المقام ليست لقصد التعليق والاستقبال، فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلاً على دلالة ماقبلها عليه ملاحظة قصديّة إلاّ عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعيّة، بل هي لبيان تحقّق مايفيده الكلام السابق من الحكم على كلّ حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه، وأشدّها منافاة، ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ماعداه من الأحوال بطريق الأولويّة، لأنَّ الشيء إذا تحقّق مع المنافي القويّ، فلأن يتحقّق مع غيره أولى. ولهذا لايذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة على نظيرتها المقابلة لها، المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها، وهذا معنى قولهم: إنّها لاستقصاء(١) الأحوال على وجه الإجمال.

وعلى هذا السرّ يدور ما في «لو» و«إن» الوصليّتين من المبالغة والتأكيد.

ومآل الكلام: لن يضيق عليك عفو عن عبدك ، حال عدم إساته، وحال إساءته.

وقيل: الواو حاليّة، وليس بواضح.

وقيل: اعتراضيّة، وليس بسديد. والحقّ ماذكرناه، وقد تقدّم الكلام على ذلك

---

(١) «ألف»: استقصاء.

....

في أوائل الروضة الثانية فليرجع إليه.

فإن قلت: عفو الله سبحانه: هو محو السيّئة، والتجاوز عنها، وترك العقوبة عليها، فلا يتحقّق معنى العفو مع عدم الإساءة، فكيف تكون الإساءة منافية للعفو، وعدمها مناسباً لثبوته حتّى يصحّ أنّه إذا ثبت الحكم على تقدير وجود المنافي، دلّ ذلك على ثبوته، على تقدير المناسب من باب الأولى؟!

قلت: ليس المراد بالإساءة في قوله عليه السّلام: «وإن أساء» الإساءة مطلقاً، بل التي يقارنها العفو، ويكون العبدُ ملتبساً(١) بها وقت حصول العفو عنه، وهي الإساءة مع الإصرار، وعدم التوبة كما تفيده الحاليّة، لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال. وهذا معنى المقارنة: ولا شكّ أن الاساءة مع الأصرار وعدم التوبة منافية للعفو، لاستحقاق العبد العقوبة معها، لا العفو، وفي هذا دليلٌ على جواز العفو مع عدم التّوبة.

وأمّا الإساءة قبل التوبة فالعفو عنها لا يكون مقارناً لها وليس العبد ملتبساً(٢) بها وقت حصول العفو عنه، فصحّ أنّ العفو عنه لم يكن في حال إساءته. وبهذا تبيّن ماذكرناه من أنَّ مآل التقدير من قولنا: إن لم يسيء وإن أساء، حال عدم إساءته، وحال إساءته.

ونظير عبارة الدعاء قوله تعالى: «وإنّ ربّكَ لذُوْ مَغْفِرَةٍ للنّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ»(٣).

قال القاضي: التقييد بقوله: «على ظلمهم» دليل جواز العفو قبل التوبة، فإنّ التائب ليس على ظلمه(٤).

وقال السيّد المرتضى: في هذا دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من أهل القبلة؛ لأنّه تعالى دلّنا على أنّه يغفر لهم مع كونهم ظالمين، ويجري مجرى قول القائل: أنا أودّ

---

(١) «ألف»: متلبساً.

(٢) «ألف» متلبّساً.

(٣) سورة الرعد: الآية ٦.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاويّ: ج١ ص٥١٤.

....

فلاناً على غدره، وأصله على هجره(١).

وقال صاحب الكشف: الأُسلوب يدلّ على أنّه تعالى بليغ المغفرة للناس مع استحقاقهم لخلافها، لتلبّسهم بما العقاب أولى بهم عنده(٢). إنتهى.

والدلالة المذكورة إنّما جاءت من كون قوله: «على ظلمهم» حالاً مقارنةً لعاملها، وهو المغفرة. كما أنّ قوله: «وإن أساء» في الدعاء حالٌ مقارنة لعاملها، وهو العفو.

ومن هنا فسّرت إحدى العبارتين بالأُخرى، فقال العماديّ في تفسيره: أي على ظلمهم أنفسهم بالذنوب والمعاصي، ومحلّها النصب على الحاليّة، أي ظالمين، والعامل فيه المغفرة، والمعنى: وانّ ربّك لغفورٌ للناس لايعجّل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين(٣).

وقال الإمام المرزوقيّ في شرح الحماسة عند الكلام على قوله:

سأشكرُ عمراً إنْ تراخت منيّتي أيادي لم تمنن، وإن هي جلّت

يعني أنّ آلائه ونعمه صافيةٌ من المنّ والأذى على جلالتها وفخامتها(٤). إنتهى.

فترى هذين الإمامين كيف فسّر كلّ منهما إحدى العبارتين بالأُخرى، وما ذلك إلّا للوجه الذي ذكرناه.

فإنْ قلت: قد قررت أنّ المراد بقوله عليه السّلام: «عن عبدك وإن أساء» نفسه على ترك الحكاية إلى المظهر، فكيف يجوز أن يكون المراد بالإساءة من قوله «وإن أساء» الإساءة مع الإصرار، وعدم التوبة.

قلت: لمّا اعترف عليه السّلام في الجملة السابقة بعدم مايعتدّ به من الطاعة

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) لايوجد لدينا الكتاب المذكور.

(٣) تفسير أبي السعود: ج٥ ص٧.

(٤) لايوجد لدينا الكتاب المذكور.

اللَّـهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَـفَايَا الأَعْمالِ عِـلْمُـكَ، وَ انْـكَشَفَ كُلُّ مَسْتُورٍ دُونَ خُبْرِكَ، وَلاَ تَـنْطَـوِي عَـنْكَ دَقَائِقُ الأُمورِ، وَلا تَعْـزُبُ عَـنْكَ غَيِّباتُ السَّرائر.

لـديه، وكثرة مايبـوء به من المعصية لديـه، وكانت التوبة طاعـة معتدّاً بها، داخلة فيما اعتـرف بـعدمـه لـديـه، تعـيّـن أنّ المراد بـالإسـاءة مـن قولـه: وإن أسـاء» الإساءة المذكورة، وكان ذلك مـنه عليه السَّلام من باب عدم الالتـفات إلى طاعته وتـوبته، والانقطاع إلى محض عفو الله ورحمته. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قولـه عليه السَّلام «فـاعفُ عـنّي» «الفاء»: فصيـحة - أي إذا كان لن يضيق علـيك عفـوٌ عن عبدك، وإن أساء فـاعفُ عنّي - وعدل عـن الغيبة إلى الـتكلّم ولم يقل: فاعفُ عنه، إيثاراً لما هو أدلّ على المقصود من طـلب العفو لنفسه، وتنبيهاً على أنّه هو المراد بذلك العبد المُسيء في قوله: «عن عبدك وإن أساء». والله أعلم.

أشرف على الشيء إشرافاً: إطلع عليه من فوق.

والخفايا: جمع خفيّـة، كهدايا جمع هديّة، مـن خفي الشيء يخفى -من باب عَلِمَ- خفا -بالفتح والمد-: أي استتر فلم يظهر، فهو خافٍ وخفيٌ.

وكشفت الشيء كشفاً -من باب ضَرَبَ- فانكشف: أظهرته فظهر. وأصله رفع شيء عمّا يواريه ويستره، كرفع الثوب والغطاء.

ودون: بمعنى عند، أي عند خبـرك، ومنه الحديث «من قُتِل دون ماله»(١) أي: عنده، وفي رواية ابن أبي الحديد: «عند خبرك».

والخُبر -بالضمّ-: العلم، ومنه: صدق الخبر الخُبر.

وطويت عـنه الحـديث: كتـمتُـهُ وأخفيـته، وأصله من طـيّ الثـوب، وهو ضدّ نشره.

---

(١) الجامع الصغير: ج٢ ص١٧٨ ومجمع البحرين: ج٦ ص٢٤٨.

....

ودقائق الأُمور: غوامضها، من دقّ الشيء فهو دقيق إذا لم يتّضح. أو جمع دقيقة، خلاف الجليلة، ومنه مادقَّ وماجلَّ.

والأُمور: جمع أمر، بمعنى الشأن والحال.

وعزب الشيء -من باب قَتَلَ، وضَرَبَ-: غاب وخفي، ومنه: «لاَيَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ»(١)، أي: لايغيب.

والغيّبات: جمع غيّبة، مؤنث غيّب، على وزن فيعل -بكسر العين- بمعنى الغائب، كطيّبات وطيّبة.

والغيب -بالتخفيف- بمعنى الغائب مخفّف منه، بحذف الياء الثانية أو الأُولى؛ لاجتماع ياءين وكسرة.

قال الزمخشريّ وغيره من المفسرين في قوله تعالى: «يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ»: هو بمعنى الغائب، امّا تسميته بالمصدر مبالغة، وإمّا أن يكون فيعلاً فخفّف كما قيل(٢). قيل: وميْت وهيْن، وأصلها قيل: ميّت وهيّن بالتشديد.

وقول العماديّ: «لكن لم يُستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره»(٣) مردودٌ بعبارة الدعاء، وكفى بها شاهداً.

وفي رواية «غائبات السرائر»، ورواية ابن أبي الحديد «خبايا السرائر».

وأمّا «غنبات» -بالنون قبل الباء الموحدة- على مايوجد في هوامش كثير من النسخ، معزوّاً إلى نسخة ابن إدريس، وأنّه كذا بخطه وضبطه، فلا أعرف له معنى يناسب المقام. وأغرب من فسّره فقال: الغنب -بالفتح-: الغنيمة الكثيرة.

والسرائر: جمع سريرة، وهي السرّ.

---

(١) سبأ: الآية ٣.

(٢) تفسير الكشاف: ج١ ص٣٩.

(٣) تفسير أبي السعود: ج١ ص٣٠.

وَقَدِ اسْتَحوَذَ عَليَّ عَدُوُّكَ الَّذي اسْتَنْظَركَ لِغوايتي فأنْظَرتَهُ، وَاسْتَمْهَلكَ إلى يَوم الدّينِ لإضْلالِي فَأَمهَلْتَهُ، فَأَوْقعَني وَقدْ هَربْتُ إليكَ مِنْ صَغائر ذُنوبٍ مُوبقَةٍ، وكَبائر أعمالٍ مُرديةٍ.

وفي الكشّاف: السرائر ما أُسرّ في القلوب من العقائد والنيّات وغيرها وما أُخفي من الأعمال(١).

وإضافة الغيّبات إلى السرائر بيانيّة، أي الغائبات من السرائر، وهي التي لايحيط بها إلّا علم اللطيف الخبير.

ومدار هذه الفقرات على الثناء عليه سبحانه بنفوذ علمه في كلّ خفيّ ومستتر، وعدم خفاء شيء عليه من دقائق الأحوال وغوامضها، ومكنونات الأسرار وغوايبها، بحيث لايشذّ شيء منها عن إحاطة علمه. إذ كان الخفاء والستر والغيب إنّما تطلق بالقياس إلى مخفيّ عنه، ومستور وغائب عنه، وهي القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة وأستار الهيئة البدنيّة، والأرواح المستولي عليها نقصان الإمكان، الحاكم عليها بجهل ماخفي عليها، واستتر وغاب عنها، وكلّ ذلك لما ينزّه قدس الحضرة الإلهيّة عنه.

وكرّر عليه السّلام بيان إحاطة علمه تعالى بذلك، دفعاً للأحكام الفاسدة الوهميّة، كما توهّم بعض القاصرين أنّه لاعلم له سبحانه بالأشياء قبل وجودها، وبعضهم أنّه لاعلم له بالجزئيات، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

إستحوذ عليه الشيطان: غلبه، واستماله إلى مايريد منه.

قال الجوهريّ: وهذا جاء بالواو على أصله، كما جاء استروح، واستصوب. وقال أبوزيد: هذا الباب كلّه يجوز أن يتكلّم به على الأصل. تقول العرب: إستصاب واستصوب، واستجاب واستجوب، وهو قياس مطّرد عندهم. وقوله تعالى: «أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ»، أي: ألم نغلب على اموركم، ونستولي على مودّتكم(٢).

---

(١) تفسير الكشاف: ج٤ ص٧٣٦.

(٢) الصحاح: ج٢ ص٥٦٣.

....

إنتهى.

وفي اطراد ذلك خلاف. والصحيح الذي عليه الجمهور المنع من القياس مطلقاً. وفصّل ابن مالك، فقال في التسهيل: وربّما صحّح الإفعال والاستفعال وفروعهما، ولايُقاس على ذلك مطلقاً خلافاً لأبي زيد، بل إذا اهمل الثلاثي كاستنوق(١). إنتهى. وهو قولٌ ثالثٌ في المسألة.

ونصّ سيبويه: على أنّ استحوذ من الشواذّ التي لم يسمع إعلالها(٢).

وقال في شرح التسهيل: إنّه من المصحّح فقط(٣).

والعدوّ: ضد الوليّ. قال تعالى: «يَا أَيُّها الذيْنَ آمنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّيْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآء»(٤).

والمراد بعداوته تعالى: مخالفة أمره عناداً، والخروج عن طاعته مكابرةً، أو عداوة خواصّه ومقرّبيه.

وفي إضافته إلى ضمير المخاطب هنا تحريض على قمعه وإذلاله، وتنبيه على السبب، كما تقول: عدوّك بالباب، وعدوّك يمكر بك. ومنه: «أهل الإسلام في الجنّة، وأهل الكفر في النار».

وقوله: «الذي استنظرك» إلى آخره وصف للتوضيح، أعني دفع الاحتمال.

واستنظرتهُ: طلبت إنظاره، أي: تأخيره وإمهاله.

فأنظرني: أي أمهلني، والاسم منه النظرة على وزن كلمة، ومنه «فَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسرَةٍ»(٥)، أي فتأخير وإمهال.

والغواية -بالفتح-: اسم من غوى -من باب ضَرَبَ- أي ضلّ وانهمك في الجهل.

---

(١) لايوجد لدينا كتابه.

(٢) كتاب سيبويه: ج٢، ص٤٣٧.

(٣) لايوجد لدينا كتابه.

(٤) سورة الممتحنة: الآية١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

....

وفي الصحاح: غَوى -بالفتح- يغوي غيّاً وغَواية(١)، فهي على هذا مصدر.

وجعل صاحب القاموس: الغيّ مصدر غوى -من باب ضَرَبَ-، والغواية مصدر غوي من باب علم، وعبارته: غوى يغوي غيّاً، وغَوي غَواية، ولا يكسر(٢). إنتهى.

وعلى كلّ تقدير فالغواية -بالفتح- بمعنى الضّلال لا الإضلال، فالمعنى: استنظرك ليكون داعياً لضلالي.

واستمهلته: طلبت إمهاله، فأمهلني.

و«اليوم» في العرف: عبارة عمّا بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان، وفي الشرع: عمّا بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس.

والمراد هاهنا مطلق الوقت.

والدين: الجزاء، خيراً كان أو شراً. وإضافة اليوم إليه لأدنى ملابسة كإضافة سائر الظروف الزمانيّة إلى ماوقع فيها من الحوادث، كيوم الأحزاب، وليلة القدر، وعام الفتح. وتخصيصه هنا من بين سائر مايقع فيه كالقيامة والجمع والحساب لكونه أدخل في الدلالة على أنّه إن أمهله فلن يهمله. وما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدّماته.

والفقرة الثانية تأكيد للأُولى، ومضمونها تلميح إلى قوله تعالى في سورة الأعراف حكاية عن إبليس: «قَالَ أنظِرْني إلَى يوْمِ يُبعَثونَ *قَالَ إنَّك مِنَ المُنْظرينَ قَالَ: فَبِمَا أَغْويْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيْمَ»(٣). وفي سورة الحجر قال: رَبِّ فَأَنْظِرْنيْ إلَى يوْمِ يُبعثونَ *قال: فَإنَّكَ مِنَ الْمُنْظرينَ * إلى يَوْمِ الْوَقْتِ المَعْلُوم* قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْويْتَنِي لأُزيِنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْض، وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أجمَعينَ * إلّاعِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ»(٤)، وفي سورة ص «قَالَ: رَبِّ فَأَنْظِرْني إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ: فَإنَّكَ

---

(١) الصحاح: ج٦ ص٢٤٥٠.

(٢) القاموس المحيط: ج٤ ص٣٧٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤ - ١٦.

(٤) سورة الحجر: الآية ٣٦ - ٤٠.

....

مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ: فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»(١).

وإنّما أورد سبحانه هذه الحكاية على أساليب متعدّدة مع أنّ استنظار اللعين إنّما صدر عنه مرّة واحدة لاغير، وكذا جوابه لم يقع إلّا دفعة، قصداً للتفنّن الذي هو من مقتضيات البلاغة، على أنّ كلّ أسلوب من أساليب النّظم الكريم لابدّ أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره.

تنبيهات

الأوّل: صريح عبارة الدعاء أنّ إنظار اللعين وإمهاله كان إجابة لدعائه، وهو الذي دلّت عليه الآثار، وعليه اكثر المفسّرين:

قال العلامة الطبرسيّ: وأمّا الوجه في مسألة إبليس الإنظار مع علمه بأنّه ملعون مطرود فعلمه بأنّ الله سبحانه يظاهر على عباده النعم، ويعمّهم بالفضل والكرم، فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن مسألته والطمع في الإجابة، فأجابه الله(٢). إنتهى.

ومن هنا قال سفيان بن عيينه: لايمنعنّ أحدكم من الدعاء مايعلم من نفسه، فإنّ الله تعالى أجاب شر الخلق إبليس، إذ قال: أَنْظِرني(٣).

وذهب جماعة: إلى أنّ إجابة دعاء الكافر لاتجوز، لأنّها كرامة، فقوله تعالى: «إنّك من المنظرين» بيان ماسبق به التقدير لا الإجابة.

قال العماديّ في تفسيره: ورود الجواب بالجملة الاسميّة مع التعرض لشمول ماسأله الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعاً لهم في ذلك، دليل على أنّه إخبار

---

(١) سورة ص: الآية ٧٩ ـ ٨٣.

(٢) مجمع البيان: ج٣ ـ ٤ ص٤٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص١٩٧.

....

بالإنظار المقدّر لهم أزلاً لا لإنشاء لإنظار خاصّ به وقع إجابة لدعائه، أي إنك من جملة الذين أخّرت آجالهم، أزلاً حسبما تقتضيه الحكمة التكوينيّة(١). إنتهى.

وأُجيب: بأنّ الإجابة لايلزم أن تكون كرامة، بل هي كالنعمة في إحتمالها أن تكون ثواباً وتعظيماً، وأن تكون استصلاحاً وتفضّلاً في الدنيا.

الثاني: ظاهر قوله عليه السّلام «إستمهلك إلى يوم الدين لإضلالي فأمهلته» أنّ الإمهال وقع حسب السؤال إلى يوم الدين، فيكون المراد بيوم الوقت المعلوم في الآيتين هو يوم الدين، وهو يؤيّد قول صاحب الكشّاف: إنّ يوم الدين، ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريق البلاغة(٢). إنتهى.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون المراد بالأيّام الثلاثة يوم القيامة. والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات. فالتعبير بيوم البعث، لأنّ غرض اللعين به يتحقّق، إذبه يحصل العلم بانقطاع التكليف، واليأس من التضليل. وبيوم الوقت المعلوم، لاستئثاره تعالى بعلمه، أو للعلم بأنّه يصعق فيه من في السماوات والأرض. وبيوم الدين، للإيذان بتأخير عقابه وجزائه إليه.

ولا يلزم من ذلك أن لايموت، فلعلّ كلاً من هلاك الخلق جميعاً وبعثهم وجزائهم في يوم واحدٍ يموت اللعين في أوّله، ويبعث في أواسطه، ويعاقب في بقيّته.

وعن الصادق عليه السّلام: «يوم الوقت المعلوم يوم يُنفخ في الصوّر نفخة واحدة، فيموت إبليس مابين النفخة الأُولى والثانية»(٣).

وذهب بعض المعتزلة: إلى أنّ المراد بيوم الوقت المعلوم وقت موته وهلاكه في علم الله لايوم القيامة، وكل مكلّف من الجنّ والإنس منظر إلى وقتٍ معلوم عندالله.

---

(١) تفسير أبي السعود: ج٣ ص٢١٧.

(٢) تفسير الكشّاف: ج٢ ص٥٧٨.

(٣) تفسير نورالثقلين: ج٣ ص١٤.

....

والدليل على ذلك: أنّ إبليس مكلّف، والمكلّف لايجوز أن يعلم أجله لمافيه من الإغراء بالقبيح، لأنّه إذا علم أجله أقدم على المعصية بقلب فارغ حتّى إذا قرب أجله تاب فتقبل توبته.

وأُجيب: بأنّ من علم الله تعالى من حاله أنّه يموت على الطهارة والعصمة كالأنبياء، أو على الكفر والمعصية كإبليس، فإنّ إعلامه بوقت أجله لايكون إغراء على القبيح؛ لأنّه لايتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والإعلام.

الثالث: قالت الأشاعرة: في إنظار إبليس وإمهاله دلالة على أنّه لايجب على الله سبحانه رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه، وإلّا لم يمهل إبليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك. وممّا يؤيّد ذلك أنّه بعث الأنبياء دعاة للخلق إلى الحق، وعلم من حال إبليس أنّه لايدعو إلّا إلى الكفر والضلال. ثمّ أنّه أمات الأنبياء وأبقى إبليس، ومن كان يريدُ مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك.

وهذه الشبهة هي الشبهة السابعة من شبهات إبليس اللعين التي ذكرناها في الروضة السابعة عشرة، وقد تقدّم الجواب عنها هناك.

وأجابت المعتزلة عن ذلك: بأنّ الله تعالى خلق آدم وذريّته قادرين على دفع إبليس عن أنفسهم، فهم الذين اختاروا الكفر والفساد. أقصى مافي الباب أن يقال: إنّ الاحترازعن القبيح حال عدم إبليس أسهل منه حال وجوده، إلّا أنّ على هذا التقدير تصير وسوسته سبباً لزيادة المشقّة في أداء الطاعات فيزداد المكلّف بتكلّفها ثواباً، كما قال عليه السَّلام «أفضل الأعمال أحمزها»(١)، أي أشقّها. وذلك لايمنع الحكيم من فعله، كما أنّ إنزال المشاقّ والآلام، وإنزال المتشابهات صار سبباً لزيادة الشبهات، ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى.

---

(١) مفتاح الفلاح: ص٣٢.

....

وهذا قريبٌ من قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبةٍ له «فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدّة، فقال: إنَّك مِنَ المُنظَرينَ ۞ إلى يَوْم الوَقْتِ الْمَعْلُوم»(١).

قوله عليه السَّلام: «فأوقعني وقد هربت» إلى آخره. الفاء: عاطفة للجملة على استحوذ.

ووقع وقوعاً: سقط، وأوقعه غيره إيقاعاً: أسقطه.

وفي الأساس: وقع الشيء على الأرض وقوعاً، وأوقعته إيقاعاً(٢).

وفي ديوان الأدب: أوقعَهُ فوقع(٣).

وجملة قوله «وقد هربت» حاليّة، أي أوقعني والحال إنّي قد هربت، أي: حال هربي إليك.

والهرب إليه تعالى من الذنوب: عبارة عن الإقبال عليه تعالى، والإعراض عنها، والعزم على اجتنابها.

فالمراد بايقاع الشيطان له حال هربه، إمّا معناه الحقيقي وهو الإسقاط على الأرض، فيكون الكلام استعارة تمثيليّة، شبّه صورة تعويق الشيطان له عن النجاة من الذنوب والمعاصي -بالإقبال على الله تعالى، والإعراض عنها- بصورة تعويق من أسقط هارباً من مخوف، وأوقعَهُ على الأرض من(٤) النجاة ممّا يخافه بالهرب منه. فالمشبّه به هيئة منتزعة من الهارب، وطرحه على الأرض وتعويقه عن النجاة ممّا هرب منه. والمشبّه هيئة منتزعة من نفسه، وفسخ الشيطان لعزيمته من الفرار إلى الله تعالى من الذنوب، بتسويله وتعويقه عن اجتناب الذنوب والخلاص منها. فلا تكون كلمة «أوقعني» استعارة بل هي باقية على معناها الحقيقي، كما قرروه في قولهم

---

(١) نهج البلاغة: ص٤٢ الخطب١.

(٢) أساس البلاغة: ص٦٨٦.

(٣) ديوان الأدب: ج٣ ص٢٦٨.

(٤) «ألف»: على الأرض وتعويقه عن النجاة.

حَتّـى إذا قَارفْتُ مَـعْصِـيَتَـكَ ، وَاسْتَوجَبتُ بِسُوْءِ سَعيْي سَخْطتَكَ ،

أَراكَ تقدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى.

وإمّا معناه المجازيّ، فيكون مستعاراً لجعله إيّاه متلبّساً بما يكرهه، والجامع التلبُّس، وهي استعارة تصريحيّة؛ لذكر المستعار منه دون المستعار له. وحذف المتلبّس به إمّا للتعميم والاختصار، أي: فألقاني في كلّ معصية، أو لمجرد الاختصار، أي فألقاني في حبائله ومصائده، بقرينة قوله: «استحوذ عليَّ».

وأمّا ماوقع لبعض المترجمين من أنّ صاحب القاموس لم يذكر «أوقع» متعدّياً، ولكن قال: أوقع بهم: بالغ في قتالهم، ولعلّه ضمّن أوقعني معنى حاربني، فيكون معنى أوقعني بالغ في حربي، فهو خبط لايلتفت إليه.

وقول بعضهم: إنّ جملة قوله: «وقد هربتُ إليك» استئنافيّة، بمعزل عن أُسلوب نظم الكلام، كما لايخفى على من له أدنى ذوق.

والموبقة: المهلكة، من الوبوق: وهو الهلاك . يقال: وبق يبق -من باب وعد و-ورث- ووبق يوبق- من باب وجل، وبوقاً وموبقاً: أي: هلك .

ويتعدّى بالهمزة فيقال: أو بقته، وهو يرتكب الموبقات، أي: المعاصي، لأنّهن مهلكات.

والمردية: المهلكة. يقال: ردي(١) -من باب تعب- أي هلك ، وأَرداه غيرُه. والله أعلم .

«حتى» هنا إبتدائية دخلت على الجملة الشرطيّة، وهي مع ذلك غاية لما قبلها. وهو استحواذ الشيطان عليه، وإيقاعه له أي قد إستحوذ عليّ فأوقعني إلى أن قارفت معصيتك ، هذا قول الجمهور، وقد سبق الكلام عليه مستوفى في الروضة الثانية عشرة.

وقارف الذنب: خالطه وقاربه.

(١) «ألف» ردي، يردى.

فَتَلَ عَنِّي عِذارَ غَدْرِهِ، وَتلَقّاني بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ، وَتولّى الْبراءةَ مِنّي، وأَدْبَرَ مُوَلّياً عَنِّي، فأَصْحَرَني لِغَضَبِكَ فَريداً، وَأَخرَجَني إلى فِناءِ نِقْمَتِكَ طَرِيْداً، لاشَفيعٌ يَشْفَعُ لِي إلَيْكَ، وَلاَخَفيرٌ يُؤمِنُني عَلَيْكَ، ولا حِصْنٌ يَحجبُني عَنْكَ، ولا مَلاذٌ أَلجأُ إليهِ مِنْكَ.

وقال الزمخشريّ في الفائق: قارف الذنب واقترفه؛ إذا التبس به، ويقال لقشر كلّ شيء قرفه، لأنّه ملتبس به(١). إنتهى.

واستوجب الشيء: استحقّه.

والسوء ـ بالضمّ ـ: القبيح.

والسعي: يكون بمعنى العدو والمضيّ، ويكون بمعنى التصرّف والعمل، وهو المراد هنا. ويعدّى بالمعنى الأوّل بـ«إلى»، وبالمعني الثاني باللام.

وفي محكم اللغة: السعي: الكسب. وكلّ عمل من خير أو شر سعي(٢).

وقال الفيّوميّ في المصباح: أصل السعي التصرّف في كلّ عمل، وعليه قوله تعالى: «وَأَنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلّا مَاسَعىٰ. وَأَنّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى»(٣).

والسخط: الغضب. وهو من الإنسان تغييرٌ يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام، ومن الله تعالى سبحانه إرادة الانتقام وإنزال العقوبة المستحقّة.

وفتله يفتله فتلاً ـ من باب ضرب لواه، يقال: فتل عنّي وجهه، أي لواه وصرفه.

وفي الصحاح: فتلهُ عن وجهه فانفتل. أي صرفه فانصرف، وهو قلب لفت(٤).

والعِذار: العارض، وهو صفحة الخدّ. ومنه عذر الغلام إذا نبت شعر عذاره، يعني صفحة خدّه، وسمّي السير الذي على خدّ الدابة من اللجام عذاراً، باسم موضعه.

---

(١) الفائق في غريب الحديث: ج٣ ص١٧٥.

(٢) محكم اللغة: ج٢ ص١٥٩.

(٣) المصباح المنير: ص٣٧٧.

(٤) الصحّاح: ج٥ ص١٧٨٨.

....

والغدر: نقضُ العهد، وهو ضدّ الوفاء. وقد يطلق على الخديعة، وهي كلّ فعلٍ يقصد به فاعله خلاف مايقتضيه ظاهره. ومنه الحديث «إن بين يدي السّاعة سنين غدّارة، يكثر فيها المطر، ويقلُّ فيها النّبات»(١).

قال الزمخشريّ في الفائق: أي: تطمعهم في الخصب بالمطر ثمّ تُخلف، فجعل ذلك غدراً منها وخديعة(٢). وهذا المعنى هو المراد هنا، لأنّ معنى فتل عنّي عذار غدره صرف عنّي وجه غدره، أي: أعرض عن الغدر وتركه لحصول مطلوبه من الإغواء والإضلال عند مقارفة المعصية، واستيجاب السخطة، فلم يكن يحتاج إليه بعد ذلك. وهذا المعنىٰ لايناسبه إلّا الغدر بمعنى الخديعة، لا الغدر بمعنى نقض العهد، كما لايخفى.

ولو كان المراد بالغدر نقض العهد لكان مقتضى المقام أن يقول: أظهر لي غدره. ولمّا كان الغدر بمعنى نقض العهد مستلزماً للخديعة - بإظهار فاعله خلاف ماسيفعله في أوّل الأمر- أطلق عليها لفظ الغدر من باب إطلاق اسم الملزوم على اللازم.

قال شيخنا البهائيّ في المفتاح: المراد أنّ الشيطان بعد حصول مراده، من إيقاعه لي في المعصية بالحيلة والغدر، صرف عنّي عنان غدره، حيث حصل منّي مراده(٣). إنتهى.

فحمل الغدر على معنى الحيلة، وهي الخديعة، وإنّما فسّر العذار بالعنان، لأنّه حمله على مايقع على خدّ الفرس من اللجام، وهو صحيحٌ، فإنّ من صرف عذار دابّته، فقد صرف عنانها.

والكلام على كلّ تقدير استعارة بالكناية مع الترشيح، شبّه الغدر بالشخص أو

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٣٤٥ مع اختلاف يسير في العبارة.
(٢) الفائق في غريب الحديث: ج٣ ص٥٥.
(٣) مفتاح الفلاح: ص٢٧٨.

....

الدابة، بجامع قبول التصرف والانقياد، وأثبت له عذاراً، ورشّح ذلك بالفتل لملائمته للعذار. يقال: فتل عذاره، ولوى عذاره، إذا أعرض وصدّ.

قال الزمخشريّ في الأساس: لوى عذاره عنه إذا عصاه(١).

قوله عليه السَّلام «وتلقّاني بكلمة كفره» تلقّاه: أي استقبله.

و«الباء» للملابسة، أي ملتبساً بكلمة كفره.

قال شيخنا البهائيّ: هو إشارة إلى ماحكاه سبحانه عنه بقوله تعالى: «إِذْ قَالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ، فَلَمّا كَفَرَ، قَالَ إنّي بَريءٌ مِنْكَ»(٢). إنتهى.

والأولىٰ أنْ يكون إشارة إلى قوله تعالى حكاية عنه «إِنّيْ كَفَرْتُ بِمَا أَشرَكْتُمُون مِنْ قَبْلُ»(٣)، أي بإشراككم إيّاي مع الله في الطاعة، بمعنى تبرّأت منه واستنكرته.

قال صاحب الكشّاف: معنى كفره بإشراكهم: تبرّؤه منه، واستنكاره له، كقوله: «إِنَّا بُراءُ مِنْكُمْ وَممّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُون الله كَفرْنَا بِكُمْ»(٤).

وفي حديث أهل البيت عليهم السَّلام: الكفر في هذه الآية البراءة(٥).

وقوله: «وتولّى البراءة منّي» تولّى الأمر: إذا تقلّده: وقام به.

والبراءة: قطع العلقة، يقال: برئ منه براءة ـ من باب تعب ـ أي: قطع علقته منه.

وقوله: «وأدبر مولّياً»، أي: ذهب ورجع عنّي.

ومولّياً: حالٌ مؤكدة لعاملها، وهي التي يُستفاد معناها بدونها، ونحوه قوله تعالى: «وَلّى مُدْبراً»(٦).

ومدار هذه الفقرات على إنكار الشيطان ماكان يحثّ عليه، ويزيّنهُ للإنسان،

---

(١) اساس البلاغة: ص٤١٢.

(٢) مفتاح الفلاح: ص٢٧٨.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

(٤) تفسير الكشّاف: ج٢ ص٥٥١.

(٥) الكافي: ج٢ ص٣٩٠ ح١.

(٦) سورة النمل: الآية ١٠.

....

من سيّئات الجرائم، وقبائح المعاصي عند استحقاقه للعقوبة، واستيجابه للعذاب.

ونظيرُ ذلك قول أمير المؤمنين عليه السَّلام في خطبته الغرّاء: «أُوصيكم بتقوى الله الّذي أعذر بما أنذر، واحتجَّ بما نهج، وحذّركم عدوّاً نفذ في الصدور خفيّاً، ونفث في الآذان نجيّاً، فأضلَّ وأردى، ووعد فمنّى، وزيّن سيئات الجرائم، وهوّن موبقات العظائم، حتّى إذا استدرج قرينته، واستغلق رهينتهُ أنكر ما زيّن، واستعظم ما هوّن، وحذّر ما أمّن»(١).

قال ابن أبي الحديد: القرينة هاهنا الإنسان الذي قارنه الشيطان، ويقال: غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن في الوقت المشروط، فاستحقّه المرتهن، قال: وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: «وَقَالَ الشَّيْطانُ لمّا قُضِيَ الأَمْرُ: إنَّ اللهَ وَعدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ، وَوَعدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطان إلّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُوني وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخيَّ إنّي كَفَرتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُون مِنْ قَبْلُ إنَّ الظالِمِيْنَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ»(٢).

تنبيهٌ

في قوله عليه السَّلام: «واستوجبتُ بسوء سعيي سخطتك» دلالة على أنّ الإنسان هو الذي يختار بسعيه الشقاوة، وليس من الشيطان إلّا التسويل والتزيين، وهو مدلول الآية المذكورة. ولذلك قال: المحقّقون: الشيطان الأصلي هو النفس، وذلك أنَّ الإنسان إذا أحسّ بشيء أو أدركه، ترتّب عليه شعوره بكونه ملائماً له، أو منافراً له. ويتبع هذا الشعور الميل الجازم إلى الفعل أو إلى الترك. وكلّ هذه

---

(١) نهج البلاغة: ص١١٢ الخطب ٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد: ج٦ ص٢٦٨ - ٢٦٩.

....

الأشياء من شأن النفس، ولا مدخل للشيطان في شيء من هذه المقامات، إلّا بأن يذكّره شيئاً مثل: أنَّ الإنسان كان غافلاً عن صورة امرأة فيُلقي الشيطانُ حديثها في خاطره.

قال العلّامة الطبرسيّ: في الآية المذكورة دلالة على أنّ الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء والاغواء، وأنّه ليس عليه عقاب معاصيهم، وإنّما عليه عقاب الدعوة فحسب(١).

قوله عليه السَّلام: «فأصحرني لغضبك فريداً»، «الفاء» عاطفة، وتفيد هنا ثلاثة أُمور: الترتيب، والتعقيب والسببيّة.

وأصحر الرجل للصحراء إصحاراً برزلها، وهو غير متعدٍّ، لكنّه وقع هنا متعدّياً، كما وقع في حديث أُمّ سلمة رضوان الله عليها لعائشة: سكّن الله عقيراك فلا تُصحريها(٢).

قال الزمخشريّ في الفائق: أصحر: أي خرج إلى الصحراء، وأصحر به غيرهُ، وقد جاء هنا مُعدّى على حذف الجار وإيصال الفعل(٣). إنتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية في حديث عليّ عليه السَّلام «فأصحر لعدوّك ، وامض على بصيرتك» أي كن من أمره على أمرٍ واضحٍ منكشف، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء، ومنه حديث الدعاء «فأصحرني لغضبك فريداً»، وحديث أمّ سلمة لعائشة «فلا تصحريها» أي لا تبرزيها إلى الصحراء، هكذا جاء في هذا الحديث، متعدّياً على حذف الجار وإيصال الفعل، فإنّه غير متعدٍّ(٤). إنتهى.

وظاهر كلامه؛ أنّه في حديث الدعاء بالباء الموحّدة لا بنون الوقاية، لكنْ اتّفقت نسخ الصحيفة الشريفة على النون.

---

(١) مجمع البيان: ج٥ ـ ٦ ص٣١١.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١٢.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ج٢ ص١٦٩.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١٢ ـ ١٣.

....

قال شيخنا البهائي قدّس سرّه: والمراد هنا: جعلني تائهاً في بيداء الضلال، متصدّياً لحلول غضبك عليَّ(١). إنتهى.

قلت: وهو استعارة بالكناية، شبّه نفسه بشخص أُخرج إلى الصحراء في عدم تمكّنه من الاستتار بشيء يقيه، وجعل إثبات الإصحار له تنبيهاً على ذلك، ويمكن حمله على الاستعارة التمثيليّة والتبعيّة أيضاً، كما لا يخفى.

وقوله: «فريداً» حال من ضمير المتكلّم، أي مؤاخذاً ومعاقباً بما قارفته دون غيري. وفيه دلالة على أنَّ الشيطان لا يؤاخذ بمعاصي العبد، كما تقدّم.

قوله عليه السَّلام: «وأخرجني إلى فناء نقمتك طريداً».

الفِناء -بالكسر والمدّ- السعة أمام الدار، وقيل: ما امتدّ من جوانبها، ومنه فناء الكعبة.

والنَقِمة: مثل كلمة، وتخفّف مثلها: اسم من «نقمتُ منه»، -من باب ضرب- وانتقمت: أي عاقبت.

والطرد: الإبعاد، طرده طرداً -من باب قتل- فهو طريدٌ ومطرود. ونصبه على الحال، والظاهر أنّها مبنيّة، وتحتمل التأكيد.

قوله عليه السَّلام: «لا شفيعٌ يشفعُ لي إليك» جملة حاليّة، أو مستأنفة استئنافاً نحويّاً، ولا لنفي الجنس.

وروي فيما بعدها في الفقرات الأربع الرفع -على جواز الإلغاء عند التكرار، وعلى الإعمال كليس-، والفتح على الأصل من جعلها في المواضع كلّها لنفي الجنس فيكون مبنيّاً.

وجملة «يشفعُ لي» خبر «لا».

والخفير: فعيل، من خفرت الرجل -من باب ضرب- أي حميته وأجرته من

---

(١) مفتاح الفلاح: ص٢٧٨.

فَهذا مَقامُ العَائِذِ بكَ، وَمَحلُّ المُعْتَرف لَكَ، فَلا يَضْيقَنَّ عَنّي

طالب، والاسم الخُفارة -بالضمّ والكسر-.

وآمنتُ الخائف -بالمدّ- سلّمته ممّا يخاف، والأسير أعطيته الأمان. وتعدّيتهُ بـ«على» لتضمينه معنى النصرة، أي: يُؤمنني، ناصراً لي عليك، ونظيره تعدية الإجارة بها في قوله تعالى: «وَهُوَ يُجِيْرُ وَلاَ يُجارُ عَلَيْهِ»(١)، أي: يمنع مايشاء، ولا يمنع أحد بالنصر عليه.

والحِصن -بالكسر-: المكان الذي لايُقدر عليه لارتفاعه.

وفي القاموس: كلّ موضع حصين لايوصل إلى جوفه(٢).

وحجبه حجباً -من باب قتل-: منعه. ومنه قيل للستر: حجاب؛ لأنّه يمنع من المشاهدة.

والملاذ: الملجأ. من لاذ به، يلوذ، لِواذاً، مثلثة، أي التجأ إليه، واعتصم به. يقال: لجأ إلى الحصن وغيره لجأً -مهموزتين من بابي نفع وتعب-، والتجأ إليه، أي استند إليه واعتصم به.

ومفاد هذه الفقرات تأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه، وبيان عجزه، على معنى أنّ الله تعالى إن أراد عذابه لم يكن له شفيع يدرأ عنه العذاب، ولا مجير يجيره منه، ولا يصحّ أن يكون له حصن يمنعه عنه، ولا ملاذ يعتصم به منه، وهو معنى قوله تعالى: «قُلْ إنّي لَنْ يُجِيرني مِنْ الله أحدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحداً»(٣). والله أعلم.

«الفاء» للدلالة على ترتب مابعدها على ماقبلها. والقول بأنّها للاستئناف وهم.

وعاذ به يعوذ عوذاً وعياذاً، ومعاذاً: اعتصم.

واعترف بالشيء اعترافاً: أقرّ به على نفسه. وحذف المعترف به للتعميم

(١) سورة المؤمنون: الآية ٨٨. (٢) القاموس المحيط: ج٤ ص٢١٤. (٣) سورة الجن: الآية ٢٢.

فَضْلُكَ ، وَلا يَقْصُرَنَّ دُوني عَفْوُك ، وَلا أكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائبينَ، وَلاَ أَقْنَطَ وفُودكَ الآمِلينَ، وَاغْفِرْلي، إنَّكَ خَيْرُ الغَافِرينَ.

والاختصار.

و «الفاء» من قوله: «فلا يضيقَنَّ» فصيحة، ولا دعائيّة، وأصلها النهي.

وضاق الشيء: خلاف اتّسع.

والفضل: الإحسان.

وقصر السّهم عن الهدف قصوراً ـ من باب قعد ـ: لم يبلغه.

ودون: نقيض فوق، وهي تقصير عن الغاية.

وقوله: «ولا أكن» فيه استعمال «لا» في فعل المتكلّم، وهو وإن كان نادراً لكنّه ثابتٌ في الفصيح، كقوله:

* لاأعرفَنْ ربرباً حُوراً مدامعها *

وقول آخر:

* إذا ماخرجنا من دمشق فلا نُعد *

وهي في هذا تحتمل النهي(١) والدعاء، نصّ عليه ابن هشام في المغني(٢).

والكلام في هذه الفقرات من باب توجيه النهي إلى المسبّب والمراد النهي عن السبب، بأبلغ وجه، على إسلوب الكناية.

والأصل: لا تمنعني واسع فضلك فيضيق عنّي، ولا عفوك فيقصر دوني، ولا تردّني وتجبهني فأكون أخيب عبادك التائبين، ولا تحرمني رفدك فأكون أقنط وفودك الآملين، فعدل عن ذلك إلى توجيه الدعاء إلى الفضل في عدم الضيق، وإلى العفو في عدم القصور، وإلى نفسه في عدم كونه الأخيب والأقنط على طريقة: «فَلا يَكُنْ فِيْ صَدْرِكَ حَرجٌ» وقولهم: لاأرينّك هاهنا، أي: لا تشكّ فيكون في صدرك

---

(١) مغني اللبيب: ص٣٢٤.

(٢) مغني اللبيب: ص٣٢٦.

....

حرجٌ، ولا تكن هاهنا فأراك ، فعدل عن ذلك إلى توجيه النهي إلى الحرج عن أن يكون في صدره، وإلى نفسه عن أن يراه.

قال النيسابوريّ: توجيه النهي إلى الحرج كقولهم: لاأرينّك هاهنا، والمراد نهيه عن كونه بحضرته فإنّ ذلك سبب رؤيته(١).

قال الزمخشريّ: فإن قلت: النهي في قوله «فلا يكن» متوجّه إلى الحرج فما وجهه.

قلتُ: هو من قولهم: لاأرينّك هاهنا(٢).

قال صاحب الكشف: ظاهره أنّ المتكلّم ينهى نفسه، والمراد نهي المخاطب بأبلغ وجه على أُسلوب الكناية(٣).

وقال التفتازانيّ: يعني ليس الحرج ممّا يؤمر وينهى بالكون في الصدر، أو اللاكون. كيف وقد فسّروا النهي بطلب الكف عن الفعل أو الترك !! فجعله من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم. فالمنهي عدم كون المخاطب في حرج، وقد عبّر عنه بعدم كون الحرج في صدره، كما عبر في «لاأرينّك» هاهنا عن عدم كون المخاطب في هذا المكان بعدم رؤية المتكلّم إياه. ومثله في الأمر قوله تعالى: «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً»(٤) عبّر عن أمر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفّار بأمر الكفّار أن يجدوا في المؤمنين غلظة؛ لأنّ هذا لازمه(٥). إنتهى.

وقال ابن هشام في المغني: قولهم «لاأرينّك»، هاهنا ممّا أُقيم فيه المسبب مقام السبب، والأصل: لا تكن هاهنا فأراك . ومثله في الأمر «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً»، أي واغلظوا عليهم ليجدوا ذلك . وإنّما عدل إلى الأمر بالوجدان تنبيهاً على أنّه

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٢ ص١١٩.

(٢) تفسير الكشاف: ج٢ ص٨٦.

(٣) الكشف: لايوجد لدينا الكتاب المذكور.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

(٥) لم نعثر عليه.

....

المقصود لذاته، وأمّا الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل ليجدوه(١). إنتهى.

وإنّما لم يكن الإغلاظ مقصوداً لذاته، لأنّه ليس من الأخلاق الحسنة، فلا يكون مأموراً به إلّا لعارضٍ كإرهاب العدوّ. والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «أخيب عبادك التائبين، ولاأقنط وفودك الآملين» خاب يخيب خيبة: لم يظفر بما طلب.

وقنط يقنط -من بابي ضرب وتعب- قنوطاً: يئس.

والوفود: جمع وفد، وهو جمع وافد، كصحب وصاحب. يقال: وفد عليه يفد وفوداً، أي ورد وقدم.

وقال ابن الأثير: الوفد: القوم يجتمعون ويردون البلاد، واحدهم وافد، وكذلك الذين يقصدون الأُمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك (٢). إنتهى.

وأفعل التفضيل هنا مقصود به أصل الفعل لا الزيادة، إذ ليس في عباده التائبين خائب، ولا في وفوده الآملين قانط. فهو كقولهم: نُصيبُ أشعر الحبشة، أي: شاعرهم، إذْ لاشاعر فيهم غيره، وقولهم: الناقص والأشجّ أعدلا بني مروان، أي عادلاهم، لأنّه لم يشاركهما أحدٌ من بني مروان في العدل. فأفعل هنا بمعنى اسم الفاعل في انفراده بالوصف من غير مشاركة فيه.

قوله عليه السَّلام: «واغفر لي إنّك خير الغافرين» غفر الله له: ستر خطيئته وصفح عن عقوبته.

وجملة «إنّك خير الغافرين» تعليل، ومزيد استدعاء للإجابة، أي: خير الساترين على عباده، والمتجاوزين لهم عن ذنوبهم لأنّ غفرانك غيرُ متوقف على جلب منفعة، أو دفع مضرّة، بل لمحض الفضل والكرم.

---

(١) المغني: ص٣٢٤.

(٢) النهاية لابن الاثير: ج٥ ص٢٠٩.

اللَّهُمَّ إنَّكَ أمرْتَني فتركْتُ، وَنَهيْتَني فركبْتُ، وَسَوَّلَ لي الخطآءِ خَاطِرُ السُّوء فَفرَّطْتُ.

تأكيد الجملة لغرض كمال قوّة اعترافه بمضمونها. ولم يتعرض لمتعلّق الأمر والترك ولا النهي والركوب، إمّا لظهور أنّ المراد: أمرتني بالخير والإحسان فتركت ماأمرتني به، ونهيتني عن الفحشاء والمنكر، فركبت مانهيتني عنه؛ بدليل «إنّ الله **يأمُرُ بالعدل وَالإحْسَانِ وَإيْتَاءِ ذِيْ القُرْبَى، وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشَاء والمنكر والبغْي**»(١).

وإمّا لأنّ المراد: وُجد منك الأمر والنهي، فوُجد منّي الترك والركوب، كقولهم: أمرته فعصاني.

قال الزمخشريّ: المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه، ولا منويّ، لأنّ من يتكلّم بهذا الكلام فإنّه لاينوي لأمره ما مأموراً به وكأنّه يقول: كان منّي أمر، فلم تكن منه طاعة، كما أنّ من يقول: فلان يعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غير قاصدٍ إلى مفعول(٢). إنتهى. وهذا الوجه أولى.

وركب الأمر، وارتكبهُ: باشره،ومنه ركب ذنباً، ولايستعمل إلّا في مافيه صعوبة أو قبح.

والتسويل: تحسين الشيء وتزيينهُ وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أويقوله.

وفي القاموس: سوّلت له نفسه كذا: زيّنت، وسوّل له الشيطان: أغواه(٣).

والخطاء: بفتحتين، ضدّ الصواب. ويحتمل أن يراد به هنا الإثم، والذنب لغة في الخِطأ -بالكسر والسكون- وقد قريء قوله تعالى: «إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطأً كَبِيْراً» بالوجهين(٤).

قال المفسّرون: الخِطأ -بالكسر والسكون- الإثم، يقال: خطأ خِطأً كأثِم إثْماً،

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٩٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣١.

وَلا أسْتشْهدُ عَلَى صِيامِي نَهاراً، وَلا أسْتَجيْرُ بتَهَجُّدي لَيْلاً، وَلاَ

وزناً ومعنًى.

وقرىء بفتحتين بمعناه، كالمَثَل والمِثْل، والحَذر والحِذْر.

وقيل: ضدّ الصواب.

والخاطر: مايرد على القلب، ويمرّ بالبال، وهو أقسام:

رحمانيّ: وهو ما كان باعثاً على مافيه صلاح وقربة، ويُسمّى إلهاماً

ونفسانيّ: وهو مافيه حظّ للنفس، ويسمّى هاجساً.

وشيطانيّ: وهو مايدعو إلى مخالفة الحق، ويسمّى وَسواساً.

وقد تقدّم الكلام على ذلك بأبسط من هذا.

ولمّا كان ينقسم إلى حسنٍ وقبيح قيّده عليه السَّلام بالإضافة إلى السوء، وهو في النسخة المقابلة على نسخة الشهيد بخطّه بفتح السين، وفي غيرها بالضمّ، وقرئ قوله تعالى: «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوء»(١) بالوجهين.

قيل: هما لغتان من «ساء، يسوء» إذا قبح. غير أنّ المفتوح غلب في أن يضاف إليه مايراد ذمّهُ، والمضموم جرىٰ مجرىٰ الشّر، وكلاهما في الأصل مصدر. وقيل: هو بالفتح مصدر، وبالضم اسم منه.

وقيل: المفتوح: الرداءة والفساد، والمضموم: الشرّ والضرر.

وفرّط في الأمر تفريطاً: قصّر فيه وضيّعه وعدم التعرّض للمفرّط فيه، لأنّ المراد وجد منّي التفريط، كما يقال: فلان يعطي ويمنع.

وتقديم المفعول، أعني الخطاء على الفاعل، وهو خاطر السوء؛ للاهتمام به من حيث إنّه نصب عينيه، وإنّ التفات خاطره إليه أشدّ. والله أعلم.

الواو عاطفة. **وجعلها للاستئناف كما زعم بعضهم** لاداعي إليه، لعدم انقطاع الجملة ممّا قبلها.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٦.

تُثْنِي عَلَيَّ بإحْيَائها سُنَّةٌ حَاشا فُروضِكَ التي مَنْ ضَيّعها هَلكَ.

وأستشهد به: طلبت منه أن يشهد.

والنهار: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو مرادف لليوم.

واستجارة: طلبت منه أن يجيره، أي يؤمنه، ويمنعه.

والليل: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق.

والتهجّد: تفعّل من الهجود، قال أبوعبيدة وابن الإعرابي والفارابيّ والجوهريّ: هجد وتهجَّد. أي نام ليلاً، وهجد وتهجَّد. أي: سهَر، وهو من الأضداد، ومنه قيل: لصلاة الليل التهجُّد(١).

وقال الأزهريّ وجماعة: الهجود في الأصل هو النوم بالليل، ولكن تاء التفعّل فيه لأجل التجنّب. ومنه تأثّم وتحرّج إذا ألقى الإثم والحرج عن نفسه، فكأنَّ المتهجّد يدفع الهجود عن نفسه(٢).

وفي الأساس: تهجّد الرجل: ترك الهجود للصلاة(٣).

وقال المُبرّد: التهجّد: السهر للصلاة، أو لذكر الله(٤).

وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ»(٥) أي فصلِ بالقرآن(٦).

وقال عليّ بن إبراهيم: التَّهجُّد: صلاة الليل(٧).

وأكثر المفسّرين على أنّ التهجّد لايكون إلّا بعد النوم(٨)، وقال بعضهم: ماتنفلت به في كلّ اللّيل يُسمَّى تهجُّداً(٩).

قال بعضُ المحشّين: قوله عليه السَّلام «نهاراً» إمّا مفعول أستشهد، وإمّا متعلّق بصيامي، والمفعول مقدَّر، والتقدير: ولا صمت نهاراً صياماً مبروراً، فأستشهد

(١) الصحاح: ج٢ ص٥٥٥.

(٢) التهذيب للأزهريّ: ج٦ ص٣٦ نقلاً بالمعنى.

(٣) أساس البلاغة: ص٦٩٤.

(٤) مجمع البيان: ج٥ - ٦ ص٤٣٣.

(٥) سورة الأسراء: الآية ٧٩.

(٦) مجمع البيان: ج٥ - ٦ ص٤٣٤.

(٧) تفسير عليّ بن إبراهيم: ج٢ ص٢٥.

(٨) و(٩) تفسير روح المعاني: ج١٥ ص١٣٨.

....

النهار، أو الله، أو الملائكة على ذلك. وكذلك قوله «ليلاً» متعلّق بـ«تهجّدي»، أي: ولا تهجّدت ليلاً تهجّداً مقبولاً فأستجير به(١). إنتهى.

وقال آخرون: كلّ من النهار والليل مفعول به، لاظرف، والتقدير: لاأستشهد نهاراً على صيامي، ولا أستجير ليلاً بتهجّدي، أي لاأطلب من نهار أن يشهد لي على صيامي فيه، ولا أطلب من اللّيلِ(٢) أن يجيرني بسبب تهجُّدي فيه.

أقول: والعبارة تحتمل معنى آخر لم يتعرّض له أحد، ولعلّه أنسب ممّا ذكر(٣)، وهو أن يكون المراد بقوله عليه السَّلام «لاأستشهد ولا أستجير» لايكون منّي استشهاد ولا استجارة، تنزيلاً للمتعدّي منزلة اللازم، من غير اعتبار تعلّقه بمستشهد ومستجار عامّ أو خاصّ، على حدّ قولهم: من يسمع يخِلْ، أي يكن منه خيلة، أي ظنّ.

ونهاراً وليلاً منصوبان على الظرفية للصيام والتهجّد، والمعنى لايكون منّي استشهادٌ على صيامي في نهار، ولايكون منّي استجارة بسبب تهجّدي في ليل. وغرضه نفي الصيام والتهجّد مطلقاً، من باب نفي الشيء بنفي لازمه، أي: لاصيام لي في نهار فأستشهد عليه، ولا تهجُّدلي بليلٍ فأستجير بسببه، كقوله: ولا ترى الضبّ بها ينجحر(٤)، أي لاضبَّ ولا انجحار.

فإن قلت: الصيام لايكون إلّا نهاراً، والتهجُّد لايكون إلّا ليلاً، فما فائدة حملها على الظرفيّة؟

قلت: فائدته الدلالة على البعضيّة من حيث الأفراد بما فيهما من التنكير الدال على البعضيّة، فإنّ قولك: ركبت نهاراً وسرت ليلاً يفيد بعضيّة زمان سيرك من الأيام والليالي، ألا ترى: أنّ المحقّقين من المفسّرين قالوا في قوله تعالى: «سُبْحانَ

---

(١) تفسير روح المعاني: ج١٥ ص١٣٨.

(٢) «ألف» من ليلي.

(٣) «ألف»: ممّا يذكر.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج١ ص١١٥.

....

الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً»(١)، إنّ قوله: «ليلا» مع أنّ الإسراء إنّما يكون ليلاً؛ لإفادة قلّة زمان الإسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضيّة من حيث الأجزاء، دلالته على البعضيّة من حيث الأفراد(٢).

فإنّ قولك سرتُ ليلاً، كما يفيد بعضيّة زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيّتهُ من فرد واحدٍ منها، بخلاف ماإذا قلت: سرت الليل، فإنّه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لاظرفاً له، والله أعلم.

قوله عليه السَّلام «ولا تُثني عليَّ بإحيائها سُنَّة» أثنيتُ على زيد: ذكرتهُ بالجميل أو أتيت بما يشعر بتعظيمه مطلقاً، والاسم الثناء ـ بالفتح والمدّ ـ.

وأمّا ماذكره ابن القطاع وغيره من أنّ الثناء يُستعمل في الجميل والقبيح، فقال الإمام البطليوسيّ: هو مردود، بأنّ المستعمل فيهما إنّما هو النثاء بتقديم النون على الثاء المثلّثة، وأما الثناء بتقديم الثاء على النون فاستعماله في القبيح إنّما هو على ضرب من التأويل كالمشاكلة والاستعارة التهكّميّة.

والضمير في إحيائها راجع إلى السُنَّة، وجاز إعادة الضمير إلى المتأخّر لتقدّمه في الرتبة، إذ هو فاعل. والأصل فيه أنْ يتّصل بفعله.

والسنّة في الأصل: الطريقة والسيرة،وفي الشرع:مارغب فيه الشارع ولم يوجبه.

قال بعضهم: السنّة والمندوب والتطوّع والنفل والمرغّب فيه والمستحب كلّها بمعنى واحد،وهوما كان فعله راجحاًعلى تركه،ولا إثم في تركه،سواءدلّ عليه كتاب أو سنّة.

وقد يراد بها ما أمر به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً ممّا لم يأت به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلّة الشرع: الكتاب والسنَّة، أي القرآن والحديث.

وقد يراد بها مطلق الطريقة النبويّة، والشريعة المحمديّة، الشاملة لما ورد به

---

(١) سورة الإسراء: الآية١.

(٢) روح المعاني: ج١٥ ص٤ ـ ٥ نقلاً بالمعنى.

....

الكتاب والحديث، فرضاً كان أو مستحباً، وعليه قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: السنّة: سنّتان، سنّة في فريضة؛ الأخذ بها هدى، وتركها ضلالة، وسنّة في غير فريضة؛ الأخذ بها فضيلة، وتركها إلى غير خطيئة(١).

والمراد بإحيائها إقامتها والاعتناء بها، والمواظبة عليها، والمحافظة على حدودها.

و«الباء»: للسببيّة، أي بسبب إحيائها.

وتقديمه على الفاعل للعناية والاهتمام. وقول بعضهم: يمكن أن يكون الضمير من «إحيائها» عائد إلى اللّيل، والمعنى لا تثني على سنّة بإحياء ليل، لايخفى بُعده.

وإسناد الثناء إلى السنّه مجازٌ عقليّ، من باب إسناد الشيء إلى سببه، أو استعارة بالكناية، بجعل السنّة استعارة عن الفاعل الحقيقيّ بواسطة المبالغة في التشبيه، وجعل نسبة الثناء إليها قرينة للاستعارة، وهو مذهب صاحب المفتاح(٢).

قوله عليه السَّلام «حاشا فروضك التي من ضيّعها هلك».

«حاشا» هنا استثنائيّة، فذهب سيبويه وأكثر البصريّين إلى أنّها حرف دائماً بمنزلة «إلّا»، وأنكروا النصب بعدها(٣).

وذهب المبرّد والزجاج والأخفش وآخرون إلى أنها تستعمل كثيراً حرفاً جارّاً، وقليلاً فعلاً متعدّياً جامداً؛ لتضمّنهِ معنى «إلّا». فتنصب مابعدها. وفاعلها ضمير مستتر وجوباً، وسمع: اللّهمَّ اغفرلي ولمِن يسمع، حاشا الشيطان وأبا الأصبغ(٤).

والرواية في الدعاء واردة بالوجهين، فالجرّ على أنها حرف، والنصب على أنّها فعلٌ بمعنى جانب. وفاعلها مستتر عائد إمّا إلى مصدر متصيّد من الكلام الذي قبلها، والمعنى جانب اعترافي بعدم قيامي بالطاعات المذكورة ـ فروضك، أو إلى اسم فاعل مفهوم منه، أي جانب المعترف منّي فروضك.

وهذان قولان في مرجع الضمير، الأوّل للكوفيّين، والثاني لسيبويه، وذهب

---

(١) الكافي: ج١ ص٧١ ح١٢. (٢) مفتاح العلوم: ١٦٦. (٣) و(٤) مغني اللبيب: ص١٦٥.

....

الفرّاء إلى أنّها فعل لافاعل له(١)، كقلّما، لما أشربته من معنى «إلّا».

وإنّما استثنى عليه السّلام بحاشا، لما فيها من معنى التنزيه، تنزيهاً لفروضه تعالى من تضييعها.

ولذلك قال ابن الحاجب: إنّما يستثنى بـ«حاشا» حيث يتعلّق الاستثناء بمافيه تنزيه، كقولك: ضربت القوم حاشا زيد، ولا يحسن: صلّى الناس حاشا زيد؛ لفوات معنى التنزيه(٢).

والاستثناء هنا متّصل، لأنّه من مضمون الكلام السابق، وهو الاعتراف بالتفريط في الطاعات والعبادات، أو من السنّة الشاملة للفرض والندب، وإن كان العطف محتوياً على ثلاثة أشياء، كقوله عليه السّلام «ألا إنّ كلّ دم ومال ومأثرة كانت في الجاهليّة، فهي تحت قدميّ هاتين إلّا سدانة الكعبة، وسقاية الحاج(٣).

قال الزمخشريّ: هذا استثناء عن المأثرة، وإن احتوى العطف على ثلاثة أشياء، ونظيره قولك: جاءني بنو ضبّة وبنو الحرث وبنو عبس إلّا قيس بن زهير، وذلك لأنّ المعنى يدعوه إلى متعلّقه(٤). إنتهى.

يعني أنّ قيساً من بني عبس، فلا يتعلّق إلّا به. إذا عرفت ذلك، فقول بعضهم: الاستثناء بحاشا هنا منقطع، ليس كما ينبغي.

والفروض: جمع فرض، وهو لغةً: التقدير، وشرعاً: ما أمر الله تعالى عباده ليفعلوه، كالصلاة والزكاة والصوم والحجّ، وجمعه باعتبار أفراده.

وتضييع الفروض عبارة عن تركها وعدم القيام بها. يقال: ضيّعه تضييعاً، وأضاعه إضاعة، قال تعالى: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ»(٥).

---

(١) همع الهوامع للسيوطي: ص٢٣٣.

(٢) تحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام: ج١ ص٢٥٢.

(٣) مسند أحمد: ج٢ ص١٠٣ والفائق في غريب الحديث: ج١ ص٢٢.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج١ ص٢٢.

(٥) سورة مريم: الآية ٥٩.

وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِفَضْلِ نافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظائف فُرُوضِكَ، وَتَعَدَّيْتُ عَنْ مَقامَاتِ حُدودك إلى حُرُماتٍ انتهكتها، وَكبَائر ذُنُوبٍ اجْتَرحْتُها، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِيْ مِنْ فَضَائِحِها سِتْراً.

والمراد بالهلاك هنا إستيجاب العذاب واستحقاق السخط من الله تعالى نعوذ بالله من ذلك.

ومدار هذه الفقرات على اعترافه عليه السَّلام بعدم قيامه بالطاعات سوى الفرائض باعتبار عدم الاعتداد به، وإلى هذا المعنى أشار صاحب البُردة بقوله:

وما تزوّدتُ قبل الموت نافلة ولم أصلّ سوى فرضٍ، ولم أصم(١)

ومن العجيب ماقاله بعضهم هنا: إنّ الاستثناء في قوله عليه السَّلام «حاشا فروضك» نظير قوله:

ولا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكتائب(٢)

فيكون المعنى خصوصاً فروضك.

ولو كان الاستثناء على حقيقته لكان المعنى ماأحييت من السنن إلّا الفروض، ومقام الاعتراف بالتقصير، غيرُ مناسب لذلك. إنتهى.

ومثل هذا الكلام لايصدر إلّا عن ذهنٍ مؤوف، نسأل الله العافية.

توسّل إلى ربّه بعمل: تقرّب إليه به، ويقال: وسل، يسل أيضاً ـ من باب وعد ـ، ومنه اشتقاق الوسيلة، وهي مايتقرّب به إلى الشيء.

والفضل: الزيادة، وهو خلاف النقص. يقال: فضل فضلاً ـ من باب قتل ـ أي زاد، و«خذ الفضل» أي الزيادة ويطلق على الكمال والشرف والدرجة الرفيعة، كالفضيلة

والنافلة: من النفل، وهو لغة: الزيادة، وشرعا: اسم لما شرّع زيادة في العبادات على المفروضات. ويسمّى مندوباً، ومستحبّاً وتطوّعاً، وتنوبها للتفخيم، أي نافلة يعتدّ بها.

---

(١) تخميس قصيدة البُرده: ص١٩.

(٢) مغني اللبيب: ص١٥٥.

....

و «مع» في الأصل: ظرف، وهي اسم لمكان الاجتماع، أو وقته، تقول: زيد مع عمرو، وجئت مع العصر. وهل هو معرب أو مبنيّ؟ خلاف. وقد يراد بها مجرد الاجتماع من غير ملاحظة الزمان والمكان، وهي هنا كذلك. ولمّا كان أصلها الظرفيّة فلابدّ لها من متعلّق، ومتعلّقها هنا قوله: «أتوسّل».

وأغفلت الشيء إغفالاً: تركته من غير نسيان، والمفعول محذوف، أي أغفلته.

و«من»: بيانية.

والوظائف: جمع وظيفة، وهي مايقدّر من عملٍ ورزق ونحو ذلك. وتطلق على الشرط كما في القاموس(١)، ولعلّهُ المراد هنا بقرينة استثناء الفروض سابقاً، فيكون المراد بها شرائط الفروض للقبول دون الأجزاء كمحض الإخلاص، وحضور القلب وغير ذلك، ففي الصحيح «إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه»(٢).

وفيه عن أبي جعفر عليه السّلام: إنَّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلّا ما أقبل عليه بقلبه، وإنّما امرنا بالنافلة ليتمَّ لهم بها مانقّصوا من الفريضة(٣).

أو المراد بها الآداب الموظفة التي يكون بها المفروض على أكمل الوجوه كما ورد في الحسن عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: للصلاة أربعة آلاف حدٍ(٤)، وفي رواية أُخرى للصلاة أربعة آلاف باب(٥).

وعلى كلّ تقدير فغرضه من ذلك أن لا يخرج نفسه من حدّ التقصير في فرض ولا ندب.

وتعدّيت الشيء: تجاوزته إلى غيره. وإنّما عدّاه بـ«عن» لتضمينه معنى الإعراض والصّد.

---

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص٢٠٥.

(٢) الكافي: ج٣ ص٣٦٣ ح٤.

(٣) الكافي: ج٣ ص٣٦٣ ح٢.

(٤) و (٥) الكافي: ج٣ ص٢٧٢ ح٦.

....

وفي القاموس(١) والمحكم: عدّى عن الأمر جازه إلى غيره فلا حاجة إلى التضمين(٢).

والمقامات: جمع مقامة، وهي -بالفتح-: القيام وموضعه، و-بالضمّ- الإقامة وموضعها، والرواية في الدعاء بالوجهين.

والحدّ في الأصل: المنع والفصل بين الشيئين، وحدّ الدار مايمنع غيرها أن يدخل فيها.

فحدود الله: ما منع من مخالفتها بعد أن قدّرها بتقادير مخصوصةٍ، وصفاتٍ مضبوطة، قال تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتعَدَّ حُدوْدَ الله فَأُولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»(٣)أي أحكامه وفرائضه، وعن الحسن: حرماته(٤)، وبالجملة ماأمر به ونهى عن مخالفته.

وإضافة المقامات إليها، إمّا بمعنى المصدر من قام بالأمر، وأقامه: إذا حفظه ولم يضيّعه، أو بمعنى الموضع، أي مواضع قيامها أو إقامتها، والمراد بها المواضع التي نيطت بها حدوده وأحكامه تعالى، من الأفعال والتروك .

وقوله عليه السَّلام: «إلى حرماتٍ انتهكتُها» متعلّق بـ«تعدّيت»، يقال: تعدّيت هذا الأمر إلى غيره: أي جاوزته إليه.

والحرمات: جمع حُرمة -بالضمّ وبالضمّتين- وهي مالايحلّ انتهاكه.

وحرمات الله: قيل: فروضه، وقيل: ماوجب القيام به، وحرم التفريط فيه، وقيل: ماحرّمه، وأمر باجتنابه. من حرُم الشيء -بالضمّ- إذا امتنع فعله. وهي في الأصل اسم من الاحترام، كالفُرقة من الافتراق.

وانتهك الحرمة: تناولها بما لايحلّ، وأصله من النهك، وهو المبالغة في كلّ شيء،

---

(١) القاموس المحيط: ج٤ ص٣٦٠.

(٢) محكم اللغة: ج٢ ص٢٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ج٣ ص١٣٨.

وَ هَذا مَقامُ مَنْ اسْتحيى لِنَفْسِهِ مِنْكَ، وَ سَخَط عَلَيْهَا، وَرَضيَ عَنْكَ، فَتَلَقَّاكَ بنَفْسٍ خَاشِعَةٍ، وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ، وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الخَطايَا،

فكأنّ المنتهك للحرمة بالغ في خرق محارم الشرع، وإتيانها.

واجترح الذنب: اكتسبه، أخذاً من الجوارح، أي أعضاء الإنسان التي يكتسب بها، لأنّه يعمل بجوارحه.

وقوله: «كانت عافيتك لي من فضائحها» جملة في محلّ الخفض؛ نعت للحرمات والكبائر.

والعافية: المعافاة،مصدرٌ جاء على فاعله، من عافاه الله، أي سلّمهُ من المكروه، كالخاتمة بمعنى الختم والكاذبة بمعنى الكذب.

والفضائح: جمع فضيحة، وهي اسم من فضحه، كمنعه، أي كشف مساوئه وعيوبه.

والظرف من قوله: «لي» متعلّق بالعافية.

و «من فضائحها»: يحتمل تعلّقه بها أيضاً، وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون متعلّقاً بقوله: «ستراً»، وهو وإن كان اسماً لما يستتر به إلّا أنّه يصحّ التعلّق به؛ لتأوّله بـ «ساتر» المشبّه للفعل، ونظير ذلك قول الشاعر:

وإنّ لساني شَهْدةٌ يشتفى بها وهو على من صَبَّهُ الله عَلْقَمُ(١)

قال ابن هشام: أصله: علقم على من صبّه الله عليه، فعلى المحذوفة متعلّقة بـ «صَبَّ»، والمذكورة متعلّقة بـ «علق» لتأوله بـ «صعب، أوشاقّ، أوشديد»(٢) والله أعلم.

الاستحياء: استفعال من الحيا، وهو تغيّر النفس، وانقباضها ممّا تعاب به، أو تذمّ عليه، يقال: استحييته، واستحييت منه، فيعدّي بنفسه، وبحرف الجرّ. وفيه لغتان:

إحداهما بيائين، وهي لغة أهل الحجاز، وبها جاء القرآن، وعليها عبارة الدعاء.

---

(١) مغني اللبيب: ص٥٦٧.

(٢) مغني اللبيب: ص٥٦٧ - ٥٦٨.

وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغبَـةِ إلَيك وَالرَّهبَةِ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلى مَنْ رَجاهُ، وَ أَحقُّ مَنْ خَشِيَهُ وَاتّقـاهُ، فَأَعْطِنِـي يارَبِّ مَا رَجَوْتُ، وآمِنّي مَاحَـذِرْتُ، وَعُدْ عَليَّ بِعَائدةِ رَحْمتِك، إنَّك أَكرَمُ المَسْؤولِينَ.

والثانية: بياء واحدة، وهي لغة تميم، ومنها قوله:

* ألا تستحي منا الملوك وتتّقي *

والمراد بالاستحياء منه تعالى ترك مايكرهه، ويستقبحه، ويؤاخذ عليه، فاستحياؤه لنفسه منه سبحانه عبارة عن زجره لها، وكفّها عن ارتكاب مالايرضاه.

وسخط عليه سخطاً ـ من باب تعب ـ: غضب، والسُخط ـ بالضمّ ـ اسم منه.

والرضا عن الله سبحانه عبارة عن الابتهاج بقضائه، وأحكامه وإحسانه وإنعامه، وحمله عن تعجيل المؤاخذة والانتقام، وفتح باب التوبة والعفوعن الآثام.

وتلقّيت الرجلَ: استقبلتهُ.

والتلقّي هنا استعارة تبعيّة لتوجّهه بكليته إليه تعالى، والإنابة إلى باب كرمه وعفوه.

والباء من قوله: «بنفسٍ» للملابسةِ، أي: ملتبساً بنفسٍ خاشعةٍ.

قال الرضيّ: ولا تكون بهذا المعنى إلّا مستقرّاً(١).

وقال الشمنيّ: الظاهر أنّه لامنع من كونها لغواً(٢).

وخشع خشوعاً: ذلّ واستكان وسكن، فهوخاشعٌ، وخشع في صلاته ودعائه: أقبل بقلبه على ذلك، وهومأخوذٌ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنّت.

وعن مجاهد: الخشوع: الخوف الدائم في القلب(٣).

وخضع خضوعاً: تطامن وتواضع.

وفي القاموس: الخشوع، الخضوع، أوقريب من الخضوع، أو هو في البدن

---

(١) و (٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٢٧.

(٣) لم نعثرعليه بل وجدناه عن الحسن في تفسير التبيان: ج٣ ص٩٤ مع اختلاف يسير.

....

والخشوع في الصوت والبصر(١).

وقال الفيّوميّ: الخضوع قريب من الخشوع، إلّا أنّ الخشوع أكثر مايستعمل في الصّوت، والخضوع في الأعناق(٢).

وأثقله الشيء، بالألف، إثقالاً: أجهده. شبّه الخطايا في ثقلها عليه، وصعوبة احتمالها بالأحمال التي تثقل الحامل وتقدحه(٣)، وتنقض ظهره، فرشّحها بذكر الظهر والأثقال، ولك جعله من باب التمثيل.

ونصْبُ «واقفاً» على الحال.

و «بين» هنا ظرف مستعار لمابين الحدثين مكاناً.

قال الرضيّ: «بين» إن أُضيف إلى الأمكنة أو جثث غيرها فهو للمكان نحو بين الدار وبين زيدٍ وعمرو، وإن أُضيف إلى الأزمنة فهو للزمان نحو بين يوم الجمعة ويوم الأحد، وكذا إن أُضيف إلى الأحداث نحو: بين قيام زيد وقعوده، إلّا أن يراد به مجازاً المكان نحو قولك: زيد بين الخوف والرجاء، أُستعيرت لما بين الحدثين مكاناً، فلهذا وقع «بين» خبراً عن الجثّة(٤). انتهى.

ورغب إليه في كذا: طلبه منه، وسأله إيّاه، وقيل: أمّله ورجاه.

ورهبته ورهبت منه: خفته، أي واقفاً بين الرغبة إليك في رحمتك وعفوك، والرهبة من عقابك وسخطك، والمراد بالوقوف بينهما تساويهما عنده، واتّصافه بهما على حد سواء

قال بعضُهم: إجتماع الرغبة والرهبة والخوف والرجاء على تضادّهما في حالة واحدة من قبل توارد أسبابهما عليه، وهو كما يجتمع الإخبات والطمأنينة مع الوجل الذي هو ضدّهما، كما قال الله عزّوجلّ «وبشّر المُخبتين * الذين إذا ذُكر الله وجلَت قلوبُهُمْ»(٥).

---

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص١٨.

(٢) المصباح المنير: ص٢٣٦.

(٣) «ألف»: تفدحه.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص١١٣ - ١١٤.

(٥) سورة الحجّ: الآية ٣٤ و ٣٥.

....

وقال بعض العارفين: الرّجاء والخوف كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر، فتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما كان جاذباً له، فيسقط على رأسه، وإذا ذهب هلك الطائر(١).

وقال أبو عثمان المغربيّ: من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن ينبغي أن يخاف العبد راجياً، ويرجو خائفاً(٢).

وفي الحسن عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: كان أبي يقول: ليس من عبدٍ مؤمنٍ إلّا وفي قلبهِ نوران: نور خيفةٍ، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا(٣).

قال بعض الأصحاب: وذلك لأنّ المؤمن لايخلو من قصور أسباب الخوف والرجاء، وتجويز وقوع مقتضى كلّ واحدٍ منها بدلاً من الآخر بحيث لايرجّح أحدُهما على الآخر، إذ لو رجّح الرجاء لزم الأمن في غير موضعه «أَفَأَمِنُوا مكْرَاللهِ فَلا يأْمنُ مَكْرالله إلّا القَوْمُ الخَاسِرونَ»(٤)، ولو رجّح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك «إنَّهُ لاَييأسُ مِنْ رَوحِ الله إلّا القَوْمُ الكَافِرُونَ»(٥)، ومنه ظهر أنّ الخوف غير القنوط، وأنّه والرجاء ينبغي أنْ يكونا متساويين مطلقاً(٦).

قوله عليه السّلام «وَ أَنْتَ أَولى مَنْ رجاه». أَولى: أفعل تفضيل، وأصله من الولي، بمعنى القرب والدنوّ، فهو في الأصل بمعنى أقرب، ثمّ استعمل بمعنى أحقّ مطلقاً، يقال: زيدٌ أولى بهذا من عمرو، أي أحقّ وأحرى وأجدر.

وكان سبحانه وتعالى أولى من رجاه لمعرفته بسعة رحمته وفضله ولطفه ورأفته وإحسانه على عباده، وإجراء نعمه عليهم، ظاهرة وباطنة، جليّة وخفيّة، ضروريّة وغير ضروريّة، حين كونهم أجنّة في بطون أُمّهاتهم، بلا سبق استحقاق، ولا تقدّم

---

(١) و (٢) آداب النفس: ج٢ ص٩.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٧ ح١ وص٧١ ح١٣.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٦) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج٨ ص٢٠٦.

اللّٰهمَّ وإذْ سَترْتَني بِعَفْوكَ ، وَتَغمَّدْتَني بِفَضْلِك في دار الفَناء بَحضْرَة الأكفاء، فَأجِرْني مِنْ فَضِيحَاتِ دَار البَقاء عِنْدَ مَواقِفِ الأَشْهادِ،

استيجاب، وللعلم بغنائه عن طاعتهم وعبادتهم، وتعذيبهم مع عجزهم ومسكنتهم وضعفهم وفقرهم بين يديه، فمن كان بهذه الصفات كان أولى من رجاه راجٍ، وأمّله محتاج.

وإنّما كان أحقَّ من خشيه واتّقاه لمعرفته بجلاله وعظمته وكبريائه وغنائه عن خلقه، وشدّة غضبه وقهره، وكمال قدرته على الخلق، وعدم مبالاته بتعذيبهم وإهلاكهم متى أراد، فهو سبحانه أحقّ من خشيه الخاشون، واتّقاه المتّقون.

والفاء من قوله: «فأعطني» سببيّة، أي إذا كنت بهذه الصفة فأعطني.

وحذرته أحذره حذراً ـ من باب تعب ـ: خفته.

وعاد عليه بمعروفه يعود عوداً ـ من باب قال ـ: أفضل. والعائدة: المعروف والصلة والمنفعة.

والجملة من قوله عليه السّلام: «إنّك أكرمُ المسؤولين» تعليلٌ للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة. والله أعلم(٥)

«إذ»: للتعليل، كقوله تعالى: «وَإذ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعبُدونَ إلّا الله فَأْوُوا إلَى الكَهْفِ»(١).

وهل هي حرف بمنزلة لام العلّة، أو ظرف، والتعليل مستفاد من قوّة الكلام، لامِنَ اللّفظ؟ قولان: الأوّل: منسوبٌ إلى سيبويه(٢).

واستشكل الثاني: بأنّ «إذ» لما مضى من الزمان، وقوله: «فأجرني» في عبارة الدعاء، وقوله: «فَأْوُوا» في الآية مستقبلٌ، والماضيّ والاستقبال متنافيان.

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٦.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٩٩.

وَالصَّالِحِين، مِنْ جَارٍ كُنتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئَاتِي، وَمِنْ ذِيْ رَحِمٍ كُنتُ أَحتَشِمُ مِنْهُ فِي سَرِيَرَاتِي، لَم أَثِق بِهِم رَبِّ فِي السَّتْرِ عَلَيَّ، وَوَثِقْتُ بِكَ رَبِّ فِي الْمَغفِرَةِ لِي، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ وُثِقَ بِهِ، وَأَعْطَى مَنْ رُغِبَ إِلَيهِ، وَأَرْأَفُ مَنِ اسْتُرحِمَ فَارْحَمنِي.

وحمل الرضيّ ذلك على إجراء الظرف مجرى كلمة الشرط، قال: وأمّا قوله تعالى: «وَإِذْ لَمْ يَهتَدُوا بِهِ فَسيقُولُونَ» وقوله: «وإذ اعْتزلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلّا الله فَأْوُوا إلى الكَهْفِ» وقوله: «فَإِذْ لَمْ تَفْعلُوا وَتَابَ الله عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» فلإجراء الظرف مجرى حكمة الشّرط، كما ذكره سيبويه في نحو: زيدٌ حين لقيته فأنا أكرمه، وهو في «إذا» مطرد، قال: ويجوز أن يكون من باب «والرجْزَ فَاهْجُرْ» أي: ممّا أضمر فيه أمّا، وإنّما جاز إعمال المستقبل ـ الذي هو «فسيقولون، وأْوُوا وأقيموا» ـ في الظروف الماضية ـ التي هي «إذ لم يهتدوا، وإذ اعتزلتموهم وإذ لم تفعلوا» ـ وإن كان وقوع المستقبل في الزمن الماضي محالاً لما ذكرنا في نحو: أمّا زيدٌ فمنطلق، من أنّ الغرض المعنويّ هو قصد الملازمة حتّى كأن هذه الأفعال المستقبلة وقعت في الأزمنة الماضية، وصارت لازمة لها، كلُّ ذلك لقصد المبالغة(١). إنتهى.

وقال أبو البقاء في إعراب قوله تعالى: «فَإذْ لَمْ تَفْعلُوا وَتابَ الله عَلَيْكُمْ»: قيل: إذ بمعنى إن الشرطيّة، وقيل: على بابها، ماضية، والمعنى إنّكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصّلاة(٢). إنتهى.

والباء من قوله: «بعفوك» تحتملُ الاستعانة والسببيّة والملابسة.

وتغمّده الله برحمته: غمره بها، وتغمّدت فلاناً: سترت ما كان منه وغطيته، كذا في الصحاح(٣).

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٢) تفسير التبيان في اعراب القرآن: ذيل الآية ١٤ من سورة المجادلة.

(٣) الصحاح: ج٢ ص٥١٧.

....

فإن حملته على الأوّل فالباء للاستعانة، وإن حملته على الثاني فهي للسببيّة.

وفي الأساس: تغمَّده الله برحمته: ستره(١).

وقال ابن الأثير في النهاية: فيه إلّا أن يتغمّدني الله برحمته، أي يلبسنيها، ويسترني بها، مأخوذٌ من غمد السيف، وهو غلافه، يقال: غمدت السيف واغمدته(٢).

ودار الفناء: عبارة عن الدنيا، سمّيت بذلك لأن كلّ ما فيها صائر إلى الفناء، وهو العدم بعد الوجود.

والباء من قوله: «بحضرة الأكفاء» ظرفيّةٌ.

والأكفاء: جمع كُفْؤ، مثل قُفْل، وهو المثل والنظير والمساوي.

والحضرة: بمعنى الحضور، يقال: كلّمته بحضرة فلان، أي بحضوره.

والفاء من قوله: «فأَجرني» إن جعلت إذ للتعليل فهي عاطفة على محذوف، أي لأجل سترك في دار الفناء بحضرة الأكفاء استرني فأجرني، كما تقدم في حكاية سيبويه: كما أنّه لايعلم فتجاوز الله عنه.

وإن جعلت ظرفاً أجري مجرى كلمة الشرط، فهي رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط.

وقول بعضهم: إنّها للسببيّة، خبطٌ.

وأجاره إجارة: آمنه ممّا يخاف.

والفضيحة: اسمٌ من فضحه، كمنعه، إذا كشف مساوئه، وأظهر عيوبه، وإضافة الفضيحات إلى دار البقاء بمعنى «في» كشهيد الدار.

و «عند» تحتمل الظرفيّة الزمانيّة والمكانيّة.

والمواقف: جمع موقف، وهو إما اسم مكان الوقوف أو مصدر ميميّ.

والأشهاد: جمع شهيد، كشريف وأشراف، وهو فعيل بمعنى فاعل، من شهدت على الشيء، أي اطلعت عليه وعاينته، أو من شهدت المجلس، أي حضرته، فأنا شاهدٌ وشهيد

---

(١) أساس البلاغة: ص٤٥٥.

(٢) النهاية لابن أبي الأثير: ج٣ ص٣٨٣.

مِنَ المَلائكةِ المُقَرَّبينَ، وَالرُّسُلِ المكرَّمينَ، والشّهداء

و «من الملائكة» بيانٌ للأشهاد.

والمقرّبون: إمّا صفة لمجرّد المدح، على أنّ المراد بالملائكة مطلقهم، لأنّهم جميعهم مقرّبون؛ إذ كانوا أسبق السابقين في كلّ العبادات «والسابِقونَ السَّابقُونَ * أُولئكَ المُقَرَّبُونَ»(١)؛ ولأنّهم أعلم خلق الله تعالى به، وأكثرهم طاعةً له، وخوفاً منه، وخشيةً له، ومن كان بهذه الصفات كان مقرّباً عندالله.

وإمّا للتوضيح على أنّ المراد بالملائكة نوع خاص.

قال بعض العلماء: الملائكة على أنواع كثيرة، ومراتب متفاوتة، أولاها الملائكة المقرّبون، كما قال تعالى: «لَنْ يَستَنْكِفَ المَسيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الملائكةُ المُقرَّبُونَ»(٢)، وهم الذّوات المقدّسة عن الجسميّة والجهة، وعن حاجتها إلى القيام بها وعن تدبيرها. والله أعلم.

وكرّمه تكريماً، وأكرمه إكراماً: عظّمه، وخصّه بفضيلةٍ دون غيره.

والشهداء: جمع شهيد، وهو من قتله الكفّار في الحرب، فعيل بمعنى مفعول؛ لأنّ الله تعالى شهد له بالجنة، أو شهدت الملائكة نقل روحه إلى الجنّة، أو بمعنى فاعل؛ لأنّه يشهدُ ملكوت الله وملكه، أو لأنّه ممّن يشهد يوم القيامة على الأُمم الخالية، وقيل: غير ذلك. وقد تقدّم.

والصالحين: جمع صالح.

قال الزجّاج في قوله تعالى في صفة يحيى عليه السَّلام «وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحينَ»، الصّالح: هو الذي يؤدّي إلى الله ماافترض عليه، ويؤدّي إلى الناس حقوقهم(٣).

وقال صاحب مطالع الأنوار: الرجل الصالح هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله

---

(١) سورة الواقعة: الآية ١٠ و ١١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنوويّ: الجزء الأول من القسم الثاني ص١٧٩ نقلاً عن معاني القران للزّجاج.

....

سبحانه وحقوق الناس(١).

قوله عليه السَّلام: «من جارٍ كنتُ أُكاتِمه سيّئاتي».

قال بعضهم: هو ومابعده بيان للأكفاء، وكونه للصالحين، غير مناسب؛ لمقام عموم الصالحين وماقبله. وتعلّقه بفضيحات بمعنى: أجرني من فضيحاتي من الجارّ ومابعده محتمل على بعد. إنتهى.

وقول بعضهم: إنّ «من» للتعليل أبعد، والظاهر تعلّقها بـ «فضيحات» لاستلزامها معنى الاستحياء والاحتشام، كما قالوا: وافضيحتي منك، لمّا دخله معنى واحيائي منك.

ومن قواعدهم أنّهم يعطون الشيء حكم ما أشبهه في معناه كقوله:

* سودُ المحاجر لايقرأن بالسّور *(٢).

قال السهيليّ: عدّى يقرأن بالباء؛ لما دخله معنى يتبرّكن(٣).

وفي نسخة «وكم من جارٍ كنتُ أكاتمهُ سيّئاتي» وكتمتُ زيداً الحديث كتماً -من باب قتل- وكتماناً -بالكسر-: أخفيته عنه، يتعدّى إلى مفعولين. وفاعل هنا للتكثير لا للمشاركة، أي كثّرت كتمي لسيّئاتي عنده.

قال الرضيّ: بمعنى فعّل أي يكون للتكثير، كَفعّل، نحو ضاعفت الشيء، أي: كثّرت أضعافه كضعّفه، وناعمه الله كنعّمه، أي كثّر نعمته بفتح النون(٤). إنتهى.

وذي رحمٍ، أي ذي قرابة، سمّيت القرابة رحماً، باسم الرحم التي هي موضع تكوين الولد من الأمّ.

واحتشمتُ منه احتشاماً: استحييتُ.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: بعد الجزء الأول من القسم الثاني ص١٧٩ نقلاً من صاحب مطالع الأنوار.

(٢) مغني اللبيب: ص٤٥.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) شرح الشافية: ج١ ص٩٩.

....

قال الزمخشريّ في الأساس: أنا أحتشمك وأحتشم منك: استحي(١).

والسرائر: جمع سريرة، بمعنى السرّ، وهو مايكتمه الإنسان ويخفيه، يقال: أفشىٰ سرّه وسريرته وأسراره وسرائره.

و وثقت به أثق ثقة: اعتمدت على وفائه.

وستر عليه: أخفى مساوئه وعيبوبه.

والضمير من «بهم» عائد إلى المعنى؛ لأنّ المراد بالجارّ وذي الرحم الجنس، ولو أعيد إلى الملفوظ به لثنّاه.

وتوسيط النداء في الفقرتين والتعرّض لعنوان الربوبيّة للمبالغة في التضرع والاستعطاف.

وما أحسن قوله عليه السَّلام: «في المغفرة لي»، إذ كان أصل الغفر الستر، وحدّ المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة.

قوله عليه السَّلام: «وأنت أولى من وثق به»، أي أحقّ من اعتُمد على وفائه، إذ كان الوفاء من كلّ أحد لمن اعتمد عليه من صفات الكمال بقضيّة العقل والكمال للواجب تعالى أولى وأحقّ، وأقدم وأتمّ من غيره.

وقوله: «وأعطى من رُغب إليه»، أي أكثر من سئل ورجي العطاء.

وفيه شاهد لجواز بناء أفعل التفضيل من «أفعل» مع كونه ذا زيادة، وهو قياسٌ عند سيبويه(٢).

قال الرضيّ: ويؤيّده كثرة الاستعمال كقولهم: هو أعطاهم للدينار، وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان، وهو عند غير سيبويه سماعيّ مع كثرته(٣).

والرأفة: أشدّ الرحمة. وقيل: هي مبالغة في رحمة (٤) خاصّة، هي دفع المكروه،

---

(١) أساس البلاغة: ص١٢٧.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٢١٣.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٢١٣ - ٢١٤.

(٤) «ألف»: رحمته.

اللَّهمَّ وَ أَنْتَ حَدَرْتَني مَاءً مَهيناً مِنْ صُلْبٍ مُتضَائقِ العِظَام، حرج المَسالِكِ إلى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ، سَتَرْتَها بالحُجُب، تُصرِّفُني حَالاً عَنْ حَال حَتّى انْتَهيْتَ بي إلى تَمامِ الصُّورة، وَ أَثْبتَّ فِيَّ الجَوارِحَ، كما نَعتَّ في كِتَابكَ، نُطفَةً ثُمَّ عَلقَةً ثُمَّ مُضغَةً ثمَّ عِظاماً، ثُمَّ كسَوْتَ العِظَامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشأتني خَلْقاً آخرَ كما شئت.

وإزالة الضرر، والرحمة اسم جامع. وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة، والرأفة أقوى منها في الكيفيّة، لأنّها عبارة عن إيصال النعم صافية عن ألم والرحمة إيصال النعم مطلقاً، وكان سبحانه أرأف من استرحم؛ لأنّ رأفته بلاغاية، ورحمته بلانهاية.

والفاء من قوله: «فارحمني» للسببيّة، أي إذا كنت كذلك فارحمني.

حدرت الشيء حدراً وحدوراً ـ من باب قعد ـ: أنزلته إلى موضع منحدر، أي منخفض.

وفي الصحاح: حدرت السفينة أحدرها حدراً أرسلتها إلى أسفل، ولا يقال: أحدرتها(١).

و «ماء» نصب على الحال.

والمهين: فعيل من مهُن الشيء ـ بالضمّ ـ مهانة: أي حقر وضعف، وفيه تلميحٌ إلى قوله تعالى في السجدة: «ثُمَّ جَعلَ نَسلَهُ مِنْ سُلالةٍ مِنْ ماء مَهِيْنٍ» (٢) وفي المرسلات «أَلَمْ نَخْلُقكُمْ مِنْ مَاء مَهِيْنٍ» (٣).

قال الطبرسيّ: أي ضعيف، عن قتادة. وقيل: حقير مهان، إشارة إلى أنّه من شيء حقير، لاقيمة له، وإنما يصيرُ ذاقيمة بالعلم والعمل(٤). إنتهى.

والصُلب ـ بالضمّ ـ: عظم يبتدئ من حدّ عظم الرأس المؤخّر، وينتهي إلى عظم العصعص.

قال صاحب الكامل: وعظم الصُلب ينقسم إلى أربعة أجزاء: أحدُها: العنق،

---

(١) الصحاح: ج٢ ص٦٢٥.

(٢) سورة السجدة: الآية٨.

(٣) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

(٤) مجمع البيان: ج٧ ـ ٨ ص٣٢٧.

....

وهو الرقبة، والثاني: الظهر، والثالث: الحقو، ويقال له: القطن، والرابع، العجز، وهو العظم العريض.

أمّا العنق فمركّبٌ من سبع فقراتٍ، وأمّا الظهر فمركّبٌ من اثنتي عشرة فقرة، وأمّا الحقو فمركّب من خمس فقرات، وأمّا العجز فمركّب من جزأين: أحدهما يسمّى خاصة عظم العجز، وهو عظم عريض يتصل بالفقرة الآخرة من فقار الحقو، والثاني: يقال له العصعص، وهو مؤلّفٌ من ثلاثة عظامٍ شبيهة بالغضروف(١). إنتهى مُلخَّصاً.

وسمّي الصلب صلباً؛ لصلابته.

قال الرئيس في القانون: إنّ الصلب خلق ليكون مبنى لجميع عظام البدن، مثل الخشبة التي تُهيّأ في نجر السفينة أوّلاً، ثمّ يركز فيها، ويربط بها سائر الخشب ثانياً، ولذلك خلق الصلب صلباً(٢) إنتهى.

والتضائق: تفاعل من الضيق، وهو خلاف السعة.

قال الجوهريّ: تضائق القوم إذا لم يتّسعوا في خلق أو مكانٍ(٣).

والمراد بتضائق العظام من الصلب اتّصال فقراته كلٍّ منها بالأُخرى اتصالاً مفصليّاً، ودخول كلّ واحدةٍ منها في حفرة معمولةٍ في الأُخرى كما شرح في علم التشريح، فكأنّ العظام ضائقٌ بعضها بعضاً لتلاصقها وانتظامها، حتّى كأنَّها عظمٌ واحدٌ.

وحرج المكان حرجاً ـ من باب تعب ـ: ضاق، فهو حرج، ككتف.

والمسالك: جمع مسلك، وهو الطريق. من سلكت الطريق سلوكاً ـ من باب قعد ـ: ذهبت فيه.

---

(١) كامل الصناعة: ص٥٥ ـ ٥٧.

(٢) القانون في الطبّ: ج١ ص٢٨.

(٣) الصحاح: ج٤ ص١٥١١.

....

والمراد بحرج مسالكه: ضيق تجاويف فقراته وثقبها، فإنّ الفقرة عظم، مستدير، مجوّف، في وسطه ثقبٌ ينفذ فيه النخاع.

وإسناد الحدر إلى الله تعالى من باب إسناد الفعل إلى سببه الأوّل، إذ كان تعالى هو الأوّل في وجوده، ووجود سائر أسبابه.

وكون الماء من الصلب، إمّا باعتبار أنّ مبدء ماء الرجل من صلبه، لأنّ مادّته من النخاع الآتي من الدماغ، وينحدر في فقرات الصلب إلى العصعص، كما ذهب إليه جمّ غفير، وإمّا باعتبار كون الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليد المني، وممرّه على الصلب.

قال الرئيس في القانون: أبقراط يقول مامعناه: إنّ جمهور مادة المني هو من الدماغ، وإنّه ينزل في العرقين اللذين خلف الأذنين، ولذلك يقطع فصدهما النسل، ويورث العقر، ويكون دمه لبنيّاً، ووصلاً بالنخاع لئلا يبعدا عن الدماغ وما يشبهه مسافة طويلة، فيتغيّر مزاج ذلك الدم، بل يصبّان إلى النخاع، ثمّ إلى الكلية، ثمّ إلى العروق التي تأتي الأنثيين(١). إنتهى.

فيكون الصلب ممرّاً للمني لامبدءاً له، وتخصيصه بالذكر، على هذا؛ لكونه عمود البدن، كما تقدّم. والله أعلم.

قوله غليه السّلام: «إلى رحم ضيّقةٍ» متعلّق بحدرتني.

والرحم: على وزن كتف ـ ويخفّف بسكون الحاء، فتح الراء ومع كسرها أيضاً في لغة بني كلاب، وفي لغةٍ لهم بكسر الحاء إتباعاً لكسرة الراء ـ: آلة التوليد للإناث، وهي مؤنثة. وقد تذكّر إذا استعملت بمعنى القرابة، وهو الأكثر.

ووصفها بالضيق لأنّ مقدارها على ماقاله جماعة من أرباب التشريح أقلّ مايكون ستّ أصابع، وأكثر مايكون أحد عشر إصبعاً.

---

(١) القانون في الطبّ: ج٢ ص٥٣٤.

....

قال الشيخ في القانون: طولها المعتدل في النساء مابين ستّ أصابع إلى أحد عشر إصبعاً، ومابين ذلك، وقد يقصر ويطول باستعمال الجماع وتركه(١). إنتهى.

والحجب: جمع حجاب، ككتب وكتاب، وهو الجسم الساتر، والمراد بها الأغشية المحيطة بها، ومايليها من الأعضاء من كلّ الجهات، فإنّها حجب ساترة لها.

والجملة في محلّ خفض نعت ثانٍ للرحم.

قوله عليه السّلام: «تصرّفني حالاً عن حال».

صرّفت الشيء تصريفاً: قلّبته من حالةٍ إلى حالةٍ.

والجملة في محلّ نصب على الحال.

والحال: التغير، وصفة الشيء تذكّر وتؤنّث، فيقال: حالٌ حسنة، وهو الأفصح، وقد يؤنّث لفظها، فيقال: حالة.

وفي القاموس: الحال كنية الإنسان، وماهو عليه كالحالة(٢).

و«حالاً» نصب على المصدر النوعيّ لقيامه مقامه، والأصل تصريف حال عن حالٍ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما قال بعضهم في نحو: بعته يداً بيد، وقبّلته فماً بفم هو على حذف مضاف، أي بيع يد بيدٍ، وتقبيل فمٍ بفمٍ.

قال ابن هشام: وهذا تقدير حسن سهل(٣).

ويجوز أن يحمل على أنّه حال من مصدر الفعل المفهوم منه، والتقدير: تصرفني حال كون التصريف حالاً عن حال، كما ذهب إليه سيبويه في نحو: «وكُلا مِنْها رَغَدَاً»(٤) على أنَّ الحال بمعنى التغير(٥) أو حال نائبة مناب جاعلاً كما ذهب إليه الفارسيّ في نحو: كلّمته فاه إلى فيّ، من أنّ فاه حال نائبة مناب جاعل ثمّ حذف، وصار العامل كلّمته(٦).

---

(١) القانون في الطبّ: ج٢ ص٥٥٦.

(٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٦٤.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٥) لم نعثر عليه.

(٦) لايوجد لدينا الكتاب المذكور.

....

و«عن» من قوله عليه السَّلام: «عن حالٍ» بمعنى بعد، أي بعد حالٍ، كقوله تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبقٍ»(١)، أي حالةً بعد حالة(٢).

وقال شارح اللباب: والأولى أن نقول: إنّ «عن» باقية على معناها من المجاوزة، ويكون المعنى: طبقاً متجاوزاً في الشدّة عن طبق آخر دونه(٣).

والمراد بقوله عليه السَّلام: «حالاً عن حالٍ» وقوله تعالى: «طبقاً عن طبقٍ»، التكثير والتكرير، لاحالان وطبقان فقط، كما يدلّ عليه تمام عبارة الدعاء.

وقال الرضيّ: قوله: «عن طبق» صفة طبقاً، وليس المقصود طبقين فقط، بل المراد أطباق كلّ واحدٍ منها أعظم من الآخر، فهو مثل التثنية في لبيّك وكرّتين، في أنّ المراد التكثير والتكرير، فاقتصر على أقلّ مراتب التكرير، وهو الاثنان تخفيفاً. وكذا قولهم: ورث السيادة كابراً عن كابرٍ، أي متجاوزاً في الفضل عن كابر آخر، وقال بعضهم: أي بعد كابرٍ، والأولى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن(٤). إنتهى.

وقد فُسّر قوله تعالى: «طبقاً عن طبقٍ» بمعنى قوله عليه السَّلام: «حالاً عن حال» قال الطبرسيّ: قيل: معناه حالاً بعد حال، نطفة ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظماً، ثمّ خلقاً آخر. وقيل: شدّة بعد شدّة، حياة ثمّ موتاً ثمّ بعثاً، ثمّ جزاء، وقيل: أمراً بعد أمرٍ، رخاء بعد شدّة، وشدّة بعد رخاء، وفقراً بعد غنى، وغنى بعد فقر، وصحّة بعد سقم، وسقماً بعد صحّة، وقيل: غيرُ ذلك. والله أعلمُ(٥).

قوله عليه السَّلام: «حتّى انتهيت بي إلى تمام الصورة» متعلّق بـ«تصرفني».

و«حتّى» لانتهاء الغاية كـ«إلى»، لكنّ «حتّى» موضوعة لإفادة تقضّي الفعل قبلها شيئاً فشيئاً، و«إلى» ليست كذلك.

---

(١) سورة الانشقاق: الآية ١٩.

(٢) مغني اللبيب: ص١٩٧.

(٣) المنصف من الكلام: ج١ ص٢٩٥.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٤٢. ما ١٣-١٤.

(٥) مجمع البيان: ج٩ - ١٠ ص٤٦٢.

....

والباء من قوله «بي» للتعدية، وتسمّى باء النقل أيضاً. وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً.

والصورة: هيئة حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه، ويقال: صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل.

و «أل» في «الصورة» للعهد، أي تمام الصورة المعهودة للإنسان.

وأثبت الشيء اثباتاً: جعله ثابتاً، مستقراً في مكانه.

والجوارح: الأعضاء، جمع جارحة.

والواو من قوله عليه السَّلام: «وأثبتَ فيَّ الجوارح» عاطفة، من باب عطف الشيء على لاحقه نحو: «كَذلِكَ يُوحَى إلَيْكَ وَإلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ»(١)؛ لأنّ الانتهاء إلى تمام الصورة لايكون إلّا بعد إثبات الجوارح، وكأنّ تخصيصها بالذكر لمزيد الانتفاع بها، وشدّة الافتقار إليها، فهو من قبيل ذكر الشيء اهتماماً بشأنه.

قوله عليه السَّلام «كما نعتّ في كتابك» الظرف في محلّ النصب على أنّه نعت لقوله عليه السَّلام: «حالاً عن حال»، أو نعت لمصدرٍ محذوف، أي تصريفاً مماثلاً لنعتك. فما مصدريّة، أو كافّة كما في «ربّما» فإنّها تكفّ الحرف عن العمل، وتصحّح دخولها على الجملة، وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين، كما ذهب إليه الزمخشريّ وابن عطيّة وغيرهما(٢).

قال ابن هشام: وفيه إخراج الكاف عمّا ثبت لها من عمل الجرّ لغير مقتضٍ(٣)، وهو في محلّه.

قوله عليه السَّلام: «نُطفَةً ثُمَّ علَقَةً»، قال شيخنا البهائيّ قدس سرّه: نصب النطفة والمعطوفات عليها إمّا على حكاية ماوقع في القرآن المجيد، أو على إضمار

---

(١) سورة الشورى: الآية٢.

(٢) مغني اللبيب: ص٢٣٤.

(٣) مغني اللبيب: ص٢٣٤.

....

عامل كخلقتني ونحوه(١). إنتهى.

وعلى الأوّل: فهي وما عُطف عليها في محل نصب على المفعوليّة إمّا بنعتٍ لمرادفته قلت، وإمّا بقول محذوف وقع حالاً، أي قائلاً. والحال كثيراً مّا تحذف إذا كانت قولاً أغنى عنه المقول نحو: «وَالمَلآئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلامٌ عَلَيْكُمْ»(٢)، أي: قائلين ذلك.

والنُطفة -بالضمّ-: المني، قيل: من النطف الذي هو الصبّ، يقال: نطفت الماء، أي صببته، ونطف الماء: إذا سال سيلاً تامّاً، وقيل: من نطف الماء إذا قطر قليلاً قليلاً.

قال في النهاية: سمّي المني نطفةً لقلّته(٣).

قال الشيخ الرئيس في القانون، المني: هو فضلة الهضم الرابع الذي يكون عند توزّع الغذاء في الأعضاء راشحاً عن العروق وقد استوفى الهضم، الثالث. وهو من جملة الرطوبة الغريزيّة القريبة العهد بالانعقاد(٤).

والعلقة: القطعة الجامدة من الدم.

قال الأزهريّ: العَلقة الدم الجامد الغليظ، ومنه قيل: لهذه الدابة التي تكون في الماء علقة، لأنّها حمراء، وكلّ دمٍ غليظ علق(٥).

وقال الماورديّ في تفسيره: العلقة قطعة من دمٍ رطبٍ سمّيت بذلك لأنّها تعلّق لرطوبتها بما تمرّ عليه، فإذا جفّت لم تكن علقة(٦).

---

(١) مفتاح الفلاح: ص٢٧٩.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٣ - ٢٤.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٧٥.

(٤) القانون في الطبّ: ج٢ ص٥٣٣.

(٥) تهذيب اللغة: ج١ ص٢٤٣.

(٦) تفسير الماورديّ: لم يطبع كما في «أدب الدنيا والدين» للماورديّ في مقدمة الكتاب، ص٥.

....

وقال صاحب المحكم: العلق: الدم ما كان، وقيل: هو الجامد قبل أن ييبس، وقيل: هو ما اشتدّت حمرته، والقطعة منه علقة(١). إنتهى.

والمراد بها هنا المني المستحيل دماً غليظاً منجمداً.

والمضغة ـ بالضمّ ـ: في الأصل مقدار ما يمضغ، والمراد بها هنا قطعة من اللحم مستحيلة من العلقة.

والعظم: جسم جامدٌ صلب بسيط، كائن من تصلّب الأخلاط. والمراد بالبسيط ما ساوى بعضه كلّه في الاسم والحدّ والصفة، ويسمّى متشابه الأجزاء.

واللحم: كذلك، إلا أنّه جسم جامد رخوه(٢)

والمشهور في الرواية إفراد العظم أوّلاً، ثمّ جمعه، وهي قراءة زيد عن يعقوب في الآية الشريفة، وروي بالإفراد فيهما وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر، وبالجمع فيهما وهي قراءة الحرمينْ وأبي عمر وحفص وحمزة والكسائيّ، وروى القطعيّ عن أبي زيد الجمع أوّلاً ثمّ الإفراد، عكس الأوّل.

ووجه الجمع اختلاف العظام في الهيئة والصلابة، والإفراد اكتفاء بالجنس.

تنبيه

قوله عليه السّلام «كما نعتّ في كتابك نطفة ثمّ علقة» إشارة إلى قوله تعالى في سورة المؤمنون: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعلْنَاهُ نُطفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلقْنا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخلقْنَا العَلَقةَ مُضغةً فَخلَقْنا المُضغَةَ عِظَاماً فكَسَوْنَا العِظام لَحْماً ثُمّ أَنْشأْنَاهُ خَلْقاً آخرَ فَتبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ»(٣).

قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل: المراد بالإنسان آدم عليه السّلام، لأنّه

---

(١) محكم اللغة: ج١ ص١٢٣.

(٢) «ألف»: رخو.

(٣) سورة المؤمنون: ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤.

....

استلّ من الطين(١).

والضمير في «جعلناه» عائد إلى الإنسان الذي هو ولده، إمّا على حذف مضاف، أي نسله، أو على طريقة الاستخدام.

وقال الآخرون: الإنسان هاهنا هو ولد آدم، أي الجنس والطين آدم.

والسلالة: هي الأجزاء الكلّية المبتوتة في أعضائه التي تجتمع منياً في أوعيته.

قال النيسابوريّ: ويحتمل أن يقال: كل نسل آدم حاله كذلك، لأنّ غذاه ينتهي إلى النبات المتولّد من صفو الأرض والماء المسمّى بالسلالة، ثمّ إنّ تلك السلالة تصير منياً(٢).

وفي تفسير القميّ قال: السلالة الصفوة من الطعام، والشراب الذي يصير نطفة، والنطفة أصلها من السلالة، والسلالة هي من صفو الطعام والشراب، والطعام من أصل الطين فهذا معنى قوله: «من سلالةٍ من طينٍ»(٣). إنتهي.

وعلى هذا فكلتا لفظتي «من» للابتداء.

وقال الزمخشريّ: الأولى للابتداء، والثانية للبيان(٤).

وهو مبنيّ على التفسير الأوّل فقط.

وقال العماديّ: المراد بالإنسان: الجنس، أي خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم عليه السَّلام خلقاً إجماليّاً(٥). فإنَّ كلّ فرد من أفراد البشر له حظّ من خلقه عليه السَّلام، إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسهِ، بل كانت أُنموذجاً منطوياً على فطرة سائر أفراد الجنس، انطواء إجمالياً مستتبعاً لجريان آثارها على

---

(١) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨ ص١٠١ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٣ في ذيل الآية١٢ من سورة المؤمنون.

(٣) تفسير القُميّ: ج٢ ص٨٩.

(٤) تفسير الكشاف: ج٣ ص١٧٨.

(٥) تفسير أبي السعود: ج٦ ص١٢٦.

....

الكلّ، فكان خلقه عليه السَّلام من الطين خلقاً للكلّ منه(١)، وقوله تعالى «ثُمَّ جعلناه» أي: الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السَّلام(٢). إنتهى.

وهو تحقيق نفيس.

وقوله: «نطفة» أي بأن خلقناه منها، أو ثمّ جعلنا السلالة نطفة، والتذكير بتأويل الجوهر، أو المسلوك أو الماء.

وقوله: «في قرار» أي في مستقرٍّ، وهو الرحم، عبّر عنها بالقرار الذي هو المصدر مبالغةً.

وقوله تعالى: «مكين» وصف لها بصفة مااستقرّ فيها، مثل طريق سالك، أو لمكانتها في نفسها؛ فإنّها مكنت بحيث هي.

وقوله تعالى: «ثمّ خلقنا النطفة علقة» أي دماً جامداً، قابلاً للتمدّد والتخلّق بالزوجة والتماسك بحيث أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء.

وقوله: «فخلقنا العلقة مضغة» أي قطعة لحم، بأن أحلناها جسماً صلباً قابلاً للتفصيل والتخطيط والتصوير والحفظ.

وقوله: «فخلقنا المضغة عظاماً» أي صلّبناها حتّى اشتدّت، وقبلت الربط، والتوثيق والإحكام والضبط.

وقوله: «فكسونا العظام لحماً»، أي من بقية النطفة أو ممّا أنبتنا عليها بقدرتنا ممّا يصل إليها من الدم الغاذي، أي كسونا كلّ عظم من تلك العظام مايليق به من اللحم، على مقدار لائق به، وهيئة مناسبة له.

وقوله تعالى: «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر»، أي خلقاً آخر مبائناً للأوّل، بنفخ الروح، حيث جعله حيواناً، وكان جماداً.

وفي الآية دقائق:

---

(١) تفسير أبي السعود: ج٦ ص٩٣.

(٢) تفسير أبي السعود: ج٦ ص١٢٦.

....

الأُولى: عبّر في الأوّل بخلقنا لصدقه على الاختراع والإيجاد؛ لعدم سبق المادّة الأصليّة، وفي الثاني بجعلنا، لصدقه على تحويل المادة. ثمّ عبّر في الثالثة ومابعدها كالأوّل، لأنّه أيضاً إيجاد مالم يسبق.

الثانية: أشار بقوله: «سلالة» -وهي الخلاصة المختارة من الكيفيّات الأصليّة بعد الامتزاج- إلى أنّ المواليد كلّها أُصول للإنسان وأنّه المقصود بالذات، الجامع لأُصولها.

الثالثة: قوله: «فكسونا» فيه إشارة إلى أنّ اللحم ليس من أصل الخلقة الملازمة للصورة، بل كالثياب المتّخذة للزينة والجمال، وأنّ الاعتماد على الأعضاء والنفس خاصّة.

الرابعة: قوله: «ثمّ أنشأناه» سمّاه بعد نفخ الروح إنشاء، لأنّه حينئذٍ قد تحقّق بالصورة الجامعة.

الخامسة: قوله: «خلقاً آخر» ولم يقل: إنساناً، ولا آدميّاً، ولا بشراً لأنّ النظر فيه حينئذٍ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهيّة فقدان خروجه من السجن، وإلباس المواهب فقد يتخلّق بالأخلاق الملكيّة فيكون خلقاً ملكيّاً قدسيّاً، أو بالبهيميّة فيكون كذلك، أو بالحجريّة، إلى غير ذلك، فلذلك أبهم الأمر، وأحاله على مشيّته واختياره، كما صرّح به عليه السّلام بقوله: «كما شئت».

السادسة: عطف جعل النطفة على الطينة بثمّ؛ لبعد الزمان بينهما لتوليد الأغذية أوّلاً، ثمّ التنمية، ثمّ فصل النطفة، ثمّ وضعها في القرار.

وعطف جعل العلقة على النطفة؛ كذلك لبعد الزمان أيضاً لأنّ اكتناف النطفة حتّى تأخذ في التخلّق أمرٌ دقيق، يستدعي زمناً، ثمّ إحاطة الأغشية بها، ثمّ تسليط الحرارة، ثمّ انفتاح فوهات العروق للتغذية النباتيّة.

وعطف الباقي بالفاء التي لا تقتضي المهلة؛ لسهولة الانتقال في هذه المراتب؛ إذ تحوّل العلقة إلى المضغة ليس إلّا بالتصلّب، وهي إلى العظام بزيادته، واكتساء

....

العظام اللحم موقوف على الغذاء، وهو متيسّر، فجاء بالفاء نظراً إلى تيسّر الانتقال وسهولته، وإن كان صيرورة العلقة مضغة، والمضغة عظاماً يستدعي زمناً.

ثمّ أشار إلى المرتبة السابعة التي هي «النشأة خلقاً جديداً» عاطفاً لها بالعاطف الأوّل ـ أعني ثمّ ـ لأنّها نفخ الأرواح الصادر على جهة الاختراع. فمهلة الزمان هنا مهلة صعوبة وتهويل على سوى الحكيم الأوّل، وحكمته التزام النفوس الإقرار بعظمته القاهرة وقدرته الباهره، فتنقاد خاضعة، بخلاف العطف الأوّل، فإنّه مع ما ذكر يستدعي طول الزمان.

والحاصل أنّ ثمّ هنا لترتّب الإنشاء وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة، لالترتّب الزمان وتراخيه، بخلافه في الأوّل.

وإنّما وقع العطف كلّه بثمّ في عبارة الدعاء، لأنّ الفاء في الآية الشريفة بمعنى ثمّ، لحصول المهلة والتراخي في معطوفها، نظراً إلى حصوله بتمامه، فإنّه يستدعي مدّة، وإن تفاوتت مدّة التراخي في السرعة والبطؤ.

وقد نصّ على ذلك ابن هشام في المغني، فقال: الفاءات في «فخلقنا العلقة» وفي «فخلقنا المضغة» وفي «فكسونا» بمعنى ثمّ لتراخي معطوفاتها(١).

وفي جمع الجوامع وشرحه: تقع الفاء موقع ثمّ في إفادته الترتيب بمهلة كقوله تعالى «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلقَةً فَخلَقْنَا العَلقَةَ مُضْغةً فَخلَقْنا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظامَ لَحْماً» فالفاء في الثلاثة بمعنى ثمّ(٢). إنتهى.

ولا ينافي ذلك ماقرّرناه من أنّ اختلاف العواطف في الآية الشريفة للتنبيه على تفاوت الاستحالات، فإنّ التفاوت فيها بالنظر إلى السرعة والبطؤ والسهولة وعدمها، لالحصول التراخي وعدمه مطلقاً.

---

(١) مغني اللبيب: ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢) همع الهوامع شرح جمع الجوامع: ج٢ ص١٣١.

حَتَّى إذا احْتَجْتُ إلى رِزْقك وَلَمْ أَستَغْنِ عَنْ غِيَاثِ فَضْلِكَ جَعلْتَ لِي قُوتاً مِنْ فَضْلِ طَعامٍ وَشَرابٍ أَجْرَيْتَهُ لأَمَتِكَ اَلتِي أَسْكَنْتَني جَوْفَهَا، وَأَوْدَعْتَنِي قَرارَ رَحِمِها.

قال البدر الدمامينيّ في تحفة الغريب: الذي يظهر من كلام الجماعة أنّ استعمال الفاء فيما تراخى زمان وقوعه عن الأوّل، سواء استقصر في العرف أو لا إنّما هو بطريق المجاز(١). إنتهى.

وللرضيّ رحمه الله في ذلك تقرير آخر، فإنّه قال: إعلم أنّ إفادة الفاء للترتيب بلا مهلة لاينافيها كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل، إذا كان أوّل أجزائه متعقّباً لما تقدّم، كقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنْزَلَ مِنَ السَّماء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً»، فإنّ اخضرار الأرض يبتدئ بعد نزول المطر، لكن يتمّ في مدّة ومهلة فجيء بالفاء. وقال: فتصبح، نظراً إلى أنّه لافصل بين نزول المطر، وابتداء الاخضرار، ولو قيل: مثلاً ثمّ تصبح الأرض مخضرّة؛ نظراً إلى تمام الاخضرار، جاز.

وكذا قوله تعالى: «ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطفَةً فِيْ قَرارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ جَعلْنا النطفة علقةً»، نظراً إلى تمام صيرورتها علقة، ثمّ قال: «فَخلَقْنا العَلقَةَ مُضْغة، فخلقنا المضغة عِظَاماً فكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً» نظراً إلى ابتداء كُلّ طور. ثمّ قال: «ثُمَّ أَنْشَأناهُ خَلقاً آخر»، إمّا نظراً إلى تمام الطور الأخير، وإمّا استبعاداً لمرتبة هذا الطور الذي فيه كمال الإنسانيّة من الأطوار المتقدّمة(٢). إنتهى كلامه.

وما قرّرناه أوّلاً أولى كما لايخفى. والله أعلم.

حتّى: حرف ابتداء داخلٌ على الجملة بأسرها، ولا عمل له عند الجمهور.

و«إذا»: ظرفيّة كما مرّ مراراً.

---

(١) تحفة الغريب بهامش كتاب المنصف من الكلام: ج١ ص٣١٧.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٦٧.

....

والغياث ـ بالكسر ـ: اسم من أغاثهُ الله برحمته: إذا كشف شدّته.

والفضل هنا بمعنى الإفضال والإحسان.

والقُوت ـ بالضمّ ـ: مايقوّم به بدن الإنسان من الغذاء.

وفضل فضلاً ـ من باب قتل ـ: زاد، و«خُذ الفضل»، أي الزيادة، أي زيادة طعام وشراب.

وأجريت له نفقة: جعلتها جارية، أي دارّة متّصلة.

والأمة: المملوكة، وهي محذوفة اللّام، ولامها واوٌ، والأصل أموة، ولهذا تردّ في التصغير فيقال: أُميّة، والأصل أميوه.

والجوف من كلّ شيء: باطنه وداخله، وجوف الإنسان بطنه.

وأودعت زيداً مالاً: جعلته عنده، ليكون وديعة.

والقرار ماقرّ فيه الشيء، أي ثبت وسكر، كالمقرّ.

وفي القاموس: مقرّ الرحم: آخرها، ومستقرّ الحمل منه(١)، والإشارة بذلك إلى ماهيّأه الله تعالى للجنين من الغذاء والقوت في بطن أُمّه.

قال ابقراط: غذاء الجنين من غذاء أُمّه، وإنّما يغتذي بسرّته(٢).

وقال شارح الأسباب: الجنين في بطن أُمّه يغتذي بدم الطمث، وبعد الخروج باللبن، وهو دم الطمث بعينه. وهذا الدم فضل من فضول بدن الأُمّ يغتذي بأجود مافيه(٣).

وقال الشيخ الرئيس في القانون: واعلم: أنّ دم الطمث في الحامل ينقسم ثلاثة أقسام، قسم ينصرف في الغذاء، وقسم يصعد إلى الثدي، وقسم هو فضل، يتوقف إلى أن يأتي وقت النفاس(٤).

---

(١) القاموس المحيط: ج٢ ص١١٥.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) لايوجد لدينا كتابه.

(٤) القانون في الطب: ج٢ ص٥٥٩.

وَلَوْ تَكِلْنِيْ يَارَبِّ فِيْ تِلْكَ الحَالاَتِ إلَى حَوْلِيْ، أَوْ تَضْطَرُّنِي إلَى قُوَّتِيْ، لَكَانَ الحَوْلُ عَنِّيْ مُعْتَزِلاً، وَلَكَانَتِ القُوَّةُ مِنِّيْ بَعِيدَةً.

فَغَذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاءَ البَرِّ اللطِيْفِ، تَفْعَلُ ذَلِكَ بي تَطَوُّلاً عَلَيَّ

وقال البصير الأنطاكيّ: ومبدأ(١) غذاء الجنين من الدم في اليوم الخامس والستين من وقوع المني في الرحم، وذلك في ذكر معتدل فتكون(٢) منه الدمويّات كاللّحم. والله أعلم.

وكلت الأمر إليه وكلاً من باب وعد ـ ووكولاً: فوضتُه إليه، وتركته يقوم به.

والحول هنا: بمعنى الاحتيال وهو تقليب الفكر حتّى يهتدي إلى المقصود، والقدرة على التصرّف في الأُمور.

واضطرّه إلى كذا: بمعنى ألجأه إليه، وليس له منه بدّ.

واعتزل عنه، واعتزله: تنحّى عنه جانباً، من عزلت الشيء عن غيره ـ من باب ضرب ـ: نحّيته عنه.

وبُعد القوّة: عبارة عن عدم تأنّيها له، وقدرته عليها، فجعلها بمنزلة من بَعُد مكانه عنه.

ومفاد هذا الفصل من الدعاء الاذعان له تعالى، والاعتراف بلطفه به، واعتنائه بأمره، إذ قام له بمايحتاج إليه في تلك الحالات والأطوار، التي لايتمكّن فيها من حول ولا قوّة، ولايقتدر فيها على جلب منفعةٍ ودفع مضرّةٍ، فسبحانه من خالق حكيم لطيف.

غذوت الصبيّ أغذوه: أطعمته الغذاء، وهو مايغتذى به من طعام وشراب.

و«الفاء» للترتيب الذكريّ، ومفادها كون مابعدها كلاماً مرتّباً على

---

(١) «ألف»: يبدأ.

(٢) «ألف»: فتتكوّن.

إلى غَايَتِي هَذِهِ، لاأعْدَمُ برَّكَ ، وَلاَ يُبْطِئُ بِـي حُسْنُ صَنِيعِكَ ، وَلاَ تَتأَكَّدُ مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي، فَأتَـفَرَّغَ لِمَا هُوَ أحْظَى لِي عِنْـدكَ ، قَدْ مَلكَ الشَّيْطانُ عِنانِي فِي سُوءِ الظَّنِ، وَضعْفِ اليَـقِينِ، فَأَنَا أشكُو سُوء مُجَاوَرتِـهِ لِي، وَطاعَةَ نَفْسِي لَهُ، وَأستَعْصِمُكَ مِنْ مَلكَتِهِ.

ما(١)قبلها، إلّا(٢) أنّ مضمون مابعدها عقيب مضمون ماقبلها في الزمان.

وغذاء منصوب على المصدر النوعي كقوله تعالى: «فَأخذْنَاهُمْ أخْذَ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرٍ»(٣).

وقال العلامة سنان الچلبيّ: الظاهر أنّه منصوب على المصدر، لا على نزع الخافض، إذ لاضرورة يصارىها إلى التشبيه(٤).

والبَّر-بالفتح-: هو العطوف على العباد ببّره ولطفه.

واللطيف: هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح، وإيصالها إلى من قدّرها له. وهو فعيل، من لطف به -من باب طلب- إذا رفق به، وأمّا لطف -بالضمّ- فبمعنى صغر ودقّ.

وجملة قوله عليه السَّلام: «تفعل ذلك بي تطوّلاً» مستأنفة مبيّنة(٥) لوجه جعل القوّة له في تلك الحالة، وغذاؤه إيّاه غذاء البر اللطيف.

والتطوّل: الإفضال والإحسان، بلا غرض سابق ولا حق.

ونصبه يحتمل المصدريّة والحاليّة والمفعول لإجله، أي فعل تطوّلٍ، أو متطوّلاً، أو للتطوّل.

والظرف من قوله عليه السَّلام: «إلى عنايتي هذه» لغوٌ متعلّق بـ«تفعل» أو

---

(١) «ألف»: عليها.

(٢) «ألف»: لا.

(٣) سورة القمر: الآية ٤٢.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) «ألف» مبنيّة.

....

بـ «تطوّلاً»، أو مستقرّ صفة للتطوّل. ويحتمل أن يكون لغواً متعلّقاً بقوله: «لاأعدم» قُدّم للاهتمام والعناية، من حيث أنّه بصدد بيان استمرار برّه تعالى به، واتّصال إفضاله عليه.

وعلى الأوّل فجملة «لاأعدم برّك» مؤكّدة لفعله به، أو لتطوّله تعالى عليه إلى غايته تلك.

والأحسن أن تكون مستأنفة على وجه التعليل للحكم باستمرار الفعل، أو التطوّل إلى غايته تلك، أي لأنّي لاأعدم برّك ولايبطئ بي حسن صنيعك، ونظيره قوله تعالى: «يَا أَيُّها الذين آمنوا لاَ تَتَخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُوْنِكُمْ لاَيَأ لونَكُمْ خَبَالاً»(١).

قال صاحب الكشّاف: يجوز أن تكون جملة «لايألونكم» صفة للبطانه، كأنّه قيل: بطانة غير آليكم خبالاً، وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفة على وجه التعليل للنهي عن اتّخاذهم بطانة(٢).

قال السعد التفتازانيّ: وذلك لما في الاستيناف من الفائدة، أي: لا تتّخذوا منهم بطانة، لأنّهم لايألونكم خبالاً(٣). إنتهى.

وإن جعلت الظرف مقدّماً على متعلّقه فالجملة مستأنفة استئنافاً نحويّاً، أي منقطعة عمّا قبلها.

ومأفهمه كلام بعضهم ـ من احتمال كون الجملتين من قوله: «لاأعدم برك، ولا يبطئ بي حسن صنيعك» دعائيّتين ـ عن مساق الكلام بمعزلٍ.

وعدِمتُ الشّي، أعدمه ـ من باب تعب ـ فقدته، والإسم العُدْم، مثل قُفْل، ويتعدّى إلى الثّاني بهمزة، فيقال: لاأعدمني الله فضله.

والبِّر ـ بالكسر ـ الخير والصلة، والاتّساع في الإحسان.

وأبطاء الرجل: تأخّر مجيئه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(٢) الكشاف: ج١ ص٤٠٦.

(٣) لم نعثر عليه.

....

والظرف من قوله «بي» متعلّق بـ«صنيعك» لا بـ«يبطئ» كما توهمه غير واحدٍ، لفساد المعنى، لإنّه لايقال أبطأ به إلّا بمعنى أخّره، كما ورد في الحديث «مَنْ أبطأ به عملُه لم ينفعه نسبهُ»(١)، أي: من أخّره عمله السيِّىء لم ينفعه في الآخرة شرف نسبه.

وليس معنى العبارة «ولا يؤخّربي حسن صنيعك» بل «لايتأخّر حسن صنيعك بي».

والمنع من تقديم معمول المصدر عليه إنّما هو في غير الظرف وشبهه، كما تقدّم بيانه.

وإن حملت الباء على معنى عند من أثبت ذلك، فهي متعلّقة بـ«يُبطئ» غير أنّ البصريّين لم يثبتوه.

والصنيع: الإحسان كما في القاموس(٢).

وفي رواية «صنعك» وهو بمعناه، يقال: ما أحسن صنع الله -بالضمّ- وصنيع الله عندك.

وأكّدته تأكيداً فتأكّد، قوّيته فتقوّى، أي ولا تتقوّى مع عدم عدمي برّك، وتأخّر صنيعك بي.

ثقتي بك، أي اعتمادي على وفائك، من وثق به ثقة، أي اعتمد على وفائه.

و«الفاء» من قوله: «فأتفرّغ» للسببيّة، والفعل بعدها منصوبٌ بـ«أنْ» مضمرة لسبقها بنفي محض، كقوله تعالى: «لاَيُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا»(٣).

وتفرّغ للشيء: تخلّى عمّا يشغله عنه.

وحظى عند الناس يحظى -من باب تعب- حظة، وزِان عدة وحظوة -بضم

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج١ ص١٣٤.

(٢) القاموس المحيط: ج٣، ص٥٢.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٦.

....

الحاء وكسرها- إذا أحبّوه ورفعوا منزلته فهو حظيّ، على فعيل، والمرأة حظيّة إذا كانت عند زوجها كذلك.

ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أحظيته، إذا جعلته حظيّاً.

وأحظى من عبارة الدعاء أفعل تفضيل من ذلك، لا من حظى المجرّد. وقد تقدّم في صدر هذه الروضة أنّ بناءه من ذي الزيادة قياس عند سيبويه، كقولهم: أنت أكرمُ لي من فلان أي لما هو أشدُّ إحظاء لي عندك.

وجملة قوله عليه السّلام «قد ملك الشيطان عناني» مستأنفة استينافياً بيانيّاً، كأنّه سُئل: كيف لا تتأكّد مع ذلك ثقتك؟ فقال: قد ملك الشيطان عناني.

وملك عنانه: عبارة عن استيلائه عليه وتمكّنه منه، وهي استعارة تمثيليّة أو مكنيّة مرشّحاً.

و«في» من قوله: «في سوء الظنّ» للظرفيّة المجازيّة متعلّقة بملك، جعل سوء الظن وضعف اليقين كالمحلّ لملك الشيطان عنانه.

و«الفاء» من قوله: «فأنا أشكو» للسببيّة.

والمجاورة: مصدر جاوره إذا لاصقهُ في السكن. ومجاورة الشيطان له كناية عن قربه منه دائماً، كما نطق به الخبر النبويّ: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(١)، وفي خبر آخر «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السّماوات»(٢). وقرب من كان كذلك ظاهرٌ.

والطاعة: اسم من أطاعه إطاعة، أي انقاد له.

قالوا: ولا تكون الطاعة إلّا عن أمرٍ، كما أنّ الجواب لايكون إلّا عن قول.

وأستعصمك: أي أسألك العصمة، وهي الحفظ والوقاية، من عصمه الله من

---

(١) سفينة البحار: ج١ ص٦٩٨. وسنن الدارميّ: ج٢ ص٣٢٠. وعوالي اللئالي: ج٤ ص١١٣.

(٢) التفسير الكبير لفخر الرازيّ: ج١ ص٨٣.

وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إِلَى رِزْقِي سَبِيلاً، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ابْتِلائِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ، وَإِلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَى الإِحْسَانِ وَالإِنْعَامِ.

المكروه يعصمه -من باب ضرب-، أي حفظه ووقاه.

والمَلَكَةُ -محرّكة الملك-: مصدر ملكتُ الشيء».

قال في القاموس: ملكه يملكه مُلكاً -مثلّثة- وملكة -محرّكة- احتواه قادراً على الاستبداد به(١). إنتهى.

وقد يفسّر الملك بأنّه اتّصال بين الإنسان وبين شيء يكون مبيحاً لتصرّفه فيه، ومانعاً عن تصرّف غيره فيه، وهو هنا مجازٌ عن استيلائه واستحواذه عليه. والله أعلم.

قال شيخنا البهائيّ قدّس سرّه: المراد بهذا الفصل من الدعاء ومعناه أنّه كان ينبغي أن يكون وثوقي بك واعتمادي عليك في إيصال رزقي، وكفاية مهمّاتي مؤكّداً حتّى لاأصرف غالب أوقاتي في السعي في ذلك، بل أكون فارغاً مشتغلاً بما يوجب زيادة حظّي من عبادتك والانقطاع إليك، والعكوف على بابك(٢). إنتهى.

ومن كلام بعض العارفين: من أراد أن يذوق شيئاً من أحوال أهل العرفان فليكن كما كان في بطن أُمّه مدبّراً غير مدبّر، ومرزوقاً من حيث لايعلم. والله أعلم(*).

تضرّع إلى الله ابتهل، أي اجتهد وبالغ في الدعاء.

وفي القاموس: تضرّع إلى الله: ابتهل وتذلّل، أو تعرّض بطلب الحاجة(٣).

وسهّل الله الشيء -بالتشديد- جعله سهلاً، غير صعب.

والسبيل هنا، يحتمل أن يكون بمعنى الطريق، ويحتمل أن يكون بمعنى السبب

---

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٢٠.

(٢) مفتاح الفلاح: ص٢٧٥.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص٥٦.

فَصَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ وآلِهِ، وَسَهِّلْ عَليَّ رِزْقِي، وَأَنْ تُقنِعَني بِتَقْديرِكَ لي وأَنْ تُرْضِيَني بِحِصَّتِي فِيما قَسمْتَ لِي، وأَنْ تَجْعَلَ مَاذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وَعُمْري فِي سَبِيلِ طاعَتِكَ، إنَّكَ خَيْرُ الرّازِقينَ.

والوصلة، ومنه قوله تعالى: «يَالَيْتَنِي اتَّخذْتُ مَعَ الرَّسُول سَبِيْلاً»(١).

قال الجوهريّ: أي سبباً ووصلة(٢).

والذي ذكره المفسّرون: أنّه بمعنى الطريق.

و«الفاء» من قوله: «فلك الحمدُ» للترتيب الذكريّ، نحو: «فَنِعْمَ المَاهِدُونَ»(٣).

والنعم: جمع نعمة، وهي ماقصد به الإحسان والنفع.

وفي مجمل اللغة: النعمة: اليد البيضاء الصالحة(٤).

ونعمة الله: ماأعطاه العبد ممّا لايمكن غيره أن يعطيه كالسمع والبصر.

وجسم الشيء جسامة، كضخم ضخامة: عظم فهوجسيم، وهي جسيمة، والجمع جسام.

والإلهام: أن يلقي الله في نفس العبد بطريق الفيض امراً يبعثه على الفعل أو الترك. قالوا: وهونوع من الوحي يخصّ الله به من يشاء من عباده.

والإحسان: فعل مايحسن فعله من الخير.

والإنعام: إيصال النّعمة.

وتسهيل الرزق: تيسيره.

وقوله عليه السَّلام: «وأنْ تقنعني» معطوفٌ على قوله سابقاً: «أن تسهّل إلى رزقي سبيلاً». وفي رواية: «واقنعني بتقديرك» وهو معطوف على ماقبله وهوقوله:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٧.

(٢) الصحاح: ج٥ ص١٧٢٤.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٨.

(٤) محكم اللغة: ج٩ ص٧٨.

....

«وسهّل عليَّ رزقي».

وقنع بالشيء يقنع قنعاً وقناعة -من باب تعب-، رضي به، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أقنعني، وقد يعدّى بالتضعيف كما وردت به الرواية الأُولى في الدعاء.

قال الزمخشريّ في الأساس: قنع بالشيء، وأقتنع، وتقنّع(١). إنتهى.

فقوله: «وتقنّع» مطاوع قنّعه بالتضعيف. ويحتمل أن يكون التضعيف في عبارة الدعاء للتكثير والتأكيد.

وتقدير الشيء: جعله بمقدارٍ خاصّ، والمراد هنا تقدير رزقه المخصوص بمقدار خاصّ.

والحصّة -بالكسر- النصيب.

وقسم الله له الرزق: عيّنه وفرزه من غيره حسب ماتقتضيه مشيئته وحكمته تعالى، كما قال تعالى «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِيْ الحَياة الدنيا وَرفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرجَاتٍ»(٢).

و «أن تجعل»: أي تصيّر، من الجعل بمعنى التصيير المتعدّي إلى مفعولين نحو: جعلت الفضّة خاتماً، وأوّل المفعولين: «ماذهب» والثاني: الظرف، والتقدير: كائناً في سبيل طاعتك، فإنّ خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدّر العامل في الظرف.

والغرض سؤاله تعالى أن تصير جملة ماذهب من جسمه وعمره معدوداً في سبيل طاعته، بتبديل ماذهب فيه منها من غير الطاعة طاعة، من باب تبديل السيّئات حسنات، كما قال تعالى: «إلاّمَنْ تَابَ وآمنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولئكَ يُبدِّلُ الله سَيِّئاتِهِمْ حَسنَاتٍ»(٣).

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٢٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

اللّٰهُمَّ إِنّي أعوذُبِكَ مِنْ نَارٍ تَغلَّظْتَ بِهَا عَلى مَنْ عَصَاكَ وَتوعَّدْتَ بِها مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ ، وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ، وَهيِّنُها أَلِيمٌ، وَبعيدُها قَرِيبٌ.

وجملة قوله عليه السَّلام: «إنّك خير الرازقين» تعليل لماتقدّم من السؤال، وتحريك لسلسلة الإجابة.

وكونه تعالى خير الرازقين، لأنّه خالق الأرزاق ومعطيها بلاعوضٍ؛ ولأنّه يُعطي المزيد من يشكره على رزقهِ.

قال العلامة الطبرسيّ في قوله «وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرازِقِيْنَ»(١): في هذا دلالة على أنّ العباد قد يرزق بعضهم بعضاً، لأنّه لو لم يكن كذلك لم يصحّ أن يقال له سبحانه: أنت خير الرازقين، كما لايجوز أن يقال: أنت خير الالهة، لما لم يكن غيره إلهاً(٢)، والله أعلم.

غلُظ الشيء -بالضمّ- غِلَظاً -كعنب-: خلاف رقّ، وغلظ على خصمه وتغلّظ عليه: تشدّد. ومنه «يَا أَيُّها النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ»(٣).

وتوعّده: تهدّده.

وصدف عنه يصدف -من باب ضرب- صدوفاً: أعرض.

والباء في الموضعين مثلها في كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين.

قال الزمخشريّ في الكشّاف: والنار جوهر لطيف مضيء، حارّ محرق، والنور ضوؤها وضوء كلّ نيّر، وهو نقيض الظلمة. واشتقاقها من نار ينورُ، إذا نفر، لأنّ فيها حركة واضطراباً، والنُّور مشتق منها(٤)، والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه(٥). إنتهى.

قال صاحب الكشف: أُورد عليه أنّ الإضاءة لا تعتبر في حقيقتها، وليست

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٤.

(٢) مجمع البيان: ج٣ - ٤ ص٢٦٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٣.

(٤) و(٥) تفسير الكشاف: ج١ ص٧٣ و ٧٤.

....

شاملة لما ثبت في الكتب الحكمية أنّ النار الأصليّة حيث الأثير شفّافة، لا لون لها، وكذلك أورد بعضهم في الإحراق.

والجواب أنّ البحث فيما وضع له اللّفظ بحسب اللغة، ولا شك في اعتبار هذا المجموع فيه. وأمّا النار التي عند الأثير فمن يسلّم وجودها؟ وإن سُلِّم، فأنّى لأجلاف العرب العلم بها، إن قلنا: إنّ الأسماء اصطلاحيّة، وإن قلنا: إنّها توقيفيّة فلا شكّ أنّها لإعلام من يقصد بالخطاب، وأنّ العرب توارثها صاغراً عن كابرٍ إلى أن انتهى إلى ذلك الموحى إليه والملهم. وحيث لم يعلمهم بأنّ اللفظ موضوع لذلك أيضاً، أو للقدر المشترك ، دلّ على أنّه بمعزلٍ عن نظره في هذا الإطلاق، وإن كان عالماً به كما هو.

وأمّا الإحراق فلا شكّ أنّه من أخصّ أوصافها، التي إذا زال عنها لم يميّز بينها وبين ذي ضوء آخر. اللّهمّ إلاّ أن يسبق العلم بأنّ عدم الإحراق لمانعٍ، كنار الخليل صلوات الله عليه.

وقوله: «والنّور ضوؤها فيه توسّع. والتحقيق أنّ الضّوء فرع النور، يطلق على الشعاع المنبسط، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالنور القائم بنفس الشمس، ولهذا يقع على الذوات الجوهريّة، بخلاف الضوء.

وقوله: «والظلمة عبارة عن عدم النور» هو المطابق للّغة وعليه المحقّقون، وزيادة عمّا من شأنه النور غير مسموعة(١). إنتهى.

قال السعد التفتازانيّ: إذا أُجري عدم النور على إطلاقه كان بين النور والظلمة تقابل الإيجاب والسلب، وإن زيد عمّا من شأنه فبينهما تقابل الملكة والعدم، وعند بعض المتكلّمين هي عرض ينافي النور، فبينهما تقابل التضادّ(٢). إنتهى.

وهي على هذا وجوديّة، وعلى الأوّلين عدميّة. وعلى التقادير يصحّ أنّ النور

---

(١) لا يوجد لدينا كتاب الكشف. (٢) لم نعثر عليه.

....

نقيض للظلمة، أي: مناف لها.

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السّلام: «ومن نار نورها ظلمة» وصف لتلك النار بما يميّزها عن نيران الدنيا، ويبيّن هولها وفظاعة أمرها؛ إذ كان النور لاينفكّ عن شيء من النيران المعهودة، وكون نورها ظلمة ممّا يهول النفوس، ويروع القلوب.

والمعنى: أنّه لانور لها، بل هي سوداء مُظلمة، وإنّما عبّر عن ذلك بقوله: «نورها ظلمة»، لما تقرّر في النفوس من أنّ النار لا تكون إلّا ذات نور، فحكم بأنّ نور هذه النار ظلمة، لعدم استنارتها وإشراقها، بمعنى أنّ الظلمة فيها بمنزلة النور. ولم يقل: لانور لها لئلا يتوهّم أنّها شفّافة لاضوء لها، كما يقوله الحكماء في كرة الأثير.

وقد ورد في الحديث مايطابق معنى هذه الصفة لنار الآخرة.

روى الترمذيّ وغيره أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أُوقد على النار ألف سنة حتّى احمرّت، ثمّ أُوقد عليها ألف سنة حتّى ابيضّت، ثمّ أُوقد عليها ألف سنة حتّى اسودّت، فهي سوداء مظلمة(١).

زاد في رواية: كسواد الليل(٢).

وفي رواية فهي أشدُّ سواداً من القار(٣). أي(٤) الزفت.

وفي حديث آخر: أنّ جهنّم سوداء مظلمة، لاضوء لها ولا للهبها(٥).

وكان سلمان الفارسي-رضي الله عليه-يقول: نار الآخرة سوداء مظلمة لايضيء لهبها ولاحرّها(٦).

---

(١) سنن الترمذيّ: ج٤ ص٧١٠ ح٢٥٩١.

(٢) الترغيب والترهيب: ج٤ ص٤٦٤ ح٢٨.

(٣) الترغيب والترهيب: ج٤ ص٤٦٤.

(٤) «الف» يعني.

(٥) الترغيب والترهيب: ج٤ ص٤٥٨ ح١٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٦) الترغيب والترهيب: ج٤ ص٤٦٥ ح٣٠ الا انه. «عن أنس».

....

قوله عليه السَّلام «وهيّنها أليم» هان الشيء هوناً: لان وسهل، فهو هيّن.

والأليم: الموجع. قال العلّامة الطبرسيّ: هو فعيل بمعنى مفعل، كالسميع بمعنى المسمع، والنذير: بمعنى المنذر، والبديع: بمعنى المبدع(١).

وقال الجوهريّ: الأليم المؤلم، مثل السميع بمعنى المسمع(٢).

وفي القاموس: الأليم المؤلم، ومن العذاب الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ. إنتهى(٣).

وما قاله بعضُهم من أنّ فعيلاً بمعنى المفعل ليس يثبت لاالتفات إليه بعد نصّ أساطين أهل اللغة عليه. والمعنى ظاهر.

وعن ابن عبّاس لو أنّ قطرة من الزقّوم قطرت في الأَرض، لأمرّت على أهل الأَرض معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه، ليس له طعام غيره(٤).

قوله عليه السَّلام: «وبعيدها قريب» يحتمل وجوهاً من التفسير:

أحدها: أن يكون المراد بالبعيد مايستبعد وقوعه، ويُستعظم شأنه، وبالقريب خلافه.

قال ابن الأثير في النهاية: يقال: هذا أمرٌ بعيدٌ، أي لايقع مثله لِعظمه(٥).

فيكون المعنى: أنّ ماتستبعده العقول من أمرها قريب الوقوع فيها، لابعد فيه، فاعتبار البعد والقرب بالنسبة إلى الإمكان.

وبه فسر الزمخشريّ وغيره قوله تعالى في سورة المعارج: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيْداً وَنَرَاهُ قَرِيباً»، قال في الكشّاف: المراد بالبعيد البعيد من الإمكان، وبالقريب القريب

(١) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص٤٨.

(٢) الصحاح: ج٥ ص١٨٦٣.

(٣) القاموس المحيط: ج٤ ص٧٥.

(٤) سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤٤٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) النهاية لابن الأثير: ج١ ص١٤٠.

وَ مِنْ نَارٍ يأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَ مِنْ نَارٍ تَذَرُ العِظامَ رَمِيماً، وَ تَسْقِي أَهْلَها حَمِيمَاً.

منه(١).

الثاني: أنّ البعيد منها مكاناً لايمنعه بعده من إصابة حرّها وعذابها، بل هو قريب بالنسبة إليها، كما روي: لو أنّ رجلاً كان بالمشرق، وجهنّم بالمغرب، ثمّ كُشِف عن غطاء منها لغلت جمجمتهُ(٢).

وفي رواية: لو كان أحدكم بالمشرق، وكانت النار بالمغرب ثمّ كشف عنها لخرج دماغ أحدكم من منخريه من شدّة حرّها(٣).

الثالث: أن يكون تلميحاً إلى قوله تعالى في العنكبوت: «يَسْتَعجِلُونَكَ بالعذاب وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطةٌ بِالكافِرينَ»(٤)، أي محيطة بهم الآن؛ تنزيلاً لشيء سيقعُ قريباً منزلة الواقع.

وقيل: هو على حقيقته من معنى الحال، فإنّ مبادئ إحاطة النار بهم من الكفر والمعاصي المتشكّلة في هذه النشأة بصورة الأعمال والأخلاق، هي بعينها جهنّم التي ستظهر في النشأة الأُخرويّة بصورة النار وعقاربها وحيّاتها، كما نصّ عليه كثير من أرباب العرفان.

وكون بعيدها قريباً على هذين القولين ظاهر، لاخفاء به. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

الأكْل حقيقة: بلْع الطعام بعد مضغه، ثمّ استعير للإحراق في النار.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز أكلت النار الحطب. واتكلت النار اشتدّ التهابها، كأنّما يأكل بعضها بعضاً(٥). إنتهى.

---

(١) الكشّاف: ج٤ ص٦٠٩.
(٢) سفينة البحار: ج٢ ص٦١٩.
(٣) سفينة البحار: ج٢ ص٦١٩.
(٤) سورة العنكبوت: الآية٥٤.
(٥) أساس البلاغة: ص١٩.

....

وفي الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: إشتكت النار إلى ربّها، فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفْسين، نفساً في الشتاء، ونفساً في الصيف، فشدة ماتجدون من البرد من زمهريرها، وشدّة ماتجدون من الحرّ من سمومها(١).

وصال على قرنه يصول صولاً حمل عليه وسطابه، وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السَّلام: «أعلمتم انَّ مالكاً إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه»(٢).

قال ابن أبي الحديد: وحطم بعضها بعضاً: كسره أو أكله(٣).

وتذر العظام رميماً، أي تتركها رميماً من «وذرت الشيء أذره وذراً، أي تركتهُ». قالوا: وأماتت العرب ماضيه ومصدره، فاذا أُريد الماضي قيل: ترك، ولا يستعمل منه اسم الفاعل.

ورمّ العظم يرمّ ـ من باب ضرب ـ، إذا بلى، فهو رميم.

قال الجوهريّ: وإنّما قال تعالى: «قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ»؛ لأَنَّ فعيلاً وفعولاً قد يستوي فيهما المذكّر والمؤنّث والجمع، مثل رسول وعدوّ وصديق(٤).

وقال الزمخشريّ في الكشّاف: الرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة، كالرمّة والرفات، فلا يقال: لِمَ لَمْ يؤنَّث، وقد وقع خبراً لمؤنّثٍ، ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول(٥).

والحميم: الماء الحار الشديد الحرارة، وقد تكرّر ذكره في القرآن المجيد.

وإسناد السقي إلى النار مجاز عقليّ، لأنّها سببٌ لشربهم له. والله أعلم.

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤٤٤ ح٤٣١٩.
(٢) نهج البلاغة: ص٢٦٧، الخطب ١٨٣.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠ ص١٢٤.
(٤) الصحاح: ج٥ ص١٩٣٧.
(٥) الكشّاف: ج٤ ص٣١.

وَ مِنْ نَارٍ لا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضرَّعَ إلَيها، وَلا تَرْحَمُ مَنْ اسْتَعْطَفَها، وَلا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَها وَاسْتَسْلَمَ إليها، تَلْقَى سُكّانَها بِأَحَرِّ مَالَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكالِ، وَشَديد الوَبَالِ.

قال ابن الأثير في النهاية: في حديث الدعاء «لا تُبقي مَنْ تضرّع إليها»، يعني النار، يقال: أبقيت عليه، أبقي، إبقاء: إذارحمته، واشفقت عليه. والاسم البقيا(١).

وقال الجوهريّ: أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه، ورحمته، يقال: لاأبقى الله عليك إن أبقيت عليّ والاسم منه البقيا، قال:

وما بُقيا عليَّ تركتُماني ولكنْ خِفتما صرد النبال(٢)

واستعطفه: سأله أن يعطف عليه، أي يشفق عليه، ويرقّ له.

وقدر على الشيء يقدر ـ من باب ضرب ـ: قوي عليه وتمكّن منه.

وخشع له يخشعُ خشوعاً: ذلّ وخضع.

واستسلم: أذعن له وانقاد.

والتخفيف: أعمّ من أن يكون كمّاً وكيفاً. فما وقع في بعض التفاسير في قوله تعالى: «خَالِدِينَ فِيْها لاَيُخفَّفُ عَنْهُمُ العَذابُ»(٣)، أنّ جملة «لايخفّف» مستأنفة لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف، إثر كثرته من حيث الكمّ، ليس بمتعيّنٍ.

والجملة من قوله: «تلقى سكّانها» مستأنفة استئنافاً بيانيّاً، كأنّه سئل: كيف لا تبقي على من تضرّع إليها، فقال: تلقى سكّانها بأحرّ مالديها.

والنكال ـ بالفتح ـ العقوبة التي ينكل الناس عن فعل ماجعلت له جزاء من نكل عن الأمر، إذا أحجم وامتنع.

---

(١) النهاية لابن أبي الأثير: ج١ ص١٤٧.

(٢) الصحاح: ج٦ ص٢٢٨٣.

(٣) سورة البقرة: الآية١٦٢.

وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَارِبِها الـفَاغِرَة أَفواهُهَا،وَ حَيَّـاتِها الصَّالِقَةِ بِأَنْيابِهَا،

وقال الزمخشريّ في الأساس: نكل عـن العدوّ نكولاً، ونكلته عن كذا: فطمته، ونكّلت به تنكيلاً، جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله، وهو النكال(١).

والـوبال: سوء العـاقبة. قـال الفيّـوميّ: الـوبال ـبـالـفتـحـ من وبـل المـرتع ـبـالضـمّـ وبالاً ووبالـة. بمعنى وخم، سواء كـان المرعى رطبـاً، أو يابساً. ولـمّا كان عاقبة المرعى الوخيم إلى شرٍّ، قيل في سوء العاقبة: وبال(٢).

وفي الأساس: أخذ وبيل: شديد. ومنه الوبال لسوء العاقبة(٣).

وفي القاموس: الوبال: الشدّة، والثقل(٤).

وفي الحديـث: إنّ النار تأكل أهـلها حتّى إذا اطلعـت على أفئدتهم، انتهت، ثمّ تعود كما كانت ثـمّ تستقبل الـعبد أيضاً، فتطـلع على فؤاده، فهي كـذلك أبداً(٥)، نعوذ بالله من النار.

تنبيـه

تـكرير ذكـر الـنار مع أنّ المـراد بها نار واحـدة، لـلإيذان بـأنّ كـلّ واحدة من الصفات المـذكورة صـفة هائلة خطيرة، جديرة بأن يـفرد لها موصوف مستقلّ، ولا تجعل كلّها لموصوف واحدٍ. والله أعلم.

الـعقارب: جمع عقرب، وهـي دويبة من ذوات السـموم تكـون للذكر والأنثى بلفظٍ واحدٍ، وقد يقال للأنثى: عقربة وعقرباء ـممدوداًـ، غير مصروف.

وفغر فـوه فغراً ـمـن باب نـفعـ: انفـتح، وفغر فاه: فـتحه، يتعـدّى ولا يتعدّى. والرواية في الدعاء بضمّ أفواهها وفتحها على الوجهين.

(١) أساس البلاغة: ص٦٥٥.

(٢) المصباح المنير: ص٨٨٩.

(٣) أساس البلاغة: ص٦٦٤.

(٤) القاموس المحيط: ج٤ ص٦٣.

(٥) الاختصاص: ٣٥٧.

وَشَرابِها الَّذي يُقَطِّعُ أَمعَاء وَأَفئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَ يَنْزِعُ قُلوبَهُمْ، وَ أَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا، وَ أَخَّرعَنْهَا.

والحيّات: جمع حيّة، وهو اسم يطلق على الذكر والأُنثى فإن أردت التميز، قلت: هذا حيّة ذكرٌ، وهذه حيّة أنثى.

قال المبرّد في الكامل: وإنّما دخله الهاء؛ لأنّه واحد من جنس كبطة ودجاجة. على أنّه قد روي عن بعض العرب؛ رأيت حيّاً على حيّة، أي ذكراً على أُنثى(١).

وصلق صلقاً ـ من باب ضرب ـ: صوّت صوتاً شديداً، كأصلق إصلاقاً وصلق الفحل بنابه، واصطلق: صوّت.

قال الجوهريّ: وأصلق لغة في صلق، ومنه قول العجّاج يصف الحمار: أصلق ناباه صياح العصفور، والفحل يصطلق بنابه، وذلك صريفه. إنتهى(٢).

قال الزمخشري في الفائق: الصريف: ان يشدّ ناباً على ناب فيصوّتا. وهو في الفحولة من إيعاد، وفي الاناث من إعياء، وربّما كان من نشاد(٣). إنتهى.

فمعنى قوله عليه السَّلام «الصالقة بأنيابها» أي الصارفة بها. وهو أولى من تفسيره بالضاربة، من قولهم: صلقه بالعصا، أي: ضربه بها؛ لأنّ في الصّريف من التحويل ماليس في الضرب.

وقد تواترت الأخبار بعقارب النار وحيّاتها، نعوذ بالله منها.

فروي: إنَّ جهنّم وادياً يُدعى أثاماً، فيه حيّاتٌ وعقاربُ في كلّ فقارة من ذنب ذلك العقرب من السمّ أربعون قلّة، كلّ عقرب منهنّ قدر البغلة الموكفة(٤)، يلدغ الرجل فينسى حرّ جهنّم من حراره لدغتها(٥).

وفي رواية: إنّ في جهنّم نهراً يسمّى موبقاً يسيل ناراًعلى حافتيه حيّات مثل

---

(١) لايوجد لدينا الكتاب المذكور.

(٢) الصحاح: ج٤ ص ١٥٠٩.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ج٢ ص ٢٩٥.

(٤) الموكفة: الضخمة السمينة غزيرة اللحم.

(٥) الترغيب والترهيب: ج٤ ص٤٦٩ مع اختلاف يسير.

....

البغال الدُهم. فاذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار(١).

وفي رواية: إنّ لجهنّم ساحلاً كساحل البحر، فيه هوامّ حيّات كالبخت، وعقارب كالبغال الدُهم، نعوذُ بالله منها(٢).

والأمعاء: جمع مِعى -بالكسر، وقصره أشهر من المدّ، وألفه ياء؛ لأنّ مثنّاه معيان، وتذكيره أكثر من التأنيث، فيقال: هو المعا وهو المصران، وجمع الممدود أمعية، كحمار وأحمرة.

والأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب، وقيل: هو مايتعلّق بالمريء من كبد ورئة وقلب.

ونزعته من موضعه نزعاً، من باب ضرب: قلعته.

وقوله عليه السَّلام: «يُقطّع أمعاء وأفئدة سكّانها»، من باب إضافة المفردين إلى اسم ظاهر بجعل الأوّل مضافاً في النيّة، دون اللفظ، والثاني في اللفظ والنية معاً، نحو: غلامُ وثوب زيد، وهو كثير في كلامهم، نثراً ونظماً، وشاهده من الحديث قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «تحيّضي في علم الله ستة أو سبعة أيّام» ومن كلام العرب نثراً قول بعضهم: قطع الله يد ورجل من قالها. وقولهم: خذ ربع ونصف ماحصل، ومن الشعر قوله:

يا مَنْ رأى عارضاً أسرّ به بين ذراعي و جبهة الأسد(٣)

فذهب المبرّد وأكثر المتأخرين إلى أنّ ذلك كلّه على حذف المضاف إليه من الأوّل لفظاً، لانيّة، لدلالة الثاني عليه(٤): ولذلك قال بعضهم: إنّ هذه المسألة لهاشبه بباب التنازع، فإنّ المضافين يتنازعان المضاف إليه، فأعمل الثاني لقربه، وحذف معمول الأوّل، لأنّه فضلة.

---

(١) الدر المنثور: ج٤ ص٢٢٨.

(٢) سفينة البحار: ج٢ ص٦٢٠.

(٣) مغني اللبيب: ص٤٩٨ رقم الشاهد: ٧٠٧.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٩٢.

....

واشترط الفراء فيها إصطحاب المضافين، كالأمعاء والأفئدة في عبارة الدعاء، والستة والسبعة في الحديث، واليد والرجل، والربع والنصف، والذراع والجبهة، بخلاف غلام وثوب، فلا يقال: اشتريت غلام وثوب زيد.

وذهب سيبويه إلى أنَّ ذلك من باب الفصل بين المضاف والمضاف إليه، والأصل في نحو: خذ ربع ونصف ماحصل، خذ ربع ماحصل ونصفه، ثمّ أُقحم ونصفه بين المضاف والمضاف إليه، فصار: ربع ونصفه ماحصل، ثمّ حذفت الهاء إصلاحاً للّفظ، فصار: ربع ونصف ماحصل.

قال الرضيّ: ومذهب المبرّد أقرب؛ لما يلزم سيبويه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه في السّعة(١).

ومضمون هذه العبارة من الدعاء نطق به القرآن المجيد في مواضع، منها قوله تعالى في سورة محمَّدٍ صلّى الله عليه وآله: «وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»(٢)، وقوله سبحانه في سورة الحجّ: «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ»(٣)، أي يُذاب بذلك الحميم مافي بطونهم من الأمعاء والأحشاء.

روي: أنّه يصبّ على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت مافيها(٤).

وفي الحديث في قوله تعالى: «وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ»، قال: يقرّب إلى فيه، فإذا دنا من وجهه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فاذا شربه قطع أمعاءه حتّى تخرج من دبره(٥)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

قوله عليه السَّلام «وأستهديك لما باعد منها، وأخّر عنها».

إستهداه: طلب أن يهديه، والغرض سؤال التوفيق للطاعة الموجبة للنجاة من النار.

وباعد بمعنى أبعد، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «إنّ الذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنّا

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٩٣.

(٢) سورة محمّد: الآية ١٥.

(٣) سورة الحجّ: الآية ١٩ - ٢٠.

(٤) مجمع البيان: ج٧ - ٨ ص٧٨.

(٥) سنن الترمذي: ج٤ ص٧٠٥.

....

الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ»(١)، قيل: المراد بالحسنى التوفيق للطاعة وبالإبعاد عنها: الإبعاد من عذابها، لاعن نفسها، إذ لابدّ لكلّ أحدٍ من ورودها بنصّ قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً»(٢).

واستشكل بأنّ المؤمنين كيف يردون النار؟

وأُجيب بما روي عن جابر بن عبدالله أنّه سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، قال بعضهم لبعضٍ، أليس وعدنا ربّنا أن نرد النّار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة(٣).

وعنه أيضاً أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: الورود الدخول، لايبقى بَرّ ولا فاجر إلاّ دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم عليه السَّلام، حتّى أنّ للنار ضجيجاً من بردها(٤).

وفي رواية: أنّ النار تقول للمؤمن يوم القيامة: جُز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي(٥).

فان قيل: ما الفائدة في إيراد المؤمنين النار، إذا لم يتعذّبوا بها؟

قيل: فيه وجوه:

منها: أن يزدادوا سروراً إذا رأوا الخلاص منها.

ومنها: افتضاح الكافرين إذا إطلع المؤمنون عليهم.

ومنها: أنّ المؤمنين يوبّخون الكفّار، ويسخرون منهم، كما سخروا منهم في الدنيا.

ومنها: أن يزيد التذاذهم بالجنّة ونعيمها، فبضدها يتبيّن الأشياء.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

(٢) سورة مريم: الآية ٧١ - ٧٢.

(٣) تفسير الكشّاف: ج٣ ص٣٥.

(٤) مجمع البيان: ج٥ - ٦ ص٥٢٦.

(٥) مجمع البيان: ج٥ - ٦ ص٥٢٦.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَجِرنِي مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ، وَ أَقِلْنِي عَثَرَاتِي بِحُسْنِ إقَالَتِكَ، وَ لاَ تَخْذُلْنِي، يَاخَيْرَ الْمُجِيرِينَ، إنَّكَ تَقِي الكَرِيهَة، وَتُعْطِي الحَسَنَةَ، وَتَفْعَلُ مَاتُرِيدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وقيل: المراد بالإبعاد عنها، أنّهم لايدخلون النار، ولا يقربونها البتّة؛ لأنّ من جعل بعيداً عن شيء ابتداء، يحسن أن يقال: إنّه أبعد عنه.

وهؤلآء لم يفسروا الورود في قوله تعالى: «وَإنْ مِنْكُمْ إلّا وَارِدُها» بالدخول، واحتجّوا بقول ابن عباس: قد يرد الشيء الشّيء ولم يدخله، كقوله تعالى: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ»(١)، ومعلوم أنّ موسى عليه السّلام لم يدخل الماء، ولكنه قرب منه، فالمراد بالورود جثوّهم حولها.

وعن ابن مسعود(٢) والحسن(٣) وقتادة(٤) هو الجواز على الصراط، لأنّ الصراط ممدود عليها.

وقيل: هو مسّ الحمّى في الدنيا؛ لقوله عليه السّلام: الحمّى من فيح جهنّم. وفي رواية: الحمّى حظ كلّ مؤمن من النار(٥). والله أعلم.

قوله عليه السّلام «وأخّر عنها» أخّرته ضدّ قدّمته، فتأخّر، هذا هو الأصل، لكنّه إذا عُدّي بـ«عن»، فالمراد التنحية والإبعاد، يقال: أَخِّر عنّي جهلك، أي نحّه وابعده. وقد يستعمل بمعنى التخليف، تقول: ماأخّرك عن صلاة الجماعة، أي ماخلّفك وأقعدك حتّى لم تحضرها.

وهذه الفقرة تأكيد للتي قبلها. والله أعلم.

أجرني: أي أعذني وآمنّي منها، يقال: أجاره ممّا يخاف، أي أعاذه وآمنه.

والفضل: الزيادة، أي بمزيد رحمتك.

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٣.

(٢) و(٣) و (٤) و (٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٢ ص٥١٧.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ إذ ذُكِرَ الأَبْرارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَيلُ وَالنَّهارُ، صَلاةً لايَنْقَطِعُ مَدَدُهَا، وَلاَ يُحْصَى

وأقال الله عثرته: رفعه من سقوطه. ومنه: الإقالة في البيع، لأنّها رفع للعقد.

والعثَرات: جمع عثرة، وهي في الأصل المرّة من عثر الرجل يعثر من باب قتل، أي كبا وسقط. والمراد بها هنا الخطيئة والزلّة، لأنّها سقوط في الإثم.

وخذ له خذلاً -من باب قتل-: ترك نصرته وإعانته، والاسم الخِذلان -بالكسر-:

ووقاه الله السوء يقيه وقاية -بالكسر-: حفظه منه.

والكريهة: النازلة والشدّة. يقال: لقيت منه كرايه الدهر، أي نوازله وشدائده.

الحسنة: ضدّ السيّئة.

وتفعل ماتريد: أي كلّ ماتريده، لايمنعك مانع، ولا تعجز عن شيء.

والجمل المتعاطفة المبدوء أوّلها بحرف التأكيد كلّها تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة بطريق التحقيق. والجملة الأخيرة تذييل مقرّر لما قبله، من وقايته الكريهة، وإعطائه الحسنة، وفعله مايريد. فإنّ كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته تعالى على ذلك.

«إذا» ظرف زمنٍ مستقبل، متضمّنة معنى الشرط. وجوابها هنا محذوف وجوباً للاستغناء عنه بمادلّ عليه متقدّماً، وهو قوله: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ». والتقدير: إذا ذكر الأبرار فصلِّ على محمّد وآله.

وإنّما لم يجعل المتقدّم جواباً؛ لأنّ للشرط صدر الكلام، فلم يجُز تقديم جوابه عليه، هذا مذهب البصريّين.

وذهب الكوفيّون إلى أنّ المتقدّم هو الجواب، وإنّما لم يصدّر بالفاء لتقدّمه.

وذهب ابن عصفور إلى أنّ «إذا» الشرطية تفيد التكرار ككلّما. فإذا قلت: «إذا جاءك زيدٌ فأكرمه» أفادت: أنّ كلّما جاءك زيدٌ فأكرمه، وقال: هذا هو

عَدَدُها، صَلاةً تَشْحَنُ الْهَواء، وَتَمْلأُ الأَرضَ وَالسَّمَاء، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ حَتّى يَرْضَى، وَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بَعْدَ الرِّضا، صَلاةً لاَحَدَّ لَهَا وَلاَ مُنْتَهى، يَاأَرْحَمَ الراحِمِينَ.

الصّحيح.

وعلى هذا فمعنى عبارة الدعاء: صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ كُلَّما ذكر الأبرار، وهو حَسَنٌ.

فإن قلت: لأيّ معنى قيّد الصّلاة عليهم بزمان ذكر الأبرار؟

قلت: لأمرين: أحدهما: أنّه زمان فيض ورحمة، كما ورد في الحديث، عند ذكر الصّالحين تنزلُ الرّحمة.

الثاني: إظهارُ عظمتهِم وكرامتهم لديه سبحانه، إذ كانوا سادات الأبرار ورؤساءهم.

قوله عليه السَّلام «مااختلف الليل والنهار» «ما» مصدريّة ظرفيّة، أي مدّة اختلاف الليل والنهار.

واختلافهما: إمّا بمعنى تعاقبهما مجيئاً وذهاباً، وكون كلّ منهما خلفاً للآخر كقوله تعالى: «وَهُوَ الذيْ جَعلَ الليلَ والنَّهارَ خِلْفَةً»(١)، أي ذوي خلفة يخلف كلّ منهما الآخر، بأن يقوم مقامه، وهي اسم للحالة من خلفه، أي: قام مقامه، كالركبة والجلسة ـ بالكسر فيهما ـ من «ركب وجلس».

أو بمعنى اختلافهما في أنفسهما، بازدياد كلٍّ منهما بانتقاص الآخر، وانتقاصه بازدياده، باختلاف حال الشمس إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة، أو باختلاف البلدان. فإنّ البلد كلما ازداد عرضاً عن خط الاستواء، وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الأعظم المسمّاة معدّل النهار، ازداد نهاره في الصيف طولاً، وفي الشتاء

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٢.

....

قصراً، وبالعكس في الليل. وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب إلى حيث يصير اليوم بليلته نهاراً كلّه وبإزائه الليل، ثمّ إلى أكثر من ذلك إلى حيث يزيد الليل الأطول على يومٍ بليلته، وإلى حيث يكون نصف السنة نهاراً، ونصفها الآخر ليلاً، وذلك إذا صار قطب الفلك الأعظم محاذٍ لسمت الرأس.

ولا عمارة هناك ؛ لشدّة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس، أو اختلافهما في الأمكنة، فإنّ كروية الأرض تقتضي(١) أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً، وفي مقابله نهاراً، وفي بعضها صباحاً، وفي بعضها ظهراً أو عصراً، أو غير ذلك. والله أعلم.

قوله عليه السّلام «لاينقطع مددها» إلى آخره.

مدد الشيء: مايُمدّ به ويزاد(٢) ويكثر.

والغرض طلب استمرار الصلاة عليهم.

والعدد: الكمّيّة المتألفة من الوحدات، وقيل: صورة تنطبع في نفس العاد(٣) من تكرار الواحد.

أي لايضبط عددها، أو لايطاق عدّها وضبطها. من أحصيت الشيء إذا أطقته، فيكون العدد بمعنى المصدر. والغرض طلب كثرة الصلاة عليهم.

وشحنت البيت وغيره شحناً ـ من باب نفع ـ: ملأته.

والهواء بالمدّ: الجوّ، وهو مابين السماء والأرض. والمراد بكونها تشحن الهواء أو تملأ الأرض والسماء التمثيل لكثرة عددها، أي لو قدرّت أجساماً لبلغت من كثرتها أن تملأ ذلك، ويحتمل أن يكون على معنى التعظيم والتفخيم لشأنها، أو لشأن أجرها وثوابها، والأوّل أظهر.

قوله عليه السّلام «صلّى الله عليه حتّى يرضى» جملة منقطعة ممّا قبلها لفظاً،

---

(١) «ألف» يقتضى. (٢) «ألف» يزداد. (٣) «ألف» المعاد.

....

مستأنفة استئنافاً نحوياً.

و«حتـى» للغاية، أي إلى أن يـقول: «رضـيت»، ولـمّا كان الـغايـة تستلزم الأنتهاء، لأنّ كلّ شـيء إذا بلغ غايـته انتهى ووقـف عندها، لم يـرض عليه السّلام بذلك بل سأل أن تـكون الصلاة عليه بعد الرضا أيضاً، فقال: وصلّى الله عليه وآله بعد الرضا»، لتكـون الصلاة عليه جارية مستمرّة أبداً، لا تقف عند حَدّ، ولا تنتهي عند غاية، ثمّ بيّن ذلك بقوله: «صلاة لا حدّ لها، ولا منتهى».

والحدّ: النهايـة. والمنتهى: مصدر مـيميّ مـن انتهى الأمر، أي بلـغ النهاية. ولمّا كانت الصلاة مـن الله تعالى الـرّحمة ذيّل طلبها بقولـه: ياأرحم الراحمين، والأولى أن تكون كلـمـة استعطاف ختم بها الـدعاء مبالغـة في طلب الإجابة لجـميع ماتضمّـنه الدعاء من المسائل كما يشير إليه التعرّض للوصف بغاية الرحمة. والله أعلم.

هـذا آخر الـروضة الـثـانـيـة والثـلاثين من ريـاض السالـكين، وقـد وفّـق الله سبحـانه لإ تمامـها واجتـناء زهرها مـن كمامـها، عشية يـوم السبت لإحدى عشرة خلت من شعبان أحد شهور سنة أربع ومائة وألف، أحسن الله ختامها بدار السرور برهان‌ينور، ولله الحمد.

الروضة الثالثة والثلا ثون

وكان من دعائه عليه السلام في الاستخارة

اللّهمّ إنّي أستخيرك بعلمك فصلّ على محمّد وآله واقض لي بالخيرة و
ألهمنا معرفة الاختيار واجعل ذلك ذريعة إلى الرّضا بما قضيت
لنا والتّسليم لما حكمت فأزح عنّا ريب الارتياب وأيّدنا بيقين
المخلصين ولا تسمنا عجز المعرفة عمّا تخيّرت فنغمط قدرك ونكره
موضع رضاك ونجنح إلى الّتي هي أبعد من حسن العاقبة وأقرب
إلى ضدّ العافية حبّب إلينا ما نكره من قضائك وسهّل علينا ما
نستصعب من حكمك وألهمنا الانقياد لما أوردت علينا من
مشيّتك حتّى لا نحبّ تأخير ما عجّلت ولا تعجيل ما أخّرت ولا نكره
ما أحببت ولا نتخيّر ما كرهت واختم لنا بالّتي هي أحمد عاقبة
وأكرم مصيرا إنّك تفيد الكريمة وتعطي الجسيمة
وتفعل ما تريد وأنت على كلّ شيء قدير

الـروضة
الـثالـثة والـثلا ثـون

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وإيّاه نستعين

الحمـد لله الذي يخلق مايشـاء ويختـار، ماكان لهم الخِيَـرة، سبـحان الله وتعالى عمّا يشركون. وهو الله لا إله إلّا هو، له الحمد في الأُولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعـون. والصلاة والسَّلام على نـبـيّه المخـتـار، من أشرف نُـجـار، الصادع بقـوله الصادق: «ماحَارَ مَنْ اسْتَخـارَ، ولانَدِمَ مَنْ اسْتَشارَ»(١) وعلى آله شمـوس الولاية، ونجوم الهداية، السادة الأطهار، والقادة الأبرار.

وبـعد: فهذه الروضة الـثالثة والثلا ثون مـن رياض السالكين، في شرح الدعاء الثالث والـثلا ثين من صـحيفة سيد العـابدين عليه السَّلام، إمـلاء راجي فضل ربّه السني، علي بن أحمد الحسيني الحسني خار الله لهما، وبلّغهما أملهما.

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ج١ ص١٣٥.

شرح الدعاء الثالث والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام في الاستخارة.

استخرت الله استخارة: طلبت منه الخيرة، وهي اسم من الاختيار، كالفدية من الافتداء.

وفي الأساس: استخرت الله في ذلك، فخار لي: أي طلبت منه خير الأمرين، فاختاره لي(١).

وأصل الاستخارة: الاستخيار، على وزن استفعال. نُقلت حركة عينه إلى فائه الساكنة قبلها، وقُلبت العين ألفاً، ثمّ حذفت لالتقاء الساكنين، وعوّض عنها تاء التأنيث. وهذا مطّرد في مصدر «إستفعل» معتلّ العين، كاستقام استقامةً، واستعاذ استعاذةً(٢).

فالاستخارة: استفعال من الخير.

وقال محمّد بن إدريس العجليّ قدّس الله روحه في كتابه المترجم بالسرائر: الاستخارة في كلام العرب: الدعاء. وهو من استخارة الوحش، وذلك أن يأخذ القانص ولد الظبية فيعرك أُذنه فيبغم، فإذا سمعت أمّه بغامه لم تملك أن تأتيه،

---

(١) أساس البلاغة: ص١٧٩.

(٢) «الف»: استفاد استفادة.

....

فترمي بنفسها عليه فيأخذها القانص. قال حميد بن ثور الهلالي، وذكر ظبية وولدها، ودعاؤه لها لمّا أخذه القانص، فقال:

رأت مستخيراً فاستزال فؤادها بمحنته يبدو لها ويغيبُ

أراد رأت داعياً. فكان معنى استخرتُ الله: استدعيته إرشادي(١). إنتهى كلامُهُ.

وهو عجيب؛ فإنّ استخارة الوحش ـ بالمعنى الذي ذكره ـ استفعال من الخُوار ـ بالضمّ ـ وهو صوت البقر والغنم والظباء. وهو معتلّ، واويّ؛ لأنّ العين منه واو. والاستخارة بمعنى الدعاء للإرشاد إلى خير الأمرين معتلّ يائي، فكيف يكون هذا من ذاك؟(٢) على أنّ الذي نصّ عليه أئمة اللغة كالزمخشريّ والجوهريّ أن المنقول من استخارة الوحش، إنّما هو الاستخارة بمعنى الاستعطاف، لابمعنى الدعاء.

قال الزمخشريّ في الأساس: إستخار الرجل صاحبه: استعطفه فخار عليه. وأصله من أن يثغو الغزال والجؤذر إلى أُمّه: يستخيرها، أي يطلب خوارها. ثمّ كثر حتّى استعمل في كلّ استعطاف واسترحام(٣).

قال الجوهريّ: الاستخارة: الاستعطاف. يقال: هو من الخوار والصوت. وأصله: أنّ الصائد يأتي ولد الظبية في كناسة فيعرك أذنه فيخور ـ أي يصيح ـ يستعطف بذلك أُمه كي يصيدها. قال الهذلي:

لعلّك أمّا أُمّ عمروٍ تبدلت سواك خليلاً شاتمي تستخيرها(٤)

إنتهى.

وبالجملة فجعل الاستخارة بمعنى طلب الخيرة منقولاً من استخارة الوحش إمّا غلط منشأه اشتباه اللفظين عليه، أو تعسف لاداعي إليه. والله أعلم.

---

(١) السرائر: ص٦٩.

(٢) «الف»: ذلك.

(٣) أساس البلاغة: ص١٧٧.

(٤) الصحاح: ج٢ ص٦٥١.

....

مقدّمة

لاريب في استحباب الاستخارة عند العامّة والخاصّة، والأخبار بذلك مستفيضة من الطريقين:

أمّا من طريق العامّة. فروى البخاريّ في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال: كان رَسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُعلِّمُنا الأسْتِخارَةَ في الأُمور كلِّها كالسورَة مِنَ القُرآن. يقولُ: «إذا هَمَّ أَحدُكُمْ بالأَمْر فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَينِ مِنْ غَيْرِ الفَريضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهمَّ إنّي أستَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَستَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ...»(١) إلى آخر الدعاء وسيأتي.

وروى الترمذي بإسناده إلى أبي بكر: أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وآله كان إذا أراد الأمر، قال: اللَّهمَّ خِرلي، واختَرْلي(٢).

وعن أنس قال: قالَ رَسولُ الله صلّى الله عَليهِ وآلهِ: ياأنسُ إذا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ فِيهِ سَبْعَ مَرّاتٍ، ثُمَّ انْظُر إلى الذي سَبَقَ إلى قَلْبِكَ، فَإنَّ الخَيْرَ فِيهِ(٣).

وروى الحاكم بسنده في صحيح المستدرك عنه صلّى الله عليه وآله قال: «مِنْ سَعادَةِ ابنِ آدمَ اسْتِخارَتُهُ الله، و(٤) مِنْ شَقْوَتِهِ تَرَكُهُ اسْتِخارَةَ الله»(٥).

وأمّا من طريق الخاصّة: فالروايات فيه أكثر من أن تحصى. فمن ذلك مارواه

---

(١) صحيح البخاري: ج٨ ص١٠١.

(٢) لم نعثر عليه في سنن الترمذي ولكنه موجود في تفسير الجامع لاحكام القرآن (للقرطبي) ج١٣، ص٣٠٧.

(٣) الجامع لاحكام القرآن: ج١٣ ص٣٠٧.

(٤) «الف»: وامامن.

(٥) المستدرك للحاكم: ج١، ص٥١٨.

....

ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ صحيحٍ قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: صلِّ ركعَتينِ، واستَخِرِ الله. فوالله مااستخارالله مسلمٌ إلّا خارَ لَهُ البتَّة(١).

وروى البرقيّ في محاسنه عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال الله عزّوجلّ: مِنْ شَقاء عَبْدِي أن يَعمَلَ الأعْمالَ فلا يَسْتخِيرُني(٢).

وعنه عليه السّلام: أنّه قال: ما أُبالي إذا استَخرْتُ على أيِّ طرفَيَّ وقعْتُ. وكانَ أبي يُعلِّمُني الاسْتِخارَةَ كَما يُعلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ(٣).

وعنه عليه السّلام: مَنْ دَخلَ في أَمَر بِغَيْر اسْتِخارَة ثُمّ ابْتُلِيَ لَمْ يُؤْجَر (٤).

وروى الطوسيّ في أماليه عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: لَمّا وَلّاني النَّبيُّ صلّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ عَلى اليَمَنِ، قالَ لي وهُوَ يُوصيْني: ياعَليُّ ماحارَ(٥) مَنْ اسْتَخَارَ، وَلانَدِمَ مِنْ اسْتَشَارَ (٦).

إلى غير ذلك من الأخبار البالغة جملتها حدّ التواتر.

إذا عرفت ذلك فهنا مسائل:

الأولى: ذكر الشيخ المفيد قدّس سرّه في الرسالة العزيّة: أنّه لاينبغي للإنسان أنْ يستخير الله تعالى في شيء ممّا نهاه عنه، ولا في أداء فرض. وإنّما الإستخارة في المباح، وترك نفلٍ إلى نفل لايمكنه الجمع بينهما كالحج والجهاد تطوعاً، أو لزيارة مشهد دون آخر، أو صلة أخ دون آخر(٧).

الثانية: من آداب المستخير أن يطهّر ظاهره من الحدث والخبث، وباطنه من الشك والريب، وان يصلّي ركعتين، يقرأ فيهما بعد الحمد ماشاء ويقنت في الثانية، وأن يتأدّب في صلاته كما يتأدب السائل المسكين، وأن يُقبل على الله بقلبه في

(١) الكافي: ج٣، ص٤٧٠.
(٢) المحاسن: ص٥٩٨.
(٣) بحار الأنوار: ج٩١، ص٢٢٣.
(٤) المحاسن: ص٥٩٨.
(٥) «الف» خار.
(٦) الأمالي للشيخ الطوسي: ج١، ص١٣٥.
(٧) بحار الأنوار: ج٩١، ص٢٢٩. نقلاً عنه في رسالته.

....

صلاته ودعائه إلى وقت فراغه، وأن لايكلّم أحداً في أثناء الاستخارة. فعن الصادق عليه السَّلام: كان أبي إذا أراد الاستخارة في الأمر، توضأ وصلّى ركعتين، وإن كانت الخادمة لتكلّمه، فيقول: سُبْحانَ الله، وَلايَتكَلَّمُ حَتّى يَفْرَغَ(١).

وقال الجواد عليه السَّلام لعليّ بن أسباط: وَلا تُكلِّمْ أَحداً بَيْنَ اَضْعافِ الاستِخارَة حتّى تُتِمَّ مِائَة مَرَّة(٢).

وَإذا خَرجَتْ الاسْتِخارَة مُخالِفَةً لِمُرادهِ فَلا يُقابِلْها بِالكراهَةِ، بَلْ بِالشُّكْرِ عَلى أنْ جَعلَهُ الله تَعالى أَهْلاً لأَنْ يَستَشِيرَهُ.

الثالثة: للاستخارة أنواع وردت بها الأخبار عنهم (عليهم السَّلام):

منها: الاستخارة بالدعاء. وفيها روايات:

منها: ماروواه الطبرسي في مكارم الأخلاق مرفوعاً عن جابر بن عبدالله قال: «كانَ رَسُولُ الله (صلّى الله عليْهِ وآلِهِ) يُعلِّمُنا الاستِخارَة كَما يُعلِّمُنَا السُّورةَ مِنَ القُرآنِ. يَقُولُ: إذا هَمَّ أحدُكُمْ بأَمْر فَليرْكَعْ ركْعتينِ مِنْ غَيرِ الفريْضَةِ، ثُم لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتكَ وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيوبِ. اللَّهمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذا الأَمْرَ، وتُسمِّيهِ خَيْراً لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعاقِبَةِ أَمْري فَاقْدِرْه لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، وَبارِكْ لِي فِيه. وإنْ كُنْتَ تَعلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْري فَاصْرِفهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَأَقْدِرْ لي(٣) الخَيْرَ حَيْثُما كانَ، وَرَضِّني بِهِ»(٤).

وهذه الرواية هي التي ذكرها البخاري في صحيحة مع تفاوت يسير في الفاظ الدعاء(٥).

قال النووي: «وإذا استَخارَ مَضى بَعْد هذا لِما شُرِحَ لَهُ صَدْرُهُ»(٦).

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ ص٢٠٦ ح٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٢١٥ ح٨.

(٣) «الف»: إليّ.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٣٢٣.

(٥) صحيح البخاري: ج٨، ص١٠١.

(٦) لايوجد لدنا كتابه.

....

ومنها ما رواه الطبرسي -أيضاً- في الكتاب المذكور، قال: «كان أمير المؤمنين عليْه السَّلام يُصلِّي ركْعتَين وَيقُول في دُبُرهما: أَستَخِيرُ الله مائة مَرَّة، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهمَّ إنّي قَدْ هممت بأمْر قَدْ عَلِمْتَهُ، فَإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ في ديني وَدُنيايَ وَآخرَتي فَيسِّرْهُ لي. وإنْ كُنْتَ تعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لي في دِيني وَدُنيايَ وآخرتي، فَاصْرفْهُ عَنّي كَرهَتْ نَفسِيَ ذَلِكَ أَمْ أَحبَّتْ. فَإنَّكَ تَعْلَمُ، وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلامُ الغُيُوبِ ثُمَّ يَعزمُ»(١).

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: «كانَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ إذا هَمَّ بِأَمْرِ حَجٍّ أَوْ عَمْرةٍ أَوْ بَيْعٍ أَوْ شِراءٍ أَوْ عِتْقٍ تَطهَّرَ ثُمَّ صَلّى رَكْعَتَي الاسْتِخارة، فَقَرأَ فِيهما بسورة الرَّحْمَن والحَشْر والمَعوذَتَيْن وَقُلْ هُو الله أَحَدْ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ كذا وَكذا خَيْراً لي في دِيني وَدُنيايَ وَآخرتي، وعَاجل أَمْري وَآجلِهِ فَيسِّرْهُ لي عَلى أَحْسَنِ الوُجُوه وَأَجْملِها. وإنْ كانَ كذا وكذا شَرّاً لي في دِيني وَدُنيايَ وآخرتي وَعَاجِلِ أَمْري وَآجلِهِ، فَاصْرفْهُ عَنّي عَلى أَحْسَنِ الوُجُوه. رَبِّ اعْزمْ عَلى رُشْدي، وَإنْ كَرهَتْ ذلِكَ وَأَبَتْهُ نَفْسِي»(٢).

وفي رواية: أُخرى: «وَإنْ كَرهَتْ أو أَحبَّتْ ذَلِكَ نَفْسِي. بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم ماشَاء الله لاحَولَ وَلا قُوَّة إلَّا بِالله، حَسْبِيَ الله وَنِعْمِ الوكيلُ ثُمَّ يَمْضِي وَيَعْزمُ»(٣).

ومنها: ماذكره في مكارم الأخلاق: أَنَّ رَجُلاً جَاء إلى أَبي عَبْدِالله عَلَيْهِ السَّلام، فقالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِداكَ، إنّي رُبما ركبْتُ الحَاجَة، فَأَندمُ عَلَيْها، فَقالَ لَهُ: «أينَ أنتَ عَنِ الاسْتِخارَة؟ فَقالَ: إذا صَلَّيْتَ صَلاةَ الفَجْر، فَقُلْ بَعْدَ أَنْ تَرفَعَ يَدَيْكَ، حِذاء وَجْهكَ: اللَّهمَّ إنَّك تَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلامُ الغُيُوبِ، فَصَلِّ عَلى مُحمَّدٍ

(١) مكارم الأخلاق: ص٣٢٠.
(٢) الكافي: ج٣ ص٤٧٠.
(٣) مكارم الأخلاق: ص٣٢٢ - ٣٢٣.

....

وآلِهِ، وَخِرلي في جَميعِ مَاعَزمْتُ بِهِ مِنْ أُموري خِيارُ بَركَةٍ وَعافِيَةٍ»(١).

ومنها: مارواه في كتاب من لايحضره الفقيه: أنّ محمّد بْن خالدٍ القَسْريّ، سأَلَ أَبا عَبْدِالله عَلَيْه السَّلامُ عَنِ الاسْتِخارَةِ، فَقالَ: «إسْتَخِرِ الله في آخِرِ ركْعَةٍ مِنْ صَلاة اللَّيلِ، وَأَنْتَ سَاجِدٌ، قَـال: كَيْفَ أَقولُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَخيرُ الله بِرَحْمَتِهِ، أَستَخيرُ الله بِرَحْمَتِهِ»(٢).

ومنها: مارواه ثقة الاسلام في الكـافي، وشيخ الطائفة في التهذيب، عن إسحاق بن عمار، قال: قُلْتُ لأَبي عَبْدِالله عَلَيْهِ السَّلامُ: رُبما أَردْتُ الأَمْر تَفرّقَ مِنّي فَريقان، أَحَدُهُما يَـأْمُرُني وَالآخَـرُ يَنْـهاني. فَـقالَ لي: «إذا كُـنْتَ كـذلِكَ فَصَلِّ رَكْـعتَـيْنِ، وَاسْتَـخِرِ الله مِائـةَ مَرّةٍ وَمَرّةً، ثُمَّ انْظُرْ أَحْـزَمَ الأَمْرَيْنِ لَكَ فَافْـعَلْهُ فَإنَّ الخِـيرَةَ فِيهِ إنْ شاء الله. وَلْتَـكُنْ اسْـتِخارَتُكَ في عَافِـيَةٍ، فإنَّهُ رُبما خِـيرَ للرَّجُلِ في قَطْعِ يَدِهِ، وَمَوتِ ولدِهِ، وَذهابِ مالِهِ»(٣).

ومنها: مارواه ثقة الإسلام، ورئـيس المحدّثين في الفقيه عن مرازم، قـال: قال لي أبوعبدالله عليه السّـلام: «إذا أَرادَ أَحدُكُمْ شَيئاً فَلْـيُصلِّ ركْعتَينِ، ثُمَّ لـيَحْمَدَ الله وَلْيُثْنِ عَلَـيهِ، وَلْيُصَلِّ عَلى مُحـمَّدٍ وَعَلى أَهْلِ بَيْتـهِ، وَيقُول: اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذا الأَمْرُ خَـيْراً لي في دِيني ودُنـيايَ فَـيسِّرْهُ لي وأَقْـدِرْهُ. وإنْ كـانَ غَيْـر ذَلِكَ فَـاصْرفْـهُ عَنّي» فَسـأَلْتُهُ: أَيّ شيء أَقْرأُ فِيـهما؟ فَقالَ:«إقْرأْ فِيـهِما ماشِئْـتَ، إنْ شِئتَ قَرأْتَ فِيهما قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، وَقُلْ ياأَيُّها الكافِرون»(٤).

وفي رواية الفقيه: «وَقُلْ هُوَ الله أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»(٥).

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٣٢٠.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج١، ص٥٦٣.

(٣) الكافي: ج٣ ص٤٧٢. وتهذيب الاحكام: ج٣ ص١٨١ ح٥.

(٤) الكافي: ج٣ ص٤٧٢.

(٥) من لايحضره الفقيه: ج١ ص٥٦٢.

....

ومنها: ماروي عن الصادق عليه السّلام قال: «إذا عَرضَتْ لأحدِكُمْ حَاجَةٌ فَلْيسْتَشِرْ رَبَّهُ. فَإنْ أشارَعَليْهِ أَتْبعَ، وَإنْ لَمْ يُشِرْعَليْهِ توَقَّفَ. فَقِيلَ لَهُ: كَيف يَفْعَلُ؟ قَالَ: «يَسْجُدُ عَقيبَ المكْتُوبَةِ، وَيَقُولُ: اللَّهمَّ خِرْلِي ثُمَّ يَنْظُرُ ماأُلهِمَ فيَفْعَلْ. فَهُو الذي أشارَعَليْهِ رَبُّه عَزَّوَجلَّ»(١).

ومنها: مارواه البرقي بإسناده عن هارون بن خارجة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام، يقول: «إذا أرادَ أحدُكُمْ أَمْراً فلا يُشاورَنَّ فِيه أَحَداً حَتى يَبْدأَ فَيُشاورَ الله»، قُلتُ: وَما مُشَاورَةُ الله؟ قال: «يَبدأُ فيستخير الله فِيهِ أَوّلاً، ثُمَّ يُشاورُ فيه.فإنَّهُ إذا بَدأَ بالله تَبارَكَ وَتَعالى أجْرى الله الخِيرَةَ لَهُ عَلى لِسانِ مَنْ يَشاءُ مِنَ الخَلْقِ»(٢).

ومنها: مارواه رئيس المحدّثين في الفقيه عن حماد بن عثمان، عن الصادق عليه السَّلام قال: في الاسْتِخارَة، أَنْ يَسْتَخيرَ الله الرجُلُ في آخِرِ سَجدَةٍ مِنْ ركْعَتَي الفَجْر مائة مَرَّةٍ وَمَرَّةً، وَيَحْمَدالله وَيُصلّيَ على النَّبيِّ وآلِهِ، ثُمَّ يَستَخيرَ الله خَمسينَ مرَّةً، ثُمَّ يَحْمَدالله وَيُصلّيَ عَلى النَّبيِّ وآلِهِ وَيُتِمَّ المائَةَ وَمَرَّة»(٣).

ومنها: مارأيته في كتاب عندنا منسوب إلى الرّضا عليه السَّلام: «إذا أَرَدْتَ أَمْراً فَصلِّ رَكْعَتينِ، وَاسْتَخِرالله مائَةَ مَرَّةٍ وَمرَّةً وَقُلْ في دُعَائك: لااله إلاّ الله العَليُّ العَظِيمُ، لا إله إلاّ الله الحَليمُ الكَريمُ، ربِّ بحق مُحَمَّدٍ وَعَليٍّ، خِرْلي في أَمْر كذا وكذا للدنْيا والآخِرَة خِيرةً مِنْ عِنْدِكَ، مالَكَ فِيهِ رِضاً وَلي فِيهِ صَلاحٌ، في خَيرٍ وَعَافِيَةٍ، ياذا المَنِّ وَالطَّوْل»(٤).

ومنها: مارواه ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن ابن فضّال، قال: سأل الحَسَنُ بنُ الجَهم أبا الحَسَنِ عليه السَّلام، لابنِ أسْباط، فَقالَ: مَاتَرَى لَهُ ـ وَابْنُ

---

(١) لأمالي للشيخ الطوسي: ج١ ص٢٨١.

(٢) المحاسن: ص٥٩٨.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج١ ص٥٦٣ ح١٥٥٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٦١ ح١٣.

....

أَسْباط حاضِرٌ، وَنَحْنُ جَمِيعاً- يَرْكَبُ البَرَّ أو البَحْرَ إلى مِصْرَ، وَاخْبِرُهُ بِخَبرِ طريقِ البَرِّ؟ فقالَ: «فَأْتِ المَسْجدَ في غَيرِ وَقتِ صَلاةِ الفَريضَةِ ، فَصَلِّ رَكْعتَينِ، وَاسْتَخِرْ الله مائةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْظُر، أَيَّ شَيءٍ يَقَعُ في قَلْبِكَ فَاعْمَلْ بِهِ. وَقالَ لَهُ الحَسنُ: البَرُّ أحبُّ إليَّ، قال: «وإليَّ»(١).

ومنها: الاستخارة بالمصحف. وهي أنواع:

منها: ماروٰه شيخ الطائفة في التهذيب بسنده إلى اليسع القمّيّ، قال: قُلتُ لأبي عَبْدِالله عليه السَّلام: أُريدُ الشيءَ فَأسْتَخِيرَ الله، فَلا يُوفَّقُ فِيهِ الرَّأيُ، أَفْعَلُهُ أو أَدَعُهُ؟ فَقالَ: «انظرْ إذا قُمتَ إلى الصَّلاة -فإنَّ الشَّيطانَ أَبْعَدُ مايَكُونُ مِنَ الإنْسانِ إذا قامَ إلى الصَّلاة- أَيُّ شيءٍ يَقَعُ في قَلْبِكَ فَخُذْ بِهِ. وافْتَحِ المُصْحَفَ، فَانْظُرْ إلى أَوَّلِ ماتَرى فِيهِ فَخُذْ بِهِ إنْ شاء الله»(٢).

ومنها: ماذكره الطبرسي في كتاب مكارم الأخلاق: «يُصَلِّي صَلاةَ جَعْفَرٍ فإذا فَرَغَ دَعَى بِدُعائها ثُمَّ يَنْوِي فَرَجَ آلِ مُحمَّدٍ، بَدْءاً وَعَوْداً، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهمَّ إنْ كانَ في قَضائِكَ وَقَدرِكَ أنْ تُفَرِّجَ عَنْ وَلِيِّكَ وَحُجَّتِكَ في خَلْقِكَ في عَامِنا هذا، أو شَهْرِنا هذا، فَأَخْرِجْ لَنا رأس آيةٍ مِنْ كِتابِكَ، نَسْتَدِلُّ بها عَلى ذلِكَ. ثُمَّ يعِدُّ سَبْعَ وَرقاتٍ، وَيعِدُّ عَشْرَةَ أَسْطرٍ مِنْ ظَهْرِ الوَرَقَةِ السَّابِعَة، وَيَنْظُرُ مايأْتِيهِ في الحادِي عَشَر مِنْ السُّطورِ، ثُمَّ يُعِيدُ الفِعْلَ ثانِياً لِنَفْسِهِ، فإنَّهُ تَتَبَيَّنُ حاجَتُهُ إنْ شاء الله»(٣).

ومنها: مانقل من خطّ العلامة الحسن بن المطهّر الحلّي (طاب ثراه) روي عن الصادق عليه السَّلام قال: «إذا أَرَدْتَ الاسْتِخارَةَ مِنَ الْكِتابِ العَزيزِ، فَقُلْ بَعْدَ البَسْمَلَةِ: اللَّهمَّ إنْ كانَ في قَضائِكَ وَقَدرِكَ أنْ تَمُنَّ عَلَى شِيْعَةِ آلِ مُحمَّدٍ بِفَرَجِ وَلِيِّكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، فَأَخْرِجْ إلَيْنا آيَةً مِنْ كِتابِكَ، نَسْتَدِلُّ بها عَلى ذلِكَ.

---

(١) الكافي: ج٣ ص٤٧١ ح٤.

(٢) تهذيب الاحكام: ج٣، ص٣١٠، ح٦.

(٣) مكارم الأخلاق: ص٣٢٤.

....

ثُمَّ تَفْتَحُ المُصحَفَ، وَتَعُدُّ سِتَّ وَرقاتٍ، وَمِنَ السَّابِعَةِ سِتَّةَ أَسْطُرٍ، وَتَنْظُرُ مافيه»(١).

ومنها: ماذكره السيّد الجليل علي بن طاووس في كتاب الاستخارات. إنّ المتفئل بالمصحف يقرأ الحمد وآية الكرسي، وقوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب»(٢) الآية. ثمّ يقول: اللّهمّ إنْ كانَ في قَضائكَ وَقَدرِكَ أنْ تَمُنَّ عَلى أُمَّةِ نَبيِّكَ بِظُهور وَليّكَ وَابْنِ بِنْتِ نَبيِّكَ، فَعَجِّلْ ذلِكَ وَسَهِّلْهُ وَيَسِّرْهُ وَكَمِّلْهُ، وَأَخْرِجْ لي آيَةً أَستَدِلُّ بِها عَلى أَمْرٍ فأئتمرَ، أَوْ نَهيٍ فَأَنْتَهِيَ، وَمَا أُرِيدُ الفَألَ فِيهِ في عَافِيَةٍ. ثُمَّ افْتَحِ المُصْحَفَ وَعُدَّ سَبْعَ قَوائمَ، ثُمَّ عُدَّ مافي الصَفْحَةِ اليُمنى مِنَ الوَرقَةِ السَّابعَةِ، وَما في اليُسْرى مِنَ الوَرقَةِ الثامِنَةِ مِنْ لَفْظِ الجَلالَةِ، ثُمَّ عُدَّ قَوائمَ بِعَدَدِ الجَلالاتِ، ثُمَّ عُدَّ مِنَ الصَّفْحَةِ اليُمنى مِنَ القائمَةِ التي يَنْتَهي إلَيْها العَدَدُ أَسْطراً بَعَددِ لَفظِ الجَلالَةِ، وَتَفأَلْ بِآخِرِ سَطْرٍ مِنْ ذلِكَ يتبيّن لكَ الفأل إن شاءالله تعالى»(٣).

ومنها: مانقل واشتهر عن السيد المذكور أيضاً: من أراد الاستخارة بالقرآن المجيد، فليقرأ آية الكرسي إلى «هم فيها خالدون» وآية «وعنده مفاتح الغيب» إلى «مبين»، ثمّ يصلّي على النبي عشراً، ثمّ يدعو بهذا الدعاء «اللّهمّ إنّي توكّلت عليك، وتفألت بكتابك، فأرني ماهو المكتوم في سرّك، المخزون في غيبك، ياذاالجلال والإكرام. اللّهمّ أنت الحقّ، وأنزلت الحقّ بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله. اللّهمّ أرني الحقّ حقّاً حتّى أتبعه، وأرني الباطل باطلاً حتّى أجتنبه، برحمتك ياأرحم الراحمين. ثمّ تفتح المصحف وتعدّ الجلالات من الصفحة اليمنى، وتعدّ بعدد الجلالات أوراقاً من الصفحة اليسرى، ثمّ تعدّ الأسطر بعدد الأوراق من الصفحة اليسرى، فما يأتي بعد ذلك فهو بمنزلة الوحي.

(١) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٤٥. (٢) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٤٢ ح٤.

....

ومنها: الاستخارة بالرقاع. وفي كيفيّتها روايات:

منها: مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن علي بن محمَّدٍ، رفعه عنهم عليهم السَّلام: أنَّه قال لبعض أصحابه، وقد سأله عن الأمر يمضي فيه، ولا يجد أحداً يشاوره، فكيف يصنع؟ قال: شاور ربّك. قال فقال له: كيف؟ قال: إنو الحاجة في نفسك، ثمّ اكتب رقعتين، في واحدةٍ «لا»، وفي واحدةٍ «نعم»، واجعلهما في بندقتين من طين، ثمّ صلِّ ركعتين، واجعلهما تحت ذيلك، وقل: ياألله إنّي أشاورك في أمري هذا، وأنت خير مستشارٍ ومشيرٍ، فأشر عليّ بمافيه صلاح وحسن عاقبة. ثمّ أدخل يدك فإن كان فيها «نعم»، فافعل. وإن كان فيها «لا»، لا تفعل. هكذا تشاور ربّك(١).

ومنها: ماروي عن أمير المؤمنين عليه السَّلام: يُكْتَبُ بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، اللّهُمَّ إنّي أستَخيرُكَ خِيارَ مَنْ فَوَّضَ إلَيْكَ أمْرَهُ، وَأسْلَمَ إلَيكَ نَفْسَهُ، وَخلالَكَ وَجْهَهُ، وَتوكَّلَ عَلَيْكَ فِيما تَأْمُرُهُ به. اللّهُمَّ انْصُرْني وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِني إلى الخَيْراتِ، وَلا تُضِلَّني. اللّهُمَّ إنْ كانَ الخَيْرُ لي، أوْ لِفُلان، في كَذا فَخِرْ لي أوْلَهُ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شيء قَديرٌ. وَيُكْتَبُ في رُقْعَةٍ «إفْعَل» وَفي أُخْرى «لا»، وَيُجْعَلانِ في بُنْدُقَتَينِ، وَيُلْقَيانِ في المَاء، فَأيُّهُما شَقَّتْ الماءَ وَظهَرَتْ عَلى الماء،(٢) عَمِلَ عَلَيْها وَاُهْمِلَتِ الأُخْرى(٣).

ومنها: ماذكره الطبرسي في المكارم عن عبدالرحمن بن سبابة قال: خَرَجْتُ سَنَةً إلى مَكَّةَ، وَمَتاعي بزّ قَدْ كَسدَ عَلَيَّ، قالَ: فَأشارَ عَلَيَّ أصْحابُنا إلى أنْ أبْعَثَهُ إلى مِصْرَ، أو إلى اليَمَن، وَاخْتَلَفتْ عَلَيَّ آراؤهُمْ. فَدخَلْتُ عَلى العَبْدِ الصّالِح، بَعْدَ النفر بِيَومٍ وَنَحْنُ بِمكَّةَ فَأخْبرْتُهُ بِما أشار بِهِ أصْحابُنا، وَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِداكَ، فَما

---

(١) الكافي: ج٣ ص٤٧٣.

(٢) «الف»: عملت.

(٣) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٣٨ ح٤ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

....

تَرَى حَتّى أَنْتَهِيَ إلى مَا تَأْمُرني بِهِ؟ فَقالَ لي: ساهِمْ بَيْنَ مِصْرَ وَاليَمن، ثُمَّ فَوِّضْ في ذَلِكَ أَمْرَكَ إلى الله، فَأَيُّ بَلْدَة خَرَجَ سَهْمُها مِنَ الأَسْهُم فَابْعَثْ مَتاعَكَ إلَيْها، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ ، وَكَيْفَ أُساهِمُ؟ قال: اكْتُبْ في رُقْعَةٍ «بِسم الله الرَّحْمن الرَّحيم، اللّهمَّ أَنْتَ الله الذي لاإله إلاّ أَنْتَ، عالِمُ الْغَيْب وَالشهادَةِ، أَنْتَ العالِمُ، وأنا المُعَلَّمُ(١)، فَانْظُرْني في أيِّ الأَمْرَيَنِ خَيرٌ لي، حَتّى أَتوكّلُ عَلَيْكَ(٢)، وأَعْمَلُ بِهِ»، ثُمَّ اكْتُبْ «مصرُ إنْ شاء الله»، ثم اكتبَ رقعة أُخرى مثل مافي الرقعة الأُولى شيئاً فشيئاً، ثم اكتب «اليمنُ»، ثم اكتب رقعةً أُخرى مثل مافي الرقعتين شيئاً شَيئاً، ثمَّ اكتب «يُحبس(٣) المتاع ولا يبعث إلى بلد منهما»، ثم اجمع الرقاع وادْفعهن إلى بعض أصحابك فليسترها عنك(٤)، ثمَّ ادخل يدك ، فخذ رقعة من الثلاث، فأيُّها وقعت في يدك ، فتوكل على الله، واعمل بما فيها إن شاء الله(٥).

قال المؤلّف: عملت بهذه الاستخارة عند التردّد في سلوك طريقين مخوفين(٦) والتوقف عن السفر، فخرجت رقعة بسلوك واحد من الطريقين، فسلكته، ولم أر إلاّ خيراً.

ومنها: الاستخارة المشهورة التي مدار عمل الأصحاب عليها، وهي ماروواه ثقة الإسلام في الكافي عن غير واحدٍ، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمَّد البصري، عن القاسم بن عبدالرحمن الهاشمي، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبدالله عليه السَّلام، قال: إذا أردت امراً فخذ ست رقاع، فاكتب في ثلاث منها «بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة، إفعل» وفي ثلاث منها «بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة، لا تفعل»،

---

(١) هكذا في الاصل، والظاهر: «وأنا المتعلم».

(٢) وفي المصدر: اتوكل عليك فيه وهذا أنسب.

(٣) «الف» يحبس.

(٤) «الف»: منك .

(٥) مكارم الأخلاق: ص٢٥٥.

(٦) «الف»: طريقتين مخوفتين.

....

ثم ضعها تحت مصلاك ، ثم صل ركعتين، فاذا فرغت فاسجد سجدة، وقل فيها مائة مرة: «أستَخِيرُ الله برحْمَتِهِ، خيرةً في عافية» ثم استوِ جالساً، وقل: «اللّهمَّ خِرلي، واختر لي في جميع أُموري في يسرٍ منك وعافيةٍ، ثم اضرب بيدك إلى الرُّقاع فشوشها واخرج واحدة، فإن خرج ثلاث متواليات «إفعل»، فافعل الأَمر الذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات «لا تفعل»، فَلا تفعله، وإن خرجت واحدة «إفعل»، والأُخرى «لا تفعل»، فاخرج من الرقاع إلى خمس، فانظرْ أكثرها فاعمل به، ودع السادسة، لاتحتاج إليها(١).

وذكر هذه الرواية شيخ الطائفة في التهذيب أيضاً لكن عن ثقة الاسلام، بالسند المذكور(٢).

وأنكر ابن إدريس الاستخارة بالرقاع مطلقاً، فقال في السرائر: أما الرقاع والبنادق والقرعة فمن أضعف أخبار الآحاد وشواذّ الأخبار؛ لأنّ من رواتها فطحيّة مطعونون، مثل زرعة ورفاعة، وغيرهما، فلا يلتفت إلى مااختصّا بروايته، ولايعرج عليه. والمحصّلون من أصحابنا مااختاروا في كتب الفقه إلّا مااخترناه من الاستخارة بالدعاء، ولا يذكرون البنادق والرقاع والقرعة إلّا في كتب العبادات، دون كتب الفقه، وشيخنا أبوجعفر الطوسيّ لم يذكر في نهايته ومبسوطه واقتصاده إلّا ماذكرناه واخترناه ولم يتعرّض للبنادق، وكذلك المفيد في رسالته إلى ولده لم يتعرّض للرقاع والبنادق، بل أورد روايات كثيرة، فيها صلوات وأدعية، ولم يتعرّض لشيء من الرقاع(٣) إنتهى.

وتعقّبه العلّامة الحلّيّ في كتاب المختلف، فقال: هذا الكلام في غاية الرداءة، وأيّ فارق بين ذكره في كتب الفقه، وكتب العبادات؟ فإنّ كتب العبادات هي

---

(١) الكافي: ج٣ ص٤٧١.

(٢) تهذيب الاحكام: ج٣ ص١٨١.

(٣) السرائر: ص٦٩ مع اختلاف جداً يسير في العبارة.

....

المختصّة به. ومع ذلك فقد ذكره المفيد في المقنعة، وهي كتاب فقه وفتوى، وذكره الشيخ في التهذيب، وهو أُصول الفقه، وأيُّ محصّل أعظم من هذين؟ وهل استفيد الفقه إلّا منهما؟

وأمّا نسبة الرواية إلى زرعة ورفاعة فخطأ، فإنّ المنقول فيه روايتان:

إحداهما: رواها هارون بن خارجة عن الصادق عليه السَّلام. والثانية: رواها محمّد بن يعقوب الكليني، عن علي بن محمّد رفعه عنهم عليهم السَّلام.

وليس في طريق الروايتين زرعة ولا رفاعة. وأمّا نسبة زرعة ورفاعة إلى الفطحيّة فخطأ، أمّا زرعة فإنّه واقفي، وكان ثقة، وأمّا رفاعة، فإنّه ثقة صحيح المذهب. وهذا كلّه يدلّ على قلّة معرفته بالروايات والرجال، وكيف يجوز ممّن حاله هذا أن يقدم على ردّ الروايات والفتاوى، ويستبعد مانصّ عليه الائمة عليهم السَّلام. وهلا استبعد القرعة، وهي مشروعة إجماعاً في حقّ الأحكام الشرعيّة، والقضاء بين الناس، وشرعها دائم في حقّ جميع المكلفين. وأمر الإستخارة سهل يستخرج منه الإنسان معرفة مافيه الخيرة في بعض أفعاله المباحة المشتبهة عليه منافعها ومضارّها الدنيويّة(١). إنتهى كلامه.

وقال الشيخ الشهيد محمّد بن مكي في كتاب الذكرى مانصّه: إنكار ابن إدريس الاستخارة بالرُّقاع، لامأخذ له، لإشتهارها بين الأصحاب، وعدم رادٍّ لها سواه، ومن أخذ أخذه كالشيخ نجم الدين في المعتبر، حيث قال: هي في حيّز الشذوذ فلا عبرة بها. وكيف تكون شاذّة وقد دوّنها المحدّثون في كتبهم، والمصنّفون في مصنّفاتهم، وقد صنّف السيد العالم العابد صاحب الكرامات الظاهرة، والمآثر الباهرة رضي الدين أبوالحسن علي بن طاووس الحسني رحمه الله كتاباً ضخماً في الاستخارات واعتمد فيه على رواية الرقاع، وذكر من آثارها عجائب وغرائب أراه

---

(١) مختلف الشيعة: ص١٢٨.

....

الله تعالى إيّاها، وقال: إذا توالى الأمر في الرقاع فهو خير محض، وإن توالى النهي، فذلك النهي شرّ محض، وإنْ تفرّقت كان الخير والشرّ موزّعاً بحسب تفرّقها على أزمنة ذلك الأمر بحسب ترتبها(١). إنتهى كلامه، رفع مقامه.

ومنها: الاستخارة بالسبحة. وكيفيّتها على وجوه:

الأوّل: ماذكره صاحب كتاب السعادات مرويّاً عن الصادق عليه السَّلام: تقرأُ الحمد مرّة، والإخلاص ثلاثاً، وتصلّي على محمَّدٍ وآله خمس عشرة مرّةً، ثم تقول: «اللّهمَّ إنّي أسألك بحق الحسين وجدّه، وأبيه وأُمّه وأخيه والأئمة من ذريّته، أن تصلّي على محمَّدٍ وآل محمَّدٍ، وأنْ تجعل لي الخيرة في هذه السبحة، وأن تُريني ماهو الأصلح لي في الدين والدُّنيا، اللّهمَّ إن كان الأصلح لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فعل ماأنا عازم عليه فأمرني، وإلّا فانهني، إنك على كلّ شيءٍ قديرٌ». ثم تقبض قبضة من السبحة وتعدُّها، وتقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله» إلى آخر القبضة، فإن كانت الأخيرة «سبحان الله» فهو مخيرٌ بين الفعل والترك، وإن كان الحمد لله فهو أمر، وإن كان لاإله إلّا الله فهو نهي(٢).

الثاني: ماذكره الشهيد قدّس سرّه في كتاب الذكرى قال: ولم تكن هذه مشهورة في العصور الماضية، قبل زمان السيد الكبير العابد رضيّ الدين محمَّد بن محمَّد الآوي الحسيني المجاور بالمشهد المقدّس الغرويّ رضي الله عنه، وقد رويناها عنه. وجميع مرويّاته، عن عدّة من مشايخنا، عن الشيخ الكبير الفاضل جمال الدين ابن المطهّر، عن والده رضي الله عنهما، عن السيد رضيّ الدين، عن صاحب الأمر عليه الصلاة والسَّلام: يَقرأُ الفاتحة عشراً، وأقلّه ثلاث، ودونه مرّة، ثمَّ يقرأُ القدر عشراً، ثمّ يقول هذا الدعاء ثلاثاً: «اللّهمَّ إنّي أستخيرك لعلمك بعاقبة الأمور،

---

(١) ذكرى الشيعة: ص٢٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٥٠ ـ ٢٥١، ح٥ نقلاً من كتاب السعادات.

....

وأستشيرك لحسن ظنّي بك في المأمور والمحذور، اللّهمَّ إنْ كان الأمر الفلاني ممّا قد نيطت(١) بالبركات أعجازه(٢) وبواديه(٣) وحفَّت بالكرامة أيامه ولياليه، فخر لي اللّهمَّ فيه خيرةً تردُّ شموسه ذلولاً وتقعضُ(٤) أيامه سُروراً، اللّهمَّ إمّا أمرٌ فأئتمر، وإمّا نهيٌ فأنتهي، اللّهمَّ إني استخيرك برحمتك خيرة في عافية». ثم يقبض علي قطعة من السبحة، ويضمر حاجته، فإن كان عددُ تلك القطعة زَوجاً، فهو «إفعل»، وان كان فرداً «لا تفعل»، أو بالعكس(٥).

وذكر ابن طاووس قدّس سرّه هذه الاستخارة في كتاب الاستخارات، فقال: وجدته بخط أخي الصالح الرضي الآوي محمَّد بن محمَّد الحسيني «ضاعف الله سيادته، وشرّف خاتمته» ماهذه لفظه عن الصادق عليه السَّلام: من أراد أن يستخير الله تعالى، فليقرأ الحمد عشر مرّاتٍ، وإنّا أنزلناه عشر مرّات، ثم يقول وذكر الدعاء، إلّا أنّه قال عقيب قوله «والمحذور»: «اللّهمَّ إن كان أمري هذا قد نيطت بالبركات اعجازه وبواديه»، وعقيب قوله: «أيّامه سروراً» «يا الله إمّا أمر فائتمر، وإمّا نهي فانتهي، اللّهمَّ خِرلي بِرحمتك خيرة في عافية» ثلاث مرّات، ثمَّ يأخذ كفّاً من الحصى أو سبّحة(٦).

الثالث: مارواه الشيخ المرحوم يوسف بن حسين ابن ابي «طاب ثراه»، عن الشيخ الشهيد محمَّد بن مكي عطر الله مرقده، تقرأ «إنَّا أنزلناه» عشر مراتٍ، ثم تدعو بهذا الدعاء «اللّهمَّ إني أستخيرك لعلمك بعاقبة الأُمور، وأستشيرك لحسن ظنّي بك في

---

(١) نيطت: أي تعلقت، وناط الشيء: تعلق.

(٢) اعجازه: أي آخره.

(٣) بوادية: أي أوّله.

(٤) قعضت العوذ عطفته، كما تعطف عروش الكرم والهودج.

(٥) ذكرى الشيعة: ص٢٥٢.

(٦) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٤٧ ح١.

....

المأمول والمحذور، اللّهم إن كـان الأمر الذي عزمت عليه ممّا نيطت البركة بأعجازه وبـواديه، وحُفّـت بالكـرامة ايامه ولـياليـه، فاسألك بمحمّد وعلي وفـاطمة والحسن والحسين وعلي ومحـمّـد وجعفـر ومـوسـى وعلي ومحمّد وعلي والحسـن والحجّة القائم عليه السّلام، أن تصلّي على محمّد وعليهم أجمعين، وان تخير لي فيه خيرة ترد شموسه ذلولاً، وتـقعض(١) ايامه سروراً، الـلهـمّ إن كان أمراً فاجعـله في قبضة الفرد، وإن كان نهياً فاجعله في قبضة الزوج» ثم تقبض على السبحة وتعمل على مايخرج(٢).

تتمّة

الأدعية المأثورة للاستخارة كثيرة جدّاً.

فمنها، وهو من أدعية السرّ: يامُحمَّد من هم بأمرين فأحب أن اختار له ارضاهُما إليّ فالزمه إيّاه، فلـيقل حين يريد ذلك: «اللّـهمَّ اخْتر لي بعلمك، ووفقني بـعلمك لرضاكَ ومحبّتك، اللّـهمَّ اختر لي بقدرتك، وجنّبني بـعزتك مقتك وسخطـك، اللّهمَّ فاختر لي بما(٣) أُريد مِنْ هـذين الأمـرين ـ ويسمّيهما ـ أحبَّهما إلـيك، وأرضـاهما لك، وأقربهما مِنـك، اللّـهمَّ إنّي اسـألك بـالقدرة التي زَويْت بِهـا عَلم الأشياء عـن جميع خـلقك، أن تصلّي على محمَّدٍ وآل محـمَّدٍ، واغْلـب بالي وهواي وسـريرتي وعلانيتي بأخـذك، واسْفـع بناصيتي إلى ماتـراه لك رضاً ولي صلاحاً فيما أستخـيرك، حتّى تلـزمني مِـن ذلك أمراً أرضـى فـيه بحكمك، واتّـكل فيـه على قضـائك، واكتفي فـيه بقـدرتك، ولا تـقلبني، وهـواي لهواكَ مخـالفٌ، ولا مـاأُريدُ لما تـريد مجـانب، اغلب بـقدرتك ـ التي تقضي بها مـاأحببت على ماأحببـت ـ بهواك هواي، ويسّرني لليُسرى التي ترضى بهـا عن صاحبهـا، ولا تخذلني بعد تـفويضي إلـيـك أمري برحمتك التي

---

(١) «الف»: تقعص.

(٢) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٥١ ح٦.

(٣) «الف» ما.

....

وسعت كلَّ شيء اللّهمَّ أوقع خيرتك في قلبي، وافتح قلبي للزومها، يا كريم آمين» فإنَّه إذا قال ذلك أُخذت له منافعه في العاجل والآجل(١).

ومنها: ماروي عن الرضا عليه السَّلام، وهو من أدعية الوسائل إلى المسائل «اللّهمَّ إنَّ خيرتك فيما أستخيرك فيه، تُنيل الرغائب وتجزل المواهب وتغنم المطالب، وتطيب المكاسب، وتهدى إلى أجمل المذاهب، وتسوق إلى أحمد العواقب، وتقي مخوف النوائب. اللّهمَّ إنّي أستخيرك فيما عزم رأيي عليه، وقادني عقلي إليه، فسهِّل -اللّهمَّ- منه ماتوعَّر، ويسِّر مِنه ماتعسَّر، واكفِني فيهِ المهمَّ وادْفَع عَنّي كلَّ مُلِمٍّ، واجعل -ربِّ- عواقبه غُنماً، ومخوفه سلماً، وبعده قرباً، وجدبه خصباً، وأرسل -اللّهمَّ- إجابتي، وأنجح طلبتي، واقض حاجتي، واقطع عوائقها، وامنع بوائقها، واعطني -اللّهمَّ- لواء الظفر بالخيرة فيما استخرتك، ووفور النِّعم فيما دعوتك، وعوائد الإفضال فيما رجوتك، واقرنهُ اللّهمَّ -ربِّ- بالنجاح، وحطه بالصَّلاح، وأرني أسباب الخيرة واضحة، وأعلام غنمها لائحة، واشدد خناق تعسُّرها، وأنعش صريع تيسرها، وَبيِّن -اللّهمَّ- ملتبسها، وإطلق محتبسها، ومكِّن اسُّها حتى تكون خيرةً مقبلة بالغنم، مزيلة للغرم، وعاجلة النفع، باقية الصنع، إنَّك ولي المزيد، مبتدئ بالجود»(٢).

ومنها: مارواه معاوية بن ميسرة عن الصادق عليه السَّلام، أنَّه قال: مااستخار الله عبد سبعين مرَّة بهذه الاستخارة إلّا رماه الله بالخيرة. يقول: «ياأبصرَ الناظرين، ويا اسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صلِّ على محمَّدٍ وأهل بيته، وخرلي في كذا وكذا»(٣).

ومنها: ماروي عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو: اللّهمَّ إنّي

---

(١) بحار الأنوار: ج٩١ ص٢٦٨ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

(٢) بحارالأنوار: ج٩١ ص٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٥ ص٢١٤ ح٣.

....

أستخيرك خيرةً من فوّض إليك أمره، وأسلم إليك نفسه، واستسلم إليك في أمره، وخلالك وجهه، وتوكّل عليك فيما نزل به، اللّهمّ خرلي، ولا تخر عليّ، وكن لي ولا تكن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وأعني ولا تُعن عليّ، وأمكني ولا تمكن مِنّي، واهدني إلى الخير ولا تضلّني، وأرضني بقضائك، وبارك لي في قدرتك، إنّك تفعل ماتشاء وتحكمُ ماتريد، وأنت على كلّ شيء قديرٌ. اللّهمّ إن كان لي الخيرة في أمري هذا في ديني ودنياي وعاقبة أمري فسهّله لي، وإن كان غير ذلك فاصرفه عنّي، ياأرحم الراحمين، إنّك على كل شيء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل(١).

ومنها: ماروي عن القائم عليه السّلام يدعى به للاستخارة والحاجة وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهمّ إني اسألك باسمك الذي عزمت به على السماوات والأرض فقلت لهما «ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين» وباسمك الذي عزمت بِه على عصا موسى، فإذا هي تلقف مايأفكون. وأسألك باسمك الذي صرفت به قلوب السحرة إليك، حتّى قالوا: آمنّا بربّ العالمين. وأسألك بالقدرة التي تُبلي بها كلّ جديد، وتجدّد بها كلّ بالٍ، واسألك بكلّ حقٍّ هولك، وبكلّ حقٍّ جعلتهُ عليك، إن كان هذا الأمر خيراً لي، في ديني ودنياي وآخرتي، أن تصلّي على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وتسلّم عليهم تسليماً، وتهيّئه لي، وتسهّله عليّ، وتلطف لي فيه، برحمتك ياأرحم الراحمين، وإن كان شرّاً لي في ديني ودنياي وآخرتي، أن تصلّي على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وتسلّم عليهم تسليماً، وأن تصرفه عنّي بما شئت، وكيف شئت، وترضيني بقضائك، وتبارك لي في قدرك، حتى لاأُحبُّ تعجيل شيء أخّرته، ولا تأخير شيء عجلته، فإنه لاحول ولا قوّة إلّا بِك، ياعليُّ ياعظيم، ياذاالجلال والاكرام»(٢).

---

(١) بحارالأنوار: ج٩١ ص٢٨٤.

(١) بحار الأنوار: ج٩١ص٢٧٦.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللّهمّ إنّي أستخيرُك بعِلمِك، فصلِّ على محمَّدٍ وآلِه واقضِ لي بالخِيَرة، وألهِمْنا معرفة الاختيار، واجعلْ ذلك ذريعةً إلى الرضا بما قضيْتَ لنا، والتسليمَ لما حكمْتَ.

ولنكتف منها بهذا المقدار، فإنّ فيه الكفاية إن شاء الله تعالى، ونشرع الآن في شرح الدعاء.

أستخيرك أي أطلب منك أنّ تختار لي أصلح الأمرين أو الأُمور.

والباء من قوله: «بعلمك»، إمّا للسببيّة، أي بسبب علمك بخيري وشرّي، أو للملابسة، أي ملتبساً بعلمك بخيري وشرّي، أو للاستعانة، أي مستعينا بعلمك فإنّي لاأعلم فيم خيري، أو للقسم الاستعطافي، أي بحقّ علمك.

واقض لي بالخيرة أي احكم لي بالخيرة، من القضاء بمعنى الحكم، أو أوجب لي الخيرة من قضى بمعنى أوجب.

قال الأزهريّ: القضاء لغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكلّ ماحكم عليه(١) أو اتمّ او حتم أو ادّي: إذا وجب أو انفذ أو أمضى فقد قضي(٢).

والخيرة بسكون الياء وفتحها، يقال: هما لغتان بمعنى واحدٍ. وقيل: الأُولى اسم من الاختيار، كالفدية اسم من الافتداء. والثانية اسم من تخيّرت الشيء، كالطيرة أسم من تطيّر. وقيل: هي بفتح الياء بمعنى الخيار. والخيار هو الاختيار.

وألهمه الله الأمر: ألقاه في روعه وقلبه، ولقّنه إيّاه.

والاختيار: فعل ماهو خير وأخذه.

والذريعة: الوسيلة.

---

(١) «ألف»: علمه.

(٢) تهذيب اللغة: ج٩ ص٢١١ نقلاً بالمعنى.

فأزِحْ عنّا ريبَ الارتياب،وأيّدنا بيقين المخلِصينَ، ولا تَسِمْنا عَجْزَ المعرفةِ عمّا تخيّرت فَنغمِط قدرَك ، ونكرَهَ موضع رضاك ، ونجنحَ إلى التي هي أَبعدُ من حسن العاقبة، وأَقربُ إلى ضدِّ العافية.

والإشارة بذلك إلى الإلهام، أو إلى معرفة الاختيار. والمراد معرفة اختياره تعالى لما يختاره له، أي وجه الحكمة والمصلحة فيه، ليكون سبباً للرضا بقضائه تعالى، والتسليم لحكمه. لأنّه إذا عرف خيريّة ما اختاره الله تعالى، تلقّاه بالقبول والرضا، وأخلص التسليم لما حكم وقضى.

وغرضه عليه السَّلام بذلك تأييد إيقانه، وازدياد قلبه اطمئناناً إلى اطمئنانه، كما قال إبراهيم عليه السَّلام «بلى ولكنْ ليطمئنّ قلبي»(١) وإلّا فالعلم بأنّه تعالى عدلٌ حكيم، لايفعل شيئاً إلّا على ماتقتضيه الحكمة، وتستدعيه المصلحة كافٍ في الرضا والتسليم. على أنّ للرضا مبدأ ومنتهى، فمبدأه سكون القلب إلى أحكام الله تعالى، ومنتهاه فرح القلب وسروره بنزول الأحكام في الحلو والمرّ. فسؤاله عليه السَّلام معرفة الاختيار لحصول المنتهى، وإن كان الأوّل حاصلاً، وهو من باب سؤال حقّ اليقين بعد علم اليقين. والله أعلم.

الفاء: عاطفة سببيّة.

وزاح الشيء يزيح زيحاً: بعد وذهب، وأزاحه غيره.

وفي الأساس: أزاح الله العلل، وأزحت علته فيما يحتاج إليه، وزاحت علّته وانزاحت، وهذا ممّا تنزاح به الشكوك عن القلوب(٢).

والريب: قلق النفس واضطرابها.

والارتياب: الشكّ، مصدر ارتاب في الأمر، إذا شكّ فيه. أي أذهب عنّا القلق والاضطراب الذي يوجبه الشكّ، أو مايقلق النفس، ويشخص بالقلب من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) أساس البلاغة: ص٢٨٠.

....

الشكّ والارتياب، كقولهم: ريب المنون وريب الزمان.

قال الزمخشري في الكشّاف: الريب مصدر رابني إذا حصل فيه(١) الريبة، وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها. ومنه ماروى الحسن بن علي عليهماالسَّلام، قال: سمعت رسول الله، صلّى الله عليه وآله، يقول: «دع مايريبك إلى مالايريبك فإنّ الشك ريبة، والصدق طمأنينة» أي فانّ كون الأمر مشكوكاً فيه ممّا تقلق له النفس، ولا تستقرّ، وكونه صحيحاً صادقاً ممّا تطمئن له وتسكن. ومنه ريب الزمان، وهو مايقلق النفوس، ويشخص بالقلوب من نوائبه(٢). إنتهى.

ويحتمل أن يكون المراد بالريب التهمة. فإنها من معانيه، كمانصّ عليه الفيروزآبادي في القاموس(٣).

وعلى كلّ حال فالمراد بالارتياب والشكّ خلاف اليقين بأن يتوهّم أو يظنّ أنّ أفعاله تعالى قد تجْري على خلاف العدل، أو أنّ حكمته سبحانه قد يفوتها شيء من المصالح، فيريبه ذلك ويقلقه ولا تطمئنّ نفسه إذا وقع الأمر على خلاف هواه، أو يحمله ذلك على تهمته ـ تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ بانّه فعل به غير الأصلح، أو اختار له شرّ الأمرين.

روى البرقي في محاسنه عمّن ذكره، عن بعض أصحابه، قال: قلتُ لأَبي عبدالله عليه السَّلام: من اكرم الخلق على الله؟ قال: أكثرهم ذكراً لله، وأَعملهم بطاعته. قلت: فمن أبغض الخلق إلى الله؟ قال: من يتَّهم الله، قلت: وأحدٌ يتَّهم الله؟ قال: نعم، من استخار فجاءته الخيرة بما يكرهُ فسخط، فذلك يتهم الله(٤).

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السَّلام: التوحيد أن لا تتوهَّمه، والعدل أن لا تتَّهمه(٥).

---

(١) «الف»: منك.

(٢) تفسير الكشاف: ج١ ص٣٤.

(٣) القاموس المحيط: ج١ ص٧٧.

(٤) المحاسن للبرقي: ص٥٩٨.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٥٨ الحكم ٤٧٠.

....

والمراد بإزاحة ريب الارتياب إزاحة الارتياب مطلقاً، من باب نفي الشيء بنفي لازمه، كقوله:

من أُناس ليس في أخلاقهم، عاجل الفحش ولا سوء الجزع. أي لافحش ولاجزع أصلاً.

فإن قلت: قد قررت أنّ سؤاله عليه السَّلام إلهام معرفة الاختيار وجعله ذريعة إلى الرضا والتسليم لتأييد الإيقان، وازدياد الاطمئنان، وقضيّته عدم حصول الشكّ والارتياب رأساً، فكيف يكون قوله: «فأزح عنّا ريب الارتياب» متسبّباً عن ذلك السؤال، وإزاحة الشيء وإذهابه إنّما يكون بعد حصوله وتحقّقه.

قلت: ليس المراد بالإزاحة والإذهاب هنا، إزالة ريب الارتياب بعد كونه وحصوله، وإن كان ذلك معناه في أصل الوضع. بل هو من قبيل قوله تعالى: «إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»(١) ومعناه حسم أسباب الرجس، وعدم الإعداد له رأساً لاإزالته بعد حصوله. ولذلك قال الزمخشري: بيّن تعالى بهذه الآية أنّه إنّما يريد أن لايقارف أهل البيت رسول الله، المآثم، وأن يتصوّنوا عنها بالتقوى(٢).

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: الرِّجس في هذه الآية هو الشكُّ(٣).

وفي رواية: عنه عليه السَّلام: والله لانشكُّ في ربّنا أبداً(٤).

والتعبير عن حسم الأسباب وعدم الإعداد بالإزاحة والإذهاب، من باب سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل، أي أنشأهما كذلك، وقولك للحفّار: ضيّق فمّ الركيّة ووسّع أسفلها، أي احفرها كذلك.

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.
(٢) تفسير الكشّاف: ج٣ ص٥٣٨.
(٣) تفسير البرهان: ج٣ ص٣١٠ ح٥.
(٤) تفسير البرهان: ج٣ ص٣٠٩ ح٢.

....

قال الزمخشري: وليس ثمَّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنّما أردت الإنشاء على تلك الصفات. والسبب في صحّته أنّ الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين، وهو متمكّن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه منه كنقله منه(١). إنتهى.

واستعمال هذا المجاز وقع في القرآن المجيد في غير موضع:

منه قوله تعالى: «وجعلنا اللَّيل والنَّهار آيتين فمحونا آية اللَّيل»(٢) الآية.

قال العلّامة العمادي: محوها جعلها محوة الضوء، مطموسة. لكن لابعد أن لم تكن كذلك، بل إبداعها كذلك، كما في قولهم: سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل(٣).

ومنه قوله تعالى: «ربَّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين»(٤).

قال الزمخشري: أراد بالإماتتين: خلقهم أمواتاً أوّلاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم. وصحّ تسمية خلقهم أمواتاً إماتة، كما صحّ أن تقول: سبحان من صغّر البعوضة وكبّر جسم الفيل(٥). إنتهى. والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «وأيدنا بيقين المخلصين».

التأييد من الله سبحانه: تقوية أمر الإنسان من داخل بالبصيرة، ومن خارج بقوّة البطش. والأوّل قال تعالى: «إذْ أيّدتك بِروح القدس»(٦).

واليقين: العلم مع زوال الشكّ وعدم طريانه.

---

(١) تفسير الكشاف: ج٤ ص١٥٤.

(٢) سورة الاسراء: الآية ١٢.

(٣) تفسير أبي السعود: ج٥ ص١٥٩.

(٤) سورة غافر: الآية ١١.

(٥) تفسير الكشاف: ج٤ ص١٥٤.

(٦) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

....

والمخلصين على صيغة الفاعل: هم الذين أخلصوا الدين والعبادة لله، فلم يشركوا به، ولم يعصوه.

وقيل: هم الذين يخفون حسناتهم كما يخفون سيّئاتهم.

ولمّا كان لليقين مراتب مرتّبة في الفضل، أوّلها علم اليقين، وثانيها حقّ اليقين، وثالثها عين اليقين، وكان الأوّل حاصلاً بالبرهان، والثاني والثالث حاصلين بالكشف والمجاهدات والرياضات النفسانيّة، والهدايات الخاصّة بالأولياء المخلصين، سأل عليه السَّلام التأييد بيقينهم.

قوله عليه السَّلام: «ولا تسمْنا عَجز المعرفة عمّا تخيرّت». سمت فلاناً الأَمر سوماً: كلّفته إيّاه.

وفي كتاب العين: السوم: أن تجشّم إنساناً مشقّة أو خطة شرٍّ(١).

وقال الراغب: السوم: الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركّب من الذهاب والابتغاء، فأُجري مجرى الذهاب في قولهم: سامت الإبل، فهي سائمة، ومجرى الابتغاء في قولهم: سمت كذا، قال تعالى: «يسومونكم سوء العذاب». وقيل: سيم فلان الخسف، ومنه: السوم في البيع(٢). إنتهى.

وسؤال عدم السوم والتكليف بعجز المعرفة من قبيل «اللّهمَّ لا تسلّط علينا من لايرحمنا» أي لاتخلّ بيننا وبين من لايرحمنا، فيسلّط علينا، فكأنّه قال: لاتخل بيننا وبين أنفسنا بمنعك التوفيق واللطف عنا، فتعجز معرفتنا عمّا تخيّرت. وهذا فزع منه عليه السَّلام إلى ألطاف الله تعالى جرياً على سنن الأنبياء والأوصياء والصالحين في قصد نيل الخيرات، والنجاة من الشرور على جناب الله عزّوجلّ، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم، ومبالغة في استدعاء لطفه تعالى في صرف الجهل

---

(١) كتاب العين: ج٧ ص٣٢٠. وفيه: «وخطة من الشر».

(٢) المفردات: ص٢٥٠.

....

بما يختاره له بإظهار أن لاقدرة له بمعرفته والعلم به مالم يعرفه.

وفي رواية «ولا تسِمْنا» بكسر السين، من وسمه يسمه وسماً، من باب وعد، والاسم السمة، وهي العلّامة والأثر.

وقال الجوهري: وسمه وسماً وسمة إذا أثّر فيه بسمة وكيّ(١).

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز وسمه بالهجاء وهو موسوم بالخير والشر(٢). إنتهى.

والأصل: ولا تسمنا بعجز المعرفة، فحذف الجار وأوصل الفعل، كما قالوا: أمرتك الخير، والأصل أمرتك بالخير ومثله كثير في كلامهم.

قوله عليه السَّلام: «فنغمط قدرك، ونكره موضع رضاك». «الفاء»: عاطفة سببيّة.

وغمطه يغمطه غمطاً، من باب -ضرب وقتل وسمع- ازدراه واحتقره، والنعمة كفرها فلم يشكرها.

القدر-بالسكون-: إمّا بمعنى القدر-بالتحريك- أي التقدير، ومنه ليلة القدر.

قال في الكشّاف: معنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأُمور وقضائها من قوله: «فيها يفرق كلُّ أمر حكيم»(٣) إنتهى.

وإمّا بمعنى الخطر وعظم الشأن، ومنه: «وما قدروا اللهَ حقَّ قدرِه»(٤)، أي ماعظّموه حقّ عظمته، وقيل «في ليلة القدر» سمّيت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي.

والمعنى على الأوّل: فنحتقر تقديرك المشتمل على المصلحة، أو نكفره ولا نشكره.

---

(١) الصحاح: ج٥ ص٢٠٥١.

(٢) أساس البلاغة: ص٦٧٥.

(٣) تفسير الكشاف: ج٤ ص٧٨٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

....

وعلى الثاني: فنحتقر عظم شأنك بالكراهة لما تخيّرت.

وموضع رضاه تعالى: كناية عمّا اختاره وقدّره وقضاه سبحانه لتعلّق مشيئته ورضاه به، فكأنّه موضع ومحلّ لرضاه سبحانه. وهذا يسمّيه أرباب البديع الإرداف، وهو أن يريد المتكلّم معنى فلا يعبّر عنه بلفظه(١) الموضوع له، بل بلفظ هو ردفه وتابعه كقول الشاعر:

كأنّ ظباه المشرفيّة من كرى فما تبتغي إلّا مقرّ المحاجر

أراد بمقر المحاجر الرؤوس. والمحاجر: جمع محجر، كمسجد، وهو ماحول العين.

قوله عليه السّلام: «وَ نجنح إلى التي هي أبعد من حسن العاقبة» إلى آخره.

جنح إلى الشيء يجنح -بفتحتين- وجنح جُنوحاً، من باب -قعد- لغة: مال إليه، من قولهم: جنحت السفينة؛ أي مالت إلى أحد جانبيها.

أي يميل إلى الحالة التي هي أبعد الحالات من حسن العاقبة، أو إلى الخصلة أو الطريقة. وفي حذف الموصوف وإبهامه فخامة يعرفها أهل البلاغة لعموم الاعتبار، وذهاب الوهم كلّ مذهب.

قال الزمخشري: أيّما قدرت من الموصوفات في هذا المقام لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه(٢). إنتهى.

قال صاحب الكشف: وذلك لما في الإبهام من الدلالة على أنّه جرى الوادي فطم على الركى(٣). إنتهى.

وحسن العاقبة: أي حسن الخاتمة، وعاقبة كلّ شيء وعقباه، خاتمته.

وضدّ الشيء: مالا يجتمع معه، كالسواد الذي هو ضدّ البياض.

---

(١) «الف»: بلفظ.

(٢) يحتمل في الناس لايوجد فيه.

(٣) لم نتحقّقه.

حَبِّبْ إلَيْنَا مَا نَكره مِنْ قَضائك، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا مَا نَستصْعِبُ مِنْ حُكْمِكَ، وَأَلهِمْنَا الانقيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنا مِنْ مَشِيَّتِكَ، حَتّى لانُحبَّ تَأخيرَ ماعَجَّلْتَ، وَلا تَعْجِيلَ مَا أخَّرْت، وَلا نَكْرَه مَا أَحبَبْتَ، وَلاَ نَتخيَّر مَا كَرهتَ.

وما أبلغ قوله عليه السَّلام: «وأقرب إلى ضدّ العافية» فإنّ العافية متناولة لدفع جميع المكروهات في الظاهر والباطن، والدين والدنيا والآخرة، فيكون ضدّها متناولاً لجلب جميع المكروهات، فيما ذكر وفي هاتين الفقرتين من البديع الطباق، بين «أبعد، وأقرب»، وجناس التصحيف في «العاقبة والعافية». والله أعلم.

فصل عليه السَّلام الجملة الأُولى عمّا قبلها: لكمال الإتّصال، لكونها ومابعدها كالبدل من الكلام السابق؛ إذ كانت أوفى بتأدية المراد، الذي هو سؤال عدم الكراهة لما اختاره سبحانه، وما يترتّب عليها من إستصعاب حكمه وعدم التسليم لمشيئته تعالى، فإنّ هذا المعنى تضمّنه الكلام السابق، لكن لايدلّ عليه دلالة هذه الجمل، فإنّ دلالتها عليه بالمطابقة، وذلك بالالتزام، فكانت أوفى بتأدية المراد منه.

وحبّبت إليه الشيء: جعلته محبوباً لديه. وتحبيبه تعالى للطاعات ونحوها إلى عباده يكون بإفاضة(١) وجوه الألطاف والتوفيق. فلا دلالة في ذلك على مسألة خلق الأعمال، كما تزعمه الأشاعرة.

واستصعبت الأمر: وجدته صعباً.

وتسهيله مايستصعب من حكمه يكون بعنايته المهيئة للذهن والنفس قبول ذلك بسهولة.

وإلهامه الانقياد لمشيّته:(٢) يكون بتأييد خاصّ باطني، يقوّي به عقله على قهر نفسه الأمّارة بالسوء، فتنقاد وتذعن لذلك، ومرجع ذلك كلّه إلى الألطاف الداعية إليه.

---

(١) «الف»: بافاضته.

(٢) «الف»: لمشيئته.

....

والمراد بالكراهة والاستصعاب المذكورين: كراهة الطباع واستصعابها لاعلى وجه السخط، فقد يكون الشيء مكروهاً صعباً عند الإنسان في طبعه، ومن حيث تنفر نفسه عنه، ويشقّ عليها، وإن كان يريده. لأنّ الله تعالى أمر به، كالصوم في الصيف، والإحرام في الشتاء. فسؤاله عليه السّلام تحبيب ذلك، وتسهيله: جعله ملائماً للطبع، مقبولاً عند النفس، غير شاقّ عليها، لتزول الكراهة والاستصعاب، بمقتضى الطبع.

و«حتى» مرادفة لـ«كي» التعليليّة، أي «كَيْ لانُحِبَّ تأخير ماعجَّلت» إلى آخره، وذلك أنّ علمه تعالى فعليّ، يعلم الأسباب ومايترتّب عليها. والحوادث وما نشأت هي منها، فهو محيط بالمبادئ والغايات، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض والسماوات، فما يعجّله ومايؤخّره، وما يحبّهُ ومايكرهه لايكون إلّا عن مصلحة وحكمة، فهو لا يختار للعبد إلّا مافيه خيره وصلاحه.

وأمّا علم البشر فهو انفعاليّ، فربّما عكس التصورات فظنّ المبادئ غايات، وبالعكس، والمصالح مفاسد، وبالضد. فيجب على العبد أنْ يتصوّر قصور نفسه، وكمال علم ربّه تعالى، فيتحقّق ويتيقّن انّ كلّ مااختاره له هو عين مصلحته، فيلزم نفسه قبوله، والتسليم له، وإن كرهه طبعه، ونفرت عنه نفسه، فزع إليه ـ سبحانه ـ بالدعاء في جعل إرادته موافقة لإرادته سبحانه، كما فعل سيّد العابدين عليه السّلام؛ ليخلص من المخالفة طبعاً واعتقاداً، وقد بيّن سبحانه وتعالى هذا المعنى أوضح بيان بقوله: «وَعَسَى أَنْ تَكرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ»(١).

والمحبّة من العبد: ميل نفسه إلى ماتتصوّر كونه موافقاً وملائماً لها.

ومن الله تعالى: إرادة هي مبدأ فعل ما، وتعود إلى علمه باشتمال الفعل على

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

واخْتِمْ لَنا بالتي هي أَحْمَدُ عاقبةً، وأكرمُ مصيراً، إنَّك تُفيدُ الكريمةَ، وتُعطي الجسيمةَ، وتفعلُ ماتُريد، وأَنْت عَلى كلِّ شيءٍ قَديرٌ.

المصلحة الداعية إلى إيجاده.

والكراهيّة في العبد: ميل نفسه عمّا تتصوّر كونه مضرّاً ومؤلماً لها.

ومن الله تعالى: خلاف الإرادة، وتعود إلى علمه، باشتمال الفعل على المفسدة الصارفة عن إيجاده.

قال بعضهم: ولمّا كانت حقيقة المحبّة والكراهة، إنّما هو ميل النفس الإنسانيّة ونفورها، كان إطلاقهما في حقّه تعالى على علمه المخصوص مجازاً، من باب إطلاق اسم اللازم على الملزوم. والله أعلم.

ختم القرآن، وكلّ عمل يختمه ختماً، من باب -ضرب- إذا أتمّهُ وفرغ منه، أي اختم لنا أمرنا بالحالة التي هي أحمد الحالات عافية.

وحذف المفعول لتعيّنه، ولأنّ الغرض سؤاله المختوم به.

وأحمد هنا أفعل تفضيل من حمد، مبنيّاً للمفعول على غير القياس، أي أكثر محمودية.

وبيان ذلك: إنّ شرط نصب التميز الواقع بعد اسم التفضيل أن يكون سببيّاً، وذلك بأن يجعل مكان اسم التفضيل فعل من لفظه ومعناه، ويرفع التميز به مع صحّة المعنى فنقول في «زيد أكثر مالاً»، زيد كثر ماله بالبناء للفاعل، وفي «زيد أحمد عاقبة»، زيد حُمِدَت عاقبته بالبناء للمفعول، فلو جعلت الفعل هنا مبنيّاً للفاعل لم يصحّ المعنى؛ لأنّ العاقبة إنّما تكون محمودة لاحامدة. وأمّا أكرم مصيراً فهو للفاعل على القياس من كرم الشيء إذا انتفت عنه النقائص، واتّصف بالمحامد.

والمصير: المرجع والمآل. مصدر ميمي من صار الأمر إلى كذا، أي رجع وآل إليه.

وأفدته مالاً: أعطيته.

....

والكريمة: النفيسة الجيّدة من كلّ شيء، ومنه حديث الزكاة «واتّق كَرائمَ أَموالِهِمْ»(١) أي نفائسها، من كرم الشيء كرماً، أي نفس وعزّ. وكلّ شيء يعز ويشرف في بابه يوصف بالكرم.

والجسيمة: العظيمة. من جسُم الشيء جسامة، أي عظم، فهو جسيم، وهي جسيمة.

والجمل تعليل للدعاء ومزيد لاستدعاء الإجابة. فإنّ من يفيد الكريمة، ويعطي الجسيمة، ويفعل مايريد، وهو على كلّ شيء قدير، أولى وأجدر بإيصال كلّ المنافع، وأقرب من دعاه الداعون، ورجاه الراجون، وأمّل مالديه الراغبون والله سبحانه وتعالى أعلم. هذا آخر الروضة الثالثة والثلاثين من رياض السالكين، وفق الله لإتمامها لثلاث بقين من شعبان، سنة أربع ومائة وألف.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص١٦٧.

الروضة الرابعة والثلاثون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا ابْتُلِيَ أَوْ رَأَى مُبْتَلًى بِفَضِيحَةٍ بِذَنْبٍ

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سِتْرِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ وَمُعَافَاتِكَ بَعْدَ خُبْرِكَ
فَكُلُّنَا قَدِ اقْتَرَبَ الْعَائِبَةَ فَلَمْ تَشْهَرْهُ وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَمْ تَفْضَحْهُ
وَتَسَتَّرَ بِالْمَسَاوِي فَلَمْ تَدْلُلْ عَلَيْهِ كَمْ نَهْيٍ لَكَ قَدْ أَتَيْنَاهُ وَأَمْرٍ قَدْ وَقَفْتَنَا
عَلَيْهِ فَتَعَدَّيْنَاهُ وَسَيِّئَةٍ اكْتَسَبْنَاهَا وَخَطِيئَةٍ ارْتَكَبْنَاهَا كُنْتَ
الْمُطَّلِعَ عَلَيْهَا دُونَ النَّاظِرِينَ وَالْقَادِرَ عَلَى إِعْلَانِهَا فَوْقَ الْقَادِرِينَ كَانَتْ
عَافِيَتُكَ لَنَا حِجَاباً دُونَ أَبْصَارِهِمْ وَرَدْماً دُونَ أَسْمَاعِهِمْ فَاجْعَلْ مَا
سَتَرْتَ مِنَ الْعَوْرَةِ وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ وَاعِظاً لَنَا وَزَاجِراً عَنْ سُوءِ
الْخُلُقِ وَاقْتِرَافِ الْخَطِيئَةِ وَسَعْياً إِلَى التَّوْبَةِ الْمَاحِيَةِ وَالطَّرِيقِ الْمَحْمُودَةِ
وَقَرِّبِ الْوَقْتَ فِيهِ وَلَا تَسُمْنَا الْغَفْلَةَ عَنْكَ إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ وَمِنَ
الذُّنُوبِ تَائِبُونَ وَصَلِّ عَلَى خِيَرَتِكَ اللَّهُمَّ مِنْ خَلْقِكَ
مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الصِّفْوَةِ مِنْ بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ
وَاجْعَلْنَا لَهُمْ سَامِعِينَ وَمُطِيعِينَ
كَمَا أَمَرْتَ

الـروضـة
الـرابـعـة والـثلا ثـون

بسم الله الرحمن الرحيم

وإيّاه نستعين

الحمـد لله ساتر الفضائـح والقـبائح، وغافر الجـرائر والجرائح، والصلاة والسَّلام على نبيّه المنعوت بأشرف المدائح، وأهل بيته المخصوصين بأكرم المنائح.

وبعد: فهذه الـروضة الرابعة والـثلا ثون من رياض السالكين، في شرح صحيفة سيّد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي الصدر الحسينيّ الحسنيّ، أحسن الله إليه، وأسبل ستر غفرانه عليه.

شرح الدعاء الرابع والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام إذا ابتلي أو رأى مبتلىً بفضيحةٍ بذنبٍ.

قال الراغب: بلي الثوب بِلى وبلاء، أي: خلق. وبلوته: اختبرته كأنّي أخلقته من كثرة اختباري له(١).

وابتلاء الله لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضارّ ليصبروا، فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاء.

فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، قال تعالى: «ونَبلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً»(٢).

وإذا قيل: ابتلى فلان بكذا تضمّن أمرين:

أحدهما: تعرّف حاله والوقوف على مايجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودته ورداءته.

وربما قُصِد به الأمران، وربما قصد به أحدهما. فإذا قيل: بلاه الله بكذا وابتلاه، فليس المراد إلاّ ظهور جودته ورداءته، دون التعرّف لحاله والوقوف على مايجهل منه؛ إذ كان الله تعالى علام الغيوب. وعلى هذا قوله تعالى «وَإِذْ ابْتلى

---

(١) المفردات: ص٦١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

قال صلوات الله وسلامه عليه.

اللَّهمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلى سِتْرِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَمُعافاتِكَ بَعْدَ خُبْرِكَ، فكُلُّنا قَدْ اقتَرفَ العَائِبَةَ فَلم تَشْهرْهُ، وَارتَكَبَ الفَاحِشَةَ فَلَم تَفْضَحهُ، وَتستَّر بِالمَسَاوئِ فَلَم تَدللْ عَلَيْه.

إبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ»(١).

والفضيحة: اسم من فضحهُ فضحاً، من باب منع، إذا كشف مساويه، وبيّنها للنّاس.

والباء من قوله: «بذنبٍ» للاستعانة أو للسببيّة، متعلّق بفضيحة، فعلى الأوّل يكون الذنب بمنزلة الآلة للفضيحة، لأنَّ باء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم، وعلى الثاني يكون سبباً للفضيحة.

إفتتح الدعاء بالنداء بوصف الألوهيّة الجامعة لجميع الكمالات؛ إظهاراً لغاية التضرّع، ومبالغة في ابتداء الإجابة.

وتعريف «الحمد» للتعميم. وتقديم الخبر للتخصيص، أي لك الحمد كلّه، لا لأحدٍ غيرك .

وسترت الشيء ستراً -من باب قتل-: غطيته. والستر بالكسر: مايستتر به، وجمعه ستور.

ولم يتعرّض للمستور؛ لأنّ غرضه الحمد على حصول أصل الستر منه تعالى، من غير اعتبار تعلّقه بمستور عامّ أو خاصّ.

ولمّا كان المعنى لك الحمد على حصول الستر منك ، وكانت اللام فيه للحقيقة، كان قوله عليه السَّلام: «عَلى سِتْرِكَ » مفيداً لعموم أفراد الستر، دفعاً للتحكّم اللازم من حمله على فردٍ دون آخر، على ماحقّقه السعدّ التفتازاني في شرح التلخيص(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) شرح المختصر للتفتازاني: ص٧.

....

وقال الشريف العلّامة: الأظهر أن يقال: المفيد لعموم الأفراد هو المقام، أو الفعل بمعونة المقام(١).

و«بَعْد» ظرف زمان متراخٍ عن زمان سابق، فإذا قلت: جاء زيد بعد عمرو، كان معناه انّ زمان مجيئه كان متراخياً عن زمان مجيء عمرو. لكن ليس المراد بها هنا مجرّد هذا المعنى؛ لأنّ الستر من كلّ أحدٍ لايتحقّق معناه إلّا بعد العلم بالمستور والاطلاع عليه، ولهذا لايقال للجاهل بالشيء: ستره، بل الغرض استعظام ستره تعالى، إذ كان هو الخصم والمنتقم الذي يقتضي علمه المؤاخذة والانتقام. فستره بعد علمه ليس إلّا لمزيد الكرم، ونهاية الإحسان. وقس على ذلك.

قوله عليه السَّلام: «وَمُعافاتِكَ بَعْد خُبرِكَ» والمعافاة: مصدر، عافاه الله، أي أعفاه إذا وهب له العافية.

قال في الأساس: العافية دفاع الله عن العبد، عافاه الله من المكروه معافاة، وعافية: وهب له العافية من العلل والبلايا كأعفاه(٢).

وقال الرضي في شرح الشافية، في باب ماجاء من فاعل بمعنى فعل: عافاك الله. أي جعلك ذاعافية(٣) إنتهى.

فما وقع في بعض التراجم من أنّ معنى المعافاة هنا أن يعافيك الله من الناس، ويعافيهم منك، بمعزلٍ عن المقام.

والخُبْر ـ بالضم ـ: العلم، لكن إذا أُضيف إلى الخفايا الباطنة فهو أخصّ من مطلق العلم.

وقال الراغب: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر(٤). وقيل: المعرفة ببواطن

---

(١) لايوجد لدينا كتابه.

(٢) لم نعثر عليه في أساس البلاغة للزمخشري بل وجدناه في القاموس المحيط: ج٤ ص٣٦٤.

(٣) شرح الشافية: ج١ ص٩٩.

(٤) المفردات: ص١٤١.

....

الأمور، وقوله تعالى: «وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»(١) أي عالم بأخبار أعمالكم. وقيل:(٢) عالم ببواطن أموركم.

قوله عليه السَّلام: «فكُلُّنا قَد اقترَفَ العائبةَ فَلم تَشْهَرْهُ».

الفاء: للترتيب الذكري، وهو عطف مفصّل على مجمل.

واقتراف الإثم: اكتسابه وفعله.

قال الراغب: أصل القرف والاقتراف قشر اللحاء عن الشجرة والجلدة عن الجرح(٣).

واستعير الاقتراف للاكتساب حسْناً كان أو سوءاً، وفي الأساءةِ أكثر استعمالاً، ولهذا يقال: الاعتراف يزيل الاقتراف.

والعائبة: العيب، مصدر جاء على فاعله، كالعافية والعاقبة.

والشُهرة ـ بالضم ـ: ظهور الشيء في شنعة(٤)، شهره: كمنعه.

وارتكب الذنب: اجترحه.

والفاحشة: ماعظم قبحه من الأفعال والأقوال، كالفحش والفحشاء.

وفضحه يفضحه، من باب ـ منع ـ: أظهر معائبه وبيّنها للناس.

وتستّر استتر: أي تغطّى واختفى.

والباء: للملابسة، أي ملتبساً بالمساوي، كقوله تعالى: «وَقَدْ دَخلُوا بِالكُفْرِ»(٥).

ومن العجب ماوقع في بعض التراجم من حملها على الاستعانة تارةً، وجعل المساوي هي المستتر(٦) بها، فقال: معناه جعل المساوي لباساً له، وستر بها نفسه،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

(٢) «الف»: أي عالم.

(٣) المفردات: ص٤٠١.

(٤) «الف»: وشهره.

(٥) سورة المائدة: الآية ٦١.

(٦) «الف»: المستتر بها.

كَمْ نَهيٍ لَكَ قَدْ أَتَيناهُ، وأَمْرٍ قَدْ وَقفْتَنَا عَليهِ فَتعدَّيْناهُ، وَسيِّئةٍ اكتَسبْنَاها، وخطِيئةٍ ارتكبْنَاهَا، كُنتَ المطَّلِعَ عَليها دونَ النّاظِرينَ، والقادرَ عَلى إعلانِها فَوق القادرين، كَانَتْ عَافِيتُكَ لَنا حجاباً دُون أَبْصارهم، ورَدْماً دُونَ أَسْمَاعِهِمْ.

فصار مغموراً بالذنوب. وعلى الزيادة أُخرى، فقال: معناه أنّه أخفى الذنوب، ولم يُرد أن يطلع عليها أحد، وكلّ ذلك خبطٌ ظاهرٌ.

والمساوي: النقائص والمعائب.

قال أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال: قال اللحياني: لاواحد للمساوي. ومثلها المحاسن والمقاليد(١)، وكذا في فقه اللغة للثعالبيّ (٢).

ودللت على الشيء وإليه، من باب ـقتل ـ دلالة: أو صلت إلى معرفته، وكشفت أمره.

وفكّ الإدغام في المضاعف المجزوم لغة الحجاز، والإدغام لغة أهل نجد، وكلٌّ فصيحٌ، غير أنَّ الأُولى هي التي جاء بها التنزيل، قال تعالى: «وَلَو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ»(٣).

«كم» في محلّ رفع على الإبتداء، وهي هنا خبريّة بمعنى كثير، والمراد بها التكثير. و«نهي» مميّز لها مجرور بإضافتها إليه.

وذهب الفراء: إلى أنّ جرّه بـ«من» مقدّرة، وعمل الجار المقدر، وإن كان في غير هذا الموضع نادراً، إلاّ أنّه لما كثر دخول من على مميّزكم الخبريّة نحو: «وكم من

---

(١) مجمع الأمثال للميداني: ج١ ص٢٣٨ رقم ١٢٥٩.

(٢) فقه اللغة: ص٣٣٢ و٣٣٣.

(٣) سورة النور: الآية ٣٥.

....

قريةٍ» و«وكم من آيةٍ» ساغ عمله مقدّراً؛ لأنّ الشيء إذا عرف في موضع جاز تركه؛ لقوّة الدلالة عليه(١).

وهذا القول نقله ابن مالك في شرح الكافية عن الخليل(٢).

وفي نسخة «كَمْ نَهياً لك» بالنصب، وهي إمّا على لغة من ينصب مميّز «كم» الخبريّة.

قال ابن هشام في المغني: وزعم قوم انَّ لغة تميم جواز نصب تميز «كم» الخبريّة إذا كان مفرداً(٣).

وقال الرضيّ: وبعض العرب ينصب مميّز «كم» الخبريّة مفرداً كان أو جمعاً بلا فصل، اعتماداً في التميز بينها وبين الاستفهاميّة على قرينة الحال(٤).

وإمّا على أنّ كم إستفهامية لأنّ مميّزها لايكون إلّا منصوباً. لكن ليس المراد بها حقيقة الاستفهام، بل معنى التكثير أيضاً، فهي في تقدير الخبريّةٍ، كأنّه أظهر الذهول عن كميّة العدد لكثرته، فهويسأل عنه، أي ذلك كثير لاأعرف عدده، فأخبرني عن عدده.

وهذا المعنى أبلغ من معنى الخبريّة في توبيخ النفس بإرتكاب العصيان، والاعتراف لله سبحانه بكثرة المعاصي، لما فيه من التهويل.

ومحلّ «كم» على كل تقدير الرفع على الابتداء، وخبرها قوله: «قد أتيناه، فهي على كونها خبريّة بمنزلة قولك: كثير من النهي قد أتيناه، وعلى كونها استفهاميّة بمنزلة أعشرون نهياً قد أتيناه.

ولك جعل «كم» في محلّ النصب على المفعوليّة، والناصب مضمر على شريطة التفسير، ويقدّر بعد «كم»، لئلا تقع غير صدر الكلام، أي كم نهي لك او كم

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٩٦ - ٩٧.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٩٦.

(٣) المغني: ص٢٤٥.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٩٧.

....

نهياً لك قد أتينا قد اتيناه.

والأوّل أولى؛ لسلامته عن الحذف والتقدير.

وفي قوله: «لك» تعظيم للنهي وإتيانه ببيان اختصاصه به تعالى.

والنهي: قيل: قول يستدعي به ترك الفعل ممّن هو دونه. وقيل: هو طلب إمتناع الفعل. وقيل: طلب الكف عن فعل.

وقال الراغب: النهي: الزجر عن الشيء، وهو من حيث المعنى لافرق بين أن يكون بالقول أو بغيره. وما كان بالقول لافرق بين أن يكون بلفظة إفعل نحو: اجتنب هذا، أو بلفظة نحو: لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا، فاذا قيل: لا تفعل كذا فهو نهي من حيث اللفظ والمعنى جميعاً نحو «وَلا تقرَبَا هَذِهِ الشَّجرَة» وقوله تعالى: «إنَّ الله يَأمُر بِالعَدل وَالإحْسَانِ وإيتَاء ذِي القُربى، ويَنهى عَنْ الفَحشَاء وَالمُنكر» أي يحثّ على فعل الخير ويزجر عن الشرّ، وذلك بعضه بالعقل الذي ركّبه فينا، وبعضه بالشرع الذي شرّعه لنا(١). إنتهى.

وأتيناه: أي: تعاطيناه واستعمال الإتيان هنا كاستعمال المجيء في قوله تعالى: «لَقَدْ جِئتِ شَيْئاً فَرِيّاً»(٢).

وإيثار صيغة المتكلّم مع الغير هنا، وفي سائر الأفعال الآتية؛ للإشعار باشتراك سائر الموحّدين، له في ذلك.

والأمر: قيل: طلب وجود الفعل على جهة الإستعلاء. وقيل: استدعاء الفعل بالقول ممّن هو دونه وقيل: طلب فعل غير كفّ.

وقال الراغب: هو التقدّم بالشيء، سواء كان ذلك بقولهم: افعل وليفعل، أو كان ذلك بلفظ خبرٍ نحو: «وَالمُطلَّقاتُ يَتربَّصن»، أو كان بإشارة، أو غير ذلك، ألا ترى انّه قد سمّى مارأى إبراهيم عليه السّلام في المقام من ذبح إبنه أمراً،

---

(١) المفردات: ص٥٠٧.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٧.

....

حيث قال «يَا أبت افعل ما تُؤمرُ»(١).

و وقفتنا عليه، أي: أمرتنا بالوقوف عنده، لانتعدّاه، ولا نتجاوزه كما يدلّ عليه قوله عليه السَّلام: «فتعدّيناه». ويجوز أن يكون بمعنى اطلعتنا عليه و بيّنته لنا، من وقفته على(٢) عيبه إذا اطلعته عليه.

وفي نسخة «أوقفتنا» بالألف، وهي لغة في وقفتنا. وأنكرها بعضهم، والصحيح ثبوتها، كما نصّ عليه صاحب القاموس(٣).

وتعدّيناه: أي تجاوزناه إلى غيره.

والسيّئة: الفعلة القبيحة، وهي ضدّ الحسنة.

واكتسابها: تحمّلها.

والخطيئة: الذنب. وقيل: الكبيرة. وقيل: الفرق بين السيئة والخطيئة أنّ الأولى: تطلق على مايقصد بالذات، والثانية: تغلب على مايقصد بالعرض، لأنّها من الخطأ، كمن رمى صيداً فأصاب إنساناً، أو شرب مسكراً فجنى جناية في سكره.

و إرتكب الذنب: فعله.

وجملة قوله عليه السَّلام: «كنت المطلع عليها» في محلّ نصبٍ على الحاليّة.

والضمير من «عليها» إمّا عائد إلى جملة ماذكره من النهي والأمر والسيّئة والخطيئة، وهي أشياء يعود الضمير عليها مؤنثاً. وإمّا إلى السيّئة والخطيئة، وإنّما أفرد الضمير والمذكور شيئان؛ لأنّ المراد سيّئات وخطيئات كثيرة، كما يدلّ عليه «كم» و«دون» الناظرين، أي متجاوزاً للناظرين، لم يطلع عليها منهم غيرك، على ماعرفت فيما سبق من أنّ «دون» بمعنى أدنى مكان ثمّ اتّسع فيه، فاستعمل في كلّ

---

(١) المفردات: ص٢٤ ـ ٢٥.

(٢) «الف» علم.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ص٢٠٥.

....

تجاوز حدّ إلىٰ حدّ، وتخطي أمر إلى أمرٍ.

وعلن الأمر علوناً، من باب ـ قعد ـ: ظهر وانتشر، فهو عالن، وعلن علناً ـ من باب تعب لغة ـ فهو علن، والاسم: العلانية ـ مخفّف ـ(١) ويعدّى بالألف، فيقال: أعلنتهُ إعلاناً.

وفوق: ظرف مكان نقيض تحت. وقد استعير للاستعلاء الحكمي، ومعناه الزيادة والفضل، يقال: هذا فوق ذاك، أي أفضل منه وأزيد.

أي وكنت القادر على إظهارها زائداً على القادرين.

قوله عليه السَّلام: «كانت عافيتُك لنا حجاباً» إلى آخره، جملة مستأنفة.

والعافية: هنا بمعنى المعافاة، أي كانت معافاتك لنا حجاباً دون أبصارهم.

والحجاب: الستر، من حجبه حجباً ـ من باب قتل ـ أي منعه؛ لأنّ الستر يمنع المشاهدة. والأصل فيه جسم حائل بين جسمين، ثمّ استعمل في المعاني فقيل: المعصية حجاب بين العبد وبين ربّه، ومنه عبارة الدعاء.

و «دون» هنا بمعنى قُدّام، كقول الأعشى يصف زجاجة الكأس:

* تريك القذى من دونها وهي دونه *(٢)

أي تريك القذى قدّامها، وهي قدّامه؛ لرقّتها وصفائها. والحجاب إذا كان قدّام البصر كان مانعاً له من المشاهدة.

والردم: السدّ.

قال الجوهري: ردمت الثلمة أردمُها ـ بالكسر ـ ردماً سددتها، والردم أيضاً الاسم، وهو السدّ(٣).

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَل بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً» أي

---

(١) «الف»: فحقّف.

(٢) لسان العرب: ج١٣ ص١٦٥.

(٣) الصحاح: ج٥ ص١٩٣٠.

فَاجْعَلْ مَا سَتَرْتَ مِنَ العَوْرة، وَ أَخْفَيتَ مِنْ الدَّخيلةِ، وَاعِظاً لَنا، وَزاجِراً عَنْ سُوء الخُلُقِ، واقْترافِ الخَطيئةِ، وَسعْياً إلى التَّوبَةِ الماحيَةِ،والطَّريقِ المحمودةِ، وقَرِّب الوَقْتَ فِيهِ، وَلا تَسُمْنا الغَفلَةَ عَنْك، إنّا إليْكَ راغِبُونَ، ومِنْ الذُّنوب تَائبُونَ.

حاجزاً حصيناً موثّقاً والردم: اكبر من السدّ وأوثق، من قولهم: ثوب مردوم، أي: رقاع فوق رقاع(١). إنتهى.

ولمّا كان الحجاب بمعنى الستر قد لايمنع السمع من السماع آثر لفظ الردم في جانب الإسماع؛ لأنّه حاجز حصين، وبرزخ متين. والله أعلم*.

العورة: كلّ مايستحيى منه إذا ظهر، وأصلها من العار وذلك مايلحق في ظهورها من العار، أي المذمّة.

وفي المصباح: كل شيء يستره الإنسان أنفةً أو حياء، فهو عورة(٢).

والدخيلة هنا بمعنى الدخل -بالتحريك- وهو العيب والغش والفساد.

وقال الزمخشري في الفائق: وحقيقتهُ ان يدخل في الأمر ما ليس منه(٣).

ووعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة: أمره بالطاعة، ووصّاه بها، فهو واعظ. ومنه قوله تعالى: «إنّما أَعِظُكُمْ بِواحِدةٍ»(٤)، أي أوصيكم وآمركم. وقيل: الوعظ: زجر مقترن بتخويف.

وقال الخليل: هو التذكير بالخير بما يرقُّ له القلب(٥).

والزجر: الطرد والمنع، زجره زجراً -من باب قتل- فهو زاجرٌ، ومنه قوله تعالى:

---

(١) تفسير الكشاف: ج٢ ص٧٤٧.

(٢) المصباح المنير: ص٥٩٨.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ص٤٢٠.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(٥) كتاب العين: ج٢ ص٢٢٨.

....

«وَلَقَدْ جَاءهُمْ مِن الأَنْباء مافيه مُزدَجَرٌ»(١)، أي طرد ومنع عن ارتكاب المآثم.

والخلق: كيفيّة نفسانيّة تصدر عنها الأفعال بسهولة. فإن كان الصادر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً سمّيت الكيفيّة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سمّيت الكيفيّة التي هي المصدر، خلقاً سيئاً.

والمعنى: إجعل ذلك سبباً لا تّعاظنا وانزجارنا عن سوء الخلق بأن يعتبر به فيكفّ نفسه، وينزجر عن القبيح.

ولـمّا كان الفعل قد ينسب إلى سببه سمّاه واعظا وزاجراً، ومنه قولهم: كفى بالشيب واعظاً(٢)، وكفى بالإسلام ناهياً(٣)، وعليه ماورد في الحديث «وَعَلى رأس الصّراط واعظ الله في قَلب كلّ مسلم» قال ابن الأثير: يعني حجّته التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله منه وحرّمه عليه، والبصائر التي جعلها فيه(٤).

واقتراف الخطيئة: أي ارتكاب المعصية.

والسعي: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر خيراً كان أو شرّاً، قال تعالى: «وسَعى في خَرابها»(٥).

قال الراغب: وأكثر مايستعمل السعي في الأفعال المحمودة(٦).

أي: واجعل ذلك سبباً للسعي إلى التوبة، أي: الجدّ فيها. وهو من باب إطلاق المسبّب على السبب.

والماحية: المزيلة للذنب من المحو، وهو إزالة الأثر. ومن كلامهم: التوبة تمحو الحوبة.

والطريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل، أي يضرب، يذكّر ويؤنّث، ثم استعير

---

(١) سورة القمر: الآية٤.

(٢) كنوز الحقائق بهامش الجامع الصغير: ج٢ ص٣٧.

(٣) الجامع الصغير: ج٢ ص١١٥.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٢٠٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١١٤.

(٦) المفردات: ص٢٣٣.

....

لكلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعلٍ، محموداً كان أو مذموماً.

والقرب: خلاف البعد، ويستعمل في الزمان والمكان.

والوقت مقدار من الزمان مفروض لأمرٍ ما، ولهذا لايكاد يستعمل إلّا مقيّداً، نحو قولهم: وقت كذا.

والضمير من «فيه» عائد الى السعي. و«في» للظرفية المجازيّة، جعل السعي ظرفاً للوقت مجازاً كما يقال: اصرف وقتك في الطاعة.

وسمْتُه الذل، أي أوليته إيّاه.

وفي الأساس: سِمْتُ المرأة المعانقة، أي أردتها منها، وعرضتها عليها(١).

ومعنى سومه تعالى الغفلة: التخلية بين العبد وبين الأسباب المؤدّية إلى الغفلة، وجعله غافلاً بالخذلان، لاإرادته إيّاها منه.

ومعنى الغفلةُ عنه سبحانه، الغفلة عن جنابه وذكره والانهماك في الحسّيات المؤدّية إلى البعد عن الحقّ.

وفي الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: «ولا تُطِعْ مَن أغفلنا قلبَهُ عَن ذكرنا»(٢).

والرغبة الى الله تعالى: الابتهال إليه، وهو الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه. وقيل: هي التضرّع إليه، والمسألة منه. وفسّرقولُه تعالى: «وإلى ربّك فَارْغَب»(٣) بالرغبة في المسألة، أي ارفع حوائجك إلى ربّك، ولا ترفعها إلى غيره وقوله تعالى: «إنّا إلى رَبِّنا راغِبُونَ»(٤) أي راجون العفو، طالبون الخير.

و«إلى» لانتهاء الرغبة أو لتضمّنها معنى الرجوع.

وتقديم الظرف في الفقرة الأُولى للتخصيص، وفي الثانية للسجع، والتأكيد: للإنباء عن صدق الرغبة، ووفور النشاد. والجملتان تعليل لاستدعاء الإجابة. والله أعلم.

---

(١) أساس البلاغة: ص٣١٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٣) سورة الشرح: الآية ٨.

(٤) سورة القلم: الآية ٣٢.

وَصَلِّ عَلى خِيرَتِكَ -اللَّهُمَّ- مِنْ خَلقِكَ مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الصِّفْوَةِ مِنْ بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ، وَاجْعَلْنا لَهُمْ سَامِعِينَ وَمُطِيعِينَ كَمَا أَمَرْتَ.

الخِيْرة: بالكسر والسكون و(١) كعِنَبة اسم من الإختيار، أي الاصطفاء، يقال: محمّد خيرة الله، وخيرته، بالوجهين. وقد وردت بهما الرواية في الدعاء.

وعترة الرجل: نسله.

قال الأزهريّ: وروى تغلب عن ابن الأنباري: أن العترة ولد الرجل وذريّته وعقبه من صلبه(٢)، ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك. وقيل: رهطه الأدنون(٣)، ويقال: أقرباؤه.

وقال الزمخشري: في الفائق: العترة: العشيرة، سمّيت بالعترة -وهي المرز نجوشة- لأنّها لا تنبت إلّا شعباً متفرّقة(٤).

وفي العين: عترة الرجل: أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمّه(٥).

قال ابن الأثير في النهاية: عترة الرجل أخصّ أقاربه، وعترة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بنو عبدالمطلب. وقيل: أهل بيته الأقربون وهم أولاده، وعليّ وأولاده عليهم السَّلام. وقيل: عترته: الأقربون والأبعدون منهم. والمعروف المشهور أنّ عترته أهل بيته الذين حُرّمت عليهم الزكاة(٦). إنتهى.

وصُفوة الشيء -مثلّثة- ماصفا منه، وخلص من الشوب والكدر كصفوه.

والبرية: الخلق فعيلة بمعنى مفعولة، من برء الله الخلق يبرؤهم، أي خلقهم(٧).

قال الجوهريّ: وقد تركت العرب همزته. قال الفرّاء: وإن أُخذت البريّة من

---

(١) الواو وردت في «ألف» والحجرية

(٢) تهذيب اللغة: ج٢ ص٢٦٤.

(٣) تهذيب اللغة: ج٢ ص٢٦٤ نقلاً عن أبي عبيدة.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج١ ص١٧٠.

(٥) كتاب العين: ج٢ ص٦٦.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١٧٧.

(٧) النهاية لابن الأثير: ج١ ص١٢٢ - ١٢٣.

....

البراء ـ وهو التراب ـ فأصله غير الهمز، تقول: منه براه الله يبروه بروا، أي خلقه(١).

و «الطاهرين» أي: النقيّين من دنس المولد والعمل، البريئين من صغائر الذنوب وكبائرها، كما قال تعالى «إنَّما يُريدُ الله لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيْتِ، وَيُطهِّرَكُمْ تَطهيراً»(٢).

واجعلنا سامعين أي: مجيبين لأمرهم، قابلين لحكمهم. وأصل السماع الإصغاء، لكنّهم استعملوه في الإجابة، وقبول الأمر كثيراً، كما تقول سمع فلان ماقلت له، ومنه قولهم: سمع القاضي البيّنة، أي قبلها.

ومطيعين: أي منقادين، من أطاعه إطاعة، أي انقاد له.

وقوله عليه السَّلام: «كما أمرت»، الظرف في محلّ نصب على أنّه نعت لمصدر محذوف. و «ما» مصدريّة، أي إطاعة مثل الإطاعة التي أمرت بها. ونظيره «فاستقِمْ كَما أُمِرْتَ»(٣)، وهو إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء: «يَاأَيها الذين آمنُوا أطِيعُوا الله وأَطيعوا الرَّسول وأُولي الأَمر مِنكم»(٤).

قال الصادق عليه السَّلام: إيّانا عَنى خاصَّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا(٥).

وفي حديث جابر بن عبدالله لمّا نزلت هذه الآية، قلت: يارَسول الله، عرفنا الله ورَسولَهُ، فمن أُولوالأَمر الذين قرن الله طَاعَتهُمْ بِطاعتك؟ فقال: هُم خلفائي ياجابر وائمة المسلمين من بعدي أَوّلهم عليٌّ بن أَبي طالب، ثم الحسن، ثمَّ الحسين، ثم علي بن الحسين ثم محمَّد بن عليٍّ المعروف في التَّوراة بالباقر، وستدركه ياجابر، فإذا لقيته فأقرأهمِني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمَّدٍ، ثمَّ موسى بن جعفر، ثم علي بن

---

(١) الصحاح: ج٦ ص٢٢٨٠ نقلاً عنه.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة هود: الآية ١١٢.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) تفسير نورالثقلين: ج١ ص٤٩٧.

....

موسى، ثم محمّد بن علي، ثم عليّ بن محمّد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّ محمّدٌ، وكني حجّة الله في أرضه، وبقيّته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لايثبت فيها على القول بإمامته إلّا من أمتحن الله قلبه للإيمان. قال جابرٌ؛ فقلت له: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله فهل لشيعته الانتفاع في غيبته؟ قال: إي والذي بعثني بالنبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحابٌ، ياجابر هذا من مكنون سرّ الله، ومَخزون علم الله، فأكتمهُ إلّا عن أهلهِ(١). والله أعلم.

هذا آخر الروضة الرابعة والثلاثين من رياض السالكين، وفق الله سبحانه لإتمامها عشيّة يوم الخميس لستٍ مضين من شوال، سنة أربع ومائة وألف، ولله الحمد.

(١) تفسير نورالثقلين: ج١ ص٤٩٩.

الروضة الخامسة والثلا ثون

وَكانَ مِنْ دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الرِّضا إذا نَظَرَ إلى أصْحابِ الدُّنيا

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رِضىً بِحُكْمِ اللهِ شَهِدْتُ اَنَّ اللهَ قَسَمَ مَعايِشَ عِبادِهِ بِالْعَدْلِ
وَاَخَذَ عَلى جَميعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا تَفْتِنّي
بِما اَعْطَيْتَهُمْ وَلا تَفْتِنْهُمْ بِما مَنَعْتَني فَاَحْسُدَ خَلْقَكَ وَاَغْمَطَ حُكْمَكَ
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَطَيِّبْ بِقَضائِكَ نَفْسي وَوَسِّعْ بِمَواقِعِ
حُكْمِكَ صَدْري وَهَبْ لِيَ الثِّقَةَ لِاُقِرَّ مَعَها بِاَنَّ قَضاءَكَ لَمْ يَجْرِ اِلّا بِالْخِيَرَةِ
وَاجْعَلْ شُكْري لَكَ عَلى ما زَوَيْتَ عَنّي اَوْفَرَ مِنْ شُكْري اِيّاكَ عَلى ما
خَوَّلْتَني وَاعْصِمْني مِنْ اَنْ اَظُنَّ بِذي عَدَمٍ خَساسَةً اَوْ اَظُنَّ بِصاحِبِ ثَرْوَةٍ
فَضْلاً فَاِنَّ الشَّريفَ مَنْ شَرَّفَتْهُ طاعَتُكَ وَالْعَزيزَ مَنْ اَعَزَّتْهُ عِبادَتُكَ
فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنا بِثَرْوَةٍ لا تَنْفَدُ وَاَيِّدْنا بِعِزٍّ لا يُفْقَدُ وَاسْرَحْنا
فِي مُلْكِ الْاَبَدِ اِنَّكَ الْواحِدُ الْاَحَدُ الصَّمَدُ الَّذي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ
تُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ

الـــــرّوضـــــة
الخامسة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين(١)

الحمد لله الذي جعل الدار الآخرة هي العليا، وشرّف الراغبين فيها على أصحاب الدنيا، والصلاة والسلام على نبيّه الهادي إلى رضائه، وعلى أهل بيته الراضين بحكمه وقضائه.

وبعد: فهذه الروضة الخامسة والثلاثون من رياض السالكين، في شرح الدعاء الخامس والثلاثين من صحيفة سيد العابدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الائمة الراشدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسيني الحسني وفّقه الله لمراضيه، وجعل غابره خيراً من ماضيه.

---

(١) «الف» وبه ثقتي.

شرح الدعاء الخامس والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام في الرّضا إذا نظر الى أصحاب الدنيا.

الرضا لغة: خلاف السخط. قال الجوهري: هو - مقصوراً - مصدر محض. والاسم الرضاء بالمدّ عن الأخفش(١).

وعرفاً: سرور القلب بجريان القضاء ويقال: رضيت الشيء، ورضيت به، إذا اخترته، كارتضيته، وقد يقال: رضيت بالشيء إذا قنعت(٢) به.

قال النووي في شرح مسلم: رضي بالله ربّاً. أي قنع به ولم يطلب معه غيره، بأن يسلك غير ماشرعه(٣).

وإرادة هذا المعنى هنا صحيحة.

والنظر: تقليب البصر، أو البصيرة، لرؤية الشيء وإدراكه. ويقال: نظرت إليه إذا رأيته، وهو المراد هنا.

والأصحاب: جمع صاحب، وهو الملازم لشيء إنساناً كان أو غيره. ولافرق بين أن يكون مصاحبه بالبدن، وهو الأصل والأكثر، أو العناية والهمّة، ولايقال في

---

(١) الصحاح: ج٦ ص٢٣٥٧.

(٢) «الف»: اقتنعت به.

(٣) شرح مسلم للنووي: ج٢ ص٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

قال صلوات الله عليه:

الحَمدُ للهِ رضاً بِحُكمِ اللهِ، شَهِدْتُ أَنَّ اللهَ قَسَمَ مَعايشَ عِبادِه بِالعَدلِ، وَأَخَذَ عَلى جَميعِ خَلْقِهِ بِالفَضْلِ.

العرف إلّا لمن كثرت ملازمته، ويقال لمالك المال: هو صاحبه، وكذلك من يملك التصرّف فيه. ومنه عبارة المتن.

والدنيا: نقيض الآخرة، وهي تأنيث الأدنى، سُميّت بها هذه الدار لدنوّها. والأصل الدار الدنيا، فحذفت(١) موصوفها، وأجريت مجرى الأسماء، فانسلخت عن معنى الوصفيّة. والمراد أصحاب متاع الدنيا، فهي مجاز مرسل من باب تسمية الشيء باسم محلّه، نحو «فَليدع ناديه»(٢) «وسئل القرية»(٣). والله أعلم.

«رضاً» إمّا مفعول مطلق، أي حمد رضا، أو حال، أي راضياً، أو مفعول لأجله، أي للرضا: وأيّاً ما كان فالعامل الحمد المذكور؛ لأنّه مصدر، وهو يعمل عمل فعله.

وما وقع لبعضهم، أنّ العامل محذوف لئلا يلزم عمل المصدر المعرّف مبنيّ على مذهب بعضهم، وفيه أربعة مذاهب:

مذهب الخليل وسيبويه جوازه مطلقاً من غير قبح(٤) سواء عاقبت آلة التعريف فيه الضمير أم لا(٥).

والحكم: القضاء، وأصله المنع، يقال: حكم بكذا، إذا منع من خلافه.

ووضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل: بحكمه لتعظيم الحكم، وقصد تقوية داعية الرضا.

---

(١) هكذا في النسخ، والصحيح فحذفت.

(٢) سورة العلق: الآية ١٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(٤) «الف»: قبيح.

(٥) كتاب سيبويه: ج١ ص١٣٧.

....

وشهدت: أي علمت. وأصله من الشهود، بمعنى الحضور مع المشاهدة بالبصر، ثمّ أُطلق على المشاهدة بالبصيرة أيضاً، وهي العلم، ومنه أشهد أن لا إله إلّا الله.

والقسم: إفراز النصيب، يقال: قسمت كذا قسماً ـ من باب ضرب ـ ومنه قسمة الغنيمة، وهو تفريقها على أربابها، بإفراز نصيب كلّ منها.

والمعايش: جمع معيشة، وهي مايعيش به الإنسان من المطاعم والملابس، وغيرهما ممّا يتعلّق به البقاء. واشتقاقها من العيش، وهو الحياة المختصّة بالحيوان، فهو أخصّ من مطلق الحياة، لأنّ الحياة تطلق على الحيوان، وعلى الباري تعالى بخلاف العيش، فالميم في المعيشة زائدة.

ووزن المعايش مفاعل فلا تهمز وبه قرأ السبعة وقرأ الأعرج، وأبو جعفر المدني بالهمز تشبيهاً لها بالشمائل.

وقال الفيومي في المصباح: وقيل: هي من معش، فالميم أصليّة، ووزن معيشة ومعائش فعيلة وفعائل(١). إنتهى. وهو غريب.

والعدل: التقسيط على سواء. فتارة يراد به السواء، باعتبار المقدار، ومنه قوله سبحانه: «وَلَن تستطيعوا أَن تعدلوا بين النساء»(٢) أي في مقدار المحبّة، إشارة إلى ماعليه جبلّة الإنسان من الميل؛ فالإنسان لايقدر أن يسوّي بينهنّ في المحبّة، وتارة باعتبار الحكمة والانتظام، ومنه ماروي: بالعدل قامت السماوات والأَرض(٣) تنبيهاً على أنّه لوكان شيء ممّا قامتا به، زائداً عمّا هو عليه، أو ناقصاً عنه على غير مااقتضته الحكمة لم يكن العالم منتظماً. فانتظامه بتقدير ذلك على مايليق بقوامه وقيامه. وهذا المعنى هو المراد هنا، أي بعدل اقتضته الحكمة البالغة. ولذلك متى وصف الله سبحانه بالعدل فإنّما يراد أن أفعاله واقعة على نهاية الحكمة والانتظام.

---

(١) المصباح المنير: ص٦٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٩.

(٣) عوالى اللئالي: ج٤ ص١٠٣.

....

وفي الدعاء إشارة إلى قوله سبحانه: «نَحنُ قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدُّنيا»(١) فانّ العدل لايكون قسمة إلّا عدلاً، ولايتجاوز إلى إفراط وتفريط. وفي الحديث القدسي «وإنَّ من عبادي(٢) لايصلحه إلّا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لايصلحه إلّا الغنى، ولوافقرته لأفسده ذلك»(٣). فإغناء من لايصلحه إلّا الفقر إفراط، وإفقار من لايصلحه إلّا الغنى تفريط، والعدل هو مابه إصلاح كل منهما، فثبت اتّصاف قسمته تعالى بالعدل.

قوله عليه السَّلام «وأخذ على جميع خلقه بالفضل».

«أخذ» هنا من الأخذ بمعنى السيرة، يقال: لو كنت منّا لأخذتَ بأخذنا، أي: سرتَ بسيرتنا، ومنه الحديث «لا تقوُم السّاعةَ حتى تأخذ اُمّتي بأخذ القُرون»(٤).

قال الكرماني: هو ـ بكسر الهمزة وفتحها ـ: السيرة(٥).

أي تسير أمّتي بسيرتهم. فقوله: «بالفضل» متعلّق بأخذ. وقوله: «على جميع خلقه» متعلّق بالفضل، كقوله تعالى: «وَلولا فَضل الله عليكم»(٦).

ولا يمنع من تعلّقه به ماشتهر من أنّ معمول المصدر لايتقدّم عليه. لأنّ ذلك حيث يتقدّر المصدر بأن والفعل، لأنّه حينئذٍ من باب تقديم الصلة على الموصول، وهو ممتنع، كقولك: أعجبني عن الشرّ بعدك، أي: أن تبعد، فالظرف متعلّق بعامل مقدّر يفسّره المتأخّر، والتقدير: أعجبني بعدك عن الشرّ بعدك. وأما إذا لم يقدّر المصدر بأن والفعل فيجوز تقديم معموله عليه إذا كان ظرفاً وشبهه؛ لانتفاء المانع نحو

---

(١) الزخرف: الآية ٣٢.

(٢) في المصدر: من لايصلحه.

(٣) الكافي: ج٢ ص٣٥٢ ج٨ مع إختلاف يسير في العبارة.

(٤) صحيح البخاري: ج٩ ص١٢٦ كتاب الاعتصام باب ١٤.

(٥) البخاري بشرح الكرماني: ج٢٥ ص٦٢.

(٦) النور: الآية ١٠.

....

«وَلا تأْخذكم بهما رأفة»(١). ومنه قول كعب في قصيدته المشهورة:

ضخم مقلّدها فعم(٢) مقيّدها   في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

قال ابن هشام في شرحه لهذه القصيدة: «عن» بمعنى «على»، وهي متعلّقة بتفضيل وإن كان مصدراً لأنّه ليس منحلا لـ(أنْ والفعل). ومن ظنَّ أن المصدر لايتقدّمه معموله مطلقاً فهو واهم إنتهى.

والفضل هنا بمعنى الإفضال والطول، وهو كلّ إحسان لايلزم المحسن أن يفعله، بل يكون ابتداء منه.

والمعنى: أنّه تعالى سار في جميع خلقه بالفضل عليهم والإحسان إليهم. وذلك أنّه مبتدئ بما لايلزمه، والابتداء بما لايلزم هو الفضل، فأفعاله كلّها عدل، وعدله كلّه فضل.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّه وقع لجماعة ممّن كتب على الصحيفة الشريفة هنا تفسيرات عجيبة.

منها: تفسير بعضهم أخذ بمعنى تناول، من قولهم: أخذ بيده إذا أعانه وأمدّه. قال: ومفعول أخذ محذوف بقرينة جميع خلقه. وتعلّق على بأخذ لتضمين معنى الاستيلاء والغلبة، يعني أخذ بيد جميع المخلوقات بفضله في حالة استيلائه وغلبته على جميع مخلوقاته. إنتهى بالمعنى.

ومنها: تفسير بعضهم أخذ بمعنى ألزم، أي ألزمهم الفضل، يعني أن يتفضّل بعضهم على بعضٍ.

ومنها: قول بعضهم الأخذ يكون بمعنى السيرة فيُتعدى بـ«على». وعلى وبالفضل، متعلّقان بأخذ. إنتهى.

فاعجب لقوم هذا مبلغهم من العلم كيف سوّلت لهم أنفسهم التصدّي لكلام

(١) سورة النور: الآية ٢.
(٢) «ألف»: نعم.

اللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآله وَلا تَفتِنّي بِمَا أَعطيْتَهُمْ وَلاَ تَفتِنْهُمْ بِما مَنعتَنِي، فَأَحْسِدَ خَلقَكَ، وَأَغمَطَ حُكمَكَ.

المعصومين عليهم السَّلام، نسأل الله الهداية إلى سواء السبيل. وإنّما نبّهنا على ذلك لئلا يقف على شيء منها واقف فيظنّ صحّته، ويحمل عليه كلام المعصوم، وليس الغرض تتبّع العثرات. نعوذ بالله من ذلك.

وفي نسخة «وأخذ بالفصل» بالصاد المهملة، وهو بمعنى القضاء بين الحق والباطل، أي صار فيهم بالقضاء الفاصل بين الحقّ والباطل.

الفتن والفتنة: الابتلاء والامتحان. فتنه فتناً وفتوناً من باب ضرب. وأصله من فتن الفضّة إذا أدخلها النار ليعرف جيّدها من رديّها، ومنه: «فَبِي تفتنون» أي تمتحنون، ويتعرّف إيمانكم بنبوّتي.

وتستعمل الفتنة والبلاء فيما يدفع إليه الإنسان من شدّة ورخاء، قال تعالى: «ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنةً»(١) لأنّ بالشرّ يمتحن ويختبر صبره، وبالخير يمتحن ويتعرّف شكره، ثم كثر استعمال الفتنة في إيقاع الإنسان في بليّة وشدّة، ومنه قوله تعالى: «وإنْ كادُوا ليفتِنونك»(٢) أي يوقعونك في ضرّاء وشدّة في صرفهم إيّاك عمّا أوحي إليك. وعليه عبارة الدعاء، أي لا توقعني في شدّة ومكروه بسبب ماأعطيتهم من متاع الدنيا، وهي الحسد لهم، والغمط لحكمك المشار إليهما بقوله: «فأحسد خلقك وأغمط حكمك» وفي هذا المعنى بعينه قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في خطبة له: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا يكونن له فتنة»(٣).

الغفيرة ـ بالغين المعجمة ـ: الزيادة والكثرة، ومنه: «الجمّ الغفير»، أي إذا رأى

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٣.
(٣) نهج البلاغة: ص٦٤ الخطب ٢٣.

اللَّهمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَطيِّبْ بِقضائِكَ نَفْسي، وَوَسِّع

أحدكم لأخيه زيادة في ولد أو رزق أو عمر أو غير ذلك، فلايكونن ذلك له فتنة، تفضي به إلى الحسد.

وقوله: «لا تفتنهم بما منعتني» أي لا توقعهم في بليّة بسبب ماحرمتني من الدنيا، بأن يروني حقيراً مهاناً، أويطغوا أويتكبّروا فيأثموا.

قوله: «فأحسد خلقك» «الفاء»: للسببيّة، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة لسبقها بالطلب. وحدّ الحسد أن تغتاظ ممّا رُزقه غيرك، وتتمّنى أنّه زال عنه، وصار إليك، وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً.

قوله: «وأغمط حكمك».

غمطه يغمطه غمطاً -من باب ضرب وسمع-: استحقره، والعافية لم يشكرها، والنعمة بطرها وحقّرها. أي وأحتقر قضاءك بما منحتني، ولا أشكر حكمك فيما أعطيتني، إذ كان دون ماأعطيتهم، أولا أرضى بحكمك وقضائك فيما أعطيتني ومنعتني فأتسخَّطه وأحتقره.

وفي الكتب القديمة يقول الله عزّوجلّ: الحاسدُ عدوٌّ نعمتي، متسخِّط لفعلي، غير راضٍ بقسمتي(١).

ونظم بعضهم هذا المعنى فقال:

ألاقل لمن راح لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله سبحانه لأنّك لم ترض لي ما وهب

أصل الطيب: ماتستلذّه الحواس والنفس. وطابت نفسه بالشيء إذا قبلته ورضيته، ولم تكرهه. أي رضّ بقضائك نفسي واجعلها قابلة له، راضية به.

واتّسع صدره للأمر إذا سهل عليه تحمّله ولم يشقّ عليه. وعكسه ضاق صدره

(١) عيون الاخبار: المجلد الثاني، ج٤ ص١٠ مع اختلاف يسير في بعض الفاظ الحديث.

بِمَواقِعِ حُكمِكَ صَدْري، وَهَبْ لِيَ الثقَةَ، لأُقِرَّ معها بأَنَّ قَضاءكَ لَم يجرِ إلّا بِالخِيَرَة.

بالشيء إذا شقّ عليه.

ومواقع الحكم: ماوقع به الحكم، وتعلّق به، أي اجعل صدري واسعاً غير حرج ولاضيق بما يوقعه حكمك من الأُمور التي يشقّ على النفس تحمّلها والغرض سؤال مقام الرضا الذي هو سرور النفس مهر(١) القضاء.

ووثق به وثوقاً وثقةً: سكن إليه واعتمد عليه، أي وهَب لي السكون إلى تقديرك ، والاعتماد عليه في أنّه لايكون إلّا عن حكمة بالغة.

والإقرار: إثبات الشيء، إمّا بالقلب، أو باللسان، أو بهما. لكن المراد به هنا ماكان بالقلب، سواء أضافه اللسان أم لا.

و «مع» اسم يقتضي الصحبة، أي مصاحباً لها. والضمير عائد إلى الثقة.

والمعنى: لأعترف بحصول الثقة لي بأنّ قضاءك وحكمك في أعيانِ الموجودات ـعلى ماهي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبدـ لم يقع إلّا بالاختيار لما هو الخير والأصلح.

والخيرة ـبسكون الياء وفتحهاـ اسم من الاختيار، وهو أخذ مايراه الخير، أو فعله. تقول: خيّرته بين الأمرين فاختار أحدهما. واستعمال الجري في وقوع القضاء، لسرعة مروره.

و «الباء» من قوله: «بالخيرة» للملابسة، والظرف في محلّ نصب على الحال، أي: ملتبساً بالخيرة.

والاستثناء مفرّغ، والتقدير: لم يجر في حال من الأحوال إلّا حال التباسه بالخيرة. والغرض سؤال إعداده عليه السّلام للاطمئنان بقضاء الله تعالى وأنّه

---

(١) «الف»: بمر.

وَاجعَلْ شُكري لـكَ عَلى مَا زَويْتَ عَنّي أَوْفَرَ مِنْ شُكري إيّاكَ عَلى مَا خوَّلتَنِي.

لايكون إلّا عن حكمةٍ ومصلحة، فتطيب نفسه، وينشرح صدره لجريانه ونفاذه فيه بما هوعليه، ولا يتسخّط عدم ثروته، وفقده ماأُوتي غيره من متاع الدنيا وحطامها. والله أعلم.

الشكر: الاعتراف بالنعمة، وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه. ويتعدّى تارة باللام فيقال: شكرت له، وأُخرى بنفسه فيقال: شكرته.

وزويتُ عنه الشيء: صرفته وقبضته عنه، ومنه الحديث «أعطاني ربِّي اثْنيْن، وزوَى عنِّي واحداً»(١).

ووفر الشيء يفر وفوراً ـ من باب وعد ـ: تمَّ وكمل. وقيل زاد وكثر.

وخوّله الله مالاً: أعطاه، ومنه قوله تعالى: «وَتركْتُمْ مَاخوَّلناكم» (٢)، أي أعطيناكم.

قال الراغب: والتخويل في الأصل إعطاء الخول(٣). وهو كالخدم والحشم، وزناً ومعنى.

وإنّما سأل عليه السَّلام جعل شكره له على ماقبضه عنه أتمّ وأكمل من شكره له على ماأعطاه، لأنّ قبض ماقبضه عنه هوعين صلاحه حتّى لولم يقبضه عنه لأضرّ به وأفسده كما ورد في الحديث «وإنَّ من عبادي من لايصلحُه إلّا الفقر، فَلو أغنيته لأفسده ذلك»(٤)، ودفع الضرر أهمّ من جلب النفع. فيجب أن يكون الشكر على الأهمّ أكمل وأتمّ. والله أعلم.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٣٢٠.
(٢) سورة الانعام: الآية ٩٤.
(٣) المفردات: ص١٦٣.
(٤) الكافي: ج٢ ص٣٥٢ ح٨.

وَاعصِمْني مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذي عَدمٍ خَساسَةً، أَوْ أظنَّ بِصاحِبِ ثَروَةٍ فَضْلاً، فَإنَّ الشَّريفَ مَنْ شرَّفَتْهُ طَاعتُكَ، والعَزيزُ مَنْ أَعزَّتْه عِبادَتُك.

عصمه الله من المكروه يعصمه -من باب ضرب-: حفظه ووقاه.

والظنّ: خلاف اليقين، وقد يستعمل في معنى اليقين، كقوله تعالى: «الذينَ يظنُّون أنهم ملاقوا ربِّهم»(١)، وهو هنا محتمل للمعنيين، أي احفظني من أن أتوهّم بذي عدمٍ خساسةٍ، أو أعتقد به ذلك.

والعدم -بفتحتين-: الفقر فضمّ عينه مع الإسكان لغة فيه، كالحزَن والحُزن، والرشد والرُّشد. وأصله الفقدان، يقال: عدمته عدماً -من باب تعب-: أي فقدته، ثم غلب على فقدان المال.

والخساسة: الحقارة.

قال الفيومي: خسّ الشيء يخسّ -من بابي ضرب وتعب- خساسة: حقر فهو خسيس(٢).

وقيل: الخساسة حالة يكون عليها الخسيس وهو الدنيء.

والثروة: كثرة المال، يقال: أثرى إثراء، أي استغنى، والاسم الثراء بالفتح والمدّ.

والفضل هنا: بمعنى الفضيلة، وهو خلاف النقيصة. ولمّا كان أكثر الناس يحتقرون الفقير، ويستخسّون بطباعهم، ويعظمون صاحب المال، ويفضّلونه بغضاً للفقر، وحبّاً للغنى، وكان ذلك من ذميم الأخلاق المهلكة، سأل عليه السّلام ربّه أن يعصمه من ذلك.

وكان بعض الأكابر يقول: المفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، ومن رؤيا الكظة، ومن مرآة اللقوة، ومن سحاب تموز، لايُسال عنه إن تخلّف، ولا يُسلّم

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٦.

(٢) المصباح المنير: ص٢٣١.

....

عليه إن قَدم، إذا غاب شتموه، وإن حضر طنزوا به، وإن غضب صفعوه، مصافحتهُ تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة، أثقل من الأمانة، وأبغض من المبرم الملحف، والناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، ومن الذنب للمصِرّ، ومن الحكم للمقرّ، وهو عندهم أرفع من السماء، وأعذب من الماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الورد، خطأه صواب، وسيّئته حسنة، وقوله مقبول، وحديثه معسول، يغشى مجلسه، ولا تملّ صحبته. وكان ينشد لعروة الصعاليك:

ذريني للغنى أسعى فإنّي ... رأيت الناس شرّهم الفقير
وأهونهم وأحقرهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير(١)
ويكرهه النديّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذوالغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جمٌّ ... ولكنّ الغنى ربّ غفور(٢)

والنثر والنظم في هذا المعنى كثير.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السَّلام: من استذلّ مؤمناً، أو احتقره لقلّة ذات يده ولفقره شهرهُ الله يوم القيامة على رُؤوس الخلائق(٣).

وعن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه(٤).

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

قوله عليه السَّلام: «فإنَّ الشريف من شرّفته طاعتك» «الفاء»: للسببيّة.

والشرف: علوٌّ للمنزلة. شرف كعظم فهو شريف. وقيل: الشرف كمال يتعلّق

---

(١) «ألف»: ذخير.

(٢) عيون الأخبار: المجلد الاول: الجزء الثالث ص٢٤١ ـ ٢٤٢ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

(٣) الكافي: ج٢ ص٣٥٣ ح٩.

(٤) نهج البلاغة: ص٥٠٨ الحكم ٢٢٨.

....

بالذات والحقيقة، ولهذا يقال: فلان شريف الذات.

والطاعة: اسم من أطاعه، أي انقاد له، لكن كثر استعمال الطاعة في امتثال الأمر؛ ولذلك عرّفوها بموافقة الأمر.

والعزّة: الرفعة والامتناع. ورجل عزيز: منيع لايغلب ولايقهر.

وقد يراد بالعزيز: الكريم، من عزّ عليّ يعزّ عزاً وعزّة وعزازة: أي كرم، فهو عزيز. وأعززته: أكرمته وعظمته فهو عزيز أيضاً. وهذا المعنى أنسب بعبارة الدعاء من الأوّل.

والعبادة في أصل اللغة الخضوع والانقياد، وفي الاصطلاح فعل المكلّف على خلاف نفسه تعظيماً لربّه. وقيل: هو فعل اختياري مباين للشهوات البدنيّة، يصدر عن نيّة يراد بها التقرب إلى الله تعالى، طاعة للشريعة.

وقال صاحب الكشف: العبادة قد تطلق على أعمال الجوارح بقصد القربة، ومنه قوله صلّى الله عليه وآله: لفقيهٌ واحد أشدُّ على الشيّطان من ألف عابد. وهي على هذا غير الإيمان بمعنى التصديق والنيّة والإخلاص، بل مشروطة به.

وقد تطلق على التحقّق بالعبديّة بارتسام ما أمر السيد جلّ وعلا، أو نهى، وعلى هذا تتناول الأعمال والعقائد القلبيّة أيضاً، فدخل فيها الإيمان وهو عبادة في نفسه، وشرط لسائر العبادات. إنتهى.

وقصر اسم إنّ على خبرها في الفقرتين للمبالغة في شرف من شرّفته طاعة الله تعالى، وعزّة من أعزّته عبادته، كأنّه لاشريف ولا عزيز غيره، على ماقالوه في نحو: «الأمير زيد، والشجاع عمرو» من أنّ اللام إن حمل في المقام الخطابي على الاستغراق كان بمنزلة كلّ أمير زيد، وكلّ شجاع عمرو، وإن حمل على الجنس أفاد أنّ زيداً وجنس الأمير، وعمراً وجنس الشجاع متّحدان في الخارج. وكيف كان فالقصر الادّعائي حاصل.

فَصلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَمتِّعْنا بِثَروةٍ لا تَنفَدُ، وأَيِّدنا بعزٍّ لايُفقَدُ، وأَسْرِحْنا فِي مُلك الأَبد، إنَّك الواحِدُ الأَحدُ الصَّمدُ الَّذي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ، وَلَم يكُنْ لكَ كُفُوا أحدٌ.

«الفاء» فصيحة لصلاحيّة تقدير إذا الشرطيّة قبلها، أي إذا كان الأمر هكذا فصلِّ على محمَّدٍ وآله.

ومتِّعنا: أي أعطنا ثروة لا تنفد ننتفع بها. يقال: متّعته بكذا تمتيعاً، وأمتعته به إمتاعاً: أعطيتهُ إيّاه لينتفع به. ومنه المتاع، وهو كلّ ماينتفع به من طعام وأثاث.

ونفذ الشيء ينفذ من باب تعب نفاذاً: فنى وانقطع.

والأيد: القوّة الشديدة. وأيّدته تأييداً: قوّيته، ومنه قوله تعالى: «أيّدتك بروح القدس»(١).

والفقْد: عدم الشيء بعد وجوده، فهو أخصّ من العدم؛ لأنّ العدم يقال فيه وفيما لايوجد.

وسرَحت الإبل سرحاً وسروحاً ـ من باب نفع ـ: رعت بنفسها، وسرحتها سرحاً أيضاً: أرسلتُها للرعي، وهو من الأفعال اللازمة والمتعدّية. وسرّحتها ـ بالتثقيل ـ مبالغةً وتكثيراً. وأمّا أسرحتها بالهمز فلم أقف عليه في شيء من كتب اللغة، فما وقع في نسخة ابن ادريس من ضبط قوله عليه السَّلام: «وأسرحنا» بقطع الألف ينبغي تحريره.

والمراد بالسرح هنا التخلية، وعدم المنع كما تسرح الماشية في المرعى، وهو استعارة تبعيّة أو مكنيّة.

والملك: السلطنة والعزّ والعظمة.

والأبد: الدهر الطويل الذي ليس بمحدود. وقيل: هو استمرار الوجود في أزمنة

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

....

مقدّرة غير متناهية في جانب المستقبل.

وإضافة الملك إلى الأبد، إمّا بمعنى «في» كمكر الليل، وإمّا بمعنى لام الإختصاص كدار المقامة، وهو الصواب.

قال الرضيّ: ولا يلزم في الإضافة بمعنى اللام أن يجوز التصريح بها بل يكفي إفادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام، فقولك طور سينا ويوم الأحد، بمعنى اللام، ولايصحّ إظهار اللام في مثله، فالأولى أن تقول نحو: مكر الليل وضرب اليوم بمعنى اللام(١).

وفي الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: «وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً»(٢).

قال العلّامة الطبرسي: أي إذا رميت ببصرك ، ثم يعني الجنة، رأيت نعيماً خطيراً، وملكاً كبيراً لايزول ولايفنى، عن الصادق عليه السّلام وقيل: هو الملك الدائم الأبدي في نفاذ(٣) الأمر وحصول الأماني(٤). إنتهى ملخّصاً.

وما وقع لبعض المترجمين من أنّ المراد بملك الأبد الجنّة بقرينة المقام. لأنّ النار أيضاً أبديّة، لكن المسلمون لايأبدون فيها، لايخفى سخافته.

قوله عليه السّلام: «إنّك الواحد الأحد» إلى آخره تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة وتأكيد الجملة للإذعان بمضمونها.

والواحد: اسم فاعل من وحد يحد وحداً من باب وعد. أي انفرد، فالواحد بمعنى المنفرد.

والأحد: أصله وحد، صفة مشبّهة منه كحسن، أبدلت الواو همزة شذوذاً.

قال بعض المحققين: الواحد: الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر،

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٧٤.

(٢) سورة الانسان: الآية ٢٠.

(٣) «ألف»: نفاد.

(٤) مجمع البيان: ج٩ - ١٠، ص٤١١.

....

والأحد: الفرد الذي لايتجزّى، ولايقبل الانقسام فالواحد: هو المنفرد بالذات في عدم المثل، والأحد: هو المتفرّد بالمعنى، وقيل: المراد بالواحد: نفي التركيب والأجزاء الخارجيّة والذهنيّة عنه تعالى، وبالأحد: نفي الشريك عنه في ذاته وصفاته وقيل: الواحديّة: لنفي المشاركة في الصفات، والأحديّة: لتفرّد الذات، ولمّا لم ينفكّ عن شأنه تعالى أحدهما عن الآخر.

قيل: الواحد: الأحد في حكم اسم واحدٍ، وقد يفرّق بينهما في الاستعمال من وجوه:

أحدها: إنّ الواحد: يستعمل وصفاً مطلقاً، والأحد: يختصّ بوصف الله تعالى نحو: «قُل هُو الله اَحدٌ»(١).

الثاني: إنّ الواحد: أعمّ مورداً، لأنّه يطلق على من يعقل وغيره، والأحد لايطلق إلّا على من يعقل.

الثالث: إنّ الواحد يجوز أن يجعل له ثان، لأنّه لايستوعب جنسه، بخلاف الأحد، ألا ترى أنّك لو قلت: فلان لايقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان فأكثر، ولو قلت: لايقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر فهو أبلغ.

الرابع: انّ الواحد يدخل الحساب والضرب والعدد والقسمة، والأحد يمتنع دخوله في ذلك.

الخامس: انّ الواحد يؤنّث بالتاء، والأحد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، قال الله تعالى: «لَستُنّ كأحدٍ مِن النّساء»(٢)، ولايجوز كواحدٍ من النساء بل كواحدة.

السادس: انّ الواحد لايصلح للإفراد والجمع، بخلاف الأحد، فإنّه يصلح لهما، ولهذا وصف بالجمع في قوله تعالى: «مِنْ أحدٍ عنهُ حاجزينَ»(٣).

---

(١) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٣) سورة الحاقة: الآية ٤٧.

....

السابع: انّ الواحد لاجمع له من لفظه، فلا يقال: واحدون، والأحد له جمع من لفظه، وهو أحدون وآحاد.

والصمد: السيد المصمود إليه في الحوائج، أي المقصود إليه من صمد إليه، أي قصد، فهو فعل بمعنى مفعول. وقد أسلفنا الكلام عليه في الروضة الثانية والعشرين مبسوطاً فأغنى عن الإعادة.

قوله عليه السّلام «لم تلد» أي لم يصدر عنه ولد؛ لأنّه لايجانسه شيء يمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد، كما نطق به قوله تعالى: «أنّى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ»(١)؛ ولأنّه لايفتقر إلى مايعينه ويخلفه؛ لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه.

وفيه تنصيص على إبطال زعم المفترين في حقّ الملائكة والمسيح وعزير، ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي.

ولم تولد: أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً، وعدم افتقاره إلى شيء.

ولم يكن له كفواً أحدٌ، أي لم يكن أحد يكافئك ويماثلك من صاحبة وغيرها.

والكفو ـ بضم الكاف وسكون الفاء، وبضمتين ـ: النظير والمماثل.

والمقصود أنّه تعالى لم يماثله أحد في ذاته وصفاته الذاتيّة والفعليّة، وهو تنزيه مطلق له عن المشابهة بالخلق بنحو من الأنحاء كما قال: «وليس كمثله شيء»(٢). والغرض نفي إمكان وجود الكفو له، لابيان عدمه مع إمكانه.

وقال بعض المفسّرين: الآيات الثلاث إشارة إلى نفي من يماثله، وهو إمّا لاحق، وأبطله بقوله: «لَم يلد»، وإمّا سابق وأبطله بقوله: «وَلم يولد» وإمّا مقارن في الوجود، وزيّفه بقوله: «وَلم يكن له كفواً أحدٌ». ويجوز أن يكون الأوّلان إشارة

(١) سورة الانعام: الآية ١٠١.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

....

إلى نفي من يماثله بطريق التولّد أو التوالد، والثالث تعميماً بعد التخصيص. ويحتمل أن يراد بالأخيرة نفي الصاحبة؛ لأنّ المصاهرة تستدعي الكفاءة شرعاً وعقلاً، فيكون ردّاً على من حكى الله عنهم في قوله: «وَجعَلوا بيْنه وبين الجِنَّة نَسباً»(١) تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

والأكثر على أنّ أحد اسم كان، وكفواً خبرها، و«له» صلة كفواً، فهو ظرف لغو، وأورد أنّ تقديم الظرف إذا كان لغواً غير مستحسن كما نصّ عليه سيبويه في كتابه(٢).

وأُجيب: بأنّه إنّما قدّم اللغو فيه لأنّه معقد الفائدة، إذ ليس الغرض نفي الكفو مطلقاً، بل نفي الكفو له تعالى، فقدّم اهتماماً بما هو المقصود معنى، ورعاية للفواصل لفظاً.

وقال مكّي في إعرابه: وقيل: «له» هو الخبر، وهو قياس قول سيبويه؛ لأنّه يقبح عنده إلغاء الظرف إذا تقدّم. وخالفه المبرّد، وأجازه على غير قبح، واستشهد بالآية، ولاشاهد للمبرّد في الآية، لأنّه يمكن أن يكون «كفواً» حالاً من أحد مقدّماً عليه، لأنّ نعت النكرة إذا تقدّم عليها نصب على الحال(٣). إنتهى.

وجوّز أبو البقاء: أن يكون «له» حال من كفواً، وأن يكون متعلّقاً بـ«يكن»، والخبر هو كفواً(٤).

واعلم أنّه عليه السّلام إنّما آثر الخطاب في العائد إلى الموصول على الغيبة، فقال: «لَم تَلد، ولم تُولد، ولم يكن لك كُفواً أحدٌ» ـ مع أنّ الأكثر في الموصول أو موصوفه إذا كان خبراً أن يكون العائد إليه غائباً نحو: أنت الرجل الذي قال كذا ـ حملاً على المعنى، وتلذّذاً بالخطاب؛ ولأنّ الإقرار والإذعان والشهادة بوحدانيّته وأحديّته

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٥٨.

(٢) كتاب سيبويه: ج١ ص١٣٩-١٤٠.

(٣) مشكل اعراب القران: ج٢ ص٥١٠.

(٤) إملاء مامنَّ به الرحمن: ج٢ ص٢٩٧.

....

وصمديّته وتنزيهه عن المماثل مطلقاً في الحضور أتمّ منه في الغيبة، فأجرى جملة الكلام على وتيرةٍ واحدةٍ في الخطاب، على أنّ رواية ابن إدريس على الغيبة. والله أعلم.

هذا آخر الروضة الخامسة والثلاثين من رياض السالكين، وفّق الله عزّ شأنه لإتمامها راد الضحى من يوم الخميس، لثلاث عشرة خلون من شوّال عام أربع ومائة وألف، بدار السرور برهانپور على يد مؤلّفه ولله الحمد.

الروضة السادسة والثلاثون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَظَرَ إِلَى السَّحَابِ وَالْبَرْقِ وَسَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ

اَللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذَيْنِ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِكَ وَهٰذَيْنِ عَوْنَانِ مِنْ أَعْوَانِكَ
يَبْتَدِرَانِ طَاعَتَكَ بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ أَوْ نَقِمَةٍ ضَارَّةٍ فَلَا تُمْطِرْنَا
بِهِمَا مَطَرَ السَّوْءِ وَلَا تُلْبِسْنَا بِهِمَا لِبَاسَ الْبَلَاءِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هٰذِهِ السَّحَائِبِ وَبَرَكَتَهَا وَاصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا
وَمَضَرَّتَهَا وَلَا تُصِبْنَا فِيهَا بِآفَةٍ وَلَا تُرْسِلْ عَلَى مَعَايِشِنَا عَاهَةً اَللّٰهُمَّ
وَإِنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا نِقْمَةً وَأَرْسَلْتَهَا سَخْطَةً فَإِنَّا نَسْتَجِيرُكَ مِنْ غَضَبِكَ وَ
نَبْتَهِلُ إِلَيْكَ فِي سُؤَالِ عَفْوِكَ فَمِلْ بِالْغَضَبِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَدِرْ رَحَى نَقِمَتِكَ
عَلَى الْمُلْحِدِينَ اَللّٰهُمَّ أَذْهِبْ مَحْلَ بِلَادِنَا بِسُقْيَاكَ وَأَخْرِجْ وَحَرَ صُدُورِنَا
بِرِزْقِكَ وَلَا تَشْغَلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ وَلَا تَقْطَعْ عَنْ كَافَّتِنَا مَادَّةَ بِرِّكَ فَإِنَّ الْغَنِيَّ
مَنْ أَغْنَيْتَ وَإِنَّ السَّالِمَ مَنْ وَقَيْتَ مَا عِنْدَ أَحَدٍ دُونَكَ دِفَاعٌ وَلَا بِأَحَدٍ عَنْ سَطْوَتِكَ
امْتِنَاعٌ تَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ عَلَى مَنْ شِئْتَ وَتَقْضِي بِمَا أَرَدْتَ فِيمَنْ أَرَدْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ
عَلَى مَا وَقَيْتَنَا مِنَ الْبَلَاءِ وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَوَّلْتَنَا مِنَ النَّعْمَاءِ حَمْدًا يُخَلِّفُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ
وَرَاءَهُ حَمْدًا يَمْلَأُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ إِنَّكَ الْمَنَّانُ بِجَسِيمِ الْمِنَنِ الْوَهَّابُ لِعَظِيمِ النِّعَمِ الْقَابِلُ
يَسِيرَ الْحَمْدِ الشَّاكِرُ قَلِيلَ الشُّكْرِ الْمُحْسِنُ الْمُجْمِلُ ذُو الطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ

الـــــروضـــــة
السادسة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين(١)

الحمد لله الذي يُري عباده البرق خوفاً وطمعاً، ويسبّح الرّعد بحمده والملائكة من خيفته معاً، والصلاة والسلام على نبيّه الذي يستسقى بوجهه الغمام وأهل بيته سحب الرحمة الواكفة على الأنام.

وبعد؛ فهذه الروضة السادسة والثلاثون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين، سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السني عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، نظر الله بعين رحمته إليه، وأسبل سحاب جوده وكرمه عليه.

---

(١) «ألف»: وبه ثقتي.

شرح الدعاء السادس والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام إذا نظر إلى السحاب والبرق، وسمع صوت الرعد.

السحاب بالفتح: الغيم، كان فيه ماء أو لم يكن. ولهذا يقال: سحابٌ جهام، أي لاماء فيه. وأصله من السحب، وهو الجرّ كسحب الذيل والإنسان على وجهه، سمّي بذلك لجر الريح له لانجراره في مرّه. الواحدة سحابة، والجمع سحب -بضمتين-.

والبرق: لمعان السحاب، والرعد: صوته. وإضافة الصوت إليه من إضافة العام إلى الخاصّ، وفي الحديث: إنَّ البرق سوط من نار بيد ملك من ملائكة الله يزجر به السحاب(١) والرعد: اسم ذلك الملك الموكّل بالسحاب، وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً في الروضة الثالثة، مع ماقاله الطبيعيون في ذلك، فليرجع إليه(٢).

---

(١) الكشكول للشيخ البهائي: ص١٦٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) ج٢ ص٥١.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهمَّ إنَّ هذَين آيتَانِ مِنْ آياتِكَ ، وَهذَينِ عَونانِ مِنْ أعوانِكَ يَبتَدِرَانِ طَاعَتكَ بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ، أَوْ نِقمَةٍ ضَارَّةٍ فَلا تُمطِرْنَا بِهما مَطرَ السُّوءِ، وَلا تُلْبِسنا بِهما لِباسَ البَلآءِ.

تأكيد الجملة، لرواجه عند المخاطب، وبيان أنَّ الحكم عن اعتقاد ثابت، وصميم قلب، وصدق رغبة فيه. والظاهر أنّ المشار إليها بهذين البرق والرعد، ويُحتمل أن يكون السحاب والبرق، أو السحاب والرعد.

والآية: العلامة الظاهرة.

قال الراغب: وحقيقته كلّ شيء ظاهر، هو ملازم لشيء لايظهر مظهره. فمتى أدرك مُدرك الظاهر منهما علم أنّه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمها سواء. وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج، ثمّ وجد العلم، علم أنّه وجد الطريق. وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنّه لابدّ له من صانع.

واشتقاقها إمّا من أيٍّ، وهي التي تبيّن أيّاً من أيّ(١).

أو من قولهم: آوى إليه، أي رجع، لأنّها يرجع إليها لمعرفة ذي العلامة، وقد تقدّم الكلام على بنائها، ونقل الخلاف فيه في شرح الأسناد.

ومعنى «آيتان من آياتك» أي علامتان من علاماتك الدالّة على وحدانيّتك وقدرتك، كما قال تعالى: «ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً»(٢).

والعون: المعين والظهير على الأمر. واشتهر اختصاصه بمن يخدم السلطان، وينفذه السلطان في أوامره ونواهيه. وهذا المعنى هو المراد هنا، أي خادمان من خدمك نافذان في أمرك . وهو مجاز مرسل، من باب إطلاق اسم اللازم على الملزوم؛

---

(١) المفردات: ص٣٣.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٤.

....

لأنّ الخدمة وتنفيذ الأمر لازمان للإعانة والمظاهرة.

وماقيل: من أنّ المراد أنّهما عونان للخلق، وإضافة الأعوان إليه تعالى من باب إضافة الشيء إلى فاعله، والمعنى أنّهما من جملة الأشياء التي جعلتها أعواناً لخلقك، لايخفى عدم مناسبته لسياق الكلام.

ويبتدران طاعتك؛ أي: يتسارعان إليها.

قال الفارابي(١) والجوهري(٢): ابتدر القوم السلاح تسارعوا إلى أخذه.

وفي القاموس: بادره مبادرة وبداراً وابتدره، وبدر غيره إليه: عاجله(٣).

والجملة في محل رفع على الوصفيّة، أو خبر ثان. وإيثار تصديرها بالمضارع؛ لإفادة الاستمرار.

قال الرضيّ: جرت العادة منهم إذا قصدوا معنى الاستمرار بأن يعبّروا عنه بلفظ المضارع، لمشابهته للاسم الذي أصل وضعه الإطلاق، كقولك زيد يؤمن بالله ويسخو بموجوده، أي هذه عادته(٤).

و«الباء» من قوله: «برحمة» إمّا متعلّقة بـ«يبتدران» لتضمينه معنى يأتيان، أي يبتدران طاعتك آتيين برحمةٍ على ماعرفت فيما تقدّم في بيان التضمين، من أنّه استعمال الفعل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر، بمعونة القرينة اللفظية. فقولنا: أحمد إليك فلاناً، معناه: أحمده منهياً إليك حمده، ويقلّب كفّيه على كذا، أي نادماً عليه. أو بالأمر المدلول عليه بالطاعة على حذف مضاف، أي طاعة أمرك بنعمة أو نقمة، فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه، لأنّ الطاعة هنا بمعنى امتثال الأمر لامطلق الانقياد، وإذا كان بهذا المعنى كان متعلّقها الأمر دون الذات، كقوله تعالى: «فاتّبعوني وأطيعوا أمري»(٥).

---

(١) ديوان الأدب: ج٢ ص٤٠٠.

(٢) الصحاح: ج٢ ص٥٨٧.

(٣) القاموس المحيط: ج١ ص٣٦٩.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٧٩.

(٥) سورة طه: الآية ٩٠.

....

والمراد بالرحمة هنا: المطر والخصب التابع له، سمّي ذلك رحمة لتسبّبه عن الرحمة التي هي من الله الإحسان.

والنفع: الخير، وهو مايتوصّل به الإنسان إلى مطلوبه، يقال: نفعني الشيء نفعاً وهو نافع.

وقال الراغب: النفع مايستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير(١).

ونعت الرحمة به: للمدح.

والنقمة على وزن كلمة، وتخفّف مثلها العقوبة، وهي اسم من الإنتقام، يقال: انتقمت منه، أي عاقبته.

وضرّه يضرّه ضرّاً ـ من باب قتل ـ: إذا أوقع(٢) به مكروها فهو ضارٌّ. ونعت النقمة به: للذم.

والمراد بالنقمة: إمّا الصواعق التي يرسلها الله سبحانه على من يشاء كما قال في محكم كتابه: «ويرسلُ الصواعقَ فيصيبُ بها مَن يشاء»(٣)، أو مطلق الضرر الواقع بسبب السحاب والبرق والرعد من السيول المغرقة، والصواعق المحرقة، وهدم البيوت، وفساد الزرع عند إيناعه، وإسقاط الثمار عند نضاجها، إلى غير ذلك من المفاسد المترتّبة على بعض الأمطار.

وقد فسّر قوله تعالى: «هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً»(٤) بالخوف من الصواعق، والطمع في الغيث، بالخوف والطمع كلاهما من المطر، لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالمسافر الذي يخاف تعويقه له عن المسير، وكالحرّار(٥) والجزّار

---

(١) المفردات: ص٥٠٢.
(٢) «ألف»: وقع.
(٣) سورة الرعد: الآية ١٣.
(٤) سورة الرعد: الآية ١٢.
(٥) «ألف»: كالخزاز.

....

وبعض أهل البلاد الذين لاينتفعون بالمطر بل يضرّهم كأهل مصر، ويطمع فيه من له فيه نفع.

وتقديم الرحمة على النقمة في الدعاء إشعار بسبق الرحمة على الغضب، على ماورد في الحديث القدسي «سبقَت رحمتي غضبي»(١).

وتقديم الخوف على الطمع في الآية؛ لأنّ الخوف عتيد حاصل في الحال، والمطموع فيه مترقّب، وهو الرزق والخصب المتوقّع من إنزال الغيث. والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «فلا تمطرنا بها مطر السوء»، «الفاء» فصيحة، أي إذا كان الأمر كذلك فلا تمطرنا.

قال أبو عبيدة: مطر في الرحمة، وأمطر في العذاب(٢).

وقال الراغب: مطر في الخير، وأمطر في العذاب(٣).

وقال الفيروز آبادي في القاموس: أمطرهم الله، لايقال إلّا في العذاب(٤).

و«الباء» من قوله: «بها» هي الداخلة على آلة الفعل نحو: كتبت بالقلم، وتسمّى باء الاستعانة، وأدرجها ابن مالك في باء السببيّة(٥)؛ تفادياً من إطلاق الاستعانة في الأفعال المنسوبة إلى الله سبحانه.

والسّوء -بالفتح- مصدر ساءه يسوءه: إذا فعل به مايكره، ثمّ أطلق على كلّ ضرر وشرٍّ وفساد. وأُضيف إليه المطر ذمّاً كما يقال: رجل سوء، وهو من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فوصف في الأصل بالمصدر للمبالغة، ثمّ أضيف إلى صفته.

واتّفق القرّاء على فتح السين في قوله تعالى: «أُمطرت مطر السَّوء»(٦).
وانتصاب مطر، إمّا على أنّه مصدر مؤكّد بحذف الزوائد، كما قيل في «أنبتّها الله

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: ج٩ ص١٦٥.
(٢) مجاز القران لأبي عبيدة: ج١ ص٢٤٥.
(٣) المفردات: ص٤٧٠.
(٤) القاموس المحيط: ج٢ ص١٣٥.
(٥) شرح ابن عقيل: ج٢ ص١٩.
(٦) سورة الفرقان: الآية ٤٠.

اللّـهـمَّ صَلِّ عَلى مُـحَـمَّـدٍ وآلِهِ، وَأَنـزِلْ عَـلَيْـنـا نَـفْعَ هـذِهِ السَّـحاب وَبَرَكَتِها، وَاصْرِف عَنّـا أَذاها وَمَضَرَّتَها، وَلا تُصِبْنا فِـيهَا بِآفَةٍ، وَلا تُرسِلْ عَلى مَعايِشنا عاهَةً.

نباتاً حسناً»(١)، أي إمطار السّوء أو على أنّه مفعول ثانٍ، والمعنى فلا تعطنا ولا تولنا مطر السوء.

قال أبو البقاء: ويجوز أن يكون نعتاً لمحذوف، أي: إمطاراً مثل أمطار السوء(٢).

قوله عليه السَّلام: «وَلا تُلبِسنَا بِهـا لباس البلاء» اللباس بالكسر: مايلبس.

والبلاء: المحنة والشدّة والإصابة بالمكروه والغم، لأنّه يبلي الجسم.

والكلام استعارة مرشحّة، شبّه مايغشى الإنسان عند البلاء من بعض الحوادث باللباس؛ لاشتماله على اللابس، فاستعار له اللباس، ثمّ فرّع عليها مايلائم اللباس من الإلباس وهو الترشيح *.

أَنزل علينا: أي أعطنا وأولنا(٣). وهو مجاز مرسل، من باب إطلاق السبب على المسبّب، لأنّ إعطاء النفع متسبّب عن إنزال غيث السحاب.

قال الراغب: النزول في الأصل هو انحطاط من علوّ(٤)

وأنـزل الله نعمـه على الخلق: أعطـاهـا إيّاهم، وذلـك إمّا بإنـزال الشيء نفسه كإنزال القرآن. وإمّا بإنـزال أسبابه، كإنزال اللـباس والرزق، قال الله تعالى: «قَد أنزلنا عليكم لِباسَاً»(٥) «يُنزّلُ لكُمْ مِن السمّاء رزقاً»(٦).

والسحاب يؤنّث باعتبار المعنى، لأنّ واحدته سحابة، ويذكّر بإعتبار اللفظ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢) تفسير التبيان في اعراب القرآن لأبي البقاء: ذيل آيه ٤٠ من سورة الفرقان.

(٣) «ألف» أدلنا.

(٤) المفردات: ص٤٨٨.

(٥) سورة الاعراف: الآية ٢٦.

(٦) سورة غافر: الآية ١٣.

اللّهمّ وَإنْ كُنْتَ بَعثتَها نِقْمَةً، وأَرْسلْتَها سَخطةً، فإنّا نسْتجيرُكَ مِنْ

والبركة: ثبوت الخير الآلهي في الشيء، مأخوذ من برك البعير إذا ألق بركه، أي صدره على الأرض. وتطلق على كلّ نماء وزيادة غير محسوسين، لكون الخير الآلهي يصدر من حيث لايحسّ، وعلى وجه لايحصى ولايحصر.

وصرف الله عنه السوء صرفاً ـمن باب ضربـ: ردّه عنه.

والأذى: قيل: المكروه اليسير، وقيل: مايلحق الحيوان من ضرر في نفسه أو ماله.

والمضرّة: الضرر. وأصبته بمكروه: أوقعته به.

والآفة: عرض يفسد ما أصابه، وهي في تقدير فعلة بفتح العين.

والظرف من قوله: «فيها» في محلّ نصب على الحال من آفة؛ لتقدّمه عليها. وهو في الأصل صفة لها، فلمّا قدّم عليها نصب على الحال، كقوله تعالى: «ولكُمْ في القصاصِ حياةٌ»(١).

وما قيل: من تعلّقه بـ«تصبنا» فغير صواب.

ولا تُرسل: أي لا تسلّط، ولذلك عدّاه بـ«على» وإلّافالأصل في الإرسال أن يتعدّى بـ«إلى».

والعاهة: كالآفة وزناً ومعنى. يقال: عيه الزرع من باب تعب، إذا أصابته العاهة، فهو معيه، ومعوه في لغة باب الواو.

تصدير الجملة بحرف الشكّ للإيذان باستواء الخوف والطمع عنده من بعث هذه السحاب، من غير ترجيح لأحدهما على الآخر.

وإنّما قال: «وإن كنت بعثتها» ولم يقل: وإنْ بعثتها؛ للإشعار بتقدّم بعثها في علمه تعالى.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

غَضبكَ ، وَنبْتَهِلُ إليكَ فِي سُؤالِ عَفْوِك ، فَمِلْ بِالغَضَبِ إلى المُشركينَ، وَأَدِرْ رَحَى نِقْمَتِكَ عَلى المُلحِدينَ.

وبعثها وأرسلتها: أي وجّهها.

والسُّخطة: فُعلة من السخط -بالضمّ- والسخط -بفتحتين وهو الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، وهو من الله سبحانه إيقاع العقوبة.

وانتصاب نقمة وسخطة إمّا على المصدريّة أي بعث نقمة وإرسال سخطة، أو على المفعول لأجله أي للنقمة وللسخطة، أو على الحاليّة على حذف مضاف، أي بعثها ذات نقمة، وأرسلتها ذات سخطة، أو حال كونها نقمة وسخطة، كأنّها في نفسها نقمة وسخطة.

واستجاره: طلب منه أن يجيره، أي: يؤمّنه ممّا يخاف ويحفظه منه.

والابتهال: التضرّع في الدعاء.

والميل: الانحراف. يقال: مال عنه. أي انحرف، وأماله ومال به. أي حرفه، كما يقال: أذهبه وذهب به. والمعنى احرف الغضب، واصرفه عنّا إلى المشركين.

والمشرك: اسم فاعل من أشرك بالله، أي أثبت له شريكاً في الأُلوهيّة.

قال الراغب: أكثر الفقهاء يحملون المشركين على الكافرين جميعاً فيدخل فيهم أهل الكتاب، لقوله تعالى: «قَالت اليَهُود عُزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله»(١).

وقيل: هم مَن عدا أهل الكتاب لقوله تعالى: «إنَّ الذينَ آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا» (٢) فأفرد المشركين عن اليهود والنصارى.

وأدرْ رحى نقمتك: أي شدّد عليهم انتقامك، من قولهم: دارت رحى الحرب، أي اشتدّ القتال. ورحى الحرب حومتها وشدّتها، إستعارة من الرحى التي هي

(١) المفردات: ص٢٦٠.

(٢) سورة الحج: الآية ١٧.

اللّهمّ أذْهِبْ مَحْلَ بِلاَدِنَا بِسُقيَاكَ ، وَأَخرِج وَحْرَ صُدُورِنَا بِرزْقِك ، وَلا تَشغَلْنَا عَنْكَ بِغَيرك ، وَلاَ تَقطَعْ عَنْ كافَّتِنَا مَادَّة بِرِّك ، فَإنَّ الغَنِيَّ مَنْ أَغنَيْتَ، وَإنَّ السَّالِمَ مَنْ وَقَيْتَ.

الطاحونة بجامع الإفناء والإذهاب. ولذلك يقال: طحنتهم الحرب، أي أفنتهم وأهلكتهم، كما تطحن الرحى البرّ. وقد تقدّم بيان هذه الاستعارة في شرح الإسناد.

ويحتمل أن يكون المراد: أنزل بهم نقمتك ، من قولهم: دارت عليه رحى الموت، إذا نزل به.

والملحد: اسم فاعل من ألحد أي مال عن الحقّ. ويطلق على الشرك ، وعبادة غير الله تعالى، وهو المراد هنا .

أذهب الله البأس: أزاله، كذهب به.

وقال الزمخشريّ: أذهبه: جعله ذاهباً، وذهب به: مرّ به مع نفسه(١).

وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً.

والمحل: الجدب والقحط، وانقطاع المطر.

والسُقيا -بالضمّ- على فُعلى: اسم من سقاه الله الغيث أنزله له. ومنه حديث الدعاء «سُقيا رحمةٍ ولاسُقيا عَذابٍ»(٢)، أي اسقنا غيثاً نافعاً بلاضررٍ ولا إفساد.

والوحْر -بفتحتين وبالسكون- وقال الجوهري: هو بالتحريك مصدر، وبالتسكين اسم(٣).

قال ابن الأثير في النهاية: فيه الصوم يذهب وحر الصدر، هو بالتحريك وساوسه وغشه. وقيل: الحقد والغيظ. وقيل: العداوة. وقيل: أشدّ الغضب(٤).

وقال الزمخشري في الفائق: هو الغلّ، يقال: وحر صدره ووغر. وأصله من

---

(١) أساس البلاغة، ص٢١١.

(٢) المصباح المنير: ص٣٨١.

(٣) الصحاح: ج٢ ص٨٤٤.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص١٦٠.

....

الوحرة، وهي دويبة تلزق بالأرض، ونظيره تسميتهم الحقد بالضبّ(١).

ولا تشغلنا عنك: أي عن ذكرك ودعائك وعبادتك بسؤال غيرك، أو تأميله، أو بالاهتمام بأمر الرزق والفكر فيه، وذلك بحسم أسباب الشغل عنه تعالى بغيره، ومن جملتها مَحلِ البلاد، ووحر الصدور.

وكافّتنا: أي: جميعنا. وفيه شاهد على استعمال كافّة غير منصوب على الحال، خلافاً لمن زعم أنّه لايستعمل إلّا كذلك. وقد استوفينا الكلام على ذلك في الروضة السادسة والعشرين(٢)، فليرجع إليه.

والمادّة: الزيادة المتّصلة.

والبِّر - بالكسر - الخير والتوسّع في الإحسان.

قوله عليه السّلام: «فإنَّ الغنيّ من أغنيت»، «الفاء» للسببيّة، أو للترتيب الذكري، كأنّه تفصيل لما أفهمه الكلام السابق إجمالاً من سؤال الغنى والسلامة من الحاجة والفقر.

قال بعضهم: يقال: الغنى على ثلاثة وجوه:

أحدها: عدم الحاجة مطلقاً، وليس ذلك إلّا الله تعالى وهو المذكور في قوله تعالى: «والله هو الغنيُّ الحميدُ»(٣).

والثاني: قلّة الحاجات، والقناعة وهو المشار إليه بقوله تعالى: «وَوجَدَكَ عائلاً فَأغنى»(٤)، أي فأغنى قلبك بالقناعة، وهو المذكور في قوله عليه السّلام: «الغنى غنى النفس»(٥).

والثالث: كثرة المقتنيات بحسب ضروب الناس. ومنه قوله تعالى: «وَمن كان

---

(١) الفائق في غريب الحديث: ج٤ ص٤٧.

(٢) ج ٤ ص ١٦٣.

(٣) فاطر: الآية ١٥.

(٤) الضحى: الآية ٨.

(٥) من لايحضره الفقيه: ج٤ ص٤٠٢ ح٥٨٦٨.

مَا عِنْدَ أحدٍ دُونَكَ دِفَاعٌ، وَلاَ بأَحَدٍ عَنْ سَطوتكَ امْتِنَاعٌ، تَحكُمُ بِمَا شِئْت عَلَى مَنْ شِئْت وَتَقْضِي بِمَا أَردت فيمَنْ أَردت.

غنياً فليستعفف»(١).

والسلامة: الخلوص من الآفات.

ووقيته وقاية: حفظته ممّا يؤذيه ويضرّه، قال تعالى: «فَوَقاهمُ الله شرَّ ذلك اليوم»(٢).

وقصر اسم إنَّ على خبرها في الفقرتين للمبالغة في غناء من أغناه الله تعالى، وسلامة من وقاه وحفظه، كأنّه لاغنيّ ولا سالم غيره، حسب ماتقدّم بيانه في الروضة السابقة وغيرها.

ومفعولا «أغنيت ووقيت» محذوفان، أي أغنيته ووقيته، وقد اطرد حذف المفعول إذا كان ضميراً عائداً إلى الموصول، وقد مرّ نظير ذلك غير مرّة.

الجملة الأولى مستأنفة للتعليل، كأنّه سُئل: لماذا كان السالم من وقيت؟ فقال: لأنّه ماعند أحد دونك دفاع.

و«عند» هنا للحضور المعنوي نحو: «قَالَ الذيْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتاب»(٣).

و«دون» بمعنى التجاوز، ظرف مستقرّ وقع حالاً من أحدٍ. والعامل متعلّق الظرف أعني عند أي ما استقرّ أو مايكون عند أحدٍ دفاع حال كونه متجاوزاً إيّاك.

و«دون» هنا مثلها في قول الشاعر:

يا نفسُ مالك دون الله من واق

أي إذا تجاوزت وقاية الله، ولم تبال بها لم يقك غيره.

ويحتمل أن تكون بمعنى «غير» عند من أثبتّه، أي ماعند أحدٍ غيرك دفاع.

---

(١) سورة النساء: الآية ٦.

(٢) سورة الانسان: الآية ١١.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٠.

....

والدفاع: الحماية، مصدر دافع عنه دفاعاً ومدافعة، أي حماه.

قال الجوهريّ: دافع عنه ودفع بمعنى، تقول منه دافع الله عنك السوء دفاعاً(١).

وقيل في قوله تعالى «إنَّ الله يُدافعُ عَنِ الذين آمنُوا»(٢) صيغة المفاعلة إمّا للمبالغة أو للدلالة على تكرر الدفع. فانّها قد تجرّد عن وقوع الفعل للتكرّر من الجانبين، فيبقى تكرّره كما في الممارسة، أي يبالغ في دفع السوء والضرر عنهم.

و«الباء» من قوله: «بأحد» مثلها في قوله تعالى: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله»(٣). فقيل: هي للملابسة والمصاحبة.

قال العمادي: أي: أيّ شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة فمن الله(٤).

وقيل: للظرفيّة. قال بعض المعربين «بكم» بمعنى فيكم، كما تقول: به عيب.

وعلى الأول: فالتقدير في عبارة الدعاء ولا يلتبس بأحدٍ عن سطوتك امتناع.

وعلى الثاني: ولا يكون في أحدٍ عن سطوتك امتناع. وارتفاع دفاع وامتناع على الفاعليّة بالظرف في الأوّل، وبالجار والمجرور في الثاني لاعتمادهما على النفي، نحو: ماعندك أحدٌ ولا في الدار أحد. هذا اختيار ابن مالك وابن هشام في الشذور(٥). ووجهه أنّ الأصل عدم التقديم والتأخير. ونقل ابن هشام الخضراوي وجوب ذلك عن الأكثرين(٦).

ورجّح بعضهم الارتفاع على الابتدائيّة، والجار والمجرور (٧)والظرف خبران، مع جواز الفاعليّة. وعلى القول بارتفاعهما على الفاعليّة، فهل عامل الفاعل الفعل المقدّر، أو الظرف والجار والمجرور لنيابتهما عن الفعل، وقربهما منه لاعتمادهما؟ فيه خلاف:

---

(١) الصحاح: ج٣ ص١٢٠٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٥٣.

(٤) تفسير أبي المسعود: ج٥ ص١٢٠.

(٥) شذور الذهب لابن هشام: ص٤١٠.

(٦) مغني اللبيب: ص٥٧٩.

(٧) «ألف»: والظرف والجار.

....

قال ابن هشام: والمختار الثاني، لامتناع تقديم الحال في نحو: زيدٌ في الدار جالساً، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع(١).

وسطابه يسطو سطواً وسطوة: قهره وأذلّهُ، وصال عليه.

وإمتنع زيد عمّن يريده بسوء امتناعاً: حمى نفسه بقوّته، أو بعشيرته. وأصل المنع: تحجير الشيء؛ ولهذا يقال في ضدّ العطاء.

قوله عليه السَّلام: «تحكم بما شئت على من شئت» جملة مستأنفة للتعليل أيضاً، كالجملة المتقدّمة لقصر السلامة على من وقاه الله تعالى. وترك عطفها تنبيهاً على كونها علّة بالاستقلال، ويجوز أن تكون تعليلاً للكلام السابق عليها، كما أنّ الجملة الأولى تعليل لسابقها. ونظير ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّها الذينَ آمنوا لا تَتَّخذُوا بطانةً من دونكم لايألونكُمْ خَبالاً وَدُّوا مَا عَنتُّم، قَد بدَت البغضاء مِن أفواههم وَما تُخفي صُدورُهُم أكبر»(٢).

قال الزمخشريّ: الأحسن والأبلغ أن تكون هذه الجمل مستأنفات كلّها على وجه التعليل للنهي عن اتّخاذهم بطانة من دون المسلمين(٣).

قال السعد التفتازانيّ: ليس معنى قوله: مستأنفات كلّها أنّ الكلّ علّة واحدة بالاجتماع، بل بمعنى أنَّ كلاً منها علّة للنهي بالاستقلال، وترك تعاطفها تنبيهاً على الاستقلال، كما في قوله تعالى «ذلك بأنهمْ كانُوا» «ذَلِك بما عصوا» أو على أنّها مستأنفات على طريق الترتيب بأن يكون اللاحق علّة للسابق إلى أن تكون الأُولى علّة للنهي، ويتمّ التعليل بالمجموع، أي: لا تتخذوهم(٤) بطانة؛ لأنهم لايألونكم خبالاً لأنهم يودّون شدّة ضرركم؛ بدليل أنّه قد تبدو البغضاء من أفواههم، وإنْ كانوا يخفون الكثير(٥). إنتهى.

---

(١) مغني اللبيب: ص٥٧٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(٣) الكشاف: ج١ ص٤٠٦.

(٤) «ألف»: لا تتخذونهم.

(٥) التفتازاني.

فَلكَ الحَمْـدُ عَلى مَا وَقيْتَنـا مِنَ البَلاء ، وَلكَ الشُّكْرُ عَلى مَا خَوَّلتَنَا مِـنَ النَّعمَآء، حَمْداً يُـخـلِّفُ حَمْدَ الحَامِـديـنَ وَرَاءَه، حَمْداً يَمْلأُ أَرضَهُ وَسَمَاءَهُ.

والمشيـئة والإرادة: بمعنى واحـد بحسب اللـغة، وعـند أكثر المـتكـلّمين. وفرّق بعضهم بينهما، بأنّ المشيـئة من الله تقتضي وجود الشـيء، ولذلك قيل: ماشاءالله كان، ومالم يشأ لم يكن، والإرادة منه تعالى لا تقتضي وجود المراد لامحالة، ألا ترى أنّه قال: «يَـريد الله بكم الـيسر ولا يريـد بكم العسر»(١)، وقال: «وَما الله يـريد ظلماً للعباد»(٢)، ومعلوم أنّه قد يحصل العسر والظلم فيمابين الناس.

وقـال بعض المحققين: مشيـئة الله عـبارة عـن تجلّـيه بالـعناية السابـقة لإيجاد المعدوم، أو إعدام الموجـود، وإرادته عبارة عن تجلّيه لإيجاد المعـدوم، فهي لا تتعـلّق أبداً إلّا بالمـعدوم، فـتكـون صفة تخصص أمـراً بالحصـول ووجوده، كما قـال تعالى: «إنّما أمـرُه إذا أراد شيـئاً أنْ يقولَ لـه كن فيكون»(٣). والمشيـئة أعمّ من الإرادة من وجه، قال: ومن تتـبّع مواضع استـعمالات المشيـئة والإرادة في القرآن يعلـم ذلك، وإنْ كان بحسب اللغة يستعمل أحدهما مكان الآخر إنتهى.

وعلى هذا فمفاد الفقرة الثانية أخصّ من مفاد الأولى.

والمعنى: إنّك تحكم بما شئت على من شئت، حسب ماتشاء، وتقضي بما أردت على من أردت حسب ماتريـد، من غير أن يوجبه عليك موجب، أو يمنعك منه مانع. والله أعلم.

«الـفاء»: سببيّة. وتـقديم الحمد على الوقاية مـن البلاء على الشكر على تخويل النـعماء، لما تقـرّر من أنّ دفـع الضرر أهم مـن جلـب النفـع، والتـخليـة مقـدّمة على التحلية، وإيثار الشكر في النعماء ظاهر؛ لأنّه لايقال إلّا في مقابلة نعمة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥. (٢) سورة غافر: الآية ٣١. (٣) سورة يس: الآية ٨٢.

إنَّك المنَّانُ بِجَسيم المِننِ، الوَهّابُ لِعَظيم النِّعَم، القَابِلُ يَسيرَ الحَمْدِ، الشّاكِرُ قَلِيلَ الشُّكر، المُحْسِنُ المُجْمِلُ ذُو الطَّوْل، لاإله إلّا أَنْتَ، إلَيْكَ المَصِيرُ.

وخلّفت الشيء تخليفاً: تركته خلفي، أي ورائي وهو نقيض قدّام.

ووراء: نصب على الظرفيّة، لاعلى أنّه مفعول ثانٍ ليخلّف كما توهّمه بعضهم.

وجملة «يخلّف» ـ في محلّ نصب ـ نعت لـ «حمداً» المنصوب على المفعوليّة المطلقة.

والكلام تمثيل لرجحان حمده على سائر الحمد، وتصوير لإنافته وفضله على كلّ حمدٍ كمّاً، وكيفاً بما هو علم في الرجحان والفضل من شرف السابق المجاوز لأمثاله وأقرانه، المخلّف لهم وراء ظهره عليهم جميعاً، ومداره على تصوير المعقول بصورة المحسوس وإبراز الغائب عن الحس في صورة الشاهد حتّى كأنّه محسوس مشاهد.

ومثله قوله عليه السَّلام «يملأ أرضه وسماءه» فإنّه تمثيل وتصوير أيضاً، لكثرة الحمد بكثرة مايملأ الأرض والسماء.

والضمير في كلّ من أرضه وسمائه إمّا عائد إلى الله تعالى فيكون من باب الإلتفات، أو إلى الحمد، والإضافة لأدنى ملابسة لوقوعه فيهما(١) كما قال تعالى: «وَلَهُ الحمد في السماوات والأرض»(٢). والله أعلم(*)

المنّان: صيغة مبالغة من المنّة، وهي النعمة الثقيلة، يقال: «مَنَّ عليه» إذا أثقلهُ بالنعمة الثقيلة، وعلى ذلك قوله تعالى: «وَلَقد مَنَّ الله على المؤمنينَ»(٣)، وذلك في الحقيقة لايكون إلّا الله تعالى.

والجسيم في الأصل: العظيم الجسم، وهو ماله طول وعرض وعمق، ثمّ استعمل في المعاني أيضاً.

---

(١) «ألف»: بينهما.

(٢) سورة الروم: الآية ١٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

....

قال في الأساس: ومن المجاز أمرٌ جسيم، وهو من أجسام الأُمور، وجسيمات الخطوب(١).

والمنن: جمع منّة، مثل سدرة وسدر.

والوهّاب: من أبنية المبالغة أيضاً، وهو من الهبة، وهي أن تجعل ملكك لغيرك من غير عوض.

والعظيم في أصل الوضع: من عظم الرجل إذا كبر عظمه، ثمَّ استعمل لكلّ كبير، محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنى.

والنعم: جمع نعمة بالكسر، وهي في الأصل للحالة الحسنة كالركبة والجلسة، ثمّ اطلقت فيما قصد به الإحسان والنفع.

وقبلت الهدية -من باب تعب- قبولاً؛ أي أخذتها. قالوا: والقبول يقتضي الرضا والإثابة، ولذلك لايقال إلّا في أخذ الشيء على وجه يقتضي ثواباً، كالهديّة.

وقبول الله تعالى للعمل عبارة عن أن يكون العمل بحيث يرضاه ويثيب عليه. شبّه الفعل من العبد بالهديّة، ورضا(٢) الله تعالى به وإثابته عليه بالقبول.

واليسير: فعيل من يسر الشيء -من باب قرب-: بمعنى قلّ فهو يسير، أي: قليل.

والشاكر والشكور في وصفه تعالى: قيل: هو المُجازي على الشكر. وقيل: المثيب الكثير على القليل. وقيل: المثني على مَنْ شكره وأطاعه.

والمحسن: من الإحسان، ويقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، ومنه قوله تعالى: «وَقَدْ أَحسَنَ بِي إذْ أَخرَجَني مِنَ السجْنِ»(٣).

---

(١) أساس البلاغة: ص٩٤.

(٢) «ألف»: رضاه.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

....

الثاني: إحسان في نفسه، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً، ومنه قوله تعالى: «الذي أحسَنَ كُلَّ شيء خلقه»(١).

والمجمل: من أجمل الصنيعة، أي أجزلها ووفّرها، كأنّه أعطاها جملاً.

وفي القاموس: أجمل الصنيعة: حسّنها، وكثّرها(٢). إنتهى.

فيكون على الأوّل: من الجمال، وهو الحسن، وعلى الثاني من الجملة.

والطَّول -بالفتح-: الفضل والمنّ. وعن ابن عباس في قوله تعالى: «ذي الطول» أي ذي النعم على عباده، وعن مجاهد، أي ذي الغنى والسعة. وعن الحسن وقتادة، أي ذي التفضّل على المؤمنين(٣). وقيل: أي ذي الفضل بترك العقاب المستحقّ.

ولمّا وصفه تعالى بالصفات التي لا تليق إلّا بالإله وحده بالألوهيّة، فقال: لاإله إلّا أنت، أي أنت الموصوف بهذه الصفات دون غيرك، ولا يستحقّها سواك. ثمّ أتبعه بقوله: «إليك المصير» أي إليك المرجع فحسب، لا إلى غيرك، لااستقلالاً ولا اشتراكاً.

والمعنى: إنّ الأمور تؤول إلى حيث لايملك أحدٌ النفع والضرّر، والأمر والنهي غيرك. والله أعلم.

تمّ ضحى يوم الجمعة واحد وعشرين شوّال.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٧.

(٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٥١.

(٣) مجمع البيان: ج٧-٨ ص٥١٣.

الروضة السابعة والثلاثون

دعاء ۳۷

وكان من دعائه عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر

اللهم إن أحدا لا يبلغ من شكرك غاية إلا حصل عليه من إحسانك
ما يلزمه شكرا ولا يبلغ مبلغا من طاعتك وإن اجتهد إلا كان
مقصرا دون استحقاقك بفضلك فأشكر عبادك عاجز عن شكرك
وأعبدهم مقصر عن طاعتك لا يجب لأحد أن تغفر له باستحقاقه
ولا أن ترضى عنه باستيجابه فمن غفرت له فبطولك ومن رضيت
عنه فبفضلك تشكر يسير ما شكرته وتثيب على قليل ما تطاع فيه
حتى كأن شكر عبادك الذي أوجبت عليه ثوابهم وأعظمت عنه
جزاءهم أمر ملكوا استطاعة الامتناع منه دونك فكافيتهم أو لم
يكن سببه بيدك فجازيتهم بل ملكت يا إلهي أمرهم قبل أن يملكوا عبادتك
وأعددت ثوابهم قبل أن يفيضوا في طاعتك وذلك أن سنتك الإفضال
وعادتك الإحسان وسبيلك العفو فكل البرية معترفة بأنك غير ظالم
لمن عاقبت وشاهدة بأنك متفضل على من عافيت وكل مقر على نفسه
بالتقصير عما استوجبت فلولا أن الشيطان يختدعهم عن طاعتك ما
عصاك عاص ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق ما ضل عن طريقك

ضالّ فسبحانك ما أبين كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك
تشكر للمطيع ما أنت تولّيته له وتملي للعاصي فيما تملك معاجلته
فيه أعطيت كلّاً منهما ما لم يجب له وتفضّلت على كلّ منهما بما
يقصر عمله عنه ولو كافأت المطيع على ما أنت تولّيته لأوشك أن
يفقد ثوابك وأن تزول عنه نعمتك ولكنّك بكرمك جازيته
على المدّة القصيرة الفانية بالمدّة الطويلة الخالدة وعلى الغاية
القريبة الزائلة بالغاية المديدة الباقية ثمّ لم تسمه القصاص
فيما أكل من رزقك الّذي يقوى به على طاعتك ولم تحمله على المناقشات
في الآلات الّتي تسبّب باستعمالها إلى مغفرتك ولو فعلت ذلك به
لذهب بجميع ما كدح له وجملة ما سعى فيه جزاءً للصّغرى من
أياديك ومننك ولبقي رهيناً بين يديك بسائر نعمك فمتى كان
يستحقّ شيئاً من ثوابك لا متى هذا يا إلهي حال من أطاعك وسبيل
من تعبّد لك فأمّا العاصي أمرك والمواقع نهيك فلم تعاجله بنقمتك
لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة إلى طاعتك ولقد
كان يستحقّ في أوّل ما همّ بعصيانك كلّ ما أعددت لجميع خلقك

مِنْ عُقُوبَتِكَ فَبِجَمِيعِ مَا أَخَّرْتَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ وَأَبْطَأْتَ بِهِ عَلَيْهِ
مِنْ سَطَوَاتِ النَّقِمَةِ وَالْعِقَابِ تَرْكُكَ مِنْ حَقِّكَ وَرَضِيتَ بِدُونِ وَاجِبِكَ
فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ يَا إِلٰهِي وَمَنْ أَشْقَى مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْكَ لَا مَنْ فَتَبَارَكْتَ أَنْ
تُوصَفَ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ وَكَرُمْتَ أَنْ يُخَافَ مِنْكَ إِلَّا الْعَدْلُ لَا يُخْشَى
جَوْرُكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ وَلَا يُخَافُ إِغْفَالُكَ ثَوَابَ مَنْ أَرْضَاكَ فَصَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي أَمَلِي وَزِدْنِي مِنْ هُدَاكَ مَا أَصِلُ بِهِ
إِلَى التَّوْفِيقِ فِي عَمَلِي إِنَّكَ مَنَّانٌ كَرِيمٌ

الـــــــروضــــــة
السابعة والثلا ثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وايّاه نستعين

الحمد لله الـذي اعترف بالتقصير عن أداء شكره الشاكرون، واغترف بالتبصير من بحار ذكره الذاكرون، والصلاة والسَّلام على نبيّه الذي مَهدنهج الحمدوسبيله، وعلى أهل بيته الذين وردوا سلسل الشكر وسلسبيله.

وبـعد: فهذه الروضة السـابـعة والثلا ثون من ريـاض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء السابع والثلا ثين مـن صحيفة سيّد الـعابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الائمة الـراشدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، وفّقه الله لشكره وحمده، وتجاوز بمنّه عن خطأه وعمده.

شرح الدعاء السابع والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر.

إعترف بالشيء اعترافاً: أقرَّ به على نفسه والتقصير يقال على وجهين.

أحدهما: بمعنى العجز عن الشيء، يقال فيه: قصر عنه قصوراً ـ من باب قعد ـ وقصّر عنه تقصيراً: أي عجز عنه ولم يبلغه.

والثاني: التواني في الأمر، يقال: قصَّر فلان في حاجتي تقصيراً إذا توانى فيها.

وهو بالمعنى الأوّل يتعدّى بـ«عن» وبالمعنى الثاني يتعدّى بـ«في»، والمراد هنا المعنى الأول لتعديته بـ«عن».

والتأدية: مصدر أدّى الحقّ إذا أوصله وافياً، والاسم الأداء.

قال الراغب: الأداء دفع مايحقّ دفعه وتوفيته، كأداء الجزية وأداء(١) الأمانة.

مقدّمة

الشكر: قيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

وقيل: هو تصوّر المنعم عليه النعمة وإظهارها.

---

(١) المفردات: ص١٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

....

وقيل: هو عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو بالأركان أو بالجنان. فالشكر باللسان: هو الثناء على المنعم بالجميل، والشكر بالأركان: هو مكافاته بقدر استحقاقه، والشكر بالجنان: هو تصوّر النعمة.

وقيل: الشكر باللسان: هو الاعتراف على وجه الاستكانة بجلالة النعمة والشكر بالأركان: الاتّصاف بالوفاق، والخدمة، والشكر بالجنان: هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة الحرمة.

وقال الأكثرون: الشكر قسمان لغوي وعرفي.

فاللغويّ: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام سواء كان ذكراً باللسان، أو اعتقاداً ومحبّة بالجنان، أو عملاً وخدمة بالأركان.

والعرفيّ: هو صرف العبد جميع ماأنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ماخلقه الله لأجله. فبيْن الشكر اللغوي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلقاً.

وقال المحقق النصير الطوسيّ: إعلم أنّ الشكر مقابلة(١) النعمة بالقول والفعل والنيّة. وله أركان ثلاثة:

الأوّل: معرفة المنعم وصفاته اللائقة به، ومعرفة النعمة من حيث أنّها نعمة، ولا تتمّ تلك المعرفة إلّا بأن تعرف أنّ النعم كلّها جليّها وخفيّها من الله سبحانه، وأنّه المنعم الحقيقي، وأنّ الأوساط كلّها منقادة لحكمه مُسخّرة لأمره.

الثاني: الحالة التي هي ثمرة تلك المعرفة، وهي الخضوع والتواضع، والسرور بالنعم، لامن حيث أنّها موافقة لغرض النفس، فإنّ في ذلك متابعة لهواها، وقصر الهمّة على رضاها، بل من حيث أنّها هديّة دالة على عناية المنعم بك، وعلامة ذلك أنْ لا تفرح من نعم الدنيا إلّا بما يوجب القرب منه.

الثالث: العمل الذي هو ثمرة تلك الحال، فإنّ تلك الحال إذا حصلت في

---

(١) «ألف»: مقابله.

....

القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه تعالى، وهذا العمل يتعلّق بالقلب واللسان والجوارح.

أمّا عمل القلب فالقصد إلى تعظيم المنعم وتمجيده وتحميده والتفكّر في صنائعه وأفعاله وآثار لطفه، والعزم على إيصال الخير والإحسان إلى عامّة الخلق.

وأمّا عمل اللسان فإظهار ماقصدته ونويته من التمجيد والتعظيم بتهليله وتحميده وتسبيحه والثناء عليه. وإرشاد الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك.

وأمّا عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته، وعدم استعمالها في معصيته ومخالفة أمره، كإعمال العين في النظر إلى عجيب مصنوعاته وآياته، والنظر في كتابه، واستعمال السمع في استماع دلائله وبراهينه، والإنصات لقراءة كتابه، وقس على ذلك سائر الجوارح.

ومن هنا ظهر أنّ الشكر من أشرف معارج السالكين وأعلى مدارج العارفين، ولايبلغ حقيقته إلّا من ترك الدنيا وراء ظهره، وهم قليلون. ولذلك عزّ من قائل: «وَقَلِيْلٌ مِن عبادي الشكور»(١) إنتهى.

وقال بعض العارفين: كما أنّ لكل من اللسان والجنان والأركان في الشكر تعلّقاً بك، فلكلّ منها تعلّق بغيرك. ولا يتمّ شكر الله به مالم توفّر على غيرك حقّه منه. أمّا بالجنان: فان تنوي الخير وتعتقد الشفقة على كافّة الخلق. وأمّا باللسان: فان تُحسن القول لهم. وأمّا بالأركان: فبالتوقّي ممّا يرجع عليهم بسوء حتّى أنّ شكر العين أن تستر كلّ عيب تراه فيهم، وشكر السمع أن تستر كلّ قبيح تسمعه منهم، وحتى إذا لقيت معارفك فلا تسائلهم على العادة في التلطّف والتحفّي في

---

(١) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج٨ ص٢٧٦ - ٢٧٧، نقلاً عن المحقّق الطوسي «قدّس سرّه».

قال عليه السَّلام:

اللَّهمَّ إنَّ أحداً لاَ يَبلُغُ مِنْ شُكرِكَ غَايةً إلاّ حَصلَ عَليْهِ مِنْ إحْسانِكَ مَايُلزِمُهُ شُكراً، وَلاَ يَبلُغُ مَبلغاً مِنْ طَاعَتِكَ، وَإنْ اجْتَهَد إلاّ كَانَ مُقصِّراً دُوْنَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَأشكرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَن شُكرِكَ، وأعْبَدُهم مُقصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ.

مسألة الحال شوقاً واهتماماً، ولكن على استخراج الشكر منهم والتأدّي بهم إلى أن يحمدوا الله، وتحمده معهم، كما جاء في الحديث أنّه صلّى الله عليه وآله قال لرجل: «كيف أصبحت؟ فقال: بخير. فأعادالسؤال، حتى قال في الثالثة: بخير أحمد الله وأشكره. فقال عليه السّلام: هذا الذي أردت وحمد الله معه»(١).

وبالجملة فأداء شكر الله أمر تعجز عنه العباد، ولو بعد السعي والاجتهاد.

التأكيد بـ«إنّ» لتهيئة النكرة لأن تصلح أن يخبر عنها مع مافيه من أنّ الحكم عن اعتقاد وصميم قلب، ومن أنّه ممّا يجب أن يبالغ في تأكيده وتحقيقه، ومن كونه رائجاً مقبولاً عند المخاطب، إلى غير ذلك من كمال العناية والاهتمام ووفور نشاط المتكلّم وصدق رغبته، وإظهار كمال التضرّع والابتهال.

و «أحداً» هنا اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والمثنى والمجموع. وقيل(٢): ليس هو بمعنى واحد، ولذلك ذهب الفارسيّ وجماعة أنّ همزته أصليّة، لابدل من الواو(٣).

وقال الرضيّ: كأنّه لمّا لم يُر في نحو: «ماجاءني أحد» معنى الوحدة، ارتكب كون الهمزة أصلاً، والأولى أن يقال: همزته في كلّ موضع بدل من الواو، ومعنى ماجاءني أحد، ماجاءني واحد، فكيف مافوقه(٤). إنتهى.

---

(١) المحجة البيضاء: ج٧ ص١٤٨.

(٢) «ألف»: قيل: وليس هو.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص١٤٦.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص١٤٦.

....

وهو هنا يعمّ جنس الإنس بحيث لم يبق منهم أحد، لأنّ النكرة الواقعة في موضع ورد فيه النفي بأن ينسحب عليها حكم النفي تكون للعموم والاستغراق. وهي هنا كذلك في المعنى، لأنّ المعنى لايبلغ أحد غاية، وذلك لاختصاص أحد بالنفي.

وقال ابن هشام في المغني: قولهم: «إنَّ أحداً لايقول ذلك» إنّما أوقع أحداً في الإثبات، لأنّه نفس الضمير المستتر في يقول والضمير في سياق النفي، فكان أحد كذلك (١). إنتهى.

فائدة

قال الراغب: أحدٌ يستعمل على ضربين: أحدهما في النفي فقط، والثاني في الإثبات.

أمّا الأوّل: فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: مافي الدار أحد، أي لاواحد ولا اثنان فصاعداً، لامجتمعين ولا مفترقين. ولهذا المعنى لم يصحّ استعماله في الإثبات؛ لأنّ نفي المتضادين يصحّ، ولايصحّ إثباتها، فلو قيل: في الدار أحد، لكان فيه إثبات واحد منفرد، مع إثبات مافوق الواحد مجتمعين ومفترقين، وذلك ظاهر الإحالة. ولتناوَل ذلك مافوق الواحد يصحّ أن يقال: مامن أحدٍ فاضلين، كقوله تعالى: «فَما منكم من أحدٍ عنه حاجزين»(٢).

وأمّا الثاني: وهو المستعمل في الإثبات فعلى ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعمل في العدد مع العشرات نحو: أحد عشر، وأحد وعشرين.

والثاني: أن يستعمل مضافاً ومضافاً إليه بمعنى الأوّل كقوله تعالى: «أمّا

---

(١) مغني اللبيب: ص٨٨٨.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٤٧.

....

احد كما فيسقي ربّه خمراً»، وقولهم: يوم الأحد، أي يوم الأوّل؛ لقولهم يوم الا ثنين.

والثالث: أن يستعمل مطلقاً وصفاً، وليس ذلك إلّا في وصف الله تعالى نحو: «قُل هو الله أحدٌ». وأصله وحد، ولكنّ وحداً يستعمل في غيره تعالى، كقول النابغة:

على مستأنسٍ وحد(١) إنتهى.

وبلغت الغاية بلوغاً -من باب قعد-: انتهيت إليها. ويطلق البلوغ على الانتهاء إلى أقصى الأمد ومنتهاه مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأُمور المقدّرة. وغاية كلّ شيء: مداه ومنتهاه.

قوله عليه السّلام: «إلّا حصل عليه من إحسانك مايلزمه شكراً» استثناء مفرّغ من أعمّ الأحوال، محلّه النصب على الحاليّة من فاعل يبلغ، أي: لايبلغ أحدٌ غاية من شكرك في حالٍ من الأحوال، إلّا حال كونه حاصلاً عليه من إحسانك مايلزمه شكراً، ونظيره قوله تعالى: «وَلاَ يأْتونك بِمَثَلٍ إلّا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً»(٢). ومفاد ماقبل إلّا ومابعدها هنا مفاد الشرط والجزاء من لزوم الثاني للأوّل، إذ المقصود لزوم تعقّب مضمون إلّا لمضمون ماقبلها.

وحاصل المعنى: أنّه كلّما بلغ من الشكر غاية حصل عليه من إحسانك مايلزمه شكراً.

وما وقع لبعض القاصرين -من أنّ الاستثناء في «إلّا حصل» منقطع كما في «مازاد إلّا مانقص»، لكنَّ مستثنى هذا مفرد، ومستثنى ذاك جملة، وإن كان المستثنى في ذلك عند التأويل مفرداً. والمعنى: لايعرض له عارض عند بلوغ غاية من غايات الشكر إلّا حصول نعمة من نعمك عليه، يلزمه شكرها فهو خبط صريح،

---

(١) المفردات: ص١٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

....

ناشىءٌ عن جهل قبيح.

و«من» في قوله: «من شكرك» و«من إحسانك» مُبيّنة لما بعدها، وهي ومخفوضها في موضع نصبٍ على الحال منه.

قال الرضي: وإنّما جاز تقديم «مِنْ» المبيّنة على المبهم في نحو قولك: أنا من خطّه في روضة؛ لأنّ المبهم مقدّم تقديراً، كأنّك قلت: أنا في شيء من خطه في روضة، فالمبيّن فيه محذوف(١). وما بعد «من» عطف بيان له حذف المعطوف عليه وأقيم المعطوف مقامه كما يحذف المستثنى منه ويقام المستثنى مقامه(٢). إنتهى.

وعدّى حصل بـ«على»، والمعروف تعديته باللام، لأنّه هنا بمعنى ثبت عليه، كأنّ مايلزمه شكراً استعلى عليه، ولزمه لزوم الراكب لمركوبه.

وألزمته المال والعمل إلزاماً: أوجبته وأثبتّه عليه.

والمبلغ: إمّا اسم مكان من البلوغ، أو مصدرٌ ميمي.

وفي الصحاح: شيء بالغ: أي جيّد، وقد بلغ في الجودة مبلغاً(٣).

ودون: نقيض فوق، وهو تقصير عن(٤) الغاية.

واستحقّ فلان الأمر استحقاقاً: استوجبه.

و«الباء» من قوله: «بفضلك» للسببيّة. والفضل هنا إمّا بمعنى الإحسان.

قال الراغب: كلّ عطيّة لا تلزم من يعطي يقال لها: فضل، نحو قوله تعالى: «وَاسأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ»(٥).

وإمّا بمعنى الكمال والفضيلة.

قوله عليه السّلام: «فأشكر عبادك». «الفاء»: فصيحة، أي إذا كان الأمر هكذا فأشكر عبادك عاجزٌ عن شكرك، أي غير قادر عليه، وأعبدهم مقصّر عن

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٢٢.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٣٤٣.

(٣) الصحاح: ج٤ ص١٣١٦.

(٤) «ألف»: على.

(٥) المفردات: ص٣٨٢.

....

طاعتك، أي: عاجزعنها، من قصّرعن الشيء تقصيراً إذا عجزعنه.

والطاعة هنا: إمّا بمعنى موافقة الإرادة، أو بمعنى العبادة، ـ كقولهم: تقبّل الله طاعتك ـ إطلاقاً للعامّ على الخاصّ، كما قد تطلق العبادة على الطاعة في عكس ذلك.

ومدار هذا الفصل من الدعاء على أمرين:

أحدهما: بيان العجزعن شكره تعالى.

والثاني: بيان العجزعن مايستحقّه سبحانه من الطاعة والعبادة أمّا الأوّل: فبيّنه عليه السَّلام بلزوم التسلسل، وهو ترتيب امور غير متناهية، لأنّه إذا أحدث شكراً على نعمة، أحدث الله عليه نعمة أُخرى يجب عليه شكرها، فيحتاج أن يشكرها كشكره الأُولى. وكذلك الحال في الثالثة والرابعة، وهذا يؤدّي الى مالايتناهى، وهوغير مقدور للعبد.

ولزوم هذا الجزاء لشرطه بحكم وعد الله تعالى في قوله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: «وإذْ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنكُمْ»(١)، أي: آذن إيذاناً بليغاً، وأخبر إخباراً مؤكداً، لا تبقى معه شائبة شبهة، لمافي صيغة التفعّل من معنى التكلّف المحمول في حقّه تعالى على غايته التي هي الكمال.

وأُجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو: علم الله، وشهد الله؛ ولذلك أُدخلت اللام الموطئة في الشرط، والنون المؤكّدة في الجزاء فقيل: لئن شكرتم لأزيدنكم، أي لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم نعمة إلى نعمة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم، قال أبوعبدالله عليه السَّلام: أيما عبدٍ انعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، وحمد الله عليها بِلسانه لم ينفد كلامه حتى يامر الله له بالزيادة، وهو قوله «لئن شكرتم لأزيدنّكم»(٢).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧. (٢) تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي: ج١ ص٣٦٨.

....

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عنه قال: من اعطي الشكر اعطي الزيادة، يقول الله عزّوجلّ «لئن شكرتم لأزيدنّكم»(١).

ولذلك أجمع العقلاء على أن تمام الشكر لله تعالى لايبلغه العباد حتى أنّ الأنبياء عنه قاصرون، والأولياء مقصّرون، ولله درّ القائل:

متى تشكر النعمى التي قد صنعتها إذا كنت تولى نعمة حين تشكر

ويحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السَّلام: «إلّا حصل عليه من إحسانك مايُلزمه شكراً» هو التوفيق للشكر، فإنّه من أعظم الإحسان، وأجلّ النعم، ألا ترى إلى مناجاة رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنت ياربِّ أسبغت عليَّ النعم السوابغ، فشكرتك عَليها، فكيف لي بشكر شكرك ، فقال الله تعالى: تعلمت العلم الذي لايفوته علمٌ بحسبك أن تعلم أن ذلك من عندي(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام: أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السَّلام، ياموسى اشكرني حق شكري، فقال: ياربِّ، وكيف أشكرك حق شكرك ، وليس من شكر أشكرك به، إلّا وأنت انعمت به عليَّ؟ قال: ياموسى، الآن شكرتني، حين علمت أنَّ ذلك مِني(٣).

وفي روايةٍ قال موسى عليه السَّلام: إلهي أمرتني بالشكر على نعمك ، وشكري إيّاك نعمة من نعمك(٤).

ومن هذا أخذ الشاعر فقال:

إذا كان شكري نعمةُ الله نعمةً عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلّا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر(٥)

---

(١) الكافي: ج٢ ص٩٥ ح٨.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١ ص٣٠٠.

(٣) الكافي: ج٢ ص٩٨ ح٢٧.

(٤) و (٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٤٠.

....

ولهذا قيل: كلّ نعمة يمكن شكرها إلّا نعمة الله تعالى، فإنّ غاية شكرها الاعتراف بالعجز عنها، وذلك أنّ شكر نعمته نعمة منه، فيجب على العبد شكرها، ثم يجب عليه الشكر على الشكر، وهكذا إلى مالاينتهى وما لانهاية له فنهايته في بدايته. فينبغي أن يسند العبد من الابتداء على العجز ظهره، ويبني على الاعتراف بالتقصير أمره، فيكون معرفة التقصير عن الشكر شكراً، وإلّا فأنّى يبلغ شكر العباد نعم الربّ الجواد! وأين يقع الحالي من الأزلي، والذي لايبقى من الذي لايفنى! بل الجزء الذي لايتجزى من الشيء الذي لايتناهى.

وأين التماد(١) البرض من فيض أبحر(٢)، وأين نزيل الأرض عند الكواكب.

وفي مناجاة بعضهم: إلهي أنت تعلم عجزي عن مواقع شكرك فاشكر نفسك عنّي.

وقد فسّر العلماء قوله صلّى الله عليه وآله لربّه تعالى وتقدّس: «قلت فكّ رهاني وثقّل ميزاني»(٣) فإنّ المراد فكّ رهانه بالشكر، فإنّ النفوس مرتهنة بالنعمة، وإنّما يفكّها الشكر، ولايبلغ العباد كنه الشكر لله عزّوجلّ، ففزع صلّى الله عليه وآله إلى ربّه أن يتولى فكّ رهانه بجوده وإحسانه:

إلهي لقد أحسنت عوداً وبدأة ... إليّ فأوزعني إلهي لأشكرا

ولو أنّ لي في كلّ منبت شعرة ... لساناً يقول الشكر فيك لقصّرا

* * *

إلهي كم أسديت لي منك نعمة ... وفضلاً فلم ينهض بأنعامك الشكرُ

فمن كان ذا عذر لديك وحجة ... فعذري وإقراري بأن ليس لي عذر

أمّا الثاني: ـ وهو بيان العجز عمّا يستحقّهُ سبحانه من الطاعة والعبادة ـ فبيّنه بذكر سبب استحقاقه للعبادة والطاعة، وهو فضله الذي لانهاية له حيث قال:

(١) «ألف»: الثمار.

(٢) «ألف»: بحر.

(٣) الدر المنثور: ج٣ ص٧٢. ذيل الآية ١٠ من سورة الأعراف.

....

«دون استحقاقك بفضلك» والفضل كما تقدّم، إمّا بمعنى الإحسان أو بمعنى الكمال والفضيلة.

أما على الأوّل؛ فيجب أن تكون عبادة العباد وطاعتهم بقدر إحسان المعبود وفضله عليهم، وهذا أمر ليس في طاقة أحد من البشر، لأنّه سبحانه يستحقّ بكلّ نعمة طاعة وشكراً، ونعمه غير محصورة كما قال: «وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها»(١) أي لا تقدرون على تعدادها؛ لكثرتها، بل لعدم تناهيها. فأين يقع القليل من الكثير، والذي يتناهى من الذي لايتناهى!!

قال الحكيم: إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في فمك فانظر إلى ماقبلها وإلى مابعدها، أمّا ماقبلها فكالخبز والطحن والزرع، وغير ذلك من الآلات المعينة، والأسباب والفاعليّة، والقابلية، حتى تنتهي إلى الأفلاك والعناصر. وأمّا مابعدها فكالقوى المعينة علىٰ الجذب والإمساك، والهضم والدفع، وكالأعضاء الحاملة لتلك القوى، وكسائر الأُمور النافعة في ذلك خارجة عن البدن، أو داخلة فيه، فإنّها لا تكاد تنحصر. وإذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ، فكيف فيما جاوز ذلك!!

فتبيّن أنّ العبد ـ وإن إشتدّ على الطاعة حرصه، وطال في العبادة اجتهاده ـ لم يكن بالغاً مايستحقّه الله سبحانه منها بفضله ونعمته عليه. فكيف بمن تطغيه النعمة، وتبطره الدّعة حتى يستعين بنعمته على معصيته، ويتكبّر بإحسانه على خليقته! ولذلك ختم سبحانه الآية المذكورة في سورة إبراهيم عليه السَّلام بقوله «إنَّ الإنسان لظلومٌ كفَّارٌ»(٢) وفي سورة النحل بقوله: «إنَّ الله لغفورٌ رحيمٌ»(٣) فسجّل في الاوّل بالظلم والكفران وفي الثاني باستحقاق النقمة لولا الرحمة والغفران، فكأنّه

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤، وسورة النحل: الآية ١٨.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣) سورة النحل: الآية ١٨.

....

قال: إن كنت ظلوماً كفوراً، فلم أزل رحيماً غفوراً، لا أقابل منك التقصير إلّا بالإحسان والتوفير، ولا أجازي منك الجفاء إلّا باللطف والوفاء، تلك شيمتك في الأخذ، وهذه شيمتي في العطاء.

وأمّا على الثاني ـ وهو حمل الفضل على معنى الكمال والفضيلة ـ فبيانه: أنّ كمال العبادة ومطابقتها للأمر المطاع بحسب العلم بكمال المعبود، وعلوّ شأنه وعظمته. ولمّا كانت ذات الحقّ سبحانه وعظمتها وكمالها أمراً أعظم من أن يطلع عليه بالكنه ملك مقرّب أو نبيّ مُرسل، لاجرم كانت عبادة العباد من الملآئكة والبشر بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته، لا بحسب كماله على هو كما عليه. فكلّ من كان علمه ومعرفته آتمّ وأكمل كانت عبادة من دونه مستحقرة في جنب عبادته، حتى لو زادت معرفته به وأمكن اطلاعه على كنه حقيقته لزادت عبادته، وكانت أتمّ وأكمل.

فإذن كلّ طاعة وعبادة قاصرة عمّا يستحقّه كماله المطلق وكلّ طائع وعابد حاجز ومُقصّر عنه وإنْ خبَّ وأعنق. وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السَّلام، بقوله في صفة الملائكة: لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقّروا أعمالهم، ولأزروا على أنفسهِم، وعرفوا أنهم لم يعبدوك حقَّ عِبادتك، ولم يطيعوك حقَّ طاعتك(١).

وكلا المعنيين يشمله قوله تعالى، وهو أصدق القائلين: «وَمَا قدروا الله حقَّ قدره»(٢).

فإن قلت: كيف يحمل الفضل على معنى الكمال في عبارة الدعاء، وقد نصّ بعضهم على أنّ الفضل إنّما يستعمل للكمال في حقّ غير الله تعالى؟

قلت: لانسلّم ذلك، فقد تقدّم في دعاء التحميد، وهو الدعاء الأوّل قوله

---

(١) نهج البلاغة: ص١٥٩ الخطبة ١٠٩.

(٢) سورة الانعام: الآية٩١.

لاَ يَجِبُ لأَحدٍ أَن تَغفِرَ لَهُ باستِحْقاقِهِ، وَلا أَن تَرضَى عَنْهُ باسْتِيجَابِهِ، فَمَنْ غَفرْتَ لَهُ فَبِطَولكَ ، وَمَنْ رَضيتَ عَنْهُ فَبِفضْلِكَ .

عليه السَّلام «حمداً يفضل سائر الحمد كفضل ربّنا على خلقه» وكفى به شاهداً.

وقد ورد في بعض الأدعية أيضاً وصفه تعالى بالفاضل. والله أعلم .

الجملة الأُولى مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنّه قيل: كيف تراهم مع العجز عن الشكر. والتقصير عن الطاعة في استحقاق المغفرة واستيجاب الرضا؟ فقال: «لايجب لأحدٍ أن تغفر له باستحقاقه» إلى آخره.

وتأخير الرضا عن المغفرة رعاية لاسلوب الترقّي إلى الأعلى لأنّ الرضا فوق المغفرة، فقد(١) يغفر السيد ذنب عبده، وليس براضٍ عنه، وعلى ذلك ماورد في الدعاء: اغفِرْ لي خطيئتي وارض عنّي، فإن لم ترض عنّي فأعف عني، وقد يعفو السيِّد عن عبده وليس براض عنه .

وما حكي أنّ رجلاً غضب على عبده، فاستشفع إليه بشفيع فشفّعه، فجعل العبد يبكي ويتضرّع، فقال له الشفيع: ماهذا البكاء وقد عفى عنك ؟ فقال السيد: إنّه يطلب الرضا، وليس ذلك إليه، فإنّما يبكي لأجله.

وإنّما نفى عليه السَّلام وجوب المغفرة والرضا لأحدٍ عن استحقاق واستيجاب، لأنّ المغفرة والرضا تفضّل وإحسانٌ منه تعالى إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل. فلا يجب عليه سبحانه أن يغفر لأحدٍ أو يرضى عنه لاستحقاقه واستيجابه، وإن تاب وأناب، لأنّ الغفران مع التوبة عندنا على وجه التفضّل أيضاً، لاعلى وجه الوجوب، خلافاً للمعتزلة.

و«الفاء» من قوله: «فمن غفرت له» للترتيب الذكري، أو فصيحة.

والطول والفضل بمعنى، يقال: طال عليه طولاً ـ من باب قال ـ أي أفضل عليه، وأحسن إليه .

---

(١) «ألف»: وقد.

تَشكرُ يسيرَ مَـا شكَرتَهُ، وَتُثِيبُ عَلى قَليلٍ مَـا تُطاعُ فِيهِ، حَتَّى كأنَّ شُكْـرَ عِبَادِكَ الَّـذي أَوْجبْتَ عَـليْـهِ ثَوابَهُمْ، وَأَعظمـت عَنه جَزاءهُمْ،أمرٌ مَلكُوا استِطـاعَةَ الامْتِنَاعِ مِنْهُ دُوْنكَ فَكافَيتَهُمْ، أَوْ لَمْ يكُنْ سَببُهُ بِيَدِكَ فَجازَيْتَهُمْ.

وصفه تعالى بـالشكر، قيل: المراد به مجازاته على اليسير مـن الطاعة بالكـثير من الثواب، لأنّه يعطي بالعمل في أيّام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة. ومن جازى الحسنة بأضعافها صحّ أن يقال: إنّه شكر تلك الحسنة.

وقيل: المراد به قـبول اليسير من الطاعـة والثناء على فعـلها وفاعلها، وقد وصف سبحانـه تعالى نـفسه بالشكـور في غيرموضع من القرآن المجيد، فقـال في سورة فاطر: «إنَّـه غفـور شكـورٌ»(١)، وقال فيهـا: «إن ربـنا لـغفـورٌ شكـورٌ»(٢)، وقال في سورة الشورى: «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسناً، إنَّ الله غفور شكورٌ»(٣).

قال العلّامة الطـبرسيّ: أي شكور لـلطاعات، يعامـل عباده معاملـة الشا كر في توفية الحقّ حتّى كأنّه ممّن وصل إليه النفع فشكره(٤).

وقال في سورة التغابن: «إنْ تُقْرِضُوا الله قَرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم»(٥).

قال القاضي: أي يعطي الجزيل بالقليل(٦).

وقد تواتـرت النسـخ المشهورة مـن الصحـيفة الشريفـة بضبط «شكـرته» بـفتح الشين المعجمة، والكاف، وتاء الخطاب على البناء للفاعل.

فالمعنى تشكر يسير ماقبلته من العمل، وأثنيت عليه، أي تجازي بالكثير عليه.

وماقيل: إنّ المعنى: تشكر يسير الشـكر، فليس بظاهرٍ، إلّا أن يضبط «شكرته»

---

(١) و (٢) سورة فاطر: الآية ٣٠ و ٣٤.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٤) مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠ ص٢٩.

(٥) سورة التغابن: الآية ١٧.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج٢ ص٤٨٢.

....

بالبناء للمفعول، ولم نقف عليه في شيء من النسخ.

وقول بعضهم: المراد أنّه يشكر يسير ماشكره ـ أي شكرناه به؛ لأنّ شكرنا بأمره، ولأنّ أسبابه والتوفيق له منه فكأنّه هو الشاكر لنفسه ـ لايخفى مافيه من التعسّف.

وفي نسخة الشهيد رحمه الله: «تشكر يسيرُما تشكر به» بالبناء للمفعول في الثاني، وهو أظهر في المعنى، وأنسب لما بعده.

وأثابه إثابة: أعطاه ثواب عمله، أي جزاءه ومنه قوله تعالى: «فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ»(١). وأكثر ماتستعمل في المحبوب، وقد تستعمل في المكروه على الاستعارة، كاستعمال البشارة فيه، ومنه قوله تعالى: «فأثابكم غمّاً بغمٍّ»(٢).

وقوله: «فيه» ظرفيّة مجازيّة، أي تعطي الثواب على قليل العمل الذي تطاع فيه، جعل العمل كأنّه ظرفٌ ومحلّه الطاعة(٣).

و«حتّى» حرف ابتداء، والجملة بعدها مستأنفة لامحلّ لها من الإعراب، خلافاً للزجّاج زعم أنّها في محلّ جر بـ«حتّى»(٤)، ويردّه أنّ الحروف الجارّة لا تدخل عاملة إلّا على مفرد، ومؤوّل به، وفائدة حتّى هنا التعظيم.

قال الرضيّ: فائدة حتّى الابتدائيّة، إمّا التحقير، كقوله:

فواعجباً حتّى كليب تسبُّني

أو التعظيم، كقوله:

فما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتّى ماء دجلة أشكل(٥)

قلت: ووجهه إنّها غاية لما قبلها، إمّا في نقصٍ أو(٦) زيادة فجاء من النقص التحقير، ومن الزيادة التعظيم.

وعليه وعنه متعلّقان بالمصدرين بعدهما كقول كعب:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

(٣) «ألف» ومحلّ للطاعة.

(٤) مغني اللبيب: ص١٧٦.

(٥) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٢٧.

(٦) «ألف»: او في.

....

﴿في خلقها عن بنات الفحل تفضيل﴾

ووجب الحقُّ يجب وجوباً: لزم وثبت، وأوجبته إيجاباً: أثبتّه وألزمته، أي جعلتهُ لازماً(١) ثابتاً.

وأعظم الله له الأجر إعظاماً: جعله عظيماً.

والأمر: لفظ عامّ يطلق على الأفعال والأقوال كلّها، ومنه قوله تعالى: «إليه يرجع الأمر كلهُ»(٢).

وملكتُ الشيء ملكه ـ من باب ضرب ـ مَلِكاً ومِلكاً، بالفتح والكسر، تمكّنت من التصرّف فيه من غير مانع، والجملة ـ في محلّ الرفع ـ نعت لأمر.

والاستطاعة: استفعالة من الطوع، وهو الانقياد، فهي في الأصل بمعنى طلب انقياد الشيء وتأتيه، ثمّ إستعملت في القدرة التامّة التي يتمكّن بها الإنسان ممّا يريده. وعرّفت بأنّها عرض يخلقه الله في الإنسان، يفعل به الأفعال الاختيارية.

وامتنع من الشيء وعنه امتناعاً: كفَّ عنه.

ودون: بمعنى التجاوز كما مرّ مراراً، فهي ظرف مستقرٌ وقع حالاً من ضمير العباد في ملكوا، أي ملكوا استطاعة الامتناع منه حال كونهم متجاوزين لك، أي مستبدّين بها من غير أن يكون لك مدخل في حصولها لهم.

و«الفاء» من قوله: «فكافيتهم» سببيّة عاطفة على محذوف تقديره «ففعلوه فكافيتهم»، كقوله تعالى: «اضرب بعصاك الحجر فانفجرت»(٣) أي ضرب فانفجرت، وتسمّى فصيحة؛ لإفصاحها عن المحذوف وقس على ذلك قوله: «فجازيتهم».

والمكافاة: المجازاة، وأصله الهمز. وكلمة «أو» للإيذان بتساوي الأمرين في

---

(١) «ألف»: وثابتاً.

(٢) هود: الآية ١٢٣.

(٣) البقرة: الآية ٦٠.

....

الاستقلال بوجه التشبيه، وبصحّة التشبيه بكلّ واحدٍ منهما وبهما معاً، كقوله تعالى: «أو كصَيِّبٍ مِنَ السماء»(١).

وجملة «لم يكن» -في محلّ رفع- وصف لموصوف محذوف، والتقدير: أو أمر لم يكن سببه بيدك، يقال: الأمر بيد فلان، أي في تصرّفه.

وحاصل معنى هذا الفصل من الدعاء أنّ إحسانه تعالى إلى عباده في مقابلة شكرهم له، وإنعامه عليهم بإزاء طاعتهم وعبادتهم إيّاه، إنّما هو تفضّل منه تعالى؛ إذ كان إيقاع الشكر والطاعة والعبادة منهم بإقداره لهم على ذلك وتوفيقه إيّاهم له، لأنّ كلّ فاعل سواه إنّما يستحقّ القدرة على الفعل من جوده تعالى، لالذاته استقلالاً وتفرّداً به، على ماعلم في مظانّه. ومع ذلك فقد جعل سبحانه ثوابهم على شكره، وجزاءهم على طاعته ثواباً واجباً وأجراً مستحقّاً، فأشبه شكرهم وطاعتهم أمراً استقلّوا لذواتهم بالقدرة على إيجاده، وكانوا يستطيعون أن لايوجدوه، وأن يمتنعوا منه، أو أمراً استبدّوا بتسبيب سببه في إيقاعه، فاستوجبوا بذلك الثواب، واستحقّوا به الجزاء. وليس الأمر كذلك، بل هو سبحانه الذي أقدرهم على ذلك، ووفّقهم له، وقادهم بزمام اللطف والعناية إليه. فلو أرادوا أن يمتنعوا منه، وأن لايفعلوه بدون ماركّبه فيهم من الأسباب مااستطاعوا، وكان أسباب صدوره منهم وحصوله عنهم بقدره وإعداده عزّوجلّ، فأنّى لهم الإستقلال والاستبداد في نسبته إليهم؟!

ومن هنا قال موسى عليه السَّلام: «إلهي أمرتني بالشكر على نعمك، وشكري إيّاك نعمة من نعمك»(٢). وعليه قوله تعالى: «يَمنُّون عَليك أَن أَسلموا قُل لا تمنُّوا عليَّ إسلامَكُمْ بل الله يمنُّ عليْكُمْ أن هَداكُمْ للإيمان إنْ كُنتُمْ صَادِقينَ»(٣).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٤٠.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٧.

بَلْ مَلَكْتَ يَا إلهي أمرهُمْ قبلَ أن يَملِكُوا عِبادَتَكَ ، وَ أعددْتَ

وإنّما قال عليه السَّلام: «أمراً ملكوا استطاعة الامتناع منه دونك» ولم يقل: ملكوا استطاعة إيجاده دونك؛ للمبالغة في تحقّق عجزهم؛ لأنّ من لايملك استطاعة الامتناع من الشيء فهو عن استطاعة فعله وإيجاده أعجز. وهذا لاينافي الاختيار كما سنبيّنه.

وأمّا قول بعضهم: معنى قوله عليه السَّلام: «أمر ملكوا استطاعة الامتناع منه دونك» أنّ لهم أن يتركوا شكرك لاستغنائهم وعلمهم بكرمك فلا ينتقص من ثوابهم شيء، أو معناه أنت المالك للثواب، ولك أن تثيبهم من غير شكر، لكن لكثرة صدور هذا التفضّل منك صاروا كأنّهم مالكين لتحصيل الثواب من غير شكر، وقادرين على ذلك، فهو تخييل عجيب، وتوهّم غريب، وكأنّه أراد بهذا التأويل الذي لايدلّ عليه منطوق الكلام ولا مفهومه، التفادي عمّا يوهمه ظاهر العبارة من نفي اختيار العبد.

ويكفي في التفصّي عن ذلك أنّ مراده عليه السَّلام عدم استطاعتهم على كفّ أنفسهم عنه بدون ما أوجده سبحانه فيهم من الحياة والآلة والعقل والهمّة إلى غير ذلك من الأسباب التي هي منه سبحانه. وفي ذلك مندوحة عن هذا التأويل البارد. والله يقول الحقّ، وهو يهدي السبيل. وإلى إبطال الشبه المذكورة أشار عليه السَّلام بقوله: (١).

«بل» حرف إضراب، ومعناها هنا إبطال ماقبلها من كون شكرهم أمراً ملكوا استطاعة الامتناع منه دونه تعالى، أولم يكن سببه بيده سبحانه، أي ليس الأمر كذلك، بل كنت مالكاً أمرهم قبل تمكّنهم من عبادتك وإيجادهم لها.

وتوسيط النداء لمزيد الخضوع والابتهال. والغرض أنّهم لم يقدروا على عبادتك، ولا استطاعوا فعلها إلّا بإقدارك لهم عليها، وتوفيقك إيّاهم لها، ولو شئت مافعلوها،

---

(١) أي: الدعاء المذكور في أعلى الصفحة.

ثَوابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُفيضُوا في طَاعَتِكَ، وَذلِكَ أَنَّ سُنَّتَكَ الإفْضالُ، وَعادَتَكَ الإحْسانُ، وَسبيلَكَ العفوُ.

إذ كلّ موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيئته قبل وجوده وبعده؛ لأنّهما مستند وجوده.

وأعددت الشيء إعداداً: هيّأتُهُ.

وأفاض في الأمر إفاضة: دخل فيه.

ومضمون هذه الفقرة تقرير لما قبلها؛ لأنّ إعداده سبحانه ثوابهم قبل إفاضتهم في طاعته قاضٍ، بأنّ قضاءهُ قد جرى بتوفيقهم للدخول في الطاعة قبل دخولهم فيها، وبأنّ لطفه قد أخذ بعنان مشيئتهم إليها، وأقام جواد إرادتهم عليها، وإلّا لم يكن لإعداد الثواب فائدة.

والواو من قوله: «وذلك» استئنافيّة. والإشارة إلى ماذكر من شكره تعالى ليسير الشكر، والإثابة على قليل الطاعة على وجه الإيجاب، مع أنّ وقوعهما من الشاكر والمطيع إنّما هو بإقداره ولطفه وتوفيقه سبحانه. ومافي اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بكون ذلك في الغاية القصوى من العظم والجلالة.

وهو مبتدأ خبره قوله: «أنَّ سنتك الإفضال» أي لأنَّ سنتك أو بأن سنتك الإفضال، والتقدير: وذلك واقع لأجل أنّ سنّتك الإفضال، أو بسبب أنّ سنّتك الإفضال. وحذف الجارّ مطرد مع «أنَّ وأنْ» المصدريّتين.

والسنّة: الطريقة التي يسلكها الحيّ في أفعاله، والسيرة التي يكون عليها.

والإفضال: مصدر أفضل عليه، إذا أعطاه ما لايلزمه أن يعطيه.

والعادة: اسم لتكرير الفعل من عاد يعود.

والإحسان: مصدر أحسن، أي فَعل الحسن، فإن كان الفعل متعدّياً إلى الغير، قيل: أحسن إليه، وإن كان لازماً بالفاعل، قيل: أحسن.

والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة، ويستعار لسيرة الحيّ التي يكون عليها في أفعاله.

فَكُلُّ البرِيَّةِ مُعْتَرِفَةٌ بِأَنَّك غَيْرُ ظالِمٍ لِمَنْ عَاقَبْتَ، وَشَاهِدَةٌ بِأَنَّك مُتفضِّلٌ عَلى مَنْ عَافَيْتَ، وَكُلٌّ مُقِرٌّ عَلى نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ عَمَّا اسْتَوجَبْتَ، فَلَوْلا أَنَّ الشَّيطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِك مَاعَصَاكَ عَاصٍ، وَلَوْلا أَنَّه صَوَّرَ لَهُم البَاطِلَ فِي مِثالِ الحقِّ مَاضَلَّ عَنْ طريقك ضَالٌّ.

والعفو: ترك المؤاخذة بالتقصير والذنب.

ومدار هذه الفقرات أنّ إفاضته تعالى شآبيب كرمه، وجوده على عباده غير موقوف على الإستحقاق والإستيجاب، بل هي شأنه وديدنه.

وفيه ردّ على من زعم أنّ الثواب مترتّب على العمل ترتّب الشبع على الأكل. والله أعلم.

«الفاء»: سببيّة، أي فبسبب(١) كون سنّتك الإفضال، وعادتك الإحسان، وسبيلك العفو، كلّ البريّة معترفة بأنّك غير ظالم، إلى آخره، لجزم العقل بأنّ من شأنه ذلك لايريد ظلماً، فضلاً عن أن يوقعه.

و «كلّ» هنا لاستغراق أفراد المضاف إليه. وهو مبتدأ خبره قوله: «معترفة». وتأنيثه باعتبار المعنى، أو لاكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه، لصحّة الاستغناء بالمضاف إليه عن المضاف، كما يقال: سقطت بعض أصابعه.

وفي نسخة ابن إدريس «وكلٌّ معترف وشاهد» وهو أحسن.

وعافاه الله: وهب له العافية من المكروه دنيويّاً كان أو أُخرويّاً. وبين عاقبت وعافيت من البديع جناس التصحيف.

فإن قلت: كيف يصحّ هذا الاستغراق وكثير من الناس لايعترف بوجوده فضلاً عن عدله وجوده؟

قلت: يجوز أن يكون الاستغراق عرفيّاً، فالمراد بالبريّة الموحّدون منهم، وأن يكون

---

(١) «ألف»: فسبب.

....

حقيقيّاً، والمراد بالاعتراف أعمّ من أن يكون صريحاً أو لزوماً واضطراراً. أمّا الأوّل: فهو الاعتراف من المؤمنين. وأمّا الثاني: فهو الشامل لكلّ أحد مؤمناً كان أو كافراً؛ وذلك أنَّ العقول متّفقة على وجود الصانع سبحانه، والانقطاع إليه عند تضائق حلق البلاء عليه، كما أشار إليه سبحانه بقوله: «وإذا مسّكم الضرُّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا ايّاه»(١)، وهذا أمرٌ مجبولٌ عليه كلّ أحد، ولا تجد أحداً إلّا وفزعه وانقطاعه إلى خالقه من كون في نفسه وطبعه.

وقد نبّه بعضهم على هذا المعنى فقال: التوكّل على الخالق والانقطاع إليه من طباع الخلق للعجز المعجون بجبلّتهم، والحاجة المركّبة في طبيعتهم. وممّا يدلّك على ذلك أنّك لو فاتحت الأمة البلهاء، والمرأة الورهاء، والشيخ المنجد، والشابّ الغرير(٢)، والبدويّ القحّ، والفارسيّ الأعجم، والهنديّ الأبكم، والروميّ الطمطمانيّ، والكيّس الزكيّ، والغمر الغبيّ، لوجدت في أثناء حديثهم، وأعراض كلامهم، تسليماً إلى غيرهم، وتفويضاً إلى سواهم، وانقطاعاً عن إصابتهم باستطاعتهم، و لوذاناً بما يجدون المراد بتسهيله عليهم ولا شكّ أنَّ هذا أصل في الجوهر، وأوّل في الكون.

ومن الظاهر البيّن أنّ ذلك يستلزم ضرورة الاعتراف بكون هذا المنقطع عليه والمفزوع إليه قادراً غير عاجز، وقويّاً غير ضعيف، وغنيّاً غير فقير، وعالماً غير جاهل، ومالكاً غير مملوك ، وربّاً غير مربوب، فلزم بحكم العقل الإذعان له بأنّ إفاضته سجال خيره على غيره لاعن حاجة به إليه، ولا غرض يعود نفعه عليه، بل هو إفضال منه وإحسان، ومن شأنه ذلك ، فلا داعي له إلى الظلم لمن عاقب، سوى العدل، ولا غرض له بمعافاة من عافى سوى الفضل، فصحّ الاستغراق الحقيقي في كلامه عليه السَّلام. ونظير قوله تعالى في محكم كتابه: «وَلَهُ من في السموات

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٧. (٢) «ألف»: العزيز.

....

والأرض كلٌّ له قانتون»(١) وقوله: «يسئلهُ من في السماوات والأرض»(٢).

ولك حمل الاعتراف على كونه يوم القيامة، كما حمل بعض المفسّرين قوله تعالى: «كلٌّ لهُ قانتون» على ذلك . والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «وكلّ مقرٌّ على نفسه بالتقصير عمّا استوجبت» أي من الطاعة والعبادة، إقراراً مستمرّاً بلسان المقال أو الحال، فإنّهم وإن بالغوا واجتهدوا كانوا مقصّرين، غير بالغين كنه عبادته سبحانه وحقيقتها، إذ لاقدر لها في جنب نعمه عليهم سابقاً ولاحقاً، بل هي بمعزلٍ عمّا يجب لعظمته وجلاله وكبريائه، وإذا كانت الملآئكة المقرّبون، والأنبياء والمرسلون يقولون: سبحانك ماعبدناك حقّ عبادتك ، فما الظنّ بسواهم؟!

وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السَّلام بقوله في بعض خطبه: وتا الله لو انماثَتْ قُلوبكم انمياثاً، وسالت عيونكم من رغبة إليه، أو رهبة منه دماً،ثمَّ عَمَّرتُم في الدنيا ما الدُّنيا باقية ماجزت أعمالكم عنكم ولولم تبقوا شيئاً من جهدكم أنعمه عليكم العظام، وهداه إيّاكم للإيمان(٣).

قوله عليه السَّلام: «فلولا أنّ الشيطان يختدعهم » إلى آخره.

لولا: حرف الامتناع(٤) وجود الشيء لوجود غيره، والممتنع هو الجواب، والوجود هو وجود الاسم الواقع بعدها.

و«أنّ» ومعمولها في عبارة الدعاء في محلّ رفع على الابتداء عند الجمهور. فقيل: الخبر كون مطلق محذوف وجوباً، والتقدير: لولا اختداع الشيطان لهم كائن أو ثابت.

وقال سيبويه: لاحاجة إلى الخبر لاشتمال صلة «أنَّ» على المسند والمسند

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٣) نهج البلاغة: ص٩٠ الخطب ٥٢.

(٤) «ألف»: امتناع.

....

إليـه(١). وذهب المبرّد والزجاج والكوفيون إلى أنّ الرفع على الفاعليّة بـ«ثبَتَ» محذوفاً(٢)، أي لولا ثبت أنّ الشيطان يختدعهم.

وماوقع لبعضهم: من أنّ «أنّ ومابعدها» في تأويل مصدرٍ مرفوع بالابتداء، وجملة يختدعهم الخبر ـ وحيث لم يكن التعليق على نفس الشيطان، بل على اختداعه لم يستغن عن الخبر، ولم يجب حذفه ـ خبطٌ صريحٌ ناشئٌ عن فهم قريح. فإنّ المؤوّل بالمصدر المرفوع بالابتداء هو اسم أنّ وخبرها معاً، أعني الشيطان وجملة يختدعهم، والتأويل لولا اختداع الشيطان. فكيف تكون جملة يختدعهم خبراً؟ وهل يصدر مثل هذا الكلام إلّا عن ذهنٍ مؤوف؟ نسأل الله العافية.

وخدعه خدعاً ـ من باب نفع ـ واختدعه اختداعاً فانخدع: أراد به المكروه من حيث لايعلم. وقيل: أوهمه خلاف مايريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لايحتسب.

وقال الراغب: الخدع والخداع إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف مايخفيه(٣).

وتعديته بـ«عن» لتضمّينه معنى الصدّ أو المنع، أي يختدعهم صادّاً لهم، أو مانعاً عن طاعتك.

وقوله عليه السّلام: «ما عصاك عاصٍ» هو جواب لولا.

قال ابن هشام: وزعم ابن الطراوة أنّ جواب لولا أبداً هو خبر المبتدأ، ويرده أنّه لارابط بينهما(٤).

قوله عليه السّلام: «ولولا أنّه صوّر لهم الباطل» إلى آخره صوّرت الشيء تصويراً: جعلته ذاصورة. وصورة الشيء مابه الشيء بالفعل.

---

(١) و(٢) شرح التصريح على التوضيح: ج٢ ص٢٥٩.

(٣) المفردات: ص١٤٣.

(٤) مغني اللبيب: ص٣٦٠.

....

والباطل: نقيض الحقّ. وعرّف بأنّه الذي لايكون صحيحاً بأصله.

والمثال بمعنى الصورة.

والحقّ لغة: الثابت الذي لايسوغ انكاره، وعرفاً: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والاعتقادات والملل باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل.

والضلال: العدول عن الطريق المستقيم.

وطريقه تعالى: سبيله الذي نهج لعباده من الإيمان به وتوحيده وطاعته وعبادته وسائر مادعا إليه، وأمر به.

وقيل: سبيله تعالى كلّ عملٍ خالصٍ، سلك به طريق التقرّب إلى الله، بأداء الفرائض والنوافل، وأنواع التطوّعات. وإضافته إليه تعالى لأنّه المبيّن له، أو لأنّه الموصل إليه سبحانه.

تبصرة

قال بعض العلماء: أنّ أصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان. وهو أوّل من سلك سبيل الغيّ والضلال، وطرده الحقّ عن عالم رحمته، ووقع عليه اسم إبليس، وهو جوهر نطقيّ شرّير متولّد من طبقة ناريّة دخانيّة، لها نفس ملكوتيّة، ظهرت بجهة ظلمانيّة، رديّة، شأنه الإغواء، وسبيله الإضلال، كما قال تعالى حكاية عن اللعين: «فَبعزَّتك لأغوينَّهُمْ اجمعين إلّا عِبادك منهم المخلصين»(١) وقوله: «فَبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم»(٢)، وذلك لأنّ له سلطنة بحسب الطبع على الأجسام الدخانيّة والبخاريّة ونفوسها الجزئيّة، والطبائع الوهمانيّة، وتطيعها تلك النفوس والقوى الوهمانيّة لمناسبة النقص والشرارة، وكونه مجبولاً على الإغواء أو الإفساد والاستكبار وادعاؤه العلوّ، كما في قوله سبحانه: «أستكبرتَ أم كنتَ من

---

(١) سورة ص: الآيتان ٨٢ و ٨٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦.

فَسُبحَانَك ما أَبْيَنَ كَرمَك فِي مُعامَلَةِ مَنْ أطاعَك أوْ عَصاكَ، تَشكُرُ لِلمُطِيعِ مَا أَنْتَ تولّيتَهُ لَهُ، وَتُمْلِي لِلعاصِي فيما تَمْلِكُ مُعاجَلتَهُ فِيْهِ، أَعطَيْتَ كُلًّا مِنهُما مَالَمْ يَجِب لَهُ، وَتفضَّلْتَ عَلى كُلٍّ مِنْهُما بِمَا يَقْصُرُ عَملُه عَنْهُ.

العالين»(١) إنّما هو بمقتضى طبعه الغالب عليه الناريّة الموجبة للإهلاك والعلوّ.

ووجه تأثيره في نفوس الآدميّين:

أمّا من جانب المؤثّر؛ فللطافته وسرعة نفوذه في عروقهم، ولطائف أعضائهم، وأخلاطهم التي هي محالّ الشعور والاعتقاد، واقتداره على إضلالهم بالوسوسة والإضلال.

وأمّا من جانب القابل؛ فلقصور القوى الإدراكيّة لأكثر النّاس وضعفها عن المعارضة والمجاهدة مع جنوده وأعوانه من القوى الشهويّة والغضبيّة وغيرهما، لاسيّما الوهميّة إلّا من عصمه الله تعالى من عباده المخلصين الذين أيّدهم الله بالعقل، وهداهم إلى الصراط المستقيم، «أُولئك حزبُ الله ألا إنَّ حزبَ الله هُم المفلِحُونَ»(٢).

«الفاء» للترتيب الذكري.

وسبحانك للتعجب من عموم كرمه تعالى وعظمه. وإفادة هذا اللفظ للتعجّب مرّ بيانه في الروضة الثالثة عشرة.

و«ما أبين» صيغة التعجّب. و«ما» فيها اسم في محلّ رفع على الابتداء. واختلفوا هل هي نكرة تامّة بمعنى شيء، وابتدئ بها لتضمّنها معنى التعجّب، ومابعدها خبرها فموضعه رفع؟ أو هي موصولة بمعنى الذي، ومابعدها صلتها فلا محلّ لها من الإعراب، والخبر محذوف وجوباً والتقدير: الذي أبان كرمك شيء عظيم،

(١) سورة ص: الآية ٧٥.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

....

وبان الأمريبين وتبين واستبان: اتّضح وانكشف، والاسم البيان.

والكرم هنا عبارة عن التفضّل والسبق بالإنعام، وإيثار الصفح عن الجاني، والإحسان إلى المسيء.

والمعاملة: مفاعلة من العمل، وهو الفعل عن قصد.

و «أو» من قوله: «أو عصاك» للإيذان بتساوي المعاملتين في بيان الكرم المتعجّب منه، وأنّ كلّ واحدة منهما مستقلّة بظهوره، فإن تعجّب منه في كلٍّ منهما كان في محلّه، وإن تعجب منه فيهما جميعاً فكذلك.

قوله عليه السّلام: «تشكر للمطيع ما أنت تولّيته»، جملة مستأنفة استئنافاً بيانيّاً، كأنّه سئل: كيف بان كرمي في معاملة من أطاعني أو عصاني؟ فقال: تشكر للمطيع... إلى آخره، أي تجازي المطيع بالكثير على العمل الذي أنت تولّيته، أي قمت به لأجله، يقال: وليتُ الأمر، وتولّيته، أي قمتُ به «والذي تولّى كِبْرَه»(١) أي وليه وقام به.

والغرض أنّه تعالى هو الذي أقدر المطيع على الطاعة له، ووفّقه بلطف عنايته لها، ثمّ شكره عليها. وهذا منتهى الكرم وغاية الجود.

والإملاء: التأخير والإمهال، يقال: أمليت له: إذا أنظرته، وأمهلته، ومنه قوله تعالى: «وأُملي لَهم إنَّ كيدي متين»(٢) أي أمهلُهم.

وعاجله بذنبه إذا أخذه به، ولم يمهله.

أي تمهل العاصي، ولا تأخذه بذنبه سريعاً، وأنت قادرٌ على معاجلته، وعدم إمهاله إحساناً إليه، ورفقاً به.

قوله عليه السّلام «أعطيت كلاً منهما» إلى آخره. فصل الجملة عمّا قبلها، لما بينهما من كمال الاتّصال لكونها أوفى بتأدية المراد، فتكون بدل اشتمال. ويجوز

---

(١) سورة النور: الآية ١١. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٣.

وَلوْ كَافأْتَ المُطِيعَ عَلى مَا أَنْتَ تولَّيْتَهُ، لأَوْشَكَ أَنْ يَفقِدَ ثَوابَك، وَأَنْ تَزُوْلَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ، وَلكنَّك بِكَرمكَ جَازيْتَهُ عَلى المُدّة القصيرة الفَانِيَةِ، بالمُدَّة الطّويلَةِ الخَالِدَةِ، وَعَلى الغَايَةِ القَريبَةِ الزّائلَةِ، بالغاية المَدِيدَةِ الباقِيَةِ.

أن تكون استئنافاً ثانياً ـ كالأولى ـ على وجه التعليل لبيان كرمه في معاملة من أطاعه أو عصاه.

ولا يخفى مافي التعبير عن الشكر والإملاء بصيغة المضارع المؤذنة بالاستمرار، وعن الإعطاء والتفضّل بصيغة الماضي الدالّة على الوقوع والانقضاء من اللطف، فإنّه يؤذن بأنّ الشكر والإملاء مستمرّان، وأنّ التفضّل والإعطاء قد جرى بهما قلم القضاء، فلا مثنويّة(١) في ذلك وهكذا فليكن حسن البيان.

المكافأة: مفاعلة من الكفو وهو المثل والمساوي، فأصل كافأته: ساويته. ثم اتّسع فيه فاستعمل بمعنى المجازاة.

قال الزمخشريّ في الأساس: كافأته ساويته، وهو مكافئ له. وكافأته بصنعه: جازيته جزاء مكافئاً لما صنع، أي مساوياً له(٢).

ولمّا كان ماتولاّه سبحانه لايقتضي مكافأة بالثواب عليه، لأنّ الإنسان لايستحقّ بعمل غيره ثواباً، كان معنى المكافأة عليه عدم الإثابة به، لأنّ معنى المكافأة: المساواة بمقابلة الفعل بالفعل، وعدمه بعدمه.

فعنى قوله عليه السّلام «لو كافأت المطيع على ماأنت تولّيته»: لو لم تثبه على ماأنت تولّيته، بل كافأته عليه بعدم الإثابة عليه لعدم قيامه به، وصدوره عنه لأوشك أنْ يفقد(٣) ثوابك.

---

(١) هكذا في النسخ، والصحيح ظاهراً المثوبة.

(٢) أساس البلاغة: ص٥٤٦.

(٣) «ألف»: يفتقد.

....

وماوقع لأكثر الأصحاب في ترجمة هذه العبارة ـ بأنّ المعنى لو جازيت المطيع على مجرّد عمله دون ما أنت تولّيته، أو فيا أنت توليته ـ بمعزل عن مدلولها، وإن كان معنى صحيحاً في نفسه.

واللام من قوله: «لأوشك» لام جواب «لو» لا جواب قسم مقدّر، خلافاً لابن جنّي(١). وأوشك. فعل ماضٍ من أفعال المقاربة الدالّة على قرب ثبوت خبرها لاسمها، فمعنى أوشك قرب ودنى، فإذا قلت أوشك زيد أن يقوم، كان معناه قرب ودنا قيامه. وقال بعضهم: معناها مقاربة الاسم للخبر. فمعنى أوشك زيد أن يقوم: قارب زيدٌ القيام أو قرب زيد من القيام. وإذا بني أوشك على اسم قبله ـ كعبارة الدعاء ـ جاز فيه الوجهان:

أحدهما: إسناده إلى ضميره. فيكون اسماً له، وجعل أنْ والفعل في موضع نصب على أنّه خبر له.

والثاني: تفريغه عن الضمير وإسناده الى أن والفعل، فيكون أن والفعل اسماً مؤوّلاً مكتفىً به عن الخبر. ومحلّه الرفع على الفاعليّة.

ويكون أوشك على الأوّل فعلاً ناقصاً، وعلى الثاني فعلاً تامّاً. وتقدير عبارة الدعاء على الأوّل: لأوشك المطيع أن يفقد ثوابك، وعلى الثاني لأوشك فقدان المطيع ثوابك، أي: لقرب ودنا فقدانه لثوابك.

وإستشكل الأوّل بأنّ أن والفعل في تأويل المصدر، فيلزم الإخبار بالحدث عن الذات. وأجيب بأنّه من باب زيد صوم وعدل، أو على تقدير مضاف، كأنّه قيل: لأوشك أمر المطيع أن يفقد. والأولى ماذهب إليه سيبويه على مانقله عنه ابن مالك من أنّ أن والفعل ليس خبراً، بل هو مفعول به منصوب على نزع الخافض، والفعل تامّ بمعنى قرب(٢).

---

(١) راجع مغني اللبيب: ص٣١٠.

(٢) راجع كتاب سيبويه: ج١ ص٥٥٥.

....

والتقدير في عبارة الدعاء: لقرب المطيع من أن يفقد(١) ثوابك، ثمّ حذف الجار توسّعاً. أو يجعل الفعل بمعنى قارب فلا حذف، والمعنى قارب المطيع فقدان ثوابك.

وفي عبارته عليه السَّلام شاهدٌ على أمرين:

أحدهما: ورود أوشك بصيغة الماضي، وفيه ردٌّ على الأصمعي وأبي علي حيث أنكرا ذلك، كما حكاه عنهما ابن مالك وغيره. وشاهده أيضاً من الشعر قول الشاعر:

ولو سئل الناسُ التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملّوا ويمنعوا(٢)

الثاني: كون أوشك للمقاربة، بمعنى كاد، وهو مذهب أكثر المتأخّرين، وجماعة من المتقدّمين، وفيه ردٌّ على الشلوبين وتلامذته حيث ذهبوا إلى أنّه للترجّي بمعنى عسى(٣)، فإنّ الترجّي لايلائم عبارة الدعاء.

قوله عليه السَّلام «ولكنّك بكرمك جازيته» إلى آخره الواو للعطف عند الجمهور.

وقال الرضيّ: يجوز كونها عاطفة للجملة على الجملة(٤).

وجعلها اعتراضيّةً أظهر من حيث المعنى. ودخولها على «لكن» مشدّدة ومخفّفة جائزٌ لاواجب.

ومعنى «لكنّ» الاستدراك، وفسّر بأن ينسب لما بعدها حكم مخالف لما(٥) قبلها، ولذلك قالوا: يجب توسطها بين متغايرين معنى، أي في النفي والإثبات كعبارة الدعاء، فإنّ معنى قوله عليه السَّلام: «ولكنّك بكرمك جازيته» ولكنّك لم تكافئ المطيع على ماتولّيته بل جازيته إلى آخره.

---

(١) «ألف»: يفتقد.

(٢) شرح ابن عقيل: ج١ ص٣٣٨.

(٣) و(٤) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٦٩.

(٥) «ألف»: لحكم ماقبلها.

....

وقال جماعة منهم صاحب البسيط: هي بعد لو وجوابها للتوكيد لا للاستدراك، إذ فائدتها تأكيد ماأفادته لومن الامتناع(١). والأوّل هو المشهور.

والباء من قوله: «بكرمك» للسببيّة متعلّقة بالفعل بعدها وتقديمها مع مجرورها لإفادة الاختصاص، أي بسبب كرمك لالأمرٍ آخر، ويجوز أن تكون للملابسة، فتكون مع مجرورها ظرفاً مستقراً متعلّقة بحالٍ محذوفة، والتقدير: ولكنّك ملتبساً بكرمك جازيته.

والمدّة: البرهة والطائفة من الزمان تقع على القليل والكثير.

والقصر: خلاف الطول، وهما من الأسماء المتضائفة التي تعتبر بغيرها.

وفنى الشيء يفنى فناء ـ من باب رضي ـ: عُدِم بعد الوجود.

وخلد يخلد خلوداً ـ من باب قعد ـ: طال بقاؤه.

قال الراغب: كلّ مايتباطأ عنه التغير والفساد تصفه العرب بالخلود، لقولهم للأيّام: خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها، ثم استعير للبقاء دائماً، والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة من غير اعتراض الكون والفساد عليها(٢). إنتهى.

وغاية الشيء: مداه ومنتهاه. والكلام على حذف مضاف، أي على ذي الغاية القريبة الزائلة بذي الغاية المديدة الباقية، إذ الغاية لايتعلّق بها جزاء، وإنّما يتعلّق بالمغيّا (٣).

والمراد بالجزاء على المدّة القصيرة بالمدّة الطويلة، الجزاء على العمل فيها بالثواب عليه في المدّة الطويلة، فهومن باب إطلاق اسم المظروف على الظرف، وهوشائع في الاستعمال.

وأمّا قوله عليه السّلام: «وعلى القريبة بالغاية المديدة» فلا يتعيّن أن يراد بالغاية

(١) لايوجد لدينا كتابه.

(٢) المفردات: ص١٥٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) «ألف»: بالغاية.

ثُمَّ لَمْ تَسُمْهُ القِصَاصَ فِيمَا أَكلَ مِنْ رِزْقِك الَّذي يقْوى به عَلى طَاعَتِكَ، وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلى المُنَاقَشاتِ فِي الآلاتِ التي تَسبَّبَ

الزمان أيضاً إطلاقاً لاسم الجزء على الكلّ بل العمل نفسه والثواب نفسه، فكأنّه قال: وجازيته على العمل ذي الغاية القريبة الفانية بالثواب ذي الغاية المديدة الباقية. ثمّ من المتعيّن كون المراد بالغاية في المجازى به مدّته، وإنّما عبّر عنها بالغاية على سبيل المشاكلة، لوقوعها في صحبة ذي الغاية، وإلّا فلا غاية له، بدليل وصفها بالبقاء. لأنَّ المراد به البقاء الأُخروي، وهو التأبيد لا إلى منتهى ولاغاية، ولو لا ذلك لاستحال الكلام.

والمديدة: الطويلة، ومنه في الحديث: «تَزوّجتُ امرأة مديدة»(١) أي طويلة.

تبصرة

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: إنَّما خلد أهل النار في النار لأنَّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أنْ يعصوا الله أبداً، وإنّما خُلد أهل الجنَّة في الجنة لأنّ نياتهم كانت في الدنيا أن لوبقوا فيها أن يُطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خَلُد هؤلاء وهؤلاء، ثمَّ تَلا قوله تعالى: «قُل كلٌّ يعمل على شاكلته» قال على نيّته(٢). والله أعلم.

«ثُمَّ» هنا للترتيب في الذكر، والتدرّج في درج الارتقاء، وذكر ماهو الأولى ثم الأولى من غير اعتبار التراخي والمهلة بين تلك الدرج، ولأنّ الثاني بعد الأوّل في الزمان. فإنّ عدم سومه القصاص على ماأكل من رزقه، وعدم حمله على المناقشات في الآلات متقدّم على المجازاة المذكورة، كما هو ظاهر. لكن لمّا كان الغرض ترتيب تفضّله تعالى بذكر الأخص فالأخص والأعجب فالأعجب جاء بـ «ثم»

(١) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص٣٠٩.

(٢) الكافي. ج٢ ص٨٥ ح٥.

بِاسْتِعْمَالِهَا إلى مَغْفِرَتِكَ، وَلَوفَعلْتَ ذلِكَ بِهِ لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا كَدحَ لَهُ، وجُمْلَةِ مَا سَعى فِيهِ، جَزاءً لِلصُّغرى مِنْ أيادِيكَ وَمِنَنِكَ، وَلَبَقِي رَهِيناً بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائرِ نِعَمِكَ، فَمتَى كَانَ يَستَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ثَوابِكَ، لامَتى هَذا ياإلهي حَالُ مَنْ أطاعَكَ، وَسَبِيلُ من تَعَبَّدَ لَكَ.

تنبيهاً على ذلك، ونظير ذلك قوله تعالى: «خلقكُمْ مِنْ نفسٍ واحدةٍ ثمَّ جعل مِنها زوجها»(١).

قال الزمخشريّ: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّدها دالاًّ على وحدانيّته وقدرته تشعيب هذا الخلق ـ الفائت للحصر ـ من نفس آدم، وخلق حوّاء من قصيراه، إلّا أنّ أحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأُخرى لم تجر بها العادة، ولم يخلق أُنثى غير حوّاء من قصيرى رجلٍ، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ«ثمّ» على الآية الأُولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزيّة، وتراخيها عنهافيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهومن التراخي في الحال والمنزلة لامن التراخي في الوجود(٢). إنتهى.

ولم تسمه القصاص: أي لم ترده منه. قال في الأساس: ومن المجاز سُمتُ المرأة المعانقة: أردتها منها وعرضتها عليها(٣).

والقصاص: مصدر قاصّهُ مقاصّة وقصاصاً ـ من باب قاتل ـ.

قال الزمخشريّ: قاصصته بما كان لي قبله: أي حبست عنه مثل ذلك، مأخوذ من مقاصّة وليّ القتيل القاتل(٤).

فمعنى عبارة الدعاء: لم تحبس عليه من الجزاء مثل ماأكل من رزقك.

وقوى بالشيء ـ من باب رضي ـ وتقوّى به: استعان به، والرواية في الدعاء

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦.

(٢) تفسير الكشّاف: ج٤ ص١١٣ ـ ١١٤.

(٣) أساس البلاغة: ٣١٥.

(٤) أساس البلاغة: ٥١٠ ـ ٥١١.

....

واردة بالوجهين.

وحملته على الأمر: ألزمته به، كأنّك جعلته راكباً عليه.

والمناقشة: الاستقصاء في الحساب.

قال في الفائق: ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى، فلم يترك قليلاً ولاكثيراً، وأصل المناقشة من نقش الشوكة وهو استخراجها كلّها ومنه: انتقشت منه جميع حقّي(١). إنتهى.

والآلات جمع آلة، وهي الأداة التي يعمل بها.

وقال في القاموس: هي مااعتملت به من أداة تكون واحداً وجمعاً، أو هي جمع بلا واحدة، وجمعها آلات(٢). إنتهى.

وعرفت بأنّها مايؤثّر الفاعل في منفعله القريب بواسطته.

وتسبّبت إلى الشيء: توصلت إليه بسبب، وتسبّبت بكذا إلى كذا: جعلته سبباً إلى الوصول إليه.

والمعنى: أنّك لم تلزمه المناقشة، ولم تستقص في محاسبته على الآلات التي توصّل بسبب استعمالها إلى فوزه بمغفرتك مع أنّ الآلات من مخلوقاتك، لامدخل لعمله فيها، ولولاها لم(٣) يمكنه التوصّل إلى مغفرتك.

والمراد بالآلات جميع القوى الظاهرة والباطنة والجوارح والأمور والأشياء المتعلّقة بنفسه وبدنه والخارجة عنه. وبالجملة جميع ماله مدخل في القيام بالعمل من جوهر وعرض.

والكدح: العمل والسعي والكسب والكدّ، يقال: كدح لكذا وفيه يكدح -باب منع- أي عمل له وسعى وكسب وكدّ وجهد.

---

(١) الفائق في غريب الحديث: ج٤ ص١٦.

(٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٣١.

(٣) «ألف» لا.

....

و «جزاء» ـ بالنصب ـ يحتمل المصدريّة والحاليّة والمفعول لأجله.

والصغرى: مؤنّث الأصغر من الصغر باعتبار القدر والمنزلة.

و «من» بيانيّة.

والأيادي: جمع يدٍ، بمعنى النعمة والإحسان، مستعارة من الجارحة.

والمنن: جمع منّة، وهي النعمة الثقيلة.

والرهن: مايوضع ثقة للدين. وأصله الحبس، ولذلك كان معناه شرعاً: حبس الشيء بحقٍ يمكن أخذه منه كالدين، يقال: رهنت الشيء رهناً، فهو رهين ومرهون، ثم استعمل في كلّ شيء لزمه أمرٌ لايمكنه انفكاكه منه.

قال جار الله في قوله تعالى: «كُلُّ امرئٍ بما كسب رهين»: أي مرهون. كأنّ نفس العبد رهن عندالله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به ـ كما يرهن الرجل عبده بدين عليه ـ فإن عمل صالحاً فكّها وخلّصها وإلّا أو بقها(١). إنتهى.

ولمّا كانت النفوس بهذا المعنى مرهونة بنعمة من نعم الله تعالى لايفكّها إلّا الشكر بالطاعة والعمل الصالح، وليس له من ذلك إلّا مالولامسامحته سبحانه له، وعدم استقصائه عليه لذهب بجميع عمله وطاعته في مقابلة أصغر نعمه ومننه، لاجرم يبقى رهيناً بسائر نعمه تعالى مطالبا بها لا انفكاك له منها، ولذلك فزع رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى ربّه في فكاك رهانه حيث قال: «فكّ رهاني، وثقّل ميزاني»(٢).

ففزع صلّى الله عليه وآله إليه سبحانه أن يكون هو الذي يتوّلى فكاك رهانه لعلمه عليه السّلام بعجزه عنه، فما الظنّ بغيره.

وقوله: «بين يديك» أي بحضرتك بحيث لايمكنه فكاك نفسه بوجه، وبين

---

(١) تفسير الكشاف: ج٤ ص٤١١.

(٢) الدر المنثور: ج٣ ص٧٢. ذيل الآية ١٠ من سورة الأعراف.

....

اليدين مستعار ممّا بين الجهتين المسامتتين ليدي الإنسان، وهو من باب التمثيل، وقد سبق الكلام على ذلك مبسوطاً فأغنى عن الإعادة.

قوله عليه السّلام: «فمتى كان يستحقّ من ثوابك شيئاً لامتى». «الفاء» فصيحة، أي إذا كان الأمر هكذا متى كان يستحقّ.

و «متى» ظرف يكون استفهاماً عن زمان فعل فيه أو يفعل.

وليس الاستفهام هنا على حقيقته، بل الغرض منه استبعاد كونه مستحقّاً للثواب حينئذٍ ونفيه كقوله تعالى: «أنّى لهم الذكرى»(١) في استبعاد الاتّعاظ.

و «لا» من قوله: «لامتى» نافية، ومفادها إمّا النفي صريحاً لما أفهمه الكلام السابق من نفي الاستحقاق لزوماً، فإنّ الاستفهام عن زمان الشيء يستلزم الجهل بزمانه، والجهل به يستلزم استبعاد وقوعه، لأنّ ماهو قريب الوقوع ينبغي أن يكون معلوماً، فلا داعي إلى الاستفهام عنه، واستبعاد وقوع الشيء يستلزم نفيه. وإمّا الاحتراز عمّا قد يتوهّم أو يسبق إلى الذهن من أنّ الاستفهام على صرافته، فجاء بالنفي نصّاً على المقصود.

والتقدير على الوجهين: لالم يكن يستحق من ثوابك شيئاً وإنّما حذف المنفيّ رأساً، لأنّ «لا» من الحروف التي تؤدي معنى الجملة وتحذف معها في الغالب، ونظيره قول بعضهم في قوله تعالى: «لا أُقسم بيوم القيامة ولا أُقسم بالنفس اللّوامة»(٢). إن «لا» نافية، ومنفيها إنكار البعث المعهود من الكافرين، كأنّهم أنكروا البعث، فقيل: لا، أي ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم فقيل: أقسم بيوم القيامة كقولك: لا والله إنّ البعث حقٌّ.

وقوله: «متى» استفهام إنكار مستأنف، أي متى كان يستحقّ؟ ومفاده تقرير النفي السابق وتأكيده، وهو الذي يسمّى الإنكار الإبطالي، لأنّه يقتضي أنّ مابعده

---

(١) سورة الدخان: الآية ١٣. (٢) سورة القيامة: الآية ١ و ٢.

فأمَّا العَاصِي أَمْرَك ، والمُواقِعُ نَهْيَكَ فَلَمْ تُعاجِلْهُ بِنقْمَتِكَ ، لِكي

منفيّ، غير واقعٍ، وإنّ مدعيه كاذبٌ، والتقدير: متى كان يستحق، أي لم يكن يستحقّ. وإنّما آثر تقرير النفي بـ«متى» ليكون بوجهٍ برهانيّ وهو الاستدلال بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم.

وبيانه: أنّ استحقاق شيء من الثواب يستلزمُ زماناً ضرورة. وهو معدوم، إذ لو كان موجوداً لكان معلوماً غير مجهول، فلم يحتج إلى الاستفهام عنه. فاذا لم يكن له زمانٌ وجب أن لا يكون له وجود أصلاً، إذ لابدّ لكلّ حادث من زمانٍ يقع فيه. وهذا معنى قولهم: الإنكار بمتى وأين بمعنى أنّه ليس؛ لأنّ زمانه ومكانه ليس، فهو إنكار على وجه برهاني، وإنّما حذف الجملة بعد متى؛ لدلالة ماقبله عليه، وقد مرّ نظير هذه العبارة في الدعاء الأوّل وذكرنا فيه وجوهاً أخر، غير أنّه كان قد بقي في النفس منه شيء فاستوفيناه هنا بحمدالله تعالى.

قوله عليه السَّلام: «هذا ياإلهي حال من أطاعك»، الإشارة إلى مافصّله عليه السَّلام من تفضّله تعالى على المطيع ومسامحته له، وعدم استحقاقه ـ لولا ذلك ـ شيئاً من ثوابه سبحانه.

وسبيل من تعبّد لك: أي سيرته وحالته وطريقته، ومنه قوله تعالى: «قُل هَذه سبيلي أَدعو إلى الله على بصيرة أَنا ومن اتَّبعني»(١).

وتعبّد الرجل: بالغ في العبادة واجتهد فيها.

وفي الصحاح: التعبّد: التنسّك(٢)، وهو التطوع بقربة، والله أعلم.

«الفاء: للعطف والترتيب الذكري. و«أمّا»: حرف متضمّنٌ لمعنى الشرط وفعله، ولذلك يجاب بالفاء. وفائدته تاكيد ماصدّر به، وتفصيل مافي نفس المتكلّم من الأقسام، نحو: هؤلاء فضلاء، أمّا زيدٌ ففقيه، وأمّا عمرو فمتكلّمٌ، وأمّا بكرٌ

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) الصحاح: ج٢ ص٥٠٣.

يَستَبدلَ بِحالِهِ في مَعْصِيَتِكَ حَالَ الإنابَةِ إلى طَاعَتِكَ، وَلقَدْ كَانَ يَستَحِقُّ في أَوَّل مَاهَمَّ بِعصْيانِك كُلَّ مَا أعْددْتَ لِجَميعِ خَلْقِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ فَجَميعُ مَاأَخَّرتَ عَنْهُ مِنَ العَذابِ، وَأَبْطأْتَ بِهِ عَلَيْهِ مِن سَطَوَاتِ النَّقِمَةِ وَالعِقَاب تَركٌ مِنْ حَقِّكَ، وَرضًى بِدُون وَاجِبكَ، فَمَنْ أَكرمُ مِنْكَ يَا إلهي، وَمَنْ أَشْقَى مِمَّنْ هَلكَ عَليْكَ لامَنْ.

فحدَثٌ. ثمَّ قد تذكر الأقسام جميعاً كالمثال، وقد يقتصر على واحدٍ منها استغناء بكلامٍ يُذكر بعدها أو قبلها في موضع القسيم.

فالأوّل: كقوله تعالى: «هُوَ الذي أَنزل عليك الكتاب منه آيات محكماتٍ هنَّ أُم الكتاب وأُخر متشابهات فأَمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأْويله وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنَّا به كلٌّ من عند ربّنا»(١)، فاستغني بقوله: والراسخون في العلم عن ذكر قسيم فأمّا الذين في قلوبهم زيغ، فكأنّه قيل: وأمّا الراسخون في العلم فيقولون آمنا به.

والثاني: كعبارة الدعاء، فإنّ ذكر حال المطيع قبل أمّا أغنى عن ذكر قسيم مابعدها، وقد يستغنى بذكر أحد القسيمين عن الآخر كقوله تعالى: «فأَما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمةٍ منه وفضلٍ»(٢)، أي وأمّا الذين كفروا بالله فلهم كذا وكذا.

وعصيان الأمر: ترك الانتقاد له.

و واقع الذنب: ارتكبه وخالطه.

وقال في المجمل: واقع الأمور مواقعة و وقاعاً: داناها(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٥.

(٣) لم نعثر عليه في المجمل بل وجدناه في محكم اللغة: ج٢ ص١٩٨ ولعلّه من سهو النسّاخ.

....

وعاجله في النقمة: أي انتقم منه وعاقبه من غير إمهال.

واللام من قوله: «لكي» تعليليّة، و«كي» مصدريّة، بمنزلة أن المصدريّة معنى وعملاً لصحّة حلول أن محلّها، وقول الكوفيّين: «إنّها حرف تعليل مصدريّ» يدفعه أنّها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل.

والاستبدال جعل الشيء مكان آخر.

قال الراغب: وهو أعمّ من العوض، فإنّ العوض هو أنّ يصير لك الثاني بإعطاء الأوّل، والتبديل يقال: للتغيير وإن لم تأت ببدله(١).

و«الباء» من قوله: «بحاله» للمقابلة، ومدخولها أبداً هو الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كقوله تعالى: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير»(٢)، والمعنى: لكي يأخذ ويختار لنفسه بدلاً من حاله في معصيتك حال الإنابة إلى طاعتك.

وأناب إلى الله إنابة ومناباً: رجع. وفي الحديث «لو عَلم الله ان عبداً ينيب إليه آخر الدهر لمدَّ في عمره إلى ذلك الوقت».

قوله عليه السَّلام: «ولقد كان يستحقّ» جملة مستأنفة سيقت(٣) لتقرير مضمون ماقبلها من إمهاله تعالى لعبده العاصي، وعدم معاجلته له بالانتقام. واللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد كان يستحقّ، وتصدير الجملة بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها.

وأوّل الشيء: ابتداؤه.

قال الزجّاج: معنى الأوّل في اللغة ابتداء الشيء، ثمّ يجوز أن يكون له ثان، ويجوز أن لايكون، كما تقول: هذا أوّل ماكسبته، جائز أن يكون بعده كسب،

---

(١) المفردات: ص٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٣) «ألف»: سبقت.

وجائزٌ أن لايكون، ومرادك هذا ابتداء كسبي(١). إنتهى.

وعلى هذا فقوله عليه السَّلام «في أوّل ماهَمَّ»، أي في ابتداء همّه، جائز أن يكون بعده همّ، وأن لايكون.

وهمّ بالشيء همّاً -من باب قتل-: إذا أراده ولم يفعله، وما مصدريّة، هي وصلتها في محلّ جرٍّ على الإضافة.

«وكلُّ مااعددت»، أي جميع ماهيّاته، فـ«ما» إمّا نكرة موصوفة، أو موصولة. والجملة بعدها إمّا صفة أو صلة.

ويقع في بعض النسخ من الصحيفة الشريفة هنا كتابة كلّ متّصلة بـ«ما» وهو غلط من النسّاخ، والقاعدة المقررّة أنّ (ما) إنّما توصل بكلّ إذا لم يعمل فيها ماقبلها نحو: «كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً»(٢)، فإنّها تكون حينئذٍ ظرفاً منصوباً بما بعدها، فإن عمل فيها ماقبلها فصلت عنها نحو: «وآتاكم من كلّ ماسألتموه»(٣)، ومنه عبارة الدعاء، فـ«ما» حينئذٍ اسم مضاف إليه.

و«من» في قوله: «من عقوبتك» لبيان «ما» المضاف إليها كلّ.

و«الفاء» من قوله: «فجميع ماأخّرت» سببيّة.

والبطؤ أصله تأخّر الانبعاث في السير، ثمّ استعمل في مطلق التأخّر، يقال: ماأبطأبك عنّا؟ أي: ماأخّرك؟ وفي نسخة «بطؤت به عليه» وهي من باب قرب لغة في أبطأ.

قال في الأساس: يقال: ما أبطأبك عنا؟ وما بطؤبك؟ ومابطأ؟(٤) -بالتثقيل-.

وفي القاموس: بطأ عليه بالأمر تبطيئاً، وأبطأبه: أخّره(٥). إنتهى.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، القسم الثاني: ج١ ص١٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.
(٤) أساس البلاغة: ص٤٢.
(٥) القاموس المحيط: ج١ ص٨.

فَتَبارَكْتَ أَنْ تُوصَفَ إلّا بِالإحْسانِ وَكَرُمْتَ أَن يُخافَ مِنْكَ إلّا العَدْلُ، لاَ يُخشَى جَورُكَ عَلى مَنْ عَصاك ،ولا يُخافُ إغْفالُكَ ثَوابَ مَنْ

وسطا عليه وبه سطواً وسطوة: قهره وأذلّه وهو البطش والأخذ بعنفٍ وشدّة.

والنقمة: الانتقام وهو بمعنى العقوبة.

وتركت المنزل تركاً ـ من باب قتل ـ: رحلت عنه، والرجل فارقته ثم استعير للإسقاط في المعاني، فقيل: ترك حقّه، إذا أسقطه.

والرضى: خلاف السخط، يقال: رضيت بالشيء، ورضيته إذا إخترته ولم أكرهه.

و «دون» هنا بمعنى غير، أي بغير مايجب لك، أو بمعنى القاصر، أو الأقلّ، أي بما هو قاصر عن واجبك؛ أو بأقلّ ما هو واجب لك، فإنّ تأخير العذاب وعدم المعاجلة به ضرب من دون مايجب له سبحانه، نظراً إلى عظيم سلطانه وكبريائه واقتداره جلّت قدرته.

وقوله: «فمن أكرم منك» «الفاء» فيه سببيّة، والاستفهام للتعظيم أو الانكار لأن يكون أحدٌ أكرم منه.

و «لا» نافية، ومن بعدها للإنكار أيضاً، تقريراً لما قبلها، وبياناً لاستحالة كون أحد أكرم منه، على قياس ماحرّرناه في قوله: «لامتى» وقس عليه قوله: «ومن أشقى ممّن هلك عليك لا من»، إلّا أنّ حمل الاستفهام هنا أوّلاً على التهويل والتخويف، وثانياً على الإنكار، أنسب بشهادة الذوق.

ووجه تعدية الهلاك بـ «على» قد تقدّم بيانه في الروضة الأُولى بما لا مزيد عليه، فليرجع إليه.

«الفاء»: مبيّنة. والبركة: النماء والزيادة حسّيّة كانت أو عقليّة، وكثرة الخير ودوامه، فقوله: «تباركت» إمّا بمعنى تزايدت وتعاليت، نظراً إلى البركة بمعنى الزيادة، أو بمعنى كثر خيرك، نظراً إلى معنى كثرة الخير ودوامه.

أرضَـاكَ . فَصلِّ عَلى مُحمَّـدٍ وَآلِ مُـحمَّدٍ، وَهبْ لِـي أمَـلِي، وَزدْنِي مِنْ هُداكَ مَا أَصِلُ بِهِ إلى التّوفيقِ فِي عَمَلي، إنَّك مَنّانٌ كَريمٌ.

فالأوّل: باعتبار كمال الذات في نفسها، والثاني: باعتبار كمال الفعل، وعبارة الدعاء تناسب المعنيين.

وصيغة التفاعل للمبالغة.

وقوله: «أن توصف» أي عن أن توصف، وحذف الجار مع أن وأنّ المخفّفة والمثقّلة مطرد إذا أمن اللبس.

والاستثناء مفرّغ، والتقدير: تباركت أن توصف بشيء إلّا بالاحسان وجاء التفريغ مع الإيجاب لتأويله بالنفي، أي لم يجز عليك، أو لم ترض لعلوّ ذاتك أو لكثرة خيرك أن توصف إلّا بالاحسان.

قال الرضيّ: ويجوز التفريغ في موجب مؤوّل بالنفي كما في قوله تعالى: «فأَبى أَكثرُ الناس إلّا كفوراً»(١).

وكرمت: أي تنزّهت وتقدّست. يقال: كرم زيدٌ عن السوء يكرم -بالضم فيهما- وتكرم وتكارم. أي تنزّه. وهو من الكرم، بمعنى انتفاء النقائص، والاتصاف بجميع المحامد، أو من الكرم بمعنى شرف الذات، وعلوّ المقدار.

والمراد بالعدل المساواة في المكافاة، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، وبالإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر باقلّ منه، ولذلك قيل: العدل مساواة، والإحسان زيادة. وسنّة العدل الإيفاء والاستيفاء بحسب الاستحقاق، وسنّة الإحسان الزيادة على الواجب في الإيفاء، والإغماض دون الواجب في الاستيفاء بحسب الاستحقاق.

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام في قوله تعالى: «إنَّ الله يأمر بالعدل

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٣٥.

....

والإحسان»، العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضّل(١).

هذا ولمّا كان مع العدل الاستقصاء إذ ليس هو إلّا توفية الحقوق واستيفاءها بقدر الاستحقاق، وكان العبد ماعليه أكثر ممّا له بل كان ماله بالنسبة إلى ماعليه كالجزء الذي لايتجزّى من الشيء الذي لايتناهى، لاجرم وجب بحكم العقل الخوف من عدله سبحانه. وأمّا الجور والظلم فمستحيل عليه وممتنع منه، ولهذا صحّ أن لايخاف منه إلّا العدل.

وفي دعاء أمير المؤمنين عليه السّلام «اللّهمّ احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك»(٢). ومن كلامه صلوات الله عليه: «احذروا يوماً لايخاف من الحاكم فيه إلّا العدل»(٣).

قوله عليه السّلام: لايخشى جورك على من عصاك: جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنّه سئل: كيف يخشى منّي الّا العدل، فقال: لأنّه لايخشى جورك على من عصاك ... إلى آخره.

والجور: نقيض العدل. وأصله من جارعن الطريق إذا مال عنه، ثم جعل أصلاً في العدول عن كلّ حقّ.

وأغفلت الشيء إغفالاً: تركته إهمالاً من غير نسيان.

وإرضاؤه تعالى: عبارة عن إمتثال أوامره، واجتناب مناهيه.

والأمل: الرجاء. والمراد به هنا المأمول، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول مجازاً.

والزيادة: أن يضمّ إلى ماعليه الشيء شيء آخر. يقال: زدته فازداد، أي اعطني من هدايتك قدراً زائداً على ماأنا عليه منها(٤)، كما قال تعالى: «والذين

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٠٩ الحكم: ٢٣١.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٥٠ الخطب ٢٢٧.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) «ألف»: منه.

....

اهتدوا زادهم هدىً»(١). وفي نسخة «زوّدني» من الزاد، وهو مايعدّ للسفر من الطعام، أي اجعل لي من هداك زاداً، وهو إمّا استعارة تبعيّة أو مكنيّة، ولك جعلها تمثيليّة كما مرّ بيانه غير مرّة.

والهدىٰ: مصدر كالسرى، قالوا: واضطرب كلام سيبويه فيه فتارة يقول: هو عوض من المصدر؛ لأنّ فعلاً -بضمّ الفاء وفتح العين- لايكون مصدراً، وأُخرى يقول: هو مصدر هدى وقال أيضاً: قلّما يكون ماضُمّ أوّله من المصادر إلّا منقوصاً، لأنّ فعلاً لايكاد يرى مصدراً من غير بنات الواو والياء، فدلّ على أنّه مصدر كالبكى والسرى.

وفسّر الهدى بالدلالة مطلقاً. وقيل: بل بشرط كونها موصلةً للمطلوب، بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة في قوله تعالى: «أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى»(٢) وقوله تعالى: «لَعلىٰ هُدىً أوفي ضَلال مبين»(٣). ولاشكّ أنّ عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلالة، فلو لم يعتبر الوصول في مفهوم الهدى لم يتقابل الجواز الجمع بينهما.

وأُجيب: بأنّ المذكور في مقابلة الضلالة هو الهدى اللازم بمعنى الاهتداء إمّا مجازاً أو اشتراكاً وفي الصحاح: هدى واهتدى بمعنى(٤). وكلامنا في المتعدّي، ويقابله الإضلال. ولا استدلال به، إذ ربّما يفسّر بالدلالة على مالايوصل لابجعله ضالاً، أي غير واصل. وعلى كل تقدير فالمراد بالهدى في عبارة الدعاء هو الموصل إلى المطلوب، فإنّ الهدى على مراتب.

قال الراغب: هداية الله تعالى للإنسان في الدنيا على مراتب بعضها مترتّب على بعض، لاتحصل المرتبة الثانية إلّا بعد الأُولى، ولا الثانية إلّا بعد الثالثة.

فالأُولى: إعطاؤه العبد القوى التي بها يهتدي إلى مصالحه، إمّا تسخيراً وإمّا

---

(١) سورة محمّد: الآية ١٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٦.
(٣) سورة سبأ: الآية ٢٤.
(٤) الصحاح: ج٦ ص٢٥٣٣.

....

طوعاً، كالحواسّ الخمس، والقوّة المفكّرة، وعلى ذلك قوله تعالى: «أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدى»(١) «وَالذي قدّر فهدى»(٢).

الثانية: الهداية بالدعاء، وبعثة الأنبياء وإياها عنى بقوله سبحانه: «وَجعَلْنا منهم ائمة يهدون بأمرنا»(٣).

الثالثة: هداية يوليها من إهتدى من صالحي عباده ويمدّهم بها آناً فآناً، وحالاً فحالاً بحسب اكتسابهم للخيرات واستزادتهم من العلم والعمل الصالح، وإيّاها عنى بقوله «والذين اهتدوا زادهم هدى»(٤) «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا»(٥). وبتحرّي هذه المراتب الثلاثة يتوصل إلى الهداية إلى الجنة المذكورة في قوله تعالى «وقَالوا: الحمد لله الذي هَدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»(٦) إنتهى.

ولا شكّ أنّ المرتبة الثالثة هي المقصودة في الدعاء بدليل طلب الزيادة بقوله: «وزدني من هداك».

والتوفيق: جعل الله فعل عبده وعمله موافقاً لما يحبّه ويرضاه.

والمنّان: المعطي للمنّة كثيراً، وهي النعمة الثقيلة. وقيل: الكثير المنّ، وهو الإحسان من غير طلب جزاء ولا مثوبة. ومنه قوله تعالى: «فَإمّا مَنّاً بعد وإمّا فداء»(٧). فالمنّ إشارة إلى الإطلاق بلا عوض.

والكريم والجواد: المفضل، والكرم يستعمل على وجوه:

أحدها: إيثار الصفح عن الجاني، والإحسان إلى المسيء، والسبق بالإنعام.

الثاني: انتفاء النقائص، والاتّصاف بجميع المحامد.

---

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

(٢) سورة الأعلى: الآية ٣.

(٣) سورة السجدة: الآية ٢٤.

(٤) سورة محمّد: الآية ١٧.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٦) المفردات: ص٥٣٨ نقلاً بالمضمون.

(٧) سورة محمّد: الآية ٤.

....

الثالث: الجاه والسؤدد اللذان يكونان عن بذل المعروف، والتحلّي بالمحمود من أخلاقٍ وصفاتٍ.

الرابع: طيب الذات، وشرف النفس، وعلوّ القدر نسباً(١) وحسباً.

وعلى أيّ وجه من هذه الوجوه فسّر الكريم في وصفه تعالى جاز.

والجملة تعليل للدعاء، ومزيدُ استدعاء للإجابة، وتصديرها بحرف التأكيد لغرض كمال قوّة يقينه بمضمونها. والله أعلم.

هذا آخر الروضة السابعة والثلاثين من رياض السالكين وفّق الله لإتمامها، واجتلاء بدر تمامها ضحى يوم الأربعاء لسبع عشرة خلون من ذي القعدة الحرام، أحد شهور أربع ومائة وألف على يد مؤلّفها كان الله له،آمين.

---

(١) «ألف»: حسباً ونسباً.

الروضة الثّامنة والثلاثون

وكان من دعائه عليه السلام في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم وفي فكاك رقبته من النار

اللّهمّ إنّي أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ومن معروف أسدي إليّ فلم أشكره ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره ومن حقّ ذي حقّ لزمني لمؤمن فلم أوفّره ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره ومن كلّ إثم عرض لي فلم أهجره أعتذر إليك يا إلهي منهنّ ومن نظائرهنّ اعتذار ندامة يكون واعظاً لما بين يديّ من أشباههنّ فصلّ على محمّد وآله واجعل ندامتي على ما وقعت فيه من الزّلّات وعزمي على ترك ما يعرض لي من السّيّئات توبة توجب لي محبّتك يا محبّ التّوّابين

بسم الله الرحمن الرحيم

وايّاه نستعين

الحمـد لله قابل عـذر من اعـتذر إليـه، وغافر تبعـات من اعتمد عـليه، والصلاة والسلام على أكرم خلقه لديه، وعلى أهل بيته الذين شرّفهم بـالمسؤول بين يديه.

وبعد: فهذه الـروضة الثامنـة والثلاثون من ريـاض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابـدين، صلّى الله علـيه وعلى آبائه وأبنائه الائمة الهادين، إملاء راجي فضل ربّه السـنيّ عليّ صدرالـدين الحسـيني الحسني، وفّقه الله لجميـل التـوبة والاعتذار، ومن عليه بفكاك رقبته من النار،

شرح الدعاء الثامن والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام: «في الاعتذار من تبعات العباد، ومن التقصير في حقوقهم، وفي فكاك رقبته من النّار».

الاعتذار: مصدر اعتذرت إليه إذا أتيت بعذر.

قال الراغب: العذر هو تحرّي الإنسان مايمحو به ذنوبه. وذلك ثلاثة أضرب، أن يقول: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، فيذكر مايخرجه عن كونه مذنباً، أو يقول: فعلت ولا أعود، ونحو ذلك. وهذا الثالث هو التوبة. فكلّ توبة عذر، وليس كلّ عذر توبة(١) إنتهى.

والمراد بالاعتذار هنا هو الضرب الثالث أعني التوبة، ومنه قوله تعالى: «هذا يوم لاينطقون * ولايؤذن لهم فيعتذرون»(٢) أي لايؤذن لهم في الاعتذار فهم لايعتذرون. أراد أنّه لايكون لهم إذن في التوبة. واعتذار أي توبة متعقبة للإذن من غير أن يجعل الاعتذار متسبّباً عن الإذن كما لو نصب. وإنّما لايؤذن لهم لأنّه ليس وقت توبة فإنّ التوبة محلّها الدنيا.

وظنّ بعضهم إنّ الاعتذار لايكون إلا بمعنى الضرب الثاني أي فعلت لأجل

---

(١) المفردات: ص٣٢٧.

(٢) سورة المرسلات: ٣٥ و ٣٦.

....

كـذا فجعل المعلّـل بـه النسيان والجهل وإن لم يصـرّح به في الدعاء. وهو خطأ، فإنّ قوله عليـه السّلام: في أثناء الدعـاء أعتذر إليك يـاإلهي منهنّ ومن نظائـرهنّ اعتذار ندامة صريح في معنى التوبة.

والتبعات: جمع تبعة على وزن كلمة مايطلبه الإنسان من ظلامة وغيرها.

وفي الأساس: لي قبل فلان تبعة وتباعة وهي الظلامة(١).

والعباد: جمع عبد وهو يطلق على وجهين.

أحدهما: المملوك بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصحّ بيعه وابتياعه.

والثاني: المملوك بالإيجاد. وليس ذلك إلّا لله تعالى، وهو بهذا المعنى يطلق على الإنسان حرّاً كان أو رقّاً، والناس كلّهم عباد الله.

وهذا المـعنى هو المـراد هنا. ومتى أطـلق لـفظ العـباد فالمـراد بهم جميع الـناس، ولذلـك جـعـل بـعضهم «عـبـاد» لله، والـعبيـد والأعـبـد وغيرهما مـن الجـموع لله وللمخلوقين.

وقصّر في الأمر تقصيراً: توانى فيه ولم يهتمّ به ولا احتفل له.

وفكاك رقـبته: أي خلاصـها. من فكّ الرهن أي خلّصـه والأسير أطلقه، وكلّ شيء أطلقته فقد فككته. والاسم الفكاك بالفتح كالخلاص، والكسر لغة حكاها ابن السكيت وأنكرها الأصمعيّ(٢).

وقوله تعالى: «فكُّ رقبةٍ»(٣) قيل: المراد بها إعتاق نسمة.

وقيل: بل هو فكّ الإنسان رقبته من عذاب الله بالتوبة والعمل الصالح.

والرّقبة: اسم لـلعضو المخصوص، ثمّ يـعبّر بها عن الجملة وقد مرّ بيان ذلك والله أعلم.

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٩.

(٢) المصباح المنير: ص٦٥٦.

(٣) سورة البلد: الآية ١٣.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللّهمّ إنّي أعتذِرُ إليْكَ مِنْ مَظلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتي فَلَمْ أنصُرهُ، وَمِنْ مَعروفٍ أُسْدِيَ إليَّ فَلم أشكُرْهُ، وَمنْ مُسِيءٍ اعْتَذَرَ إليَّ فَلم أعذِرْهُ، وَمنْ ذِيْ فَاقَةٍ سَألنِيْ فَلمْ أُوْثره، وَمِنْ حَقِّ ذِيْ حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤمنٍ فَلم أُوَفِّره، وَمنْ عَيْبِ مُؤمنٍ ظَهرَ لِيْ فَلَمْ أستُرْه، وَمِنْ كُلِّ إثمٍ عَرضَ لِي فَلَمْ أهجُرْهُ.

الكلام في هذه الفقرات كلّها على حذف مضاف، وفي كلّ فقرةٍ قرينة دالّة عليه معيّنة له كما سنبيّنه.

فقوله عليه السَّلام: «أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره» أي: أتوب إليك من خذلان مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره، أي خذلاني له بدليل قوله: «فلم أنصره». لأنّ عدم النصر هو الخذلان. وهذا التقدير متحتّم إذ لامعنى للاعتذار من ذات المظلوم ولامن حيث اتّصافه بالمظلوميّة هنا. أمّا الأوّل فظاهر، وأمّا الثاني فلانّه لم يظلمه بل ظلمه غيره، ولا وجه للاعتذار من ظلم الغير. وبعين ذلك ماتقرّر من أنّ الكلام إذا وقع فيه تقييد بوجهٍ ماكان هو الغرض والمقصود من الكلام. ولا شكّ أنّ قوله: «فلم أنصره» تقييد للمظلوم. فكان هو الغرض الذي قصد الاعتذار منه.

فان قلت: هلا حملت «من» على معنى التعليل ليكون المعنى أعتذر إليك من أجل مظلوم، ولا حاجة حينئذٍ إلى تقدير المضاف؟

قلت: يعيّن كونها ابتدائيّة أمران:

أحدهما: إنّ «مِن» المتعلّقة بالاعتذار في جميع الموارد لا تكون إلّا ابتدائيّة، لأنّ الاعتذار ناشيء من مدخولها. ويؤكّده هنا أنّ المراد بالاعتذار التوبة. و«مِنْ» في قولك: «تبت إلى الله من كذا» ابتدائيّة قطعاً لا تعليليّة.

الثاني: مقابلتها بـ«إلى» قال الرضيّ: وتعرف «مِن» الابتدائيّة بأن تحسن في

....

مقابلتها إلى(١) نحو تبرّأت من فلان إلى فلان، على أنّه قال: «من» التعليليّة نحو «لم آتك من سوء أدبك» كأنّهـا ابتدائيّة لأنّ ترك الإتيان حصل من سوء الأدب(٢)، إنتهى.

وتعدية الاعتذار بـ«إلى» لأنّه بمعنى التوبة.

والحضرة: الحضور. يقال: كلّمته بحضرة فلان أي بحضوره ومشهده. وقد يراد بها فناء الشيء وقربه.

و«الفاء» من قوله: «فلم أنصره» ونظائره لمجرّد التعقيب وجعل مابعدها تابعاً لما قبلها، واقعاً عقيبه.

وإنّما اعتذر عليه السّلام من عدم نصره للمظلوم بحضرته لأنّ نُصرة المؤمن حق واجب على المؤمن يؤاخذ بتركه كما تظافرت به النصوص عنهم عليهم السّلام.

فعن صاحب الدّعاء عليه السّلام: وأمّا حقُّ أخيك فان تعلم إنّه يدك وعزتك وقوتك، فَلا تتخّذه سلاحاً على معصية الله، ولاعدّة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: حقُّ المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه(٤).

وعنه عليه السّلام: ما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلّا نصره الله في الآخرة. وما من مؤمن يخذل أخاه وهو قادر على نصرته إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة(٥).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

قوله عليه السّلام «ومن معروف أُسدي اليّ فلم أشكره». أي من كفران

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٢١.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج١١ ص١٣٥.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٧١ ح٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج٨ ص٦٠٧ ح٤.

....

معروف بقرينة قوله: «فلم أشكره» لأنّ عدم شكر المعروف هو كفرانه.

والمعروف: الخير والإحسان.

وفي مجمل اللّغة: المعروف: الجود(١).

وقيل: هو ماتبذله وتعطيه.

وأسديت إليه معروفاً: إتخذته عنده.

وفي النهاية لابن الأثير: فيه «مَن اسدى إليكم معروفاً فكافئوه» أسدى وأولى وأعطى بمعنى، يقال أسديت إليه معروفاً أسدى إسداء(٢) إنتهى.

وفي نسخة «من معروف أزل الي» وهو بمعنى أسدى.

قال في القاموس: أزلّ إليه نعمة: أسداها. والزلّة: الصنيعة وتضمّ(٣).

وفي المصباح: الزلّة: العطيّة. يقال: أزللت إليه إزلالاً إذا أعطيته أو أسديت إليه صنيعاً. وفي الحديث (مَن أزلت إليه نِعمة فليشكرها) أي: من صنعت عنده نعمة(٤).

وقال الزمخشريّ في الفائق: الزليل: نوع من انتقال الجسم من مكان إلى مكان. فاستعير لانتقال النعمة من المنعم إلى المنعم عليه، فقيل: زلّت منه إلى فلان نعمة، وأزلّها إليه(٥) إنتهى.

ووقع لبعض أعاظم السادة هنا زلّة أحببنا التنبيه عليها فانّه قال في تعليقته: يقال فلان أزلّ إليّ نعمة أو معروفاً أي أسداها. وأَزلّ إليّ شيئاً من حقّي أي أعطاني، إيّاه. ومنه الزلّة بالفتح: وهي مايؤخذ من مائدة ويحمل إلى صديق قال

---

(١) لم نعثر عليه في مجمل اللغة بل وجدناه في لسان العرب: ج٩ ص٢٣٩.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٣٥٦.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٨٩.

(٤) المصباح المنير: ص٣٤٧.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ج٢ ص١١٩.

....

صاحب القاموس: عراقيّة أو عاميّة والحقّ: إنّها حجازيّة وعربيّة صراح، إذ أصل ذلك من الزليل، ثمّ نقل عن ابن الأثير مانقلناه عن الزمخشريّ في الفائق من معنى الزليل. ومنه أخذ ابن الأثير(١).

وهذا الكلام من السيّد المشار إليه خطأ محض من وجهين.

أحدهما: دعواه إنّها حجازيّة وذلك إنّما يثبت بأحد أمرين، إمّا سماعه من أهل الحجاز استعمال هذا اللّفظ لهذا المعنى استعمالاً فاشياً.

وإمّا استناده إلى نصٍّ عمّن هو أضبط لما يحكيه، وأوثق لما يرويه من صاحب القاموس وكلٌّ من الأمرين دونه خرط القتاد، على أنّ صاحب القاموس لم يتفرّد بالقول بأنها عراقيّة(٢) بل سبقه إلى ذلك اللّيث كما حكاه الفيومي في المصباح: ونصّه قال الليث: الزلّة: عراقيّة اسم لما يحمل من المائدة لقريب أو صديق(٣) إنتهى.

فإذا ثبت عن هذين الإمامين أنّ هذه اللفظة لم تسمع لهذا المعنى إلّا من أهل العراق.

كيف يجوز لأحد أن يردّ عليهما ويدّعي إنّها حجازيّة من غير استناد إلى نصّ قاطع أو استعمال شائع؟

ألا ترى إلى الإمام أبي عليّ المرزوقيّ، وهو النحرير الذي لايدفع فضله حيث أراد أن يردّ على الأصمعيّ دعواه في لفظة أنّها مولدّة لم يعتمد في الردّ إلّا على النصّ ممّن هو أرسخ قدماً وأوسع علماً في العربيّة منه. وذلك قوله في شرح الفصيح: قال الأصمعيّ: إنّ قولهم كلبة صارف بمعنى مشتهية للنكاح ليس من كلام العرب وإنّما ولّده أهل الأمصار. وليس كما قال فقد حكى هذه اللفظة أبو زيد وابن الأعرابيّ والناس(٤)، إنتهى.

---

(١) شرح الصحيفة الكاملة السجاديّة للسيّد الداماد: ص٣١٣.

(٢) القاموس: ج٣ ص٣٨٩.

(٣) المصباح المنير: ص٣٤٧.

(٤) حكاه الازهري في تهذيب اللغة: ج٢ ص١٦٣.

....

الثاني: إنّ قوله «وعربيّة صراح» إذ أصل ذلك من الزليل إثبات اللّغة بالقياس. والذي استقرّ عليه آراء المحقّقين من العلماء أنّ اللغة لا تثبت قياساً ولايجري القياس فيها.

قال إمام الحرمين في البرهان: الذي نرتضيه أنّ إثبات اللغات قياساً باطل، لعلمنا أنّ العرب لا تلتزم طرد الاشتقاق. وأقرب مثال أنّ الخمر إنّما هي من المخامرة أو التخمير فلو ساغ الاستمساك بالاشتقاق لكان كلّما يخمر العقل أو يخامره خمراً وليس الأمر كذلك(١).

وقال الغزاليّ: إطباقهم على أنّ البنج لايسمّى خمراً ـ مع كونه مخمّراً ـ بنفي القياس. فإن سمّوه فليسمّوا الدار قارورة لمشاركتها القارورة في هذا المعنى(٢)، إنتهى.

فبطل استناده في دعوى كونها عربيّة إلى صحّة اشتقاقها من الزليل. على أنّ ائمة اللغة نصّوا على كلمات كثيرة أنّها مولّدة ليست بعربيّة، مع نصّهم على أنّ القياس لايدفعها ولايأبى عربيّتها.

فمن ذلك قول الموفّق البغداديّ في ذيل الفصيح: الفطرة ـ بالضمّ ـ لغة مولّدة، وكلام العرب صدقة الفطرة ـ بالكسر ـ. مع أنّ القياس لايدفعه كالغرفة والقبضة(٣) ـ بالضمّ فيهما ـ لمقدار مايؤخذ من الشيء.

ومنه قول النوويّ في تجريد التنبيه: التفرّج لفظة مولّدة لعلّها من انفراج الضم وهو انكشافه(٤).

وقول الثعالبيّ في فقه اللّغة: يقال للرجل الذي إذا لايبقي ولا يذر قحطيّ وهو من كلام الحاضرة دون البادية(٥).

---

(١) لايوجد لدينا كتابه.

(٢) لايوجد لدينا كتابة

(٣) «ألف»: النغفه.

(٤) لايوجد لدينا كتابه.

(٥) فقه اللغة: ص١٤١.

....

قال الأزهري: أظنّه ينسب إلى القحط كأنّه نجا من القحط(١).

وقال الزبيديّ في الاستدراك على كتاب العين: ـ الأطبّاء يسمّون التغير الذي يحصل للعليل دفعة في الأمراض الحادّة بحراناً يقولون هذا يوم بحران بالإضافة ويوم باحوريّ على غير قياس. فكأنّه منسوب إلى باحور وباحوراء وهو شدة الحرّ في تموز وجميع ذلك مولّد(٢). إنتهى.

فترى هؤلآء الائمة لم يحكموا على الألفاظ المذكورة بكونها عربيّة مع صحّة إمكان كونها مأخوذة من أصل عربيّ صحيح، لأنّ مفردات اللغة لا تثبت إلّا بالنقل لابصحّة الاشتقاق. فكيف جاز لسيّدنا المشار إليه دعوى كون الزّلة بالمعنى المذكور حجازيّة عربيّة صراحاً؟ إذ أصلها من الزليل لولا عدم الوقوف على الطريق إلى معرفة اللغة العربيّة فالله يرحمه ويتجاوز عنه، ولقد خرجنا بهذا الكلام عمّا بصدده، وليس الغرض من ذلك تتبّع عثرة، أو إشاعة زلّة. ولكنّي رأيت بعض من اشتهر بالفضل تبعه على ذلك، فأحببت التنبيه على خطأه، لئلا يغترّ غيره بكلامه، والله يقول الحق، وهو يهدى السبيل.

هذا ولمّا كان شكر المعروف واجباً ـ سواء كان المسدي له خالقاً أو مخلوقاً ـ اعتذر عليه السَّلام من معروف أسدي إليه فلم يشكره.

ومن الأحاديث المشهورة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أُشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك (٣).

وعنه عليه السَّلام: من أزل إليه معروف فليشكره(٤).

---

(١) تهذيب اللغة: ج٤ ص٢٩.

(٢) تاج العروس: ج٣ ص٣٠.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٤٠.

(٤) لم نعثر عليه بألفاظه، بل وجدنا مايقرب منه في المصباح المنير: ص٣٤٧ وإليك نصّه: «من أزلّت إليه نعمة فليشكرها».

....

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عمّار الذهبي قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السّلام يقول: إن الله يحبُّ كل قلب حزين، ويحب كلّ عبد شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للناس(١).

وعنه عليه السّلام في حديث الحقوق: وأما حق ذي المعروف عليك فان تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى. فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية ثم إن قدرت على مكافاته يوماً كافيته(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من اتي إليه معروف فليكاف به، فان عجز، فليثن عليه. فان لم يفعل، فقد كفر النعمة(٣).

وعنه عليه السّلام: لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل: وما قاطعو سبيل(٤) المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف، فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره(٥).

وعنه عليه السّلام: ما أقلّ من شكر المعروف(٦).

والروايات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وما أحسن قول بعضهم في شكر المعروف وكفره:

لعمرك ما المعروف في غير أهله ... و في أهله إلّا كبعض الودائع
فمستودع قد ضاع ما كان عنده ... ومستودع ما عنده غير ضائع

---

(١) الكافي: ج٢ ص٩٩ ح٣٠.
(٢) وسائل الشيعة: ج١١ ص١٣٦.
(٣) الكافي: ج٤ ص٣٣ ح٣. وفيه.
(٤) «ألف»: سبل.
(٥) «ألف»: سبل ص٣٣ ح١. وفيه: «سبل المعروف».
(٦) «ألف»: سبل ص٣٣ ح٢.

....

وما الناس في شكر الصنائع عندهم وفي كفرها إلّا كبعض المزارع
فمزرعة طابت فأسرع زرعها ومزرعة أكدت على كلّ زارع

قوله عليه السَّلام: «و من مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره» أي:من لوم مسيء اعتذر اليّ فلم أعذره، أي لم أقبل عذره ولم أرفع عنه اللوم.

يقال: عذرته عذراً ـ من باب ضرب ـ أي: رفعت عنه اللّوم. فهو معذور أي غير ملوم. والاسم العذر ـ بالضم ـ وتضمّ الذال الإ تباع وتسكّن.

وفي وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السَّلام: ياعلي، من لم يقبل العذر من متنصل ـ صادقاً كان أو كاذباً ـ لم تنله شفاعتي(١).

وفي رواية: من اعتذر إليه أخوه بمعذرة، فلم يقبلها، كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكسٍ(٢). وهو ما يأخذه أعوان السلطان ظالماً عند البيع والشراء.

وفي وصيّة أمير المؤمنين عليه السَّلام لابنه محمَّد بن الحنفيّة رضي الله عنه: اقبل من متنصلٍ عذره، فتنالك الشفاعة(٣).

وفي النهاية لابن الأثير: وفي الحديث «من تنصّل إليه أخوه، فلم يقبل» أي أن انتفى من ذنبه واعتذر إليه(٤).

وقال الزمخشريّ في الفائق والأساس: نصل علينا فلان: إذا خرج عليك من طريق أو ظهر من حجاب. ومنه تنصّل من ذنبه(٥).

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: من لم يقبل من متنصل ـ صادقاً أو كاذباً ـ لم يرد عليّ الحوض(٦)، إنتهى.

قوله عليه السَّلام: «ومن ذي فاقةٍ سألني فلم أوثره» أي ومن منع ذي فاقة

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٥٣.
(٢) كنز العمال: ج٣ ص٣٧٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٩١.
(٤) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٦٧.
(٥) الفائق في غريب الحديث: ج٣ ص٤٣٦.
(٦) أساس البلاغة: ص٦٣٦.

....

سألني فلم أوثره.

والفاقة: الحاجة. يقال: افتاق افتياقاً إذا احتاج، وهو ذوفاقة.

وآثرت السّائل إيثاراً: أعطيته ماسأل وقدّمته على نفسي ومنه قوله تعالى: «يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»(١) أي يقدّمون من هاجر إليهم على أنفسهم في كلّ شيء من أسباب المعاش.

روى ثقة الإسلام بسنده إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السَّلام قلت: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن. فقال: ياأبان. دعه لا ترده، قلت: بلى جعلت فداك . فلم أزل أردِّد عليه، فقال: ياأبان،تقاسمهُ شطر مالك ثمَّ نظر إليّ فرأى مادخلني فقال: ياأبان، أما تعلم أن الله عزّوجلّ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك فقال: إذا قاسمته فلم تؤثره بعد انَّما أنت وهو سواء إنَّما تؤثره إذا أعطيته من النصف الآخر(٢).

وبسنده عن عليّ بن سويد السائي، عن أبي الحسن موسى عليه السَّلام قال: قلت له أوصِني، فقال: آمرك بتقوى الله، ثمَّ سكت، فشكوت إليه قلّة ذات يدي وقلت: والله لقد عريت حتى بلغ من عريتي أن أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه وكسانيهما فقال: صُمْ وتصدَّق. قلت: أتصدَّق ممّا وصلني به أخواني. قال تصدَّق بما رزقك الله ولو آثرت على نفسك (٣).

قوله عليه السَّلام: «ومن حق ذي حق لزمني فلم أوفره» أي: ومن إهمال حقّ ذي حقّ، أو منع حق ذي حق لزمني فلم أوفّره عليه أي لم أوفه إيّاه.

يقال: وفّرت على فلان حقه توفيراً: أي وفيته إيّاه.

قال الفيّوميّ في المصباح: وفّرت عليه حقه توفيراً؛ أعطيته الجميع فاستوفره،

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٧١ - ١٧٢ ح٨.

(٣) الكافي: ج٤ ص١٨ ح٢.

....

أي استوفاه(١).

وفي المغرب: وفّرت على فلان حقّه فاستوفره: أي وفيته إيّاه فاستوفاه(٢).

ووقع لصاحب القاموس: في هذه الكلمة وهم عجيب، وغلط غريب، فإنّه رأى الجوهريّ قال: ووفّر عليه حقّه توفيراً واستوفره: أي استوفاه(٣)، فتوهّم أنّ قوله: أي استوفاه تفسير لوفّر واستوفر معاً.

فقال في القاموس: استوفر عليه حقّه استوفاه كوفّره(٤).

وهو غلط بلا شك أوقعه فيه سوء فهمه لعبارة الجوهريّ. ولم يقصد الجوهريّ بقوله: «أي استوفاه» إلّا تفسير استوفره فقط. وتبع في ذلك خاله أبا إبراهيم الفارابيّ في ديوان الأدب، فإنّه قال في باب التفعيل من كتاب المثال. وفّر عليه حقه(٥) ولم يفسّره، ثمّ قال في باب الاستفعال: واستوفر أي استوفى(٦)، فجمع الجوهريّ بين العبارتين. وهو كثيراً ماينقل عنه عبارته بنصّها كما يظهر لمن تتبّع الكتابين.

واعلم أنّ النسخ من الصحيفة الشريفة اختلفت في هذه الفقره من الدعاء فوقع في بعضها «ومن حق لزمني فلم أوفره» بدون إضافته إلى ذي حقّ، وفي بعضها ومن حق ذي حق لزمني فلم أوفّره بإضافة حقّ الى ذي حقّ، وفي بعضها: ومن حقّ ذي حق لزمني لمؤمن بزيادة لمؤمن.

فقال بعضهم: لمّا كان الحقّ يطلق على الأمر الثابت المتحقّق في نفس الأمر، وعلى مايستحقّه ذوحقّ، أي يستوجبه شرعاً أو عقلاً كان قوله: «ذي حقّ» احترازاً عن المعنى الأوّل. لأنّ المعنى الثاني هو المراد. فقوله: حق ذي حقّ بمنزلة حقّ من

---

(١) المصباح المنير: ص٩١٩.

(٢) المغرب: ج٢ ص٢٥٦.

(٣) الصحاح: ج٢ ص٨٤٧.

(٤) القاموس المحيط: ج٢ ص١٥٥.

(٥) ديوان الأدب للفارابي: ج٣ ص٢٧٣.

(٦) ديوان الأدب للفارابي: ج٣ ص٢٨٢.

....

حقوق الناس إنتهى.

والحقّ أن إضافة حق إلى ذي حق ليس للاحترازعن الحقّ بمعنى الثابت المتحقّق في نفس الأمر لأنّ قوله: لزمني فلم أوفّره معيّن أنّ المراد المستحقّ للغير فلا احتمال لمعنى آخر، وإنّما الإضافة على النسخة التي وقعت فيها لقصد تعظيم شأن المضاف ببيان أنّ له صاحباً مطالباً له، فإنّ تعظيم الذنب حال الاعتراف والاعتذار أدعى لقبول التوبة. ويؤكّد هذا المعنى الوصف بذي دون صاحب، لاقتضائها تعظيم الموصوف بها وما أضيفت إليه، بخلاف صاحب. وتضمّن الإضافة تعظيم المضاف أو المضاف إليه أوغيرهما أوغير ذلك من النكت المنصوص عليها في علم المعاني لايختص بالإضافة إلى المعرفة، كمانبه عليه العلّامة نجم الدين الكرمانيّ في شرح التبيان.

أمّا النسخة الثالثة التي وقعت فيها زيادة لمؤمن فقيل «لمؤمن» متعلّق بمحذوف، وهو حالٌ من حقّ المضاف لذي حقّ، أي من حقّ ذي حقّ لزمني حال كونه «لمؤمن». ولايجوز أن يكون بدلاً من ذي حقّ لمكان اللام إنتهى.

وهذا غلط صريح: فإنّ الحال يجب أن يكون عين صاحبها، لأنّها خبر في المعنى. فكما يجب أن يكون الخبرعين المبتدأ، فكذلك الحال، ألا ترى أنّ الراكب من «جاء زيد راكباً» هو زيد بعينه، كما أنّ الرّاكب من زيد راكب كذلك. وليس الكائن لمؤمن هو حقّ ذي حقّ كائناً من كان بعينه فكيف يصحّ جعله حالاً منه.

والصواب: أنّ قوله: لمؤمن ظرف لغو متعلّق بلزمني. والجملة مفسّرة، لحقّ ذي حقّ، ولامحلّ لها من الإعراب، كما هو رأي الجمهور، خلافاً للشلوبين. ونظير ذلك قوله تعالى: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»(١). فقوله: «خلقه من تراب» ومابعده تفسير لمثل آدم باعتبار الخروج عن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

....

مستمرّ العادة، وهو التولّد بين الأبوين، لا باعتبار مايعطيه ظاهر اللّفظ من كونه قدّر جسداً من طين ثمّ كوّن(١).

فان قلت: مافائدة تقييد الحق بكونه لمؤمن؟ فإنّ توفير الحقّ على صاحبه واجب ـسواء كان مؤمناً أو كافراًـ.

كما ورد عن أبي عبدالله عليه السَّلام: أدُّوا الأمانات إلى أهلها ولو كانوا مجوساً(٢).

إلى غير ذلك من النصوص الصريحة في هذا المعنى.

قلت: ليس المراد بالحقّ ـإذا قيّد بالمؤمنـ إلّا أحد الحقوق التي توجبها أخوّة الإيمان.

وهو الذي أشار إليه أبوعبدالله عليه السَّلام: بقوله: ماعُبدالله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن(٣).

وقد عقد له في الكافي باباً وترجمه بباب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه(٤).

فمّا رواه في هذا الباب بإسناده عن معلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قُلتُ له: ماحقُّ المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات، مامنهن حق إلّا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب. قلت له: جعلت فداك، وماهي؟ قال: يامعلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل قال قلت: لاقوّة إلّا بالله، قال: أيسر حقّ منها أن تحبَّ له ماتحبُّ لِنفسك، وتكره له ماتكره لنفسك. والحقُّ الثاني؛ أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره. والحقُّ الثالث؛ أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك. والحقُّ الرابع؛ أن تكون عينه ودليله

---

(١) مغني اللبيب: ص٥٢٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٣ ص٢٢٣.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٧٠ ح٤.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٦٩.

....

ومرآته. والحقُّ الخامس، أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس، أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم. فواجب عليك أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّدفراشه. والحقُّ السابع؛ أن تبرَّ قسمه،وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمتَ أن له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك(١).

وعن أبي جعفر عليه السَّلام: من حقّ المؤمن على أخيه أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرِّج عنه كربته، ويقضي دينه، وإذا مات خلفه في أهله وولده(٢).

وعن معلّى بن خنيس قال: سألت أباعبدالله عليه السَّلام عن حق المؤمن، فقال: سبعون حقاً، لاأُخبرك إلّا بسبعة فإني عليك مشفق، أخشى أن لاتحتمل. فقلت: بلى إن شاء الله تعالى، فقال: لا تشبع ويجوع، ولا تكتسي ويعرى، وتكون دليله وقميصه الذي يلبسه، ولسانه الذي يتكلم به، وتحبُّ له ماتحبُّ لنفسك، وإن كانت لك جارية بعثتها لتمهد فراشه، وتسعى في حوائجه بالليل والنهار. فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا، وولايتنا بولاية الله(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام: ما أعظم حقُّ المسلم على أخيه المسلم(٤).

وعنه عليه السَّلام: من حق المؤمن على المؤمن: المودّة له في صدره، والمواساةُ له في ماله، والخلف له، في أهله، والنصرة على من ظلمه، وإن كان نافلة، في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة إلى قبره، وأن لايظلمه، وأن لايغشه، وأن لايخونه، وأن لايخذله، وأن لايكذبه، وأن لايقول له أُف، وإن قال له أف

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٦٩ ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٦٩ ح١.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٧٤ ح١٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج٨ ص٥٤٥ ح٨.

....

فليس بينهما ولاية، وإذا قال له: أنت عدوّي فقد كفر أحدهما، وإذا: اتّهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء(١).

وروى الشيخ زين الملّة والدين -قدّس الله سرّه- في رسالة الغيبة، بسند له متّصل عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقاً، لابراءة له منها إلّا باداء أو بالعفو يغفر زلّته، ويرحم غربته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردُّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضته، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالّته، ويردُّ سلامه، ويطيب كلامه، ويبرُّ أنعامه، ويصدّق أقسامه، ويواليه، ولايعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه. وَأمَّا نُصْرَتُهُ مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولا يسلمه، ولايخذله، ويحب له من الخير مايحبُّ لنفسه، ويكره له من الشرِّ مايكره لنفسه. ثمّ قال عليٌّ عليه السَّلام: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه(٢).

والرّوايات عنهم عليهم السَّلام في هذا المعنى كثيرة، وفي هذا المقدار كفاية إن شاء الله تعالى. والله المستعان.

قوله عليه السَّلام: «ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره» أي ومن إظهار عيب مؤمن.

قال الراغب: العيب والعاب: الأمر الذي يصير به الشيء عيبة أي مقراً

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٧١ ح٧.

(٢) كشف الريبة في أحكام الغيبة: ص١١٥.

....

للنقص(١).

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام حدّثني أبي، عن آبائه عن عليّ عليه السَّلام عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجل عن أخيه الكلمة، فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أُولئك لاخلاق لهم(٢).

وعنه عليه السَّلام: حدَّثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السَّلام قال: من قال في مؤمن مارأت عيناه وسمعت أُذناه ممّا يشينه، ويهدم مروّته فهو من الذين قال الله عزَّوجلَّ إنَّ الذين يحبُّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ اليم في الدُّنيا والآخرة(٣).

قوله عليه السَّلام: «ومن كلّ إثم عرض لي فلم أهجره» أي: ومن ارتكاب كلّ إثم.

وعرض له الأمر عرضاً: أمكنه أن يفعله كأنّه أبدى له عرضه وهجرت الشيء هجراً: تركته ورفضته.

وقال الراغب: الهجر: مفارقة الإنسان غيره إمّا بالبدن أو باللسان أو بالقلب(٤).

وقوله تعالى: «والرِّجز فاهجر»(٥) حثّ على المفارقة بالوجوه كلّها. ويوجد في بعض النسخ: «ومن شيخ مؤمن عاشرته فلم أُوقِّره» أي ومن إحتقار شيخ مؤمن. والشيخ: يقال لمن طعن في السّن.

وفي القاموس: الشيخ والشيخون: من استبانت فيه السنّ أو من خمسين أو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين(٦).

---

(١) المفردات: ص٣٥١.

(٢) كشف الريبة عن احكام الغيبة: ص١٣٠.

(٣) كشف الريبة عن احكام الغيبة: ص١٣٠.

(٤) المفردات: ص٥٣٦.

(٥) المدثر: الآية ٥.

(٦) القاموس المحيط: ج١ ص٢٦٣.

أعتَذرُ إلَيْكَ يَا إلهي مِنْهُنَّ، وَمِنْ نَظائرهِنَّ اعتِذَارَ نَدامَة، يَكُونُ واعِظاً لِمَا بيْنَ يَدَيَّ مِنْ أشباهِهِنَّ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ

وقال الراغب: وقد يعبّر به فيما بيننا عمّن يكثر علمه، لما كان من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه، يقال شيخ بيّن الشيخوخة والتشيخ(١).

وعاشرته معاشرة: خالطته.

ووقّرته توقيراً: عظمته. وهو من الوقار بمعنى العظمة والسّكون والحلم.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السَّلام: إن من إجلال الله تعالى إجلال الشيخ الكبير(٢).

وعنه عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من عرف فضل كبير لسنّه، فوقّره آمنه الله من فزع يوم القيامة(٣).

وعنه عليه السَّلام: من إجلال الله إجلال المؤمن ذي الشيبة، ومن أكرم مؤمنا فبكرامة الله بدأ، ومن استخف بمؤمن ذي شيبة أرسل الله إليه من يستخفّ به قبل موته(٤).

وعنه عليه السَّلام: ليس منّا من لم يوقِّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا(٥)

وعنه عليه السَّلام: ثلاثة لايجهل حقهم إلّا منافق معروف بالنفاق ذو الشيبة في الإسلام، وحامل القرآن، والإمام العادل(٦).

جملة: «أعتذر» في محلّ رفع على البدليّة من الجملة الواقعة خبراً لأن في قوله: «اللّهمّ إنّي أعتذر إليك».

والضمير في «منهنّ» ونظائرهنّ عائد إلى السّيئات المذكورة.

والنظائر: جمع نظيرة مؤنّث نظير، وهو المثل مأخوذ من المناظرة. كأنّ كلّ واحد

---

(١) المفردات: ص٢٧٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦٦ ح١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦٧ ح٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦٧ ح٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦٧ ح٣.

(٦) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦٧ ح٥.

نَدامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فيْهِ مِنَ الزلَّاتِ، وَعزْمِيْ عَلى تَرْكِ مَا يَعْرِضُ لِي مِنَ السَّيِّئاتِ، تَوبَةً تُوجبُ لِي مَحبَّتَكَ يَامُحِبَّ التَّوَّابِينَ.

منها ينظر إلى صاحبه، فيباريه.

والندامة: الندم. وهو تمنّي الإنسان أنّ ماوقع منه لم يقع.

وقيل: التحسّر من تغيّر رأي في أمر فائت. وأصله من منادمة الحزن له.

والوعظ: زجر مقترن بتخويف. وإسناده إلى الاعتذار مجاز عقليّ، من باب الاسناد إلى السبب الغائيّ، أي يكون عقلي واعظاً من أجله وبسببه، لمابين يديّ من أشباههنّ، كقولك: «أقدمني بلدك حقّ لي على فلان»، أي أقدمتني نفسي لأجل حقّ لي عليه.

وبين اليدين: حقيقة في المكان، ثمّ اشتهر للزّمان مستعاراً. فتارة يطلق على الماضي المتقدّم، ومنه قوله تعالى: «وَهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه»(١) أي من الكتب السماويّة التي قبله.

قال الطيّبيّ: بين اليدين استعارة تمثيلية. والأصل فيه بين الجهتين المسامتتين لليمين والشمال، ثمّ استعمل في ظرف المكان بمعنى قدّام، ثمّ في ظرف الزمان بمعنى قبل، وتارة يطلق على المستقبل المتأخّر، لأنّ الإنسان مستقبل لما سيأتي، فكأنه بين يديه. ومنه قول الشاعر:

ترفّق بدمعك لا تفنهِ... فبين يديك بكاءٌ طويل.

وقال القاضي في قوله تعالى: «يعلم مابين أيديهم وماخلفهم» ماقبلهم ومابعدهم أو بالعكس، لأنّه مستقبل المستقبل، ومستدبر الماضي(٢) إنتهى.

وهذا المعنى هو المراد هنا. أي واعظاً لما يكون في المستقبل من أشباه السيّئات المذكورة، ويحتمل أن يكون المراد لما هو بالقرب منّي من أشباههنّ.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٢.

(٢) انوار التنزيل واسرار التأويل: ج١ ص١٣٣.

....

قال الراغب: يقال هو بين يديك أي قريباً منك(١) إنتهى.

ومنه قوله تعالى: «إن هو إلّا نذير لكم بين يديّ عذابٍ شديد»(٢) كأنّ العذاب تالٍ له، وهو منذر له بوصوله، ماشٍ(٣) قدّامه.

و«من» في قوله: «من أشباههنّ» مبيّنة لقوله: «لمابين يديّ».

وإيقاع الوعظ على أشباه السيّئات المذكورة مجاز حكمي أيضاً، وإنّما الغرض أن يكون واعظاً له من إرتكاب مايستقبله من أشباههن، فوقع الوعظ على السيئات للدلالة على المبالغة، كقوله تعالى: «ولا تطيعوا أمر المسرفين»(٤) وقوله: «وأطيعوا أمري»(٥).

قال الزمخشريّ: جعل الأمر مطاعاً على المجاز الحكمي، والمراد الأمر كقولهم: إمرة مطاعة(٦) إنتهى.

وحاصله: أنّ السيئات لمّا كان سبباً موجباً للوعظ، والأمر سبباً موجباً للإطاعة، أوقع الفعل عليهما قصداً للمبالغة.

ومن زعم أن اللام من قوله: «لمابين يديّ» للتعليل فقد تكلّف. ومآل هذه الفقرة من الدّعاء إلى أنّ اعتذاره هنا(٧) ثابت مستمرّ، زاجر له عن ارتكاب أشباه هذه الجرائم، فيما يستقبله من الزمان.

و«الفاء» من قوله: «فصلّ» سببيّة.

ووقعت فيه من الزلّات: أي سقطت، والزّلات: جمع زلّة.

قال الراغب: الزلّة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد. وقيل للذنب من غير قصد زلّة، تشبيهاً بزلّة الرجل، قال تعالى: «فإن زللتم من بعد ماجاءتكم

---

(١) المفردات: ص٦٨.

(٢) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(٣) «ألف»: مابين.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٥١.

(٥) طه: الآية ٩٠.

(٦) تفسير الكشاف: ج٣ ص٣٢٨.

(٧) «ألف»: هذا.

....

البيِّنات»(١)(٢).

والوجوب: الثبوت، يقال: أوجبت له ذلك أي أثبته له.

ومحبتك: أي محبتّك لي، بدليل قوله: «يامحبّ التّوابين». وقد تقدّم الكلام على بيان محبّته تعالى لعباده مستوفى في الروضة السادسة فاغنى عن الاعادة.

وقوله عليه السَّلام: «يامحبّ التوّابين» تلميح إلى قوله تعالى: «إنَّ الله يُحبُّ التّوابين ويحب المتطهِّرين»(٣) وقد مرّ الكلام عليه في الرّوضة الحادية والثلاثين فليرجع إليه.

قال بعض العلماء: إعلم أنّ للمذنب التائب -إذا تابَ توبةً نصوحاً- فضيلة على من لم يذنب من ثلاثة أوجه.

الأوّل: من جرّب العيوب والذنوب، وعرف مداخل الشيطان على الإنسان يكون أهدى إلى الاحتراز. فقد قيل لحكيم: «فلان لايعرف الشر». فقال: ذاك أجدر أن يقع فيه.

الثاني: أنّ المذنب التائب محتشم، فقد غلب الخوف على قلبه، فيأتي باب مولاه خزيان منكسراً. ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه، ويدلّ بفعله، وليس خدمة من عصى ملكاً، وخرج عليه خارجيّاً(٤) ثمّ عاد إليه وجلاً، فتجوفي عنه، كخدمة من أدلّ بطاعته.

الثالث: أنّ التائب حلب الدهر شطريه، خيره وشرّه وحلوه ومرّه، فهو أرفق بالمذنبين، وأوفق لهم، وأصلح للرئاسة ممّن يظنّ أنّ الذنب شيء خارج عن طبيعة الإنسان(٥)، فيعجب بنفسه، ويزري بغيره.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٩.

(٢) المفردات: ص ٢١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٤) هكذا في النسخ، والصحيح خارجيّ.

(٥) «ألف»: الإنسانيّة.

....

وسئل سعيد بن جبير: من أعبد النّاس، فقال رجل: إجترح الذنوب فكلّما ذكر ذنوبه احتقر عمله(١). والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثامنة والثلاثين من رياض السالكين، وفّق الله لإتمامها واجتلاء حسن ختامها أصيل يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة الحرام، والله الموفّق للتمام ولله الحمد.

(١) ربيع الأبرار: المخطوط ص٤٦ باب الجنايات. والذنوب ومايتعلق بها من العفو والعقاب.

الروضة التاسعة والثلا ثون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْسِرْ شَهْوَتِيْ عَنْ كُلِّ مَحْرَمٍ وَازْوِ حِرْصِيْ
عَنْ كُلِّ مَأْثَمٍ وَامْنَعْنِيْ عَنْ اَذٰى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ
اَللّٰهُمَّ وَاَيُّمَا عَبْدٍ نَالَ مِنِّيْ مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ وَانْتَهَكَ مِنِّيْ مَا حَجَرْتَ
عَلَيْهِ فَمَضٰى بِظُلَامَتِيْ مَيِّتًا اَوْ حَصَلَتْ لِيْ قِبَلَهُ حَيًّا فَاغْفِرْ لَهُ مَا
اَلَمَّ بِهِ مِنِّيْ وَاعْفُ لَهُ عَمَّا اَدْبَرَ بِهِ عَنِّيْ وَلَا تَقِفْهُ عَلٰى مَا ارْتَكَبَ فِيَّ
وَلَا تَكْشِفْهُ عَمَّا اكْتَسَبَ بِيْ وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَ
تَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ اَزْكٰى صَدَقَاتِ الْمُتَصَدِّقِيْنَ وَاَعْلٰى صِلَاتِ
الْمُتَقَرِّبِيْنَ وَعَوِّضْنِيْ مِنْ عَفْوِيْ عَنْهُمْ عَفْوَكَ وَمِنْ دُعَائِيْ لَهُمْ رَحْمَتَكَ حَتّٰى
يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِفَضْلِكَ وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنَّا بِمَنِّكَ اَللّٰهُمَّ وَاَيُّمَا
عَبْدٍ مِنْ عَبِيْدِكَ اَدْرَكَهُ مِنِّيْ دَرَكٌ اَوْ مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَتِيْ اَذًى اَوْ لَحِقَهُ
بِيْ اَوْ بِسَبَبِيْ ظُلْمٌ فَفُتُّهُ بِحَقِّهِ اَوْ سَبَقْتُهُ بِمَظْلِمَتِهِ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَاَرْضِهِ عَنِّيْ مِنْ وُجْدِكَ وَاَوْفِهِ حَقَّهُ مِنْ عِنْدِكَ ثُمَّ قِنِيْ مَا يُوْجِبُ
لَهُ حُكْمُكَ وَخَلِّصْنِيْ مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ عَدْلُكَ فَاِنَّ قُوَّتِيْ لَا تَسْتَقِلُّ بِنَقِمَتِكَ
وَاِنَّ طَاقَتِيْ لَا تَنْهَضُ بِسُخْطِكَ فَاِنَّكَ اِنْ تُكَافِنِيْ بِالْحَقِّ تُهْلِكْنِيْ وَاِلَّا تَغَمَّدْنِيْ

بِرَحْمَتِكَ تُوبِقُنِي اَللّٰهُمَّ اِنِّي اَسْتَوْهِبُكَ يَا اِلٰهِي مَا لَا يَنْقُصُكَ بَذْلُهُ

وَاَسْتَحْمِلُكَ مَا لَا يَبْهَضُكَ حَمْلُهُ اَسْتَوْهِبُكَ يَا اِلٰهِي نَفْسِيَ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْهَا

لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوْءٍ اَوْ لِتَطَرَّقَ بِهَا اِلٰى نَفْعٍ وَلٰكِنْ اَنْشَاْتَهَا اِثْبَاتًا لِقُدْرَتِكَ

عَلٰى مِثْلِهَا وَاحْتِجَاجًا بِهَا عَلٰى شَكْلِهَا وَاَسْتَحْمِلُكَ مِنْ ذُنُوبِي مَا قَدْ بَهَظَنِي

حَمْلُهُ وَاَسْتَعِينُ بِكَ عَلٰى مَا قَدْ فَدَحَنِي ثِقْلُهُ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَ

هَبْ لِنَفْسِي عَلٰى ظُلْمِهَا نَفْسِي وَوَكِّلْ رَحْمَتَكَ بِاحْتِمَالِ اِصْرِي فَكَمْ

قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ بِالْمُسِيئِينَ وَكَمْ قَدْ شَمِلَ عَفْوُكَ الظَّالِمِينَ فَصَلِّ

عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَاجْعَلْنِي اُسْوَةَ مَنْ قَدْ اَنْهَضْتَهُ بِتَجَاوُزِكَ عَنْ مَصَارِعِ

الْخَاطِئِينَ وَخَلَّصْتَهُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ وَرَطَاتِ الْمُجْرِمِينَ فَاَصْبَحَ طَلِيقَ

عَفْوِكَ مِنْ اِسَارِ سُخْطِكَ وَعَتِيقَ صُنْعِكَ مِنْ وَثَاقِ عَدْلِكَ اِنَّكَ اِنْ تَفْعَلْ ذٰلِكَ

يَا اِلٰهِي تَفْعَلْهُ بِمَنْ لَا يَجْحَدُ اسْتِحْقَاقَ عُقُوبَتِكَ وَلَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنِ اسْتِيجَابِ

نَقِمَتِكَ تَفْعَلْ ذٰلِكَ يَا اِلٰهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ اَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ وَ

بِمَنْ يَاْسُهُ مِنَ النَّجَاةِ اَوْكَدُ مِنْ رَجَائِهِ لِلْخَلَاصِ لَا اَنْ يَكُونَ يَاْسُهُ قُنُوطًا

اَوْ اَنْ يَكُونَ طَمَعُهُ اغْتِرَارًا بَلْ لِقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ وَضَعْفِ

حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبِعَاتِهِ فَاَمَّا اَنْتَ يَا اِلٰهِي فَاَهْلٌ اَنْ لَا يَغْتَرَّ بِكَ

الصِّدِّيقُونَ وَلَا يَيْأَسُ مِنْكَ الْمُجْرِمُونَ لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَمْنَعُ
أَحَداً فَضْلَهُ وَلَا يَسْتَقْصِي مِنْ أَحَدٍ حَقَّهُ تَعَالَى ذِكْرُكَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ وَ
تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ عَنِ الْمَنْسُوبِينَ وَفَشَتْ نِعْمَتُكَ فِي
جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذٰلِكَ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

الروضة
التاسعة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وإيّاه نستعين

الحمد لله المطلوب عفوه وغفرانه، المسؤول رحمته وإحسانه، والصلاة والسّلام على نبيّه محمّد العليّ شأنه، وعلى آله الذين هم أنصار الحقّ وأعوانه.

وبعد فهذه الروضة التاسعة والثلاثون من رياض السالكين، في شرح صحيفة سيّد العابدين صلّى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الخلفاء الراشدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدين الحسيني الحسني، أناله الله عفوه ورحمته، وفرّج عليه من ضيق الكروب زحمته.

شرح الدعاء التاسع والثلاثين

وكان من دعائه عليه السَّلام: في طلب العفو والرحمة.

العفو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب.

قال ابن الأثير: وأصله المحو والطمس. ومنه عفت الريح الأثر إذا محته(١).

وقال الراغب: العفو: القصد لتناول الشيء. يقال: عفاه واعتفاه: أي قصده متناولاً ماعنده، ومنه العافي لكلّ طالب رزق من طائر أو بهيمة أو إنسان. وعفت الريح التراب: قصدته متناولة إثارته. وعفت الدار كأنّها قصدت نحو البلى. وعفى الشعر والنبت قصد تناول الزيادة كقولك: أخذ النبت في الزيادة وعفى عنه كأنّه قصد إزالة ذنبه صارفاً له عنه. فالمفعول في الحقيقة متروك عن متعلّقه بمضمر. فالعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقوبة(٢).

والرحمة: رقّة القلب وانعطاف، أي ميل روحاني يقتضي التفضّل والإحسان، وإذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها غايتها أعني التفضّل والإحسان، لأنّ الرقّة من الكيفيّات والمزاجيّة التابعة للتأثّر والانفعال، والله سبحانه منزّه عنها. وهو: إمّا من باب المجاز المرسل، بذكر السبب وإرادة المسبّب، فانّ الرحمة والرقّة سبب

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٢٦٥.

(٢) المفردات: ص٣٣٩.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

اللَّهمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، واكْسِرْ شَهْوَتي عَنْ كُلِّ مَحْرَمٍ، وَازْوِحِرْصِيْ عَنْ كُلِّ مَأْثمٍ، وَامْنَعْنِي عَنْ أَذى كُلِّ مُؤمنٍ وَمُؤمِنَةٍ، وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

التفضّل والإحسان.

وإمّا على طريقة التمثيل، بأن شبّه حاله تعالى ـ بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم ـ بحال الملك إذا عطف على رعيّته ورقّ لهم، فأصابهم بمعروفه وإنعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للأُولى، من غير أن يتمحّل في شيء من مفرداته. وقس على ذلك سائر الصفات التي لايصحّ اتّصافه تعالى بها سواء كانت انفعالات كالرحمة والحياء والغضب، أو لا كالاستهزاء والمكر، أو الخدع.

ورحمته تعالى: تنقسم إلى عامّة: وهي إفاضة الوجود وما يليق من الأغراض والحاجات. وخاصّة: وهي التي تخصّص بعض العبيد بالتقريب إليه سبحانه، وهذه الرحمة هي المطلوبة هنا، فافهم.

كسرت الرجل عن مراده: ثنيته وصرفته. وأصله من كسر العود ونحوه، وهو مجاز مرسل بعلاقة السببيّة، لأنّ الكسر يقتضي تغيّر المكسور عمّا كان عليه، وصرفه عمّا أعدّ له، أي اصرف شهوتي عن كلّ محرم.

والشهوة: نزوع النفس إلى ماتريده. وعرّفت: بأنّها قوّة نفسانيّة باعثة على جلب النفع. ويقابلها الغضب؛ وهي قوّة نفسانيّة باعثة على دفع الضرر، وقد تقدّم في الروضة الثامنة بيان أن أصعب القوى النفسانيّة مداواة وإصلاحاً القوّة الشهويّة، فانّ قمعها وكسرها عسير جدّاً، لأنّها أقدم القوى وجوداً في الإنسان، وأشدّها به تشبّثاً، وأكثرها منه تمكّناً، فإنّها تولد معه، وتوجد فيه قبل قوّة الغضب، وقبل قوّة الفكر والنطق والتميز(١). ولذلك بدأ عليه السّلام الدعاء بسؤال كسرها وصرفها

---

(١) «ألف»: التميّز.

....

عن كلّ محرم، ولأنّ الإنسان لايصير حراً تقياً وغنياً وسخياً إلّا بقمعها و إماتتها كما سبق بيانه، فانّها إذا قُهرت وأُميتت، صارالعبد ملكاً روحانيّاً، وإلهيّاً ربّانيّاً، خارجاً عن الفواسق البهيميّة، سارحاً في مشارق الأنوار الملكيّة.

والمحرم -بفتح الميم والراء المهملة المخفّفة-: الحرام، وحقيقة موضع الحرمة. وهو الممنوع منه شرعاً.

وفي نسخة مُحَرَّم -بضمّ الميم وتشديد الرّاء المهملة- وهو اسم مفعول من حرّم الله الشيء تحريماً: إذا منع منه.

وزويت الشيء: جمعته وقبضته، ثمّ استعمل مجازاً في التنحية والصرف. ومنه حديث الدعاء: وَمَازَوَيت عني ممّا أُحبُّ(١) أي صرفته ونحيّته.

والحرص: فرط الرغبة والإرادة.

وقيل: طلب الشيء باجتهاد. ومنه قوله تعالى: «إنْ تحرص على هداهم»(٢) أي إن تفرط إرادتك في هدايتهم، أو إن تجتهد في طلب هدايتهم. وقد تقدم الكلام على الحرص مستوفىً في الروضة الثامنة.

والمأثم: الإثم. وهو الذنب وهو مصدر ميميّ وضع موضع الاسم.

وقيل: هو الأمر الذي يأثم به الإنسان أي يقع به في الإثم ومنعته عن الأمر: كففته عنه.

وآذاه يؤذيه أذىً وأذاة وأذيّة: أوقع به مكروهاً وضرراً في نفسه أو جسمه أو ماله دنيويّاً كان أو أُخرويّاً.

وعطف المسلم والمسلمة على المؤمن والمؤمنة، امّا من باب التتميم بناءً على أنّ الإسلام دون الإيمان، أو من باب التّرقي من الأدنى إلى الأعلى بناءً على أنّ الإسلام فوق الإيمان.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص ٣٢٠.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٧.

اللَّهمَّ وَأَيُّما عَبْدٍ نَالَ مِنِّيْ مَا حَظرْتُ عَلَيْهِ، وَانْتَهكَ مِنِّي مَاحَجَزْتَ عَلَيْهِ، فَمضَى بِظُلامَتِيْ مَيِّتاً، أو حَصَلَتْ لِيْ قِبَلَهُ حَيّاً، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنِّي، وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَدْبَرَ بِهِ عَنِّي، وَلاَ تَقِفْهُ عَلَى مَا ارتكَبَ فِيَّ، وَلاَ تَكْشِفْهُ عَمّا اكْتَسَبْ بِي.

قال الراغب: الإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان. وبه يحقن الدّم، حصل معه الإعتقاد أو لم يحصل، وإيّاه قصد بقوله تعالى: «قُلْ لَم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا»(١).

والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدّر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السَّلام في قوله: «إذ قال له ربُّه أسلم قال أسلمت لربِّ العالمين»(٢) وقوله: «إنَّ الدِّين عِند الله الإسلام»(٣) وقوله: «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين»(٤) أي إجعلني ممّن استسلم لرضاك، وقوله: «إن تسمع إلّا من يؤْمن بآياتنا فهم مسلمون»(٥) أي منقادون للحق مذعنون له(٦). إنتهى.

وقد استوفينا الكلام على مباحث الإسلام والإيمان فيما تقدّم فأغنى عن الإعادة.

«أيّ»: اسم شرط مرفوع بالابتداء.

«وما»: زائدة لتأكيد الإبهام في أيّ.

وعبد: مخفوظ باضافة أيّ إليه. وقيل: «ما» نكرة و«عبد» بدل منها، والخبر هو جملة نال منّي.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٥) سورة النمل: الآية ٨١.

(٦) المفردات: ص ٢٤٠.

....

وقيل: هو جملة الجزاء، وهو قوله: فاغفر له.

وقيل: الشرط مع جزائه هو الخبر، وقد مرّ الكلام على ذلك مستوفىً في الروضة الحادية والثلاثين، فليرجع إليه.

ونال الشيء يناله نيلاً: أصابه.

والحظر: المنع. يقال: حظرته حظراً -من باب قتل- أي منعته وأدّاه بعلى لتضمينه معنى التحريم. ومفعول حظرت محذوف اطراداً، أي حظرته عليه.

وانتهك الرجل الحرمة تناولها بما لا يحلّ.

وحجّر عليه الشيء حجراً -من باب قتل-: حرّمه عليه، ومنعه من التصرف فيه. ويقال للممنوع منه: بتحريمه حِجْر، ومنه قوله تعالى: «وَقالوا هذه أَنعام وحرث حجرٌ»(١).

وفي نسخة حجزت عليه بالزاء المعجمة. وهو من الحجز بمعنى الفصل، ويرجع إلى معنى المنع.

والظلامة -بالضم-: اسم لما يطلبه المظلوم عند الظالم كالمظلمة.

وميّتاً: نصب على الحال.

و «أو» لأحد الأمرين.

وحصل الشيء حصولاً -من باب قعد- وحصل لي عليه كذا: ثبت ووجب.

والقِبَل: -على وزن عنب- بمعنى عند.

قال الفارابيّ في ديوان الأدب: يقال: لي قِبَلُ فلان حقّ أي عنده(٢).

أي ثبتت لي ظلامتي عنده حال كونه حيّاً.

وقول بعضهم: قبله أي من جانبه، تمحّل لا داعي إليه إلّا عدم اطلاعه على ورود قبل بمعنى عند.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٨.

(٢) ديوان الأدب: ج١ ص٢٦٥.

....

وألمّ بالذنب إلماماً: فعله.

ومني: أي من ظلمني.

وأدبر بالشيء: ذهب به.

قال بعضهم: المراد بما ألمّ به ما أقام عليه من الظلم من الإلمام بالمنزل، وهو النزول به، وبما أدبر به مافعله من الظلم، ثمّ مضى وانقضى.

وقال آخر: المراد بقوله: «اغفر له ما ألمّ به منّي» مانزل من البلاء بسبب ظلامتي.

وكلّ هذا تخرّص لايُفهمه ظاهر العبارة، بل الظاهر أنّ المراد بقوله: «ما ألمّ به منّي» مافعله من ظلمي، وبقوله: «عمّا أدبر به عنّي» ماذهب به من حقّي، كمال ونحوه يريد التعميم في ماجناه عليه، سواء كان ظلماً في نفس وعرض أو مال وقنية. والله أعلم بمراد أوليائه.

ولا تقِفْه على ما ارتكب فيّ: أي لا تُطلعه عليه أو لا تبكّته ولا تقبّح عليه فعله.

قال الجوهريّ: وقفته على ذنبه: أي أطلعته عليه(١).

وقال أبو عبيدة: وقفته على ذنوبه إذا بكّته بها، أي قبّحت عليه فعله لها، وأصله من الوقوف(٢).

قال في الأساس: ومن المجاز وقفته على ذنبه، وعلى سوء صنيعه(٣).

وارتكب الذنب ارتكاباً: أتاه وفعله.

«وفيّ» أي بسببي، كقوله عليه السّلام: إنّ امرَأة دخلَت النّار في هرّة حبَستها(٤)، وترجع إلى الظرفيّة كأنّ السبب متضمّن للمسبّب تضمّن الظرف

---

(١) الصحاح: ج٤ ص١٤٤٠.

(٢) لم نعثر عليه في المصباح واللسان والصحاح والأساس وتاج العروس والأقرب.

(٣) أساس البلاغة: ص٦٨٦ والفائق في غريب الحديث والنهاية.

(٤) مسند أحمد: ج٢ ص٥٠٧.

وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَتَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ أَزْكَى صَدَقَاتِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَأَعْلَى صِلاَتِ الْمُتَقَرِّبِينَ،

للمظروف.

ولا تكشفه: أي لا تفضحه. يقال: كشفته الكواشف: أي فضحته. وأصله من الكشف وهو الإظهار، ورفع الشيء عمّا يواريه ويغطيه.

«وعن» في قوله: «عمّا اكتسب» سببيّة مثلها في قوله تعالى: «وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى»(١).

قال الرضيّ: أي نطقاً صادراً عن الهوى(٢).

فالجارّ والمجرور صفة للمصدر، فعن في مثله تفيد السببيّة كما في قولك: قلت هذا عن علم.

وفي القاموس: الكشف كالتكشيف ـ وكشفته عن كذا تكشيفاً: أكرهته على إظهاره(٣).

وإرادة هذا المعنى هنا حسنة، أي لا تكرهه على إظهار ما اكتسب فيّ أي بسببي. ويجوز أن تكون «الباء» فيه هي الباء الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين، جعل نفسه في اكتساب الظالم للإثم كالآلة له من حيث إنّ ظلمه مقصور عليه. والله أعلم.

سمح بكذا يسمح بفتحتين سماحاً وسماحة: جاد وأعطى ووافق على ما أريد منه، وأسمح بالألف لغة.

وقال الأصمعيّ: سمح ـ ثلاثيّاً ـ بماله، وأسمح ـ رباعيّاً ـ بفاده. وسامحه بكذا أعطاه. وتسامح وأصله الاتّساع، ومنه يقال: في الحقّ مسمح: أي متّسع ومندوحة

---

(١) سورة النجم: الآية ٣.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٤٢.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص١٩٠.

وَعَوِّضْنِي مِنْ عَفوِي عَنْهُمْ عَفوَكَ ، وَمِنْ دُعَائِي لَهُمْ رَحْمَتكَ ، حَتّى يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنّا بِفَضْلِكَ ، وَيَنْجُو كُلٌّ مِنّا بِمَنِّكَ .

عن الباطل(١).

وتبرّع بالأمر: فعله غير طالب عوضاً.

وفي القاموس: تبرّع بالعطاء تفضّل بما لايجب عليه(٢).

وقال صاحب المحكم: تبرّع بالعطاء أعطى من غير سؤال(٣).

وهو موافق لما في الأساس حيث قال: فعل ذلك تبرعاً من غير طلب إليه، كأنّه يتكلّف البراعة فيه والكرم(٤).

وتصدّق بكذا: أعطاه صدقة، وهي مايخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، كالزكاة. لكنّ الصدقة في الأصل يقال للمتبرّع به، والزكاة للواجب.

وقيل: يسمّى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبه الصدق في فعله. قال تعالى: «خُذْ مِن أَموالهم صدقةً»(٥). ويقال لما تجافى عنه الإنسان وتركه: من حقّه تصدّق به، وعليه عبارة الدعاء. ومنه قوله سبحانه: «فَمن تصدَّق بِهِ فهو كفّارة له»(٦) وقوله تعالى: «ودية مسلمة إلى أهله إلّا أن يصدَّقُوا»(٧) فسمّى اعفاءه صدقة.

والزكاء بالمدّ: النماء والزيادة، يقال: زكا الزرع إذا حصل منه نموّ وزيادة ومنه الزكاة لما يخرجه الإنسان من حق الله سبحانه إلى الفقراء، لأنّه سبب يرجى به الزكاء والبركة.

وأعلى: أي أشرف وأفضل.

والصلات: جمع صِلة بالكسر. وأصلها وصل حذفت الواو وعوض منها هاء في

---

(١) المصباح المنير: ص٣٩١. وفيه رباعياً بقياده.

(٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٤.

(٣) محكم اللغة: ج٢ ص١٠٤.

(٤) أساس البلاغة: ٣٧.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٦) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٧) سورة النساء: الآية ٩٢.

....

آخرها. يقال: وصله وصلاً وصلة ـ من باب وعد ـ. وأصله من اتّصال الأشياء بعضها ببعض، ثمّ لستعمل في العطاء، فقيل: وصله بألف دينار، أي أعطاه. وسمّوا العطيّة صلة، وضعاً للمصدر موضع الاسم، وعليه عبارة الدعاء، أي أشرف عطايا المتقرّبين.

وتقرّب إلى الله بكذا: طلب قربه تعالى بسببه وهو قرب روحانيّ لابدنيّ.

ومنه الحديث القدسيّ: مَا تقرَّب الّي عبد بمثل أداء الفرائض(١).

وعوّضه تعويضاً: أعطاه عوض ماأخذ منه.

أي اجعل عفوك عنّي عوضاً من عفوي عنهم، ورحمتك عوضاً من دعائي لهم بالغفران والعفو والإغماض والستر.

و (حتّى) يجوز أن تكون تعليليّة مرادفة لـ «كي» أي كي يسعد كلّ منّا. ويجوز أن تكون بمعنى «إلى»، فيكون المراد منه حينئذٍ الدوام.

وسعد فلان يسعد ـ من باب تعب ـ في دين أو دنيا سعداً وسعوداً: حصلت له السعادة.

والمراد بها هنا السعادة المطلقة وهي السعادة الأُخروية، التي هي عبارة عن حسن الحياة في الآخرة، وهي المشار إليها بقوله تعالى: «وأمّا الذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها»(٢).

و «الباء» من قوله: «بفضلك» إمّا سببيّة، أو للملابسة أي ملتبساً بفضلك.

ونجا من الهلاك ينجو نجاة: خلص.

ومنّ عليه يمنّ منّاً: أنعم عليه وأحسن إليه.

قال بعضهم: يحتمل أن يكون معنى قوله عليه السّلام «حتى يسعد كلّ منّا بفضلك» أي حتى أسعد أنا بفضلك الذي عوّضتني إيّاه عن عفوي عنه، ويسعد هو

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٦ ص٢٥٦.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٨.

اللّهمّ وَأَيُّما عَبْدٍ مِنْ عَبيدكَ أَدرَكَهُ مِنِّي دَرَكٌ ، أَو مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَتِي أذىً، أَو لَحِقَهُ بِي أَو بِسَبَبِي ظُلْمٌ ففته بحقِّهِ، أَو سَبقْتُهُ بمظْلَمَتِهِ، فَصلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَرْضِهِ عَنِّي مِنْ وُجْدِكَ ، وَأَوْفِهِ حَقَّهُ مِنْ عِنْدِكَ .

بفضلك الذي لولا عفوي عنه لعاقبته، أو أسعد أنا بعفوي وبما عوّضتني، وذلك فضل منك ، فإنك أنت الذي وفّقتني للعفو. وسعادته أيضاً كائنة بفضلك ، فإنّك كما تفضّلت عليّ بالعفو عنه، تفضّلت عليه بعفوي عنه، وقبلت عفوي.

ولعلّ هذا أنسب بقوله عليه السَّلام: «وينجو كلّ منّا بمنك» والله أعلم.

قلت: لاحاجة إلى هذا التمحّل بل تجعل السعادة والنجاة لكلّ منهما غاية لطلبه -عليه السَّلام- الغفران والعفو للظالم، وتعويضه عن ذلك عفوه تعالى، ورحمته له. وهو ظاهر لاغبار عليه.

أدركه إدراكاً: أي لحقه وهو هنا لحوق معنويّ. والدرك -بفتحتين- اسم منه. ومنه: «لاَ تخَافُ دَرَكاً وَ لاَ تَخْشَى»(١) أي لاتخاف أن يدركك فرعون من خلفك ، ثمّ أُطلق على مافيه إثم يلحق به الإنسان، عقوبةٌ، كما سُمي ذلك بالتبعة أيضاً لما يتبعه من العقوبة. وقد يطلق الدرك والتبعة على الظُلامة التي يلحق المظلوم بها الظالم، (٢) ويتبعه لأجلها.

وقد يقال الدرك لما يلحق الإنسان من عقوبة التبعة والإثم. وبه فسّر ماورد في الحديث: وَما أدركَهُ مِنْ دَرك فَعليَّ خَلاصُهُ(٣).

قال الزمخشريّ في الأساس أي مايلحقه من التبعة(٤).

وكلّ هذه المعاني يحسن حمل عبارة الدعاء عليه.

ومسّه الأذى: ناله وأصابه.

---

(١) سورة طه: الآية ٧٧.

(٢) «ألف»: او يتبعه.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٨٦.

(٤) أساس البلاغة: ص ١٨٦.

....

قال الراغب: والمسّ: يقال في كلّ ماينال الإنسان من أذى، نحوقوله تعالى: «مسَّتهُمُ البأساءُ والضرَّاء»(١) إنتهى.

وأصله من مسّه يمسّه -من باب تعب، وقتل- : إذا أفضى إليه بيده من غير حائل.

وقوله «بي أو بسببي» يريد به ما كان بمباشرتي أنا له، أو ما كان بمباشرة غيري وكنت أنا السبب فيه، فالباء الأُولى للإلصاق، لا للسببيّة. ومتعلّقها قوله: «ظلم» أي لحقه ظلم ملتصق فعله بي، أو كائن بسببي. ولا داعي لجعل المتعلّق قوله: «لحقه»، لما علمت غير مرّة من أنّ المصدر إذا لم يكن منحلاً إلى أن وصلتها جاز تقديم معموله عليه.

قال ابن هشام: ومن ظنّ أنّ المصدر لايتقدّمة معموله مطلقاً فهو واهم(٢).

قوله عليه السَّلام: «ففتّه بحقه» الفوت: بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذّر عليه إدراكه.

قال في الأساس: فاتني بكذا سبقني به وذهب به عنّي(٣).

وأصل السبق: التقدم في السير، ثمّ تُجوّز به في غيره، فاذا عُدّي بالباء كان بمعنى الفوت، يقال سبقه به وفاته به بمعنى.

وإذا عدّي بعلى كان بمعنى الغلبة.

قال في الكشّاف: سبقته على الشيء إذا أعجزته وغلبته عليه ولم تمكّنه منه. ومنه قوله تعالى: «مَا نحن بمسبوقين على أَن نبدل امثالكم» أي إنّا قادرون على ذلك لا تغلبونني عليه(٤).

قال بعضهم: قوله عليه السَّلام «أو سبقته بمظلمته» عطف تفسيري على قوله:

---

(١) المفردات: ص ٤٦٧.

(٢) راجع مغني اللبيب: ج١ ص ٤٠.

(٣) أساس البلاغة: ص ٤٨٣.

(٤) تفسير الكشاف: ج٤، ص ٤٦٥.

....

«ففتّه بحقّه» أو تأكيد له.

ويأباه العطف بـ«أو» فانّ عطف الشيء على مرادفه من خواصّ الواو، دون سائر حروف العطف عند الجمهور خلافاً لابن مالك(١)، واستشهاده بقوله تعالى: «ومن يكسب خطيئةً أو إثماً»(٢) مدفوع بحمل الخطيئة على الصغيرة، أوعلى مالا عمد فيه، أوعلى مابين العبد وبين ربّه، والإثم على الكبيرة، أوعلى ماكان عن عمد، أوعلى مظالم العباد. على أنّ ابن مالك معترف بقلّته.

فالأولى أن تجعل الفقرة الثانية تأسيساً، بحمل الفقرة الأُولى على الفوت بحقه في دار الدنيا، بأن يكون قد مات، أو يكون بعيد الدار فلايمكنه استرداد حقّه، أو يكون ضعيفاً عن استرداده، والفقرة الثانية على السبق بالمظلمة إلى الدار الآخرة، أو بحمل الحقّ في الأُولى على غير المظلمة، كحقوق الأُخوّة ونحوها، والمظلمة في الثانية على الحق الذي ظلمه إيّاه من مال ونحوه، فانّ التأسيس خيرمن التأكيد.

والمظلمة: بمعنى الظلامة.

قال في الأساس: عند فلان ظلامتي، ومظلمتي حقّي الذي ظلمنيه(٣).

والوجد ـ بالضم ـ: الغنى. ومنه اسمه «الواجد» تعالى أي الغنيّ. ويعبّر عنه بالجدة أيضاً. وأصلها الوجد حذفت الواو وعوّضت عنها الهاء.

والمعنى: أعطه من غناك وسعتك حتى يرضى عنّي، فلا يطالبني بحقّه. وأوفه حقّه من عندك . أي أعطه إيّاه وافياً من فضلك، أو تفضّلاً من عندك . وعند هنا مثلها في قوله تعالى: «فَإِنْ أَتممْت عشراً فمِن عندك »(٤).

قال الفيّوميّ: أي من فضلك(٥).

وقال الزمخشريّ: إيّ فهو منك تفضّل وتبرّع، وإلاّ فلا عليك(٦). إنتهى.

---

(١) مغني اللبيب: ص ٤٦٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٢.

(٣) أساس البلاغة: ٤٠٣.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٥) المصباح المنير: ص ٥٩٠.

(٦) تفسير الكشّاف: ج٣ ص ٤٠٥.

ثمّ قِنِيْ مَا يُوجِبُ لَهُ حُكْمُكَ، وَخلِّصْنِي مِمّا يَحكُمُ بِهِ عَدْلُكَ، فَإنَّ قُوَّتِيْ لاَ تَستَقِلُّ بِنَقمَتِكَ، وَإنَّ طَاقَتِي لاَ تَنْهَضُ بِسُخطِكَ، فَإنَّكَ إنْ تُكافِنِي بِالحَقِّ تُهْلِكْنِي، وَإلاّ تَغمَّدنِي بِرَحْمَتِكَ تُوبِقْنِي.

وفائدة هذا القيد الاحتراز عن إيفائه حقّه بمقاصّته من حسناته.

كما ورد في الحديث: إنّ الله يقتص من حسنات الظالم، ويعطيها المظلوم بازاء حقّه(١). والله أعلم.

لمّا كان ظلم العباد يتضمّن محظورين: أحدهما: الذهاب بحقّ الخلق.

الثاني: معصية الخالق بعدم الاجتناب لما نهى عنه، والتعدي لحكمه سبحانه.

وكان كلّ منهما يقتضي مكافاة وجزاء مستقلاً برأسه، ويوجب عقوبة ومؤاخذة على حدة. سأل عليه السّلام أوّلاً إسقاط حقّ خصمه، وإرضاءه عنه، ثمّ التجاوز عمّا يوجبه التعدّي لحكمه تعالى. وإنّما قدّم الأوّل وعقّبه بالثاني لأنّ حقوق العباد مبناها على الضنّة والضيق، وحقوق الله تعالى مبناها على المسامحة. ولذلك جاء بكلمة التراخي إيذاناً بفرط رحمته ومسامحته في حقوقه. وعن ذلك قدّم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد على حقوق الله الغنيّ الحميد.

وعلى هذا فاللام من قوله: «يوجب له» تعليليّة، والضمير عائد إلى الظلم، أي مايوجب لأجل الظلم حكمك. ويجوز أن تكون اللام للتأكيد، وهي المعترضة بين الفعل المتعدّي ومفعوله. كقوله:

وملكت مابين العراق ويثرب ملكاً أجار لمسلم ومعاهد(٢)

وعليه: حمل المبرّد(٣) والزمخشريّ قوله تعالى: «ردفَ لكم»(٤) والأصل ردفكم. قال في الكشّاف: زيدت اللام للتأكيد نحو قوله تعالى: «وَلَا تلقُوا

---

(١) لم نعثر على نصّه بل ورد بمضمونه في عقاب الأعمال: ص٣٣٣.

(٢) و(٣) مغني اللبيب: ص ٢٨٥.

(٤) سورة النمل: الآية ٧٢.

....

بأيديكم» والجمهور على أنّه ضمن معنى اقترب(١).

والضمير على هذا عائد إلى «ما» والأصل مايوجبه.

وأمّا ماقيل: من أنّ الضمير عائد إلى المظلوم، والمعنى قني مايوجب للمظلوم حكمك، ويحكم به عدلك من أخذ حقّه منّي، لا إرضائه عنّي، وإيفائه حقّه من فضلك فتأباه، بل تحيله كلمة التراخي من قوله: «ثمّ قني»، إذ لا معنى لسؤال الوقايةُ من مقتضى العدل ـ بعد سؤال المعاملة بالفضل ـ بكلمة «ثم»، كما هو ظاهر لاخفاء به.

واستقلّ بالشيء استقلالاً وأقلّه إقلالاً: رفعه وحمله. وأصله من القلّة ضدّ الكثرة، كأنّ الحامل يجد مايحمله قليل المحمل بالنسبة إلى قوّته أي خفيفاً. ومنه قوله تعالى: «أقلّت سحاباً ثقالاً»(٢) أي رفعته واحتملته فوجدته قليلاً باعتبار قوّتها، ثمّ تُجوز فيه، فاستعمل في المعاني، فقيل: فلان يستقلّ بهذا الأمر أي يقوى عليه ويطيقه.

قال في الأساس: ومن المجاز هو لايستقلّ بهذا الأمر: أي لايطيقه(٣).

والطاقة: القدرة اسم من أطقت الشيء إطاقة: أي قدرت عليه، كالطاعة اسم من أطاع إطاعة.

وإلّا تغمّدني: أي إن لم تغمّدني، كقوله تعالى: «إلّا تنصروه فقد نصره الله»(٤)، وهي كلمتان إن الشرطية، ولا النافية. وتغمّدني فعل مضارع حذفت من أوّله إحدى التائين، والأصل تتغمدني، كقوله تعالى: «وَلا تعاونوا على الإثم والعدوان»(٥). وتغمّده الله برحمته: غمره وستره بها.

---

(١) تفسير الكشّاف: ج٣ ص ٣٨١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٧.
(٣) أساس البلاغة: ص ٥٢١.
(٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.
(٥) سورة المائدة: الآية ٢.

اللَّهمَّ إنّي أَسْتَوْهِبُكَ يَا إلـهِي مَا لاَ يُنْقِصُكَ بَذْلُهُ، وَأَسْتَحْمِلُكَ مَا لاَ يُبْهِضُكَ حَمْلُهُ، أَسْتَوْهِبُكَ يَا إلهِي نَفْسِيَ التيْ لم تخلقْها لِتَمْتَنِعَ بهَا مِنْ سُوءٍ، أَو لِتَطرَّقَ بهَـا إلَى نَفْعٍ، ولكنْ أَنشَأْتَهَا إثْـبَاتاً لِقُدْرَتِـكَ عَلَى مِثْلِهَا، وَاحْتِجَاجاً بِهَا عَلَى شَكْلِهَا.

واو بقه الله: أهلكه.

وفي الحديث: ليس أَحد يدخل الجنَّة بعمله . قيل: ولا أَنت يارسول الله، قال: ولا أنا إلّا يتغمَّدني الله برحمته(١).

استوهبته كذا: سألته أن يهبه لي. والهبة: العطاء من غير عوض.

والنقص: الخسران في الحظّ. يقال: نقص نقصاً -من باب قتل- ونقصاناً، ونقص يكون لازماً ومتعدّياً إلى مفعول واحد وإلى مفعولين.

يقال: نقص الشيء أي ذهب منه شيء بعد تمامه، ونقصت المال أي أذهبت منه شيئاً، ونقصت زيداً حقّه. ومنه عبارة الدعاء، أي ما لاينقصك شيئاً. حذف المفعول الثاني لمجرّد الاختصار مع قيام القرينة، لأنّ بذل الشيء لايوجب نقصاً في الذات، وإنّما يوجب نقصاً في الشيء من ملك الباذل.

والبذل: العطاء عن طيب نفس.

يقال: بذله بذلاً -من باب قتل- أي أعطاه، وسمح به.

واستحملت فلاناً ثقلي: سألته أن يحمله عنّي.

وبهضه الحمل بهضاً -من باب منع-: أثقله. وهو في بعض النسخ بالظاء المشالة، وفي بعضها بالضاد.

ونصّ في القاموس: إنّه بالظاء أكثر(٢).

---

(١) كنز العمال: ج٤ ص٢٥٤ ح١٠٤١٠ مع اختلاف يسير.

(٢) القاموس المحيط: ج٢ ص ٣٢٥.

....

أي أسالك أن تحمل عنّي ما لايثقلك حمله. وهذا من باب التمثيل، مثّل حال سؤاله تعالى محو ذنوبه التي قد فدحته، وعفوه عنها بحال من يسأل قوياً قادراً أن يحمل عنه ما قد أثقله من الحمل، إذ كان لايثقله ولا يبهظه حمله، من غير ذهاب إلى جهة حقيقة بالنسبة إلى الله تعالى كما يذهب إليه المجسّمة، أو مجاز بأن يراد بالاستحمال طلب العفو والإغضاء، من قولهم: حملت ما كان منه أي عفوت وأغضيت عنه. البهظ(١) ضيق الصدر، وكرب النفس، ونحو ذلك. وإنّما المراد بالمفردات حقائقها في نفسها كما في قولهم: «أراك تقدّمُ رجلاً وتؤخّرُ أُخرى»، لكن لابالنسبة إلى الممثّل له، بل بالنسبة إلى الممثّل به، وهذا النوع من التمثيل قد يعبّر عنه بالتخييل. وهو تمثيل خاصّ لإيقاعه في الخيال، وتصوير المعاني العقليّة بصور الأعيان الحسيّة، لكونها أظهر حضوراً، وأكثر خطوراً. وهو باب جليل في علم البيان، عليه يحمل كثير من متشابهات القرآن والسنّة، وقد أسلفنا الكلام عليه بأبسط من هذا فيما سبق.

قوله عليه السّلام: «أستوهبك يا إلهي نفسي» جملة في محلّ رفع على البدليّة من الجملة المرفوعة على الخبريّة لـ«أنّ» من قوله: «إنّي أستوهبك». وإنّما أبدلها منها لكونها أوفى من الأولى بتأدية المعنى المراد، لدلالتها على المستوهب صريحاً، بخلاف الأُولى فانّ المستوهب فيها مبهم.

وفي التفسير أثر الابهام من زيادة التقرير ماليس في غيره.

وامتنع بالشيء: احتمى به. من المنع بمعنى الحماية.

والسوء: المكروه والضرر.

وتطرّقت بالشيء إلى كذا: جعلته طريقاً إليه. كما يقال: لتسبّبت به، أي جعلته سبباً. والأصل تتطرّق بتائين، لأنّه فعل مضارع فحذفت إحدى التائين

---

(١) «ألف»: بالبهظ.

....

تخفيفاً.

أي لم تخلقها لغرض يعود إليك من دفع ضرّ أو جلب نفع.

«ولكن أنشأتها». أي أحدثتها وأوجدتها.

إثباتاً لقدرتك: أي تحقيقاً لها وتقريراً على إنشاء مثلها.

واحتجاجاً بها: أي جعلها حجّة ودليلاً.

على خلق شكلها: أي مثلها في الهيئة، وتعاطي الفعل.

قال الراغب: الشكل في الهيئة والصّورة والقدر والمساحة، والنِّد: في الجوهريّة والجنسيّة، والشبه: في الكيفيّة، والمساوي في الكميّة فقط، والمثل: عام في ذلك كلّه. وقوله تعالى: «وآخر من شكله أزواج» أي مثل له في الهيئة، وتعاطي الفعل(١). إنتهى.

وقال بعضهم: معنى الاحتجاج بها على شكلها أنَّ من أنشأ مثلها كان قادراً حكيماً إلى غير ذلك ممّا يليق بجنابه المقدّس، أو الاحتجاج بها عليها بأن ركّب فيها من الآلات والعقل وغيرهما(٢) ما لايبقى لها معها عذر في التقصير والمخالفة إنتهى.

والمعنى الثاني بعيد عن مدلول الألفاظ. والله أعلم.

تنبيهان

الأوّل: قد يستفاد من قوله عليه السّلام: «لم تخلقها لتمتنع بها من سوء» الى آخره. أنّه تعالى لايفعل لغرض عائد إليه من دفع مفسدة أو تحصيل منفعة، وهو كذلك.

وبرهانه: أنّه لو فعل لغرض، لكان هو ناقصاً لذاته، مستكملاً بتحصيل ذلك الغرض، لأنّه لايصلح غرضاً للفاعل إلّا ماهو أولى به، وأصلح له من عدمه، وذلك

---

(١) المفردات: ص ٢٦٦. (٢) «ألف»: وغيرها.

....

لأنّ ماستوى وجوده وعدمه بالنظر إلى الفاعل، أو كان وجوده مرجوحاً بالقياس إليه لايكون باعثاً له على الفعل، وسبباً لإقدامه عليه بالضرورة. فكلّ ما كان غرضاً له وجب أن يكون وجوده أولى بالفاعل، وأصلح له من عدمه. وهو معنى الكمال. فإذن يكون الفاعل مستكملاً بوجود الغرض، وناقصاً بدونه، وهذا أمر مجمع عليه.

بقي أنّه هل يجوز أن يفعل لغرض عائد إلى غيره أم لا؟

ذهبت الحكماء والأشاعرة إلى أنّه لايجوز لأن الغرض العائد إلى الغير من نفع وإحسان مثلاً، إن كان أولى بالنسبة إليه من عدمه عاد حديث الكمال والنقصان، وإن لم يكن أولى بل كان مساوياً أو مرجوحاً لم يصلح أن يكون غرضاً، لما مرّ من العلم الضروريّ.

وذهبت المعتزلة وجمهور الإماميّة إلى أنّ نفي الغرض مطلقاً يستلزم العبث. وإن امتنع عود الغرض إليه عقلاً - كما تقدّم بيانه - وجب أن يكون فعله سبحانه لغرض عائد إلى العبد، وهو إحسانه إليه. وادّعاء العلم الضروري - بأنّه إن لم يكن أولى به لم يصلح أن يكون غرضاً له - ممنوع، بل يكفي في كونه غرضاً له مجرّد كونه أصلح للغير. وأيضاً إن أرادوا باستكماله بالغير حصول صفة الكمال بسبب الفعل فلا نسلّم أنّ فعله لو كان لغرض كان ناقصاً لذاته، مستكملاً بغيره، لجواز أن يكون كامل الذات، ويحصل له بحسب كلّ فعل كمال، ويتجدّد له استحقاق الحمد والمدح لأجله. وإن أرادوا به غيرذلك فليبيّنوه. والمسألة ذات ذيل طويل فلتؤخذ من مظانّها.

الثاني: لا يلزم من قوله عليه السّلام: «ولكن أنشأتها إثباتاً لقدرتك على مثلها» إلى آخره. أن يكون إنشاؤها لغرض عائد إليه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، بل عائد إلى العبد، لأنّ دلالتها - على ثبوت قدرته على إنشاء مثلها عند العقول، وجعلها حجّة ودليلاً على خلق شكلها الدى(١) النفوس - أمر يعود منفعته إلى العباد، ليؤمنوا بعموم

---

(١) «ألف»: لذي.

وأَسْتَحْمِلُكَ مِنْ ذُنُوبي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَأَسْتَعِيْنُ بِكَ عَلَى مَا قَدْ فَدَحَنِي ثِقْلُهُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِنَفْسِي عَلَى ظُلْمِهَا نَفْسِي، وَوَكِّلْ رَحْمَتَكَ بِاحْتِمَالِ إِصْرِي، فَكَمْ قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ بِالْمُسِيئِينَ، وَكَمْ قَدْ شَمَلَ عَفْوُكَ الخَاطِئِيْنَ.

قدرته، ويوقنوا بجلاله وعظمته، فيوحّدوه ويعبدوه، فيفوزوا برضاه ورحمته. كما قال سبحانه «وفي الأَرض آيات للموقنين وفي أَنفسكم أفلا تُبصرون»(١). والله أعلم*.

«مِنْ» في قوله: «من ذنوبي» مبيّنة للمبهم بعدها وهو «ما»، فقد مرّ غير مرّة بيان وجه جواز تقديمها عليه.

والاستعانة: طلب المعونة.

قال الشيخ أمين الإسلام الطبرسيّ: للرغبة إلى الله تعالى في طلب المعونة وجهان:

أحدهما: أن يسأل الله تعالى من ألطافه مايقوّي دواعيه، ويسهّل من الفعل عليه ماليس بحاصل.

والثاني: أن يطلب بقاء كونه قادراً على طاعاته المستقبلة، بأن يجدّد له القدرة حالاً بعد حال عند من لايقول ببقائها، وأن لايفعل ما يضادّها وينفيها عند من قال ببقائها(٢). إنتهى.

إذا عرفت ذلك فالاستعانة هنا من الوجه الأوّل، لأنّ الغرض منها سؤاله تعالى أن يفيض عليه قوّة يستعدّ بها لغفران ذنوبه، ومحو سيّئاته التي تعاظمه كثرتها، فأشبهت حاله حال من حمل على ظهره حملاً ثقيلاً فأثقله.

يقال: فدحه الأمر فدحاً ـ من باب منع ـ أي أثقله.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٠ و ٢١.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٦.

....

والثِقْل ـ بالكسر، مخفّف ثِقلَ، كعنب ـ مصدر ثقلَ الشيء ـ بالضمّ ـ فهو ثقيل.

و «على» بمعنى مع، أي مع ظلمهـا. مثلها في قوله تعالى: «وإن ربّك لذو مغفرةٍ للنّاس على ظلمهم»(١) «وَآتَى المال على حبِّه»(٢).

ولمّا كانت النفس رهينة على الوفاء بالميثاق الذي واثقها الله تعالى به، والعهد الذي أخذ عليها حين الإهباط إلى عالم الحسّ والخيال، أن ترجع إليه سالمة من سخطه، عاملة بأوامره، غير منحرفة عن صراطه الموضوع على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله، فإن وفت بعهدها خرجت من وثاق الرهن، وضوعف لها الأجر، كما قال تعالى(٣): «ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»(٤)، وإن نكثت، وارتكبت مانهيت عنه بقيت رهينة بعملها، كما قال تعالى: «كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة»(٥).

سأل (عليه السَّلام) ربّه أن يمنّ عليه بفكاك نفسه من رهانها ويهبها له.

والتوكيل: جعل الإنسان غيره قائماً بأموره، أو بأمر منها.

أي اجعل رحمتك قائمة باحتمال إصري، أي: بحمل ما أثقلني من الذنوب.

يقال: حمله حملاً واحتمله احتمالاً بمعنى.

والإصر: الحمل الثقيل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه مكانه، فلا يستطيع المشي به لثقله، استعير للذنب العظيم. ومنه «وَلا تحمل علينا إصراً»(٦).

وقيل: هو الذنب الذي لا توبة له.

والمراد به هنا الذنوب الكثيرة التي قد أثقله حملها بقرينة ماقبله، جعلها كلّها حملاً واحداً.

و «الفاء» من قوله: «فكم» سببيّة، و «كم» خبريّة.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) «ألف»: سبحانه.
(٤) سورة الفتح: الآية ١٠.
(٥) سورة المدثر: الآية ٣٨.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي أُسْوَةَ مَنْ قَدْ أَنْهَضْتَهُ بِتَجَاوُزِكَ عَنْ مَصَارِعِ الخَاطِئِينَ، وَخَلَّصْتَهُ بِتَوفِيقِكَ مِنْ وَرَطَاتِ الْمُجْرِمِينَ، فَأَصْبَحَ طَلِيْقَ عَفْوِكَ مِنْ إِسَارِ سُخْطِكَ، وَعَتِيقَ صُنْعِكَ مِنْ وَثَاقِ عَدْلِكَ.

ولحقت رحمتك بالمسيئين: أي أدركتهم وأصابتهم.

والمسيئين: الذين أساؤا وعملوا السوء، وهو كلّ مايقبح شرعاً وعقلاً.

وشملهم الأمر ـ من باب تعب وقعد ـ شمولاً: عمّهم.

والخاطئين: أصحاب الخطايا. من خطئ الرجل إذا تعمّد الذنب، وقصد فعله، وهو من الخطأ المقابل للصواب، دون المقابل للعمد.

قال الراغب: الخاطئ: القاصد للذنب. وعليه قوله تعالى: «لاَ يَاكُلُه إلاّ الخاطئونَ»(١) إنتهى.

وقد جوّز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق، ويتعدّون حدود الله. والله أعلم.

«الفاء» لترتيب الدعاء والمدعوّبه على ماقبله، فانّ كثرة لحوق رحمته بالمسيئين، وشمول عفوه الخاطئين ممّا يقتضي طلب التجاوز والعفو.

والإسوة ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ: القدوة وهو من يقتدى به أي: يفعل مثل فعله اقتداء به.

ونهض نهضاً ونهوضاً ـ من باب منع ـ: قام. وأنهضته أقمته.

وتجاوزت عن المسيء: عفوت عنه وصفحت(٢)

والصرع: الطرح على الأرض. والمصارع: مواضعه جمع مصرع. يقال: هذه مصارع القوم، ولكلّ جنب مصرع.

---

(١) المفردات: ص ١٥١.

(٢) «ألف»: أصفحت.

....

شبّه الخاطئين الذين أوبقتهم الخطايا بالمغلوبين الذين أثخنهم أعداؤهم جراحاً، وطرحوهم على الأرض، بجامع العجز عن الخلاص، فأثبت لهم المصارع، وهي استعارة مكنيّة مرشّحة. والإنهاض أيضاً ترشيح. وهي من بديع الاستعارات، وأفصح الكلام. أي من قد نجّيته بعفوك عمّا يجب للخاطئين من العقوبات والنقم.

قال بعضهم: معنى جعله أُسوة له أن ينهضه وينجيه قبله، بأن يبدأ بإنهاضه ونجاته، لأنّ الأُسوة هو المبتدئ بالفعل الذي يتأسّى به فيه، فهو من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم.

وقيل: معناه: أن يجعله بحيث يتأسّى به، ويقتدى كلّ من أنهضه من صرعته، وخلّصه من ورطته، لحسن إنهاضه وتخليصه.

وخلص الشيء من التلف خلوصاً ـ من باب قعد ـ وخلاصاً ومخلصاً: سلِم ونجا. وخلّصته تخليصاً: سلّمته ونجّيته.

والورطات: جمع ورطة وهو الهلاك . وأصلها الوحل تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلّص.

وقيل: أصلها أرض مطمئنّة لاطريق فيها ترشد إلى الخلاص، وتورّطت الغنم وغيرها: وقعت في الورطة، ثمّ استعمل في كلّ شدّة وأمر شاقّ. وتورّط فلان في الأمر إذا ارتبك فيه، فلم يسهل له المخرج منه(١).

وفي الحديث: إن من ورطات الأُمور التي لامخرج منها سفك الدّم الحرام بغير حلّه(٢).

قال الطيبيّ: هي جمع ورطة، وهي الهلاك (٣).

---

(١) المصباح المنير: ص ٩٠٣.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص ١٧٤.

(٣) حكاه الازهري في تهذيب اللغة: ج١٤ ص١٤، والفراهيدي في العين: ج٧ ص٤٤٦.

إنَّكَ إنْ تَفْعَلْ ذَلِكَ يا إلهي تَفْعَلْهُ بِمَنْ لاَ يَجْحَدُ اسْتِحْقَاقَ عُقُوبَتِكَ، وَلاَ يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِن استيجاب نِقْمَتِكَ. تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا إلهي بِمَنْ خَوفُهُ مِنْكَ أكْثَرُ مِنْ طَمعِهِ فِيكَ، وَبمَنْ يَأسُهُ مِنَ النّجاةِ أوْكَدُ مِنْ رَجَائِهِ لِلْخَلاصِ، لاَ أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُنُوطاً، أَو أَنْ يَكُونَ طمَعُهُ اغْتِرَاراً، بَلْ لِقِلَّةِ حَسنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئاتِهِ، وَضعْفِ حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبِعَاتِهِ.

و«الفاء» من قوله: «فأصبح» للتعقيب.

وأصبح هنا: فعل ناقص بمعنى صار من غير اعتبار الزمان الذي دلّ عليه تركيب الفعل، أعني الصبح. نحو قوله سبحانه: «فاصبحتم بنعمته إخواناً»(١).

والطليق بمعنى المطلق: وهو الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلّي عنه، فانطلق: أي ذهب في سبيله.

والإسار: ككتاب مايشدّ ويوثق به.

والعتيق: بمعنى المعتق، من الإعتاق، وهو تحرير العبد، أي جعله حرّاً، وتخليصه من الرّقّ. ثمّ استعمل في التخليص مطلقاً.

والصنع: الإحسان، كالصنيعة.

والوثاق ـ بالفتح ويكسر ـ بمعنى الإسار، وهو مايشدّ به.

والاستعارات في هذه الفقرات ظاهرة، وقد تقدّم لها نظائر، أغنى الكلام عليها هناك عن إعادته هنا.

ذلك: إشارة إلى المذكور من جعله أسوة من أنهضه وخلّصه، ومافيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه، للإيذان بعلوّ درجته، وبعد منزلته في الشرف والفضل عنده.

و«تفعلْه» مجزوم في جواب الشرط. وهل العامل للجزم الأداة أو الشرط أو هما

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

....

معاً؟ خلاف.

وجحدت الأمر جحداً وجحوداً: أنكرته، قالوا: ولا يكون إلّا على علم من الجاحد له.

ولا يبرّئ نفسه: أي ينزّهها، من برئ زيد من ذنبه يبرأ مهموزاً ـ من باب تعب ـ براءة: أي سقط عنه طلبه. وبرّأته من العيب بالتشديد جعلته بريئاً منه.

وتَفعَلُ ـ بالضم باتّفاق النسخ ـ على الاستيناف.

وفي نسخة قديمة «بل تفعل ذلك» بزيادة بل الابتدائيّة. ومعناها الانتقال من غرض إلى آخر.

والخوف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، أن الطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة، أومعلومة. وإذا علّق كلّ منها بالذوات كما تقول: خفت زيداً، وطمعت فيه فمعناه توقّع مكروه أو محبوب يقع من جهته، وإلّا فالذوات لايتعلّق بها خوف ولا طمع.

قال بعض العلماء: اعلم أنّ خوف الخائفين من الله تعالى قد يكون لأُمور مكروهة لذاتها، وقد يكون لأُمور مكروهة لأدائها إلى ما هو مكروه لذاته.

أمّا القسم الأوّل: فمثل أنْ يتمثّل في نفوسهم ماهو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدّته، أو سؤال القبر أو عذابه، أو هول الموقف بين يدي الله تعالى، والحياء من كشف الستر، والسؤال عن كلّ صغيرة وكبيرة، أو الخوف من المرور على الصراط وحدّته، أو من النار وأهوالها وأغلالها، أو من حرمان الجنّة، أو من نقصان الدرجات فيها، أو خوف الحجاب من الله تعالى. وكلّ هذه الأسباب مكروهة في أنفسها، ويختلف حال السالكين إلى الله فيها، وأعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله عزّوجلّ، وهو خوف العارفين. وماقبل ذلك فهو خوف العابدين والصلحاء والزاهدين.

وأمّا القسم الثاني: فأقسامه كثيرة كخوف الموت قبل التّوبة، أو خوف نقض

....

التّوبة، أو خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله، أو خوف استيلاء القوى الشهوانيّة بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة، أو خوف تبعات النفس عنده، أو خوف سوء الخاتمة أو خوف سبق الشقاوة في علم الله. وكلّ هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصّالحين، وأغلبها على قلوب المتّقين خوف الخاتمة فانّ الأمر فيه خطر (١). وأعلى الأقسام، وأكملها، وأدلّها على كمال المعرفة خوف السابقة، لكون الخاتمة تبعاً لها، ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ(٢)، كما تقدّم بيانه في الروضة الحادية عشرة(٣).

قال بعض أرباب القلوب(٤): إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوة، وطرد عنه الغفلة(٥).

قال بعضهم(٦): العلم قائد، والخوف سائق، والنفس مع ذلك حرون (٧) جموح، خدّاعة روّاغة فاحذرها، وراعها بسياسة العلم، وسُقها بتهديد الخوف، لتقطع مفاوز الآفات، وتصل إلى دار الكرامات(٨).

وقال بعضهم(٩): خلق الله القلوب مساكن لذكره، فصارت مساكن

---

(١) وفي الأصل: مخطر. وهذا أولى.

(٢) المحجّة البيضاء: ج٧ ص٢٧٣ ـ ٢٧٥ مع تقديم وتأخير، والأختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) ج٢ ص ٤٤٦.

(٤) وهو أبو سليمان الداراني.

(٥) آداب النفس: ج٢ ص٢.

(٦) وهو عمر بن عثمان المكي.

(٧) وفي المصدر: والنفس حرون بعد ذلك جموح. وهذا هو الأصح. ولفظ «حرون» بمعنى غير منقادة. ولفظ «جموح» بمعنى استعصى حتّى عليه.

(٨) آداب النفس: ج٢ ص٣.

(٩) وهو عبدالله الانكاكي.

....

الشهوات، فلا يمحو الشهوات منها إلّا خوف مزعج، أو شوق مقلق(١).

وقال بعضهم(٢): كلّ خائف إذا خاف من شيء من الأشياء هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه(٣).

وقال آخر(٤): الخائف يهرب من ربّه إلى ربّه(٥).

واليأس: انقطاع الرجاء والطمع، يئس ييأس ـ من باب تعب ـ يأساً.

والرجاء: قيل ظنّ يقتضي حصول مافيه مسرّة.

وقيل: تعلّق النفس بحصول محبوب في المستقبل.

وكما أنّ الخوف على أقسام، فالرجاء أيضاً على أقسام:

رجاءٌ لمغفرته تعالى مع عدم التوبة كما قال: «وَإنَّ ربَّك لذو مغفرةٍ للنّاس على ظلمهم»(٦).

ورجاءٌ لقبول التّوبة عن السيئات، ورجاء لقبول الحسنات، ورجاء للتفضّل.

ولـمّا كان حمل النفس على الخوف دون الرجاء يوهم القنوط ـ كما قيل: من حمل نفسه على الرّجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط ـ احترز عليه السَّلام عن ذلك بقوله: «لا أن يكون يأسه قنوطاً» أي لا لأن يكون، فحذف لام التعليل لاطّراد حذف الجار مع أن المصدريّة، أي ليس كون خوفه أكثر من طمعه، ويأسه أوكد من رجائه، لكون يأسه قنوطاً، أي: يأساً من رحمة الله تعالى، فهو أخصّ من اليأس.

ولمّا كان أكثرية الخوف، وزيادته على الطمع، وأوكديّة اليأس، ورجحانه على الرّجاء، يوهم كون الطمع والرجاء في رحمة الله غروراً ـ أي سكوناً إلى الباطل، وما لاحقيقة له ـ احترز بقوله: «أو يكون طمعه اغتراراً». يقال: غرّه يغرّه غرّاً وغروراً،

---

(١) آداب النفس: ج٢ ص٣.

(٢) وهو ابوالقاسم الحليم.

(٣) آداب النفس: ج٢ ص٢.

(٤) وهو الثوري.

(٥) آداب النفس: ج٢ ص٢.

(٦) سورة ارعد: الآية ٦.

....

وغرّة بالكسر: أي أطمعه بالباطل، وخدعه. فاغترّ هو اغتراراً.

أي «ليس كون خوفه أكثر من طمعه» ويأسه أوكد من رجائه، لكون طمعه طمعاً في ما لاحقيقة له، فيكون اغتراراً.

«بل لقلّة حسناته» - أي بل هو لأجل قلّة حسناته - قيل: إضراب عمّا يدلّ عليه ماسبق، وإبطال له.

أي ليس الأمر كذلك، بل سببه كون حسناته قليلة بين سيّئاته أي: في وسطها. فهو إمّا ظرف لغو متعلّق بقلّة، أو مستقرّ متعلّق بمحذوف حال من حسناته، أي حال كونها بين سيّئاته.

و «بين» هنا: للمكان المجازيّ.

وقلّة الحسنات بين السيّئات: كناية عن اتّصال السيّئات غالباً بحيث لا تتخلّلها حسنة إلّا نادراً، لأنّ «بين» موضوعة للخلل والفرجة بين الشيئين، فاذا كانت الحسنات قليلة بينها كانت في الغالب متّصلة لايفصل بين السيّئة، والسيّئة فاصل بل صدر هذي بعجز تلك وهلمّ جرّاً، وهذا من بليغ الكلام وبديع البراعة في البلاغة.

ويحتمل أن يكون المراد بالقلّة العدم، كما يقال: فلان قليل الخير أي لايكاد يفعله.

وغرضه أنّه لا يخالط سيّئاته حسنة، فلا يكون ممّن قال الله سبحانه فيهم: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، إنّ الله غفورٌ رحيم»(١). كل ذلك لعدم اعتداده عليه السَّلام بحسناته، وكمال اعتنائه واهتمامه بما يعتقده في نفسه، ويعدّه سيّئة. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

والضعف - بالفتح - لغة تميم، و - بالضمّ - لغة الحجاز. ومنهم من يجعل المفتوح

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

....

في الرأي، والمضموم في الجسد، واتّفقت النسخ هنا على الفتح. ثمّ هو تارة يستعمل في خلاف القوّة، وتارة في خلاف الصحّة، وهو المراد هنا.

والحجج: جمع حجّة، وهي البيّنة الواضحة.

وقيل: هي الدلالة المبيّنة للقصد الصحيح الذي تقتضي صحّة أحد النقيضين، قال الله تعالى: «فلله الحجّة البالغة»(١)، وقد تطلق على العذر.

ومنه حديث: من خلع يداً من طاعة الله لقي الله لا حجّة له(٢).

قال النوويّ في شرح مسلم: أي لا حجّة له في فعله، ولا عذر له ينفعه(٣).

والتبعات: جمع تبعة، على وزن كلمة.

قال في المحكم: التبعة والتباعة ما اتّبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها. والتبعة والتباعة ما فيه إثم يتبع به(٤) إنتهى.

والمعنى الثاني قلّ من نبّه عليه من أهل اللغة، وإرادته هنا متعيّنة، وإن أمكن الحمل على المعنى الأوّل بضرب من التأويل.

تنبيه

قال بعض الأصحاب: إعترافه عليه السّلام يكون خوفه أكثر من طمعه ويأسه أوكد من رجائه ينافي بالظاهر ما رواه في الكافي من جملة حديث: أنه ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران نور خيفة، ونور رجاء. لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا(٥).

فإمّا أن يراد به غير المعصوم، أو أنّ المقام هنا ـ وهو التذلّل والخضوع ـ يقتضي

(١) سورة الانعام: الآية ١٤٩.

(٢) و (٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٢ ص٢٤٠.

(٤) محكم اللغة: ج٢ ص٤٣.

(٥) الكافي: ج٢ ص٦٧ ح١ وص٧١، ح١٣.

....

ذلك، أو أنّ مساواة النورين لا يستلزم الخوف والرجاء، أو لما ذكره عليه السَّلام من قلّة الحسنات بين السيئات، أو أنّ الخوف يزيد بمخاطبة المخوف منه ومشاهدته(١). إنتهى.

قلت: قد علمت آنفاً من بيان أقسام الخوف أنّ أعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى، وهو خوف العارفين. ولمّا كان عليه السَّلام سيّد العابدين، وإمام الزاهدين وجب حمل خوفه على هذا القسم من الخوف، وهذا غير الخوف الذي يجب أن يكون مساوياً للرجاء، فإنّ العارف مادام في هذه النشأة لايزال ملتبساً بأحكام البشريّة، وأوصاف الإنسانيّة مع ما مزجت به الطينة من النقص والقصور، وحفّت به الأحوال من الشوائب والنوائب. فإذا رأى ماهو عليه من ذلك، وإستشعر عظمة ذي الجلال وتنزّهه، وتقدّسه عن أن يلمّ بساحة قدسه من يشمّ منه رائحة البشريّة. كما قيل: ماللتراب وربِّ الأرباب اشتدّ خوفه وكثر، وقلّ طمعه وقصر، وتأكد يأسه وضعف رجاؤه، وتقطعت من الحزن والجزع أحشاؤه.

ومن هنا قال بعضهم: إنّ الخوف والرجاء من بقايا الاحساس بأحكام البشريّة، وأوصاف الإنسانيّة، وهذه السيئات التي أشار إليها عليه السَّلام بقوله: «بل لقلّة حسناته بين سيئاته» هي بعينها حسنات الأبرار، وهذه التبعات هي صوالح أعمال الأخيار.

كما ورد: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأنوار الصادقين ظلم في حق الصدّيقين(٢).

وإلى هذا المقام وصاحبه أشار أمير المؤمنين عليه السَّلام وسيد الوصيّين صلوات الله وسلامه عليه بقوله من خطبة له: عباد الله، إنَّ من أحب عباد الله إليه عبداً

---

(١) الكافي: ج٢ ص٧١ ح١٣. (٢) آداب النفس: ج٢ ص٣.

فَأَمَّا أَنْتَ يَا إِلهِيْ فَأَهْلٌ أَنْ لاَ يَغْتَرَّبِكَ الصِّدِّيقُونَ، وَلاَ يَيأَسَ مِنْكَ الْمُجْرِمُونَ، لأَنَّكَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذي لاَ يَمْنَعُ أَحَداً فَضْلَهُ، وَلاَ يَسْتَقْصِي مِنْ أَحَدٍ حَقَّهُ.

أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه... إلى آخر ما قال. وهو مذكور في نهج البلاغة(١).

فتراه عليه السَّلام كيف جعل استشعاره الحزن، وتجلببه الخوف، متسبّباً عن إعانة الله تعالى له على نفسه، ولم يجر للطمع، ولا للرجاء معه ذكر. وهذا هو الخوف الذي عناه سبطه عليه السَّلام في دعائه، فافهم ذلك. والله يقول الحقّ، وهو يهدي السبيل*.

يقال فلان أهل لكذا: أي جدير به، ومستحقّ له.

واغتررت به: ظننت الأمن، فلم أتحفّظ.

والصدّيقون: جمع صِدّيق -بالكسر والتشديد- وهو الملازم للصدق.

وقال ابن الأثير: هو فعيل، للمبالغة في الصدق، ويكون للذي يصدّق قوله بالفعل(٢).

وقال الراغب: الصديق: يقال لمن كثر منه الصدق، وقيل: بل لمن لم يكذب قطّ، وقيل: بل لمن لم يتأتّ منه الكذب لتعوّده الصدق، وقيل: بل لمن صدّق بقوله وإعتقاده، وحقّق صدقه بفعله، قال تعالى في حقّ إبراهيم عليه السَّلام: «إنَّه كان صدِّيقاً نبيّاً»(٣) وقال: «أُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدّيقين والشهداء والصّالحين، وحسن أُولئك رفيقاً»(٤). والصدّيقون قوم دون الأنبياء في الفضيلة(٥). إنتهى.

---

(١) نهج البلاغة: ص١١٨، الخطب ٨٧.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١٨.

(٣) سورة مريم: الآية ٤١.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٥) المفردات: ص٢٧٧.

تَعالَى ذِكْرُكَ عَنِ المَذْكُورِيْنَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسمَاؤُكَ عَنِ المَنْسُوْبِينَ، وَفشَتْ نِعمَتُكَ فِيْ جَمِيعِ المَخْلُوقِينَ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ، يَارَبَّ الْعَالَمِينَ.

وقال بعضهم: لا واسطة بين الصديق والنبيّ ولذلك قال تعالى في هذه الآية: «من النبيين والصديقين» وفي صفة إبراهيم «إنّه كان صدّيقاً نبيّاً» يعني إنّك إن ترقيت من الصديقين وصلت إلى النبيين، وإن نزلت عن النبيين وصلت إليهم.

واستقصيت الأمر وتقصيته: بلغت الأقصى في البحث عنه، واستقصى حقّه أخذه كلّه ولم يترك منه شيئاً.

وقوله عليه السّلام: «لأنك الربّ العظيم» إلى آخره تعليل لكونه أهلاً أن لاييأس منه المجرمون، لا لمضمون الفقرتين معاً.

وفي معنى هذا الفصل من الدعاء قول أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في نهج البلاغة: لا تأمننّ ـعلى خير هذه الاُمة ـ عذاب الله، لقول الله سبحانه: «فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون» ولا تيأسنّ لشرّ هذه الأُمّة من روح الله لقول الله سبحانه: «إنه لاييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون»(١).

قال الإمام الطبرسيّ: مكر الله: عذابه. سمّي مكراً لنزوله بمستحقّه من حيث لايشعر. وقد يسأل فيقال: إنّ الأنبياء والمعصومين عليهم السّلام أمنوا مكرالله وليسوا بخاسرين. وجوابه: إنّ معناه لايأمن عقاب الله جهلاً بحكمته إلّا الخاسرون. إنتهى ملخصاً بالمعنى(٢).

تعالى: أي ارتفع وتنزّه، من العلوّ. وصيغة التفاعل للمبالغة، وهو إنشاء في صورة الخبر، لأنّ الغرض منه استعظام ذكره، وتنزيهه عن مساواته لذكر المذكورين.

والمراد بذكره تعالى: إمّا ذكره بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد والثناء

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٤٢ الحكم ٣٧٧.

(٢) مجمع البيان: ج٣ـ٤ ص ٤٥٣.

....

عليه، فيكون المراد تنزّهه وتعاليه عن ذكر من يذكر بالمفاخر والمحامد والمحاسن من المخلوقين، لأنّ ذكره تعالى شرف للذاكرين، وغايته سعادة الدارين، ومايترتّب عليه من الفوائد والنتائج أمر محقّق متيقّن لاريب فيه، ودائم مستمرّ لاإنقطاع ولازوال له. وذكر غيره إزراء بالذّكر، وغايته إن أُريد به المفاخرة، فتضييع وحرمان، وإن أُريد به العارفة(١) والمثوبة، فأمر مشكوك حتى يقع. فإذا وقع فهو قليل منقطع زائل.

أو يكون المراد؛ إن مايذكر به سبحانه من المحامد والممادح منزّه عن أن يذكر به المخلوقون، لعدم استحقاقهم له.

كما قال أمير المؤمنين عليه السَّلام في آخر خطبة له: هذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك، ولم ير مستحقّاً لهذه المحامد والممادح غيرك (٢).

فالذكر على الأوّل مراد به الحاصل بالمصدر، وعلى الثاني المذكور به.

وإمّا أن يكون المراد: «بذكره تعالى» شرفه وعلّوه وعظمته، من قولهم «لفلان ذكر في الناس» أي شرف ونباهة وصيت، وبهذا المعنى فُسِّر قوله تعالى: «وإنّه لذكر لك ولقومك»(٣).

قال الزمخشري: أي إنّ الذي أوحي إليك لشرف لك ولقومك(٤).

ويقال: فلان مذكور: أي ذو شرف ونباهة وشهرة. ومنه قوله سبحانه. «والقرآن ذي الذكر»(٥).

قال في الكشّاف: والذكر: الشرف والشهرة، من قولك: فلان مذكور(٦).

فيكون المراد: «بالمذكورين» أُولي الشرف والنباهة، أي تعالى شرفك، وتنزّهت عظمتك عن شرف أُولي الشرف، لتعاليه تعالى عن صفات المخلوقين، إذ

---

(١) «ألف»: الصارفة.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٣٦، الخطب ٩١.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٤) تفسير الكشاف: ج٤ ص ٢٥٤.

(٥) سورة ص: الآية ١.

(٦) تفسير الكشاف: ج٤ ص٧٠.

....

لانسبة بين الربِّ والمربوب في صفة من الصفات.

وتقدّست: أي تنزّهت. وأصله من القدس -بالضمّ وبضمّتين- وهو الطهر، ثمّ استعمل التقدّس، والتقديس، بمعنى التنزّه والتنزيه.

يقال: تقدّس الله. أي تنزّه عن كلّ ما لايليق بشأنه.

والمراد بأسمائه تعالى: أسماؤه الحسنى الدالّة على معاني الكمال ونعوت الجلال.

قالوا: وهي محصورة في نوعين: عدم افتقاره إلى غيره، وثبوت افتقار غيره إليه.

والمراد: «بالمنسوبين»؛ إمّا أُولو الحسب والنّسب من قولهم: فلان نسيب ومنسوب أي ذوحسب ونسب. فيكون المعنى تنزّهت أسماؤك أن يسمّى بها غيرك من أُولي الشرف والحسب والنسب.

وإمّا أولو القرابة، وأولو صلة. فيكون المعنى تنزّهت أسماؤك عن أن يسمّى بها أحد من الناس. ومن البيّن أنّ أسماءه تعالى مختصّة به، متعالية عن أن يسمّى بها غيره. وأمّا إطلاق مثل الرحيم والكريم والعزيز على غيره فليس معناها في حقّه تعالى هو معناها في حقّ غيره، بل هو بحسب اشتراك الاسم لاغير.

وإيثار عنوان المنسوبيّة لإفادة كمال التباين بينه وبين غيره، لتفرّده بعدمها واشتراك من عداه فيها.

وفشا الشيء فشواً: ظهر وكثر وانتشر.

و«الفاء» من قوله: «فلك الحمد» لترتيب اختصاص الحمدبه تعالى على ماقبله، فإنّ فشوّ نعمته في جميع المخلوقين من موجباته ودواعيه. ووصفه تعالى بربوبية العالمين لايخفى مناسبتهُ لفشوّ نعمته سبحانه في جميع المخلوقين.

هذا آخر الروضة التاسعة والثلاثين من رياض السالكين، وفق لإ كمالها واجتلاء بدر كمالها غرّة ذي الحجّة الحرام، آخر شهور سنة أربع ومائة وألف، ولله الحمد.

الروضة الأربعون

وكان من دعائه عليه السلام اذا نعي اليه ميت او ذكر الموت

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنَا طُولَ الْأَمَلِ وَقَصِّرْهُ عَنَّا
بِصِدْقِ الْعَمَلِ حَتّٰى لَا نُؤَمِّلَ اسْتِتْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ وَلَا
اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَا اتِّصَالَ نَفَسٍ بِنَفَسٍ وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ
بِقَدَمٍ وَسَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ وَآمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ وَانْصِبِ الْمَوْتَ بَيْنَ
أَيْدِينَا نَصْباً وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
عَمَلاً نَسْتَبْطِئُ مَعَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ وَنَحْرِصُ لَهُ عَلٰى وَشْكِ اللَّحَاقِ
بِكَ حَتّٰى يَكُونَ الْمَوْتُ مَأْنَسَنَا الَّذِي نَأْنَسُ بِهِ وَمَأْلَفَنَا الَّذِي نَشْتَاقُ
إِلَيْهِ وَحَامَّتَنَا الَّتِي نُحِبُّ الدُّنُوَّ مِنْهَا فَإِذَا أَوْرَدْتَهُ عَلَيْنَا وَأَنْزَلْتَهُ بِنَا
فَأَسْعِدْنَا بِهِ زَائِراً وَآنِسْنَا بِهِ قَادِماً وَلَا تُشْقِنَا بِضِيَافَتِهِ وَلَا تُخْزِنَا
بِزِيَارَتِهِ وَاجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ وَمِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ
رَحْمَتِكَ أَمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ طَائِعِينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ
تَائِبِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا مُصِرِّينَ يَا ضَامِنَ جَزَاءِ
الْمُحْسِنِينَ وَمُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ

الروضة
الأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وإيّاه نستعين

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة، وأحصى الأحياء والاموات، والصلاة والسَّلام على نبيِّه الذي شرّفه على كل ميّت وحيّ، وبعثه من أشرف بيت(١) وحيّ، وعلى أهل بيته الذين بآثارهم يقتدي المقتدون، أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

وبعد: فهذه الروضة الأربعون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الأربعين من صحيفة زين العابدين وسيّد الزاهدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الصادقين، إملاء راجي فضل ربّه السَّنيّ عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، لطّف الله به ميّتاً وحيّاً، وأكرمه في الدارين بفضله.

(١) «ألف»: ميت.

شرح الدعاء الأربعين

«وكان من دعائه عليه السَّلام»
اذا نُعِيَ إليهِ مَيّتٌ أو ذَكَرَ الموتَ.

نَعيت الميّت(١) نعياً -من باب منع-: أخبرت بموته، فهو منعيّ.

قال الجوهريّ: أصل ميّت: ميْوِت على فيعل، ثم أُدغمْ، ثم يخفّف فيقال ميت، حيث قال الشاعر وقد جمعهما في بيت واحد:

ليس مَنْ مات فاستراح بميت انّما الميْت ميِّت الأحياء(٢) انتهى

وفَرّق بعضهم بينهما فقال الميّت بالتشديد يطلق على الحيّ الذي سيموت، قال تعالى: «إنَّك ميِّت وإنَّهم ميتون»(٣) وبالتخفيف يطلق على من قد مات، ونظم بعضهم ذلك فقال:

تسائلني تفسير ميْت وميِّت فهاك صحيح القول إن كنت تعقلُ
فمن يك ذا روح فذلك ميّت وما الميِّت إلّا من إلى القبر ينقلُ

والصحيح: انّ الميّت بالتشديد يطلق على مَنْ(٤) مات وعلى مَنْ سيموت، والميت لايطلق الّا على من قد مات. والموت عدم الحياة عمّا اتّصف بها، وقيل: كيفيّة وجوديّة يخلقها الله في الحيّ فهو ضدّها، لقوله تعالى: «خلق الموت والحياة»(٥). والخلق لكونه بمعنى الإيجاد لايتصوّر الّا فيما له وجود.

---

(١) «ألف»: الموت. (٢) الصحاح: ج١ ص٢٦٧. (٣) الملك: الآية ٢.
(٤) «ألف»: من قدمات. (٥) الزمر: الآية ٣٠.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُـحَمَّدٍ وآلِهِ وَاكْفِنَا طُولَ الأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ

وأُجيب: بأنّ معنى الخلق هنا التقدير لا الإيجاد. وتقدير الأُمور العدميّة جائز كتقدير الوجوديّات. ولو سلّم؛ فالمراد بخلق الموت إحداث أسبابه على حذف المضاف، وهذا وإن كان خلاف الظاهر، لكنّه كافٍ في دفع الاحتجاج.

فائدة

قد يطلق الموت على معان أُخر مجازاً، كما تطلق الحياة على غير الصّفة التي تقتضي الحسّ والحركة الاراديّة، وتفتقر إلى الروح والبدن، مجازاً إيضاً.

قال الراغب: أنواع الموت بحسب أنواع الحياة خمسة:

الاوّل: ماهو بإزاء القوّة الناميّة الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات، نحو قوله تعالى: «وأَحْيينا به بلدةً ميتاً»(١).

الثاني: زوال القوّة الحسّاسة. قال سبحانه: «أئذامامِتُّ لسوف أُخرج حيّاً»(٢).

الثالث: زوال القوّة العاقلة، وهي الجهالة. نحو: «أو من كان ميتاً فأَحييناه»(٣) وايّاهُ قصد بقوله تعالى: «إِنَّك لا تسمع الموتى»(٤).

الرابع: الحزن المكدّر للحياة. وايّاه عنى بقوله تعالى: «وَيأتيه الموت من كلّ مكانٍ وماهو بميِّت»(٥).

الخامس: المنام. فقد قيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل. وعلى هذا النحو سمّاهما الله توفّيا فقال: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها»(٦).(٧) إنتهى.

---

(١) سورة ق: الآية ١١.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٠.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ١٧.

(٦) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٧) المفردات: ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

العَمَلِ حَتّى لاَنُؤمِّلَ اسْتِتْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَلاَ اسْتِيْفَاءَ يَومٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلاَ اتِّصَالَ نَفَسٍ بِنَفَسٍ، وَلاَ لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ، وَسلِّمْنا مِنْ غُرورِهِ وَآمِنّا مِنْ شُرُورِهِ.

الأمل: تعلّق النفس بحصول محبوب في المستقبل. ويرادفه الطمع والرجاء، غير أنّ الأمل أكثر مايستعمل فيما يستبعد حصوله، والطمع فيما قرب حصوله والرجاء بين الأمل والطمع، وقد يستعمل أحدهما مكان الآخر. وفرّق بعضهم بين الأمل والرجاء بأنّ الامل: يكون في الممكن والمستحيل، والرجاء يختصّ بالممكن. والصحيح. أنّ هذا الفرق بين التمني والرجاء، وأمّا الأمل فلا يكون في المستحيل.

وطول الأمل: عبارة عن توقّع أُمور دنيويّة يستدعي حصولها مهلة في الأجل، وفسحة من مستقبل الزمان.

والصدق: خلاف الكذب، وأصلهما في القول، فالصدق فيه مطابقة ماتضمّنه من الحكم للواقع، والكذب عدم مطابقته له. وقد يستعملان في أفعال الجوارح، فيقال: صدق زيد القتال، وصدق في القتال: إذا وفّاه حقّه، وفعل فيه مايجب على مايجب وكما يجب. وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك.

ومن هذا الباب عبارة الدعاء فصدق العمل: عبارة عن تأدية حقّه بالاجتهاد فيه وفعله كما يجب وعلى مايجب.

والعمل: كل فعل من الحيوان بقصد. فهو أخصّ من الفعل، وهو يستعمل في الأعمال الصالحة والسّيئة قال تعالى: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً»(١). والمراد به(٢) العمل الصالح بقرينة المقام. و«الباء» من قوله: «بصدق العمل»؛ إمّا للاستعانة، فالظرف لغو متعلّق بقصره، وإمّا للملابسة، فالظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف هو حال من الضمير المجرور بعن، أي قصره عنّا ملتبسين بصدق العمل.

واستتممت(٣) الشيء: أي أتممته.

---

(١) التوبة: الآية ١٠٢. (٢) «ألف»: به هنا. (٣) «ألف» استمت.

....

قال الجوهريّ: تمّ الشيء تماماً وأتمّه غيره، وتمّمه، واستتمّه بمعنى(١)، أي لانؤمّل(٢) إتمام ساعة بعد ساعة، والساعة جزء من أجزاء الزمان، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت من ليل أو نهار وإن قلّ. وعليه قوله تعالى: «لايستأخِرُونَ سَاعةً»(٣).

واستيفاء الشيء: أخذه وافياً. وإيقاعه هنا على اليوم مجاز عن الظلول فيه إلى آخره.

واليوم: اوّله من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

والاتّصال: اتّحاد الأشياء بعضها ببعض كاتّحاد طرفي الدائرة. وضدّه الانفصال وهو هنا عبارة عن تتابع الأنفاس بعضها. إثر بعض حتّى كأنّها متّصلة ومتحدة.

والنفس بفتحتين: الريح الداخلة والخارجة في البدن من المنخر والفم. وهو كالغذاء للنفس، وبانقطاعه يكون بطلانها.

ولحق به لحوقاً: تبعه، فوصل إليه، وأدركه كلحقه.

والقدم من الانسان: معروفة وهِي مؤنّثة وتصغيرها قديمة بالهاء وجمعها الأقدام.

والغرور: الخديعة. يقال: غرّته الدنيا غروراً -من باب قعد-: أي خدعته بزينتها.

والشرور: جمع شرّ، وهو السوء والفساد، والمراد به هنا: مايترتّب على طول الأمل من المفاسد الدينيّة. هذا وانّما استكفى عليه السّلام ربّه طول الأمل ورعب إليه في المبالغة في تقصيره لما يترتّب عليه من المضارّ الدينيّة والمفاسد الأُخرويّة، وقد ورد من الآثار والأخبار في التحذير منه، والتنفير عنه دائرة الاحصاء وتقصر عن

---

(١) الصحاح: ج٥ ص١٨٧٧.

(٢) «ألف»: تؤمّل.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٣٤ و سورة النحل: الآية ٦١.

....

قطع مسافته قدم الاستقصاء، وكفى في ذلك قوله تعالى: «ربّما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين. ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون»(١) فنبّه سبحانه على أن إيثار التلذذ والنعم مايؤدي إليه طول الأمل من أخلاق الكافرين لامن أخلاق المؤمنين.

وأما الآثار والأخبار: فمن ذلك ماورد في الحديث القدسيّ: يا موسى لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك، وقاسي القلب مني بعيد(٢).

وفي وصيّته صلّى الله عليه وآله لأبي ذر: يا أباذر: إيّاك والتسويف بأهلك، فانك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن لك غدٌ فكن في الغد كما كنت في اليوم، وان لم يكن غدٌ، لم تندم على مافرطت في اليوم.

يا أباذر: كَمْ من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنتظر غداً لايبلغه.

يا أباذر: لو نظرت إلى الأجل ومصيره لأبغضت الأمل وغروره.

يا أباذر: كن كأنك في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أصحاب القبور.

يا أباذر: إذا أصبحت لاتحدّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح(٣).

وعن أنس انّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خط خطاً وقال: هذا الإنسان. وخط إلى جنبه وقال: هذا أجله. وخط آخر بعيداً منه فقال: هذا الأمل. فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب(٤).

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام: إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان؛

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢ و ٣.

(٢) الجواهر السنية في الاحاديث القدسية: ص٣١.

(٣) مكارم الاخلاق: ص٤٥٩.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٢ ص٣٩٤.

....

اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة(١).

وفي خطبة أُخرى: واعلموا أنَّ الأمل يسهي العقل، وينسي الذكر فاكذبوا الأمل فإنّه غرور، وصاحبه مغرور. فنهى عليه السَّلام عن الأمل وبين مضارّه وشروره(٢).

وروي أن اسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر، فبلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال الا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، ان اسامة لطويل الأمل(٣).

وفي رواية: إنه اجتمع عبدان من عباد الله فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملي اذا أصبحت أن لا أُمسي، وإذا أمسيت أَن لا أصبح. فقال: إنّك لطويل الأمل. أمّا أنا فلا أُومِّل أن يدخل لي نفس إذا خرج، ولا يخرج لي نفسٌ إذا دخل(٤).

وقال رجل لبعض الصالحين: انا خارج الى بغداد فهل لك من حاجة؟ فقال: ماأحبّ ان أبسط أملي حتى تذهب إلى بغداد وتجيء(٥).

وحضر بعض الصوفية(٦) في دعوة مع أصحابه فمدّ يدّه إلى جام فيه خبيص(٧) نحو الصومعة من السكر، فقال: له بعض من حضر: ارفق قليلاً حتى تبلغ من ناحيتك إليها. فقال: أملي أقصر من أن أحدّث نفسي ببلوغ ذلك المكان. فبكى قوم من لفظه، وضحك آخرون من نادرته(٨).

وبالجملة فانّ مضارّ طول الأمل وشروره لا تخفى على من، هدى الله قلبه. لو

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٣٥ ح٣.

(٢) نهج البلاغة:ص١١٨ الخطب ٨٦.

(٣) بحار الأنوار:ج٧٣ ص١٦٦ ح١٢٧، مشكاة الأنوار: ص٨٧.

(٤) راجع آداب النفس: ج٢ ص٢٧.

(٥) آداب النفس: ج٢ ص٣٠.

(٦) وهو البوشنجيّ.

(٧) الخبيص والخبيصة: الحلواء.

(٨) آداب النفس: ج٢ ص٣٠.

«وانصِب المَوْتَ بَيْنَ أَيْدينا نَصْباً، وَلاَ تَجْعَلْ ذِكْرَنا لَهُ غِبّاً، وَاجْعَلْ

لم يكن فيه إلّا نسيان الآخرة الذي أشار أمير المؤمنين عليه السّلام اليه بقوله: «وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة» (١) لكفى.

وبيانه: أن طول الأمل توقّع الأُمور المحبوبة الدنيويّة توجب دوام ملاحظتها. ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام إعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة. وهو مستعقب لإمحاء تصوّرها في الذهن. وذلك معنى النسيان لها. وبه يكون الهلاك السرمديّ والشقاء الأبديّ نعوذ بالله من ذلك.

قال بعضهم: وسبب طول الأمل هو حبّ الدنيا، فإنّ الإنسان اذا أنس بها وبلذاتها ثقل عليه مفارقتها، وأحبّ دوامها، فلا يتفكّر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، فإنّ من أحبّ شيئاً كره الفكر فيما يزيله ويبطله، فلا يزال يمنّي نفسه البقاء في الدنيا، ويقدر حصول مايحتاج إليه من أهلٍ ومال وأدوات وأسباب، ويصير فكره مستغرقاً في ذلك، فلا يخطر الموت بباله، وإن خطر بخاطره الموت والتوبة والإقبال على الأعمال الأُخرويّة أخّر ذلك من يوم إلى يوم، ومن شهر الى شهر، ومن عام الى عام. وقال: إلى أن اكتهل ويزول سنّ الشباب. فاذا اكتهل قال: إلى أن أصير شيخاً. فإذا شاخ قال: إلى أن أتمّ عمارة هذه الدار، وأزوّج ولدي فلاناً، أو إلى أن أعود من هذا السفر، وهكذا يسوّف التوبة. كلّما فرغ من شغلٍ عرض له شغل، بل أشغال، حتى يختطفه الموت وهو غافل عنه، غير مستعدّ له، مستغرق القلب في أُمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته، وتكثر ندامته، وذلك هو الخسران المبين(٢). نعوذ بالله منه.

نصبت الشيء نصباً -من باب ضرب- أقمته. ونصب الموت بين اليدين عبارة عن جعله على ذكر بحيث لايغيب عن الذهن لحظة. وهو تمثيل بحال ماينصب أمام

(١) الكافي: ج٢ ص٣٢٥ ح٣.

(٢) سراج القلوب بهامش قوت القلوب: ج١ ص١٧٥ - ١٧٦. مع اختلاف يسير.

لَنَا مِنْ صَالِحِ الأَعْمالِ عَمَلاً نَسْتَبْطِئُ مَعَهُ الـمَصِيرَ إِلَيْكَ ، وَنَحْرِصُ لَهُ عَلَى وَشَكِ اللِحَاقِ بِكَ ، حَتّى يَكُونَ المَوتُ مَأْنسَنَا الذي نَأْنَسُ بِهِ، ومألَفَنا الذي نشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَحَامَتنَا التي نُحِبُّ الدُّنُوَّ مِنْهَا».

الانسان، فهو لايغيب عن نظره وقتاً مّا. وهذا كما يقال هو نُصب عيني.

قال في القاموس: هو بالضمّ والفتح أو الفتح لحن(١).

وفي نسخة بين أعيننا، ونصباً: مفعول مطلق مؤكّد لعامله.

والغِبّ -بالكسر- أن ترد الإبل الماء يوماً، وتدعه يوماً. ومنه حمى الغبّ وفي الحديث:«زُر غِبّاً تزدد حبّاً»(٢).

وعن الحسن: الغِبُّ في الزيارة أَن يكون كل أَسبوع(٣).

وقال ابن الأثير في النهاية: الغبّ من أوراد الإبل فنقل إلى الزيارة، وإن جاء بعد أيّام. يقال: غِبّ الرجل: إذا جاء زائراً بعد أيّام(٤).

وقال في شرح جامع الاصول: ومنه «ما يأكلون اللحم الاّ غِبّاً» أي لا يداومون على أكله. وهو في أوراد الإبل أن تشرب يوماً، وتدعه يوماً. وفي غيره أن تفعل الشيء يوماً، وتدعه أيّاما(٥) إنتهى.

والمراد هنا: طلب المداومة على ذكر الموت بحيث لايترك ذكره يوماً أو أيّاما. وقد تواترت الأخبار بالحضّ على الاكثار من ذكر الموت. ومن ذلك: «أكثروا من ذكر هَادِمِ اللذات» وذلك لاستلزامه تقصير الأمل، والجدّ في العمل، والعزوف عن دار الغرور، والسعي لدار النعيم والسرور. قال بعض العلماء: حق العاقل أن يكثر من ذكر الموت، فذكره لايقرّب أجله، ويفيده ثلاثاً: القناعة بما رزق، والمبادرة بالتوبة، والنشاط في العبادة. ولذلك قال عليه السَّلام: «أكثروا من ذكر هادم

---

(١) القاموس المحيط: ج١ ص١٣٣.

(٢) و (٣) و (٤) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٣٣٦.

(٥) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

....

اللذات» فإنّه ماذكره أحد في ضيق الاّ وسّعه عليه، ولا في سعة إلّا ضيّقها عليه(١).

وقيل: ذكر الموت يطرد فضول الأمل، ويكفّ عزب(٢) المنى ويهوّن المصائب، ويحول بين الإنسان والطغيان.

قوله عليه السَّلام: «واجعل لنا» الجعل هنا بمعنى الإيجاد، وهو متعدّ إلى واحد. واللام معتلة به، أي وفّقنا للإتيان بعمل من صالح الأعمال، وإسناد الجعل إليه تعالى لأنّه السبب الأوّل.

واستبطأت الأمر: عددته ورأيته بطيئاً.

والمصير: مصدر ميميّ من صار إليه بمعنى رجع وانتهى، أي المصير إلى ثوابك.

قال الإمام الطبرسيّ في قوله تعالى: «وإليك المصير» معناه وإلى جزائك المصير، فجعلَ مصيرهم إلى جزائه مصيراً إليه.

كقول إبراهيم عليه السَّلام «إني ذاهبٌ إلى ربِّي سيهدين» ومعناه إلى ثواب ربّي أو إلى ما أمرني به(٣) إنتهى.

وحرص على الشيء ـ من باب ضرب ـ حرصاً: رغب فيه رغبة شديدة.

قال الراغب: الحرص: فرط الإرادة قال تعالى: «إنْ تحرص على هديهم» أي انْ تفرط إرادتك على هدايتهم(٤).

والوشك ـ بالفتح والضمّ ـ السرعة. ومنه وشك البيّن أي سرعة الفراق.

واللحاق به تعالى عبارة عن الوصول إلى ثوابه ورحمته، يقال: لحق فلان بالله اذامات، أي أدرك رحمة الله، ووصل إليها، كأنّه كان طالباً لها، ساعياً خلفها، حتى أدركها ولحقها.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٧٦.
(٢) «ألف»: غرب.
(٣) مجمع البيان: ج١ ـ ٢ ص٤٠٢.
(٤) المفردات: ص١١٣.

....

وحتى: يجوز أن تكون تعليليّة بمعنى كي، وأن تكون للانتهاء بمعنى إلى، فيكون المراد بها حينئذٍ الدوام. ومثلها قوله تعالى: «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله»(١).

والمأنس: الموضع الذي يأنس به الإنسان، ويسكن إليه قلبه، ولا ينفر منه، ولا يستوحش فيه. يقال: أنس به أنساً ـ من باب علم ـ إذا سكن قلبه إليه، ولم ينفر عنه.

والمألف: الموضع الذي يألفه الإنسان ويأنس به ويحبه.

وكون الموت مأنساً ومألفاً من باب التشبيه البليغ على الصحيح، لأنَّ الطرفين مذكوران، لا من الاستعارة، لأنّ الاستعارة إنّما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له كما حقّقه صاحب الكشّاف وغيره من المحقّقين.

وكذا قوله عليه السّلام: «وحامّتنا» أي خاصتنا. وحامّة الرجل: خاصّته من أهله، وولده الذين يشفقون عليه ويشفق عليهم، ومنه حديث: هؤلآء أهل بيتي وحامّتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً(٢).

تبصرة

اعلم: أنّ الذي نطقت به الاخبار، وشهد به الاعتبار أنّ الموت ليس إلّا عبارة عن تغيّر حال ـ وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الآلة لذي الصنعة ـ وأنّ الروح باقية بعده، كما شهدت به البراهين العقليّة المذكورة في مظانّها، والآثار النبويّة المتواترة. ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرّفها فيه، لخروجه عن حدّ الانتفاع به. فما كان من الأُمور المدركة لها يحتاج في إدراكه الى آلة فهي متعطلة عنه بعد مفارقة البدن، إلى أن تعاد إليه في القبر أو يوم القيامة. وما كان مدركاً لها بنفسها

(١) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨ ص٣٥٧.

....

من غير آلة فهو باق معها، تتنعم به وتفرح أو تحزن، من غير حاجة إلى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والإدراكات الكليّة لها هناك . وقد ضرب للمفارقة التي سمّيناها بالموت مثل، فقيل كما أنّ بعض أعضاء المريض يتعطّل ـ بحسب فساد مزاج يقع فيه، أو بحسب سدة(١) تعرض للأعصاب، فتمتنع(٢) نفوذ الروح فيها، فتكون النفس مستعملة لبعض الأعضاء دون مااستعصى عليها منها ـ فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع الأعضاء كلّها وتعطلها. وحاصل هذه المفارقة يعود إلى سلب الإنسان عن هذه الأعضاء والآلات والقنيات الدنيويّة من الأهل والمال والولد ونحوها.

ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء عن الإنسان، أو يسلب هو عنها إذا كان المؤلم هو الفراق. وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل وسبي ذرّيته، وقد يحصل بسلبه ونهبه عن أهله وماله. فالموت في الحقيقة هو سلب الإنسان عن أمواله إلى عالم آخر فإنْ كان له في هذا العالم شيء يأنس به، ويستريح إليه، فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسّره عليه في الآخرة. ويكون سبب عظم خطره عند ضعف تصوّره لما اعدّ للأبرار المتقين في الآخرة، مما يستحقر في القليل منه أكثر نفائس الدنيا. فأمّا إنْ كان عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الّا بذكر الله، ولم يأنس إلّا به، عظم نعيمه وتمّت سعادته، إذ خلّي بينه وبين محبوبه، قطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه، ووصل إليه، وانكشف له هناك ماكان يدركه من السعادة ـ بحسب الوصف ـ انكشاف مشاهدة، كما يشاهد المستيقظ مارآه في النوم، «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا»، ولذلك كان الموت راحة للمؤمنين ومحبوباً للمتقين، كما أشار إليه سيّد المرسلين: صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الطاهرين «لَيس للمؤمن راحة دون لقاء الله»(٣) وذلك لكونه وسيلة لهم إلى ماأعدّ لهم من السعادة الأخرويّة التي هي حياة

(١) «ألف»: شدة. (٢) «ألف»: فتمنع.

(٣) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق بهامش الجامع الصغير ج٢ ص٧٨.

....

يـلا موت، وغنى بلافقر، ونعيم بـلا شـقاء، وأعظم من ذلك الفـوز باللقاء الخالص لمحبـوبهم الأقصى. وإليه الاشـارة بقوله تعالى: «قُل يـاايُّـها الذين هادوا إنْ زعمتم أنكم اولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين»(١) دلّت الآية على أنّ الصادق في الـولاية لله يتمنّـى الموت، وكذلك قوله تعـالى: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصةً من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين»(٢).

ومن كلام أمير المؤمنين علي عليه السَّلام: «والله لابن أَبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه»(٣).

وكـان علـيـه السَّـلام يطـوف بين الصـفين في غـلالـه: فـقـال لـه ابـنه الحسين عليـه السَّلام: مـاهذا بـزي المحاربين فقال: يابني لايـبالي أَبـوك على الموت سقط، أم سقط الموت عليه(٤).

ومن كـلام لـه قبل مـوتـه: والله مَافـجـأني من الموت وارد فـكـرهته، ولا طـالع انكرته، وما كنت إلّا كقارب ورد، وطالب وجد، وما عندالله خيرٌ للإبرار(٥).

وعن حذيفة بن اليمان رضـي الله عنه: أنه كان يتمنى المـوت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة. لا أَفلح من ندم(٦) يعني على التمنّي.

وقال أهل التحـقيق: لايبعـد من الرجل العـاقل إذا كمل عقله أن تعظم رغبته في الموت لوجوه:

منها: أنّ مراتب الموجودات ثلا ثـة؛ المؤثّر الذي لايتأثّر وهو الآله تعالى وتقدّس، والمتأثـر الذي لايؤثّر وهـو عالم الأجساد، فإنّها قابـلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والأعراض المتضـادّة. ويتوسّطها قسم ثالث وهـو عالم الأرواح، لأنّها تقبل

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٤.

(٣) نهج البلاغة: ص٥٢.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٣ ص١٩٠.

(٥) نهج البلاغة: ص٣٧٨ الرسالة ٢٣.

(٦) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج١ ص٧٠.

....

الأثر والتصرّف من العالم الإلهي، ثمّ اذا أقبلت على عالم الأجساد، تصرّفت وأثّرت.

وللنفوس في التأثير والتأثّر مراتب غير متناهية، لأنّ تأثيرها بحسب تأثّرها عمّا فوقها. والكمال الآلهي غير متناه. فإذن لا تنفك النفس من نقصان ما، والناقص إذا حصل له شعور بنقصانه، وقد ذاق لذّة الكمال، بقي في القلق وألم الطلب، ولا سبيل له إلى رفع هذا القلق والألم إلّا الموت. فحينئذٍ يتمّنى الموت.

ومنها: أنّ سعادات الدنيا ولذّاتها سريعة الزوال، مشرفة على الفناء، والألم الحاصل عند زوالها، أشدّ من اللذّة الحاصلة عن وجدانها. ثم أنّها مخلوطة بالمنغصات، والأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل فيها، بل ربما كانت حصّة الأراذل أكبر. فلا جرم تمنّي العاقل موته ليتخلّص من هذه الآفات.

ومنها: أنّ اللذات الجسمانيّة: لاحقيقة لها، لأنّ حاصلها يرجع إلى دفع الآلام، فإن الأكل لدفع ألم الجوع، والشرب لدفع ألم العطش، والنكاح لدفع ألم العزوبة ،فكان الموت مخلّصاً من هذه الآلام والاشتغال بدفعها.

ومنها: أنّ مداخل اللذات الدنيويّة ثلاثة: لذّة الأكل، ولذّة الوقاع، ولذّة الرئاسة. ولكلٍّ منها عيوب، فلذّة الأكل، مع أنّها غير باقية بعد البلع، فإنّ الماكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم، ولا شكّ أنّه شيء منفّر. ثمّ كما يصل إلى المعدة يستحيل إلى ماذكره منفّر،فكيف به؟ ومن هنا قالت العقلاء: «من كانت همّته ما يدخل في جوفه كانت قيمته مايخرج من بطنه». هذا مع إشتراك الحيوانات الخسيسة فيها.

وأيضاً اشتداد الجوع حاجة، والحاجة نقص. وكذا الكلام في لذّة النكاح وعيوبها، مع أنّ فيها احتياجاً لزيادة المال، والنفقة للزوج والولد ومايلزمهما. والاحتياج للمال يلقي المرء في مهالك الاكتساب، ومهاوي الانتجاع.

ولذّة الرئاسة أوفى عيوبها أنّ كل واحد يكره بالطبع أن يكون خادماً مأموراً،

....

ويحبّ أن يكون مخدوماً آمراً. فسعي الإنسان في الرئاسة سعي في مخالفة كلّ من سواه. ولا ريب أنّ هذا الأمر صعب الحصول، منيع المرام، وإذا ناله كان على شرف الزوال في كلّ حين وأوان، لأنّ كثرة الأسباب توجب قوّة حصول الأثر، فيكون دائماً في الخوف والحزن.

فإذا تأمّل العاقل في هذه المعاني علم قطعاً أنّه لا صلاح في اللذّات العاجلة. ولكن النفس جبلت على طلبها، والرغبة فيها، فيكون دائماً غريقاً في بحر الآفات، وغمرات الحسرات. فحينئذٍ يتمنّى زوال هذه الحياة.

تتمّة

قال بعض العلماء: الناس في محبّة الموت ثلاثة أضرب:

الأوّل: حكيم يعلم انّ الحياة تسترقّه والموت يعتقه، وأنّ الانسان في هذا المآل ـ وإن طال فيه لبثه ـ كخطفة برق لمعت في أكناف السماء ثمّ عادت للاختفاء، وأنّه في دنياه كمبعوث إلى ثغر يحوطه، وبلد يسوسه، يراعي مااسترعى، ويسرّ إذا دعى، ولا يتكادّه خروجه منها إلّا بقدر مايفوته من خدمة ربّه، والازدياد من قربه. ولهذا المعنى ورد في بعض الأخبار مدح الحياة والنّهي عن تمنّي الموت.

والثاني: رجل أنس بهذا العالم فألفه وإن كرهه، فسبيله سبيل من ألف بيتاً مظلماً قذراً ولم يرغيره، فهو يكره الخروج منه وإن كان قد كره الدخول فيه. كما قال الشاعر:

دخلنا كارهين لها فلمّا ألفناها خرجنا مكرهينا
وما حبّ البلاد بنا ولكن أمرّ العيش فرقة من هوينا

فهذا حتى خرج عن دنياه، واطلع على ما أُعدّ للصالحين ـ ممّا لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ـ سرَّ بخلاصه كما حكى الله تعالى عمّن استقرّ بهم القرار في جنّة النعيم،حيث قالوا: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن إن ربنا

فَإذَا أورَدْتَهُ عَلَيْنَا، وَأَنزَلتَهُ بِنَا فَأسْعِدْنَابِهِ زَائراً، وآنِسْنابِهِ قَادِمَاً، وَلاَ تُشْقِنَا بِضِيافَتِهِ، وَلاَ تُخْزِنَا بِزيَارَتِهِ، وَاجْعَلْهُ بَابَاً مِنْ أَبْوابِ مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحَاً مِنْ مفَاتِيح رَحْمَتِكَ.

لغفور شكور * الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسُّنا فيها نصب ولا يمسُّنا فيها لغوب»(١).

والثالث: رجل أعمى البصيرة، متلطخ السريرة، بما ارتكبه من أنواع الجريرة، رضي بالحياة الدنيا، واطمأنّ بها، ويئس من الآخرة، كما يئس الكفّار من أصحاب القبور. فإذا خرج منها إلى دار الخلود أضرّ ذلك به كما تضرّ رياح الورد بالجعل، فإذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العليا ومصاحبة الملأ الأعلى، ومنادمة أُولي العلى، كما قال تعالى: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلاً»(٢). والله أعلم *.

«الفاء»: للترتيب في الذكر.

وأوردته عليه: أحضرته لديه، يقال: ورد زيد علينا أي حضَر. وأصل الورود: بلوغ الإبل الماء وموافاتها إيّاه، ثم استعمل في غيره مجازاً.

قال في الأساس ومن المجاز ورد عليه أمرٌ لم يطقه، وأوردت عليّ ماغمّني(٣).

وأنزلت به الأمر: أوقعته به. يقال: نزل به مكروه: أي وقع به وحصل عليه. وأصله من النزول، وهو انحطاط من علوّ.

وأسعده الله: صيَّره سعيداً، والباء للسببيّة.

وزائراً: الحال من الضمير المجرور، وهو اسم فاعل من زاره يزوره زوراً، وزيارة: أي قصده، ثم خصّت الزيارة في العرف بقصد المزور اكراماً له واستيناساً به.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٤ و ٣٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

(٣) أساس البلاغة:ص٦٧١.

....

وآنست زيداً بكذا ايناساً: جعلته يأنس به، ويسكن إليه، ولا يستوحش معه.

والقادم: اسم فاعل من قدم الرجل البلد -من باب تعب- قدوماً إذا ورده وحصل فيه.

وشقي يشقى -من باب علم- شقاء، ضدّ سعد، فهو شقيّ. وأشقاه الله -بالألف-.

والضيافة: اسم من أضفته إذا أنزلته وقريته. قال ثعلب: ضفته إذا نزلت به وأنت ضيف عنده، واضفته -بالألف- إذا أنزلته عليك ضيفاً(١).

لمّا شبّه عليه السّلام الموت بالزائر والقادم أثبت له ما هو من لوازمهما، وهو الضيافة، فهو من باب الاستعارة التخييليّة. والمراد بالشقاء بضيافته فقدان العمل الصالح الذي يصلح أن يكون قرى له. وكأنّ الشرف البوصيري نظر إلى هذا المعنى حيث قال:

فإنّ أمارتي بالسوء ما اتعظت عن جهلها بنذير الشيب والهرم

ولا أعدّت من الفعل الجميل قرىً ضيف ألمّ برأسي غير محتشم

وأخزاه الله: الحق به الخزي، وهو الذل والهوان المقارن للفضيحة والانكسار.

ومنه: «ربّنا إنّك من تدخل النار فقد أخزيته»(٢).

والباب: مدخل الشيء. وأصل ذلك مداخل الأبنية كباب المدينة والدار، ثم تُجوّز فيه، فاستعمل فيما يتوصّل به إلى الشيء. ومنه: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»(٣) أي به يتوصّل إليه.

وأبواب المغفرة: الأسباب التي يتوصّل بها إليها.

والمفتاح: آلة الفتح وهو إزالة الإغلاق، ثم استعير لما يتوصّل به الى الأمر. ومنه

---

(١) المصباح المنير: ص٥٠١ نقلا عنه.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٢.

(٣) عوالي اللئالي: ج٤ ص١٢٣، والجامع الصغير: ج١ ص١٠٨.

أَمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ، طَائعينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ، تَائبِيْنَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلاَ مُصِرِّينَ، يَاضَامِنَ جَزَاءِ المُحْسِنِينَ، وَمُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدينَ.

قوله تعالى: «وَعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّا هو»(١).

قال الراغب: يعني مايتوصّل به الى غيبه المذكور في قوله تعالى: «لايظهر على غيبه أحداً»(٢) إنتهى.

ولمّا كان الموت وسيلة لحصول المغفرة والرحمة بالفعل لمن شاء الله سأل عليه السّلام أن يجعل موته باباً يدخل به إلى مغفرته، ومفتاحاً يصل به إلى رحمته. والله أعلم.

الجملة مستأنفة استئنافاً بيانيّاً كأنّه سأل كيف أُسعدكم به زائراً؟ فقال: «أمتنا مهتدين غير ضالّين»، فإنّ حصول السعادة بسبب الموت إنّما يكون إذا مات الإنسان مهتدياً غير ضالّ، وطائعاً، غير مستكره... إلى آخره.

والمراد بالاهتداء: الاهتداء إلى كلّ حق وصواب، والقبول له، والعمل به، وعدم الرجوع معه إلى باطل وخطأ، ولذلك قيّده بقوله: غير ضالّين لأنّه حال متداخلة.

قال الراغب: الاهتداء يختصّ بما يتحرّاه الإنسان من الهدى على طريق الاختيار إمّا في الأُمور الدنيويّة أو الأُخرويّة. قال الله تعالى: «هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها»(٣)، ويقال ذلك لطلب الهداية نحو قوله تعالى: «قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين»(٤)، ولتحدّي الهداية نحو: «وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون»(٥)، ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم نحو «أَوَ لو كان

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٢) المفردات في غرائب القرآن: ص ٣٧١.
(٣) سورة الانعام: الآية ٩٧.
(٤) سورة الانعام: الآية ٥٦.
(٥) سورة البقرة: الآية ٥٣.

....

آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون»(١) تنبيهاً على أنّهم لايعلمون بأنفسهم، ولا يقتدون بعالم.

وقوله تعالى: «فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه»(٢) يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية، ومن الاقتداء، ومن تحريها. وقوله تعالى: «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى»(٣) معناه ثمّ أدام طلب الهداية، ولم يفتر عن تحريها، ولم يرجع إلى المعصية. وقوله: «أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»(٤) أي الذين تحرّوا الهداية وقبلوها وعملوا بها(٥) إنتهى.

والضلال: العدول عن الصراط المستقيم، وهوضدّ الهدى، ويقال لكل عدول عن النهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كبيراً، فإنّ الصراط المستقيم الذي هو المرضي صعب جدّاً، ولهذا قال عليه السّلام: «استقيموا ولن تحصوا»(٦).

وطائعين: أي منقادين لأمرك عن طيب نفس وإخلاص في امتثال الأمر.

غير مستكرهين: أي غير حاملين أنفسنا بالكره على الطاعة، على رواية مستكرهين بصيغة اسم الفاعل، أوغير حاملين لنا خوف العقاب ونحوه بالكره على الطاعة، على رواية مستكرهين بصيغة اسم المفعول. وبهذا المعنى فسّر قوله تعالى: «لا اكراه في الدين»(٧) في أحد الوجوه. أي لااعتداد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً، فإنّ الله يعتبر السرائر، ولا يرضى إلّا الإخلاص ولهذا قال، صلّى الله عليه وآله وسلّم: الأعمال بالنيات(٨) وقال: أخلص، يكفيك القليل من العمل(٩).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠٨.

(٣) سورة طه: الآية ٨٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٧.

(٥) المفردات: ص٥٤١.

(٦) «ألف»: تحصلوا.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٨) تهذيب الاحكام: ج١ ص٨٣ ح٦٧.

(٩) لم نعثر عليه.

....

ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قوله تعالى: «وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً»(١) على أن المراد بمن أسلم طوعاً من شاهد المثيب والمعاقب، فانقاد له، وبمن أسلم كرهاً من شاهد الثواب والعقاب، فانقاد وأسلم رغبة ورهبة.

وتائبين: أي تاركين للذنوب لقبحها، نادمين عليها، مغتمّين أشدّ الاغتمام لارتكابها، عازمين على ترك المعاودة لها.

وغير عاصين: أي غير خارجين عن الطاعة. وأصل العصيان من تمتّع الإنسان بعصاه. و«لا» من قوله: «ولامصرّين» مزيدة لتأكيد ما أفاده «غير» من معنى النفي، كأنّه قيل: «لاعاصين ولا مصرّين» والإصرار في الأصل من الصَّر، وهو الشدّ والربط، ثمّ اطلق على الإقامة على الذنب(٢) دون استغفار، كأنّ المذنب ارتبط بالإقامة عليه والمداومة له.وقد مرّ الكلام عليه مبسوطاً فأغنى عن الاعادة.

قوله عليه السَّلام: «يا ضامن جزاء المحسنين» من ضمن زيد المال، وبه -من باب علم- ضماناً: أي التزمه، فهو ضامن. فهو تلميح إلى قوله تعالى في غير موضع من كلامه المجيد: «إنَّ الله لايضيع أجر المحسنين»(٣) أي الذين يعملون الأعمال الحسنة التي يستحقّ بها الثواب والمدح.

و«مستصلح عمل المفسدين»: أي طالب صلاح عملهم بأن يبدّلوا الفساد بالصلاح، وذلك إما بالأمر والنهي كما هو الواقع.

قال الزمخشريّ في الأساس: أمر الله ونهىٰ لاستصلاح العباد(٤).

وإمّا بحسم أسباب الفساد، وعدم الإعداد له، وإفاضة توفيقه عليهم، يستبدلوا باعمالهم السّيئة أعمالاً حسنة، وذلك لمن تاب إليه وأناب وسبقت له منه الحسنى .

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٢) «ألف»: من دون.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٠.

(٤) أساس البلاغة ص٣٥٩.

....

ويرجّح المعنى الاوّل: أن الجمع المعرّف بالألف واللام يفيد الاستغراق والعموم.

وجواز الثاني: لتخصيص المفسدين بالمفسدين من المؤمنين حالاً أو مآلاً، وفي رواية «مصلح(١) عمل المفسدين»: من أصلح الشيء إذا جعله صالحاً، وذلك بإفاضة لطفه وتوفيقه عليهم وإعداده لهم بمعونته على تبديل الفساد بالصلاح. وهذا لاينافي قوله تعالى في سورة يونس: «إنَّ الله لايصلح عمل المفسدين»(٢) لأنّ المراد بعدم إصلاحه فيه عدم إثباته وإمضائه.

قال العماديّ: ليس المراد بعدم إصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحاً، بل عدم إثباته وإتمامه، أي لايثيبه(٣) ولا يكلّمه(٤)، ولا يديمه، بل يمحقه ويهلكه ويسلّط عليه الدمار(٥).

وقال العلّامة الطبرسيّ: «معناه إنّ الله لا يهيّىء عمل من قصد فساداً في الدين، ولا يمضيه بل يبطله حتى يظهر الحق من الباطل، والمحقّ من المبطل»(٦) إنتهى. فلا منافاة بين الآية وعبارة الدعاءلتغاير المعنى. والله أعلم.

هذا آخر الروضة الأربعين من رياض السالكين، وفق الله لإ تمامها وحسن ختامها عشيّة يوم الأحد، لستّ مضين من ذي الحجّة الحرام، آخر شهور سنة ١١٠٤، ولله الحمد.

---

(١) «ألف» ومصلح.

(٢) سورة يونس: الآية ٨١.

(٣) و (٤) هكذا في الأصل. ولكن الصحيح لايثبته ولا يكمله كما في المصدر.

(٥) تفسير أبي السعود: ج٤ ص١٧٠.

(٦) مجمع البيان: ج٦ ص١٢٦.

الروضة الحادية والأربعون

وكان من دعائه عليه السلام في طلب الستر والوقاية

اللهم صل على محمد وآله وأفرشني مهاد كرامتك وأوردني
مشارع رحمتك وأحللني بحبوحة جنتك ولا تسمني بالرد عنك
ولا تحرمني بالخيبة منك ولا تقاصني بما اجترحت ولا تناقشني
بما اكتسبت ولا تبرز مكتومي ولا تكشف مستوري ولا تحمل
على ميزان الانصاف عملي ولا تعلن على عيون الملا خبري أخف عنهم
ما يكون نشره علي عارا واطو عنهم ما يلحقني عندك شنارا شرف
درجتي برضوانك وأكمل كرامتي بغفرانك وانظمني في أصحاب
اليمين ووجهني في مسالك الآمنين واجعلني في
فوج الفائزين واعمر بي مجالس الصالحين.

آمين رب العالمين

الروضة
الحادية والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وإياه نستعين

الحمد لله مسبل جلابيب الستر والوقاية، الناهج مناهج الرشد والهداية، والصلاة والسلام على نبيّه المخصوص بأسرار الغاية، وعلى أهل بيته القائمين بأعباء الإمامة والولاية.

وبعد: فهذه الروضة الحادية والأربعون من رياض السالكين في شرح الدعاء الحادي والأربعين، من صحيفة سيّد العابدين صلّى الله وسلّم عليه وعلى آبائه وأبنائه الصالحين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ عليّ الصدر الحسينيّ الحسنيّ، ألحقه الله بستر وقايته، وبلغه من حسن الأمل منتهى غايته.

شرح الدعاء الواحد والأربعين

«وكان من دعائه عليه السَّلام»
في طلب الستر والوقاية

الستر - بالفتح - تغطية الشيء من ستره ستراً - من باب قتل -: أي غطاه. وبالكسر ما يستتر به، كالستارة - بالكسر - والسترة - بالضمّ -.

والوقاية: حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه. يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاءً. قال تعالى: «فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم»(١).

والمراد بالستر المطلوب إخفاء الأعمال الفاضحة عن غير الله سبحانه في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا: فبتوفيقه للاستتار بها، وحسم أسباب اطلاع الخلق عليها. وفائدته استبتاع غفرانها كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن الرضا عليه السَّلام: أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيّئة مخذول، والمستتر بالسيّئة مغفور له(٢).

وأمّا في الآخرة فباخفائها عن الملائكة والأنبياء وجميع الخلق، كما روي عن الصادق عليه السَّلام: إذا كان يوم القيامة تجلّى الله تعالى لعبده المؤمن فيقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم يغفر له، لايطلع على ذلك ملكاً مقرّباً ولانبيّاً مرسلاً، ويستر

---

(١) الإنسان: الآية ١١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٢٨ ح٢ باب ستر الذنوب.

اللّـهمَّ صَلِّ عَلَى مَـحَمَّـدٍ وَآلِهِ، وَأفرِشْنِي مِـهادَ كَرامَتِكَ . وَأَوْرِدْني مَشارِعَ رَحْمَتِكَ وَأحْلِلْنِي بُحْبُوحَةَ جَنَّتِكَ .

عليه مايكره أن يقف عليه أحد، ثم يقول لسيّئاته كوني حسنات(١).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

والمراد بالوقاية الوقاية من السيئات وتبعاتها، كما يدلّ عليه متن الدعاء، وهي الوقاية التي ليسألها حملة العرش ومن حوله للمؤمنين بقولهم: «وقهم السيئات ومن تقِ السيّئات يومئذٍ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم»(٢).

فرشت البساط وغيره فرشاً ـ من باب قتل ـ وفي لغة ـ من باب ضرب ـ: بسطته . وأفرشه إيّاه إفراشاً: بسطته له . وهو الفراش ـ بالكسر ـ بمعنى مفروش ككتاب بمعنى مكتوب

والمهاد ـ بالكسر ـ الفراش. وجمعه مُهد ككتاب وكتب. ويكون المهاد جمع مهد ايضاً كسهم وسهام، ويجمع على مهود أيضاً كفلس وفلوس.

قال الفيّوميّ: المهد والمهاد: الفراش(٣).

والكرامة: اسم من الإكرام، وهو الإعزاز.

وأوردته الماء: أبلغته إيّاه.

والمشارع: جمع مشرعة ـ بفتح الميم والراء ـ وهي مورد الناس للاستقاء.

وقال الأزهريّ: لا تسمّيها العرب مشرعة حتى يكون الماء لاانقطاع له كماء الأنهار، ويكون ظاهراً معيناً، أي جارياً على وجه الأرض، لايستقى منه برشاء(٤).

وفي كل من الفقرتين استعارة مكنيّة تخييليّة، فإنّه أضمر في نفسه تشبيه الكرامة بالمكان الصالح للقعود فيه، والرحمة بالماء العذب الذي يَروىٰ به من يرده بجامع الراحة واللذّة فيهما. وهذا هو الاستعارة بالكناية، ثم أثبت لها مابه قوام المشبّه به من لوازمه المناسبة وهو المهاد في الأُولى، والمشارع في الثانية، وهذا هو التخييل.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧ ص٢٨٧.

(٢) غافر: الآية ٩.

(٣) المصباح المنير: ص٨٠٠.

(٤) تهذيب اللغة: ج١ ص٤٢٥ مادة شرع.

ولا تَسُمْنِي بِالـرَّدِّ عَنْكَ ، وَلا تَحرمْـنِي بِالخَيْـبَةِ مِنْكَ ، وَلاَ تُقاصَّنِي بِمَـا اجتَـرحْتُ، وَلاَ تُنَـاقِشْنِـي بِمَا اكْتَسَبْـتُ، وَلاَ تُبـرزْ مَـكْتُومي ، وَلاَ تَـكْشِفْ مَسْتُوري.

وأحللتُ زيداً المكان، و به: أنزلته فيه. من حلّ بالبلدوحلّه من باب قعدإذا نزل به.

وبحبوحة المكان: وسطه و وزنها فعلولة.

قال بعض أرباب القلوب: جنّته ـ تعالى ـ في الآخرة دار ثوابه، وفي الدنيا مقام الرضا والتسليم. والله أعلم*.

سُمته ذُلّاً: أي أوليته إيّاه، ومنه «يَسومونكم سُوء العذاب»(١). وإنّما عدّاه عليه السّلام بالباء لتضمينه معنى الإهانة كما عدّوا «سمع» باللام في قوله لهم: «سمع الله لمن حمده»(٢) لتضمينه معنى استجاب. و إنّما أصله أن يتعدّى بنفسه مثل «يوم يسمعون الصيحة»(٣). وفي نسخة «ولا تسمني» بكسر السين وهو من السمة بمعنى العلامة.

وردّه عنه ردّاً: صرفه ومنعه. وهو كناية عن الحرمات، ومنع المعروف. ومنه ردّ السائل إذا حرمه، ولم يعطه شيئاً، وحرمت زيداً كذا أحرمته ـ من باب ضَرَبَ، يتعدّى إلى مفعولين ـ حرماناً وحرمه ـ بالكسر فيهما ـ: منعته إيّام. وكثيراً مايحذف المفعول الثاني لقصد العموم، فيقال: حرمت زيداً أي لم أعطه شيئاً.

والخيبة: عدم الظفر بالمطلوب.

وقوله: «منك» يحتمل تعلّقه بالفعل، أوبالخيبة. فيكون لغواً. ويحتمل تعلّقه بمحذوف حال من الخيبة فيكون مستقراً و «من» ابتدائيّة.

وقاصصت زيداً بما كان لي عنده قصاصاً ومقاصّة: أي حبست عليه مثل ذلك واجترحت الأثم: اكتسبته. أي لاتحبس عليّ من الثواب مثل ما اكتسبته من المأثم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٦٨٠ وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب استحباب رفع اليدين.

(٣) سورة ق: الآية ٤٢.

وَلاَ تَحْمِلْ عَلَى مِيْزَانِ الإنْصَافِ عَمَلِي، وَلاَ تُعْلِنْ عَلَى عُيُون المَلأ خَبَري، وَاخْفِ عَنْـهُمْ مَايَـكُونُ نَشْرُهُ عَـلَيَّ عَاراً، وَاطوِ عَنْـهُمْ مَايُلْحِقُنِي عِنْدَكَ شَنَاراً.

وناقشته مناقشة: استقصيت في حسابه.

وبرز الشيء بروزاً ـ من باب قعد ـ: ظهر. ويتعدّى بالهمزة فيقال: أبرزته فهو مَبروز، وهذا من النوادر التي جاءت على مفعول من أفعل، كمحبوب من أحبَّ، ومسعود من أسعد.

وكتمت السرّ والحديث كتماً ـ من باب قتل ـ وكتماناً ـ بالكسر ـ. سترته فهو مكتوم ويتعدّى إلى مفعولين. ومنه «ولا يكتمون الله حديثاً»(١).

والكشف كالضرب: الاظهار، ورفع الشيء عمّا يواريه، ويغطيه. ومنه: «فكشفنا عنك غطاءك»(٢).

وسترت الشيء ستراً ـ من باب قتل ـ: غطيته فهو مستور.

قال بعضهم: وهذه الفقره عطف تفسير لما قبلها. وليس كذلك فإنّ قوله عليه السّلام: «ولا تبرز مكتومي» يختصّ بالمعاني كالأسرار والأخبار، لأنّ الكتمان لايستعمل إلّا فيها.

وقوله عليه السّلام: «ولا تكشف مستوري» يختص بالجثث والأعيان، لأنّ الأصل في الستر تغطية الشيء بغطاء، ثمّ استعمل في غيرها تجوّزاً، فهو إمّا من باب عطف الشيء على مغايره، أو من باب عطف العامّ على الخاصّ، لا من باب عطف التفسير، والله أعلم.

حملته على كذا: أي ألزمته به. وأصله من الحمل على الدابة كأنك جعلته لازماً له لزوم الراكب لمركوبه، وهو من باب التمثيل.

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٢.
(٢) سورة ق: الآية ٢٢.

....

والميزان: آلة الوزن. وأصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها، ولذلك يجمع على موازين.

والوزن في اللغة: هو مقابلة أحد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره.

والإنصاف في المعاملة: العدالة. وذلك أن لايأخذ من صاحبه من المنافع إلّا مثل مايعطيه، ولاينا له من المضارّ إلّا مثل ماينا له.

والمراد بالعمل هنا مطلقه، حسناً كان أو سيّئاً.

وميزان الإنصاف فيه: أن يجازيه بالإحسان إحساناً، وبالسيّئة سيّئة، كما قال الله تعالى: «فَمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرَّة شرَّاً يره»(١).

ومن البيّن أنّ في ذلك هلاك العبد، لقلّة حسناته، وكثرة سيّئآته، وأين يقع الواحد من الدهماء، والفطرة(٢) من الدأماء؟! ولذلك ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السَّلام في قوله تعالى: «ومن يعمل مثقال ذرَّة شرّاً يره» إذا كان من أهل الجنة، رأى ذلك الشر، ثمّ غفر له(٣).

وقال الإمام الطبرسيّ: الآية مخصوصة بلاخلاف، فإنّ التائب معفوّ عنه بالإجماع(٤).

وآيات العفو دالّة على جواز العفو عمادون الشرك، فجاز أن يُشترط في المعصية التي يؤاخذ بها، ألّا يكون ممّا قد عفي عنه(٥).

تبصرة

قد تكرّر في الآيات والروايات ذكر الوزن والميزان يوم القيامة، كقوله تعالى في

---

(١) سورة الزلزلة: الآية ٧ و ٨.

(٢) «ألف»: القطرة.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القميّ: ج٢ ص٤٣٣.

(٤) و (٥) مجمع البيان: ج ٩ و ١٠، ص ٥٢٦.

....

سورة الأعراف: «والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون»(١) «ومن خفَّت موازينه فأولـئك الذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون»(٢) وقوله تعالى في سورة الأنبياء: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»(٣) إلى غير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح في خطبته صلّى الله عليه وآله لإقبال شهر رمضان: من أكثر فيه الصلاة عليَّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين(٤).

وعنه صلّى الله عليه وآله: يجاء بالعبد يوم القيامة، فتوضع حسناته في كفّة وسيئاته في كفّة. الحديث(٥).

وقد اختلف أهل الاسلام في الوزن المذكور وهل هو كناية عن العدل والإنصاف والتسوية، أو المراد به الوزن الحقيقي؟ إلى كل من القولين ذهب طائفة. والخلاف في ذلك واقع بين أصحابنا أيضاً، فممّن(٦) ذهب منهم إلى القول الأول شيخنا المفيد قدّس سرّه فإنّه قال: الوزن والموازين هو التعديل بين الأعمال والجزاء عليها، ووضع كل منها في موضعه، وإيصال كل ذي حق حقه. وليس الأمر في معنى ذلك على ماذهب إليه أهل الحشو-من أنّ في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفّتان، توضع الأعمال فيها -إذ الأعمال أعراض، والأعراض لايصحّ وزنها، وإنّما توصف بالثقل والخفّة على وجه المجاز. والمراد بذلك أنّ ماثقل منها هو ماكثر واستحقّ عليه عظيم الثواب، وماخفّ منها ماقلّ قدره ولم يستحقّ عليه جزيل الثواب. والذي ذكره الله تعالى في الحساب هو الموافقة على الأعمال، لأنّ من وُفق على أعماله لم يتخلّص من تبعاتها، ومن عفا الله عنه في ذلك فاز بالنجاة، ومن

(١) سورة الأعراف: الآية ٨.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠٣.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٤) روضة الواعظين: ص ٣٤٦.
(٥) الكشكول للشيخ البهائيّ: ص ٦٦.
(٦) «ألف»: فمن.

....

ثقلت موازينه بكثرة استحقاقه الثواب «فأولئك هم المفلحون»(١) ومن خفّت موازينه بقلّة اعمال الطاعات «فأُولئك الذين خسروا أَنفسهم» «وفي جهنم خالدون».

والقرآن إنما نزل بلغة العرب، وحقيقة كلامها ومجازه، ولم ينزل على ألفاظ العامّة، وماسبق إلى قلوبها من الأباطيل(٢). إنتهى.

وممّن ذهب إلى القول الثاني شيخنا البهائيّ طاب ثراه في شرح الأربعين فإنّه قال: جمهور أهل الإسلام على هذا القول، للوصف بالخفّة والثقل في القرآن والحديث، وأنّ الموزون: صحائف الأَعمال، أو الأَعمال أنفسها بعد تجسيمها في تلك النشأة.

والحقّ: أنَّ الموزون فيها هو نفس الأعمال، لاصحائفها.

وما يقال من أنّ تجسيم العرض طور وراء طور العقل، فكلام ظاهريّ عاميّ.

والذي عليه الخواص من أهل التحقيق: أنّ سنخ الشيء وحقيقته أمر مغاير للصورة التي يتجلّى بها على المشاعر الظاهرة، ويلبسها لدى المدارك الباطنة، وانّه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت، فيلبس في كل موطن لباساً، ويتجلبب في كل نشأة بجلباب، كما قالوا: إنّ لون الماء لون إنائه.

وأما الأصل الذي تتوارد هذه الصور عليه ويعبّرون عنه تارة بالسنخ، وتارة بالوجه، وأُخرى بالروح، فلا يعلمه إلّا علام الغيوب، فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضاً، وفي آخر جوهراً. ألا ترى إلى الشيء المبصر فإنّه إنما يظهر لحس البصر إذا كان محفوفاً بالجلابيب الجسمانيّة، ملازماً لوضع خاصّ، وتوسّط بين القرب والبعد المفرطين وأمثال ذلك. وهو يظهر في الحسّ المشترك عريّاً عن تلك

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٧ ص٢٥٢ نقلاً عن المفيد قدّس سرّه.

....

الأمور التي كانت شرط ظهوره. لذلك، ألا ترى إلى مايظهر في اليقظة من صورة العلم، فإنّه في تلك النشأة أمرٌ عرضيّ، ثم إنّه يظهر في النوم بصورة اللبن. فالظاهر في الصورتين سنخ واحد تجلّى في كل موطن بصورة، وتجلّى في كل نشأة بحلية، وتزيّا في كل عالم بزيّ، وتسمّى في كل مقام باسم، فقد تجسّم في مقام ماكان عرضاً في مقام عرضاً في مقام آخر وتجسّم العمل في النشأة الأُخروية، وقد ورد في أحاديث متكثرة من طرق المخالف والمؤالف(١). انتهى.

وفي المقام كلام طويل طويناه على غرّه، وقد ألّف بعض أصحابنا المتأخّرين في هذا المقام رسالة جيّدة، سمّاها ميزان الآخرة، استوفى الكلام فيها على هذا المطلب. فمن أراد تحقيق المرام فيه فعليه بها.

قوله عليه السَّلام: «ولا تعلن على عيون الملأ خبري».

علن الأمر علوناً ـمن باب «قعد»ـ: ظهر وانتشر فهو عالن. وعلن علنا ـمن باب تعب لغةـ فهو علن، والاسم العلانية ـمخفّفةـ. وأعلنته ـبالألفـ أظهرته. ومنه قوله تعالى: «ثمّ إنّي أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً»(٢).

والملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدّموهم، وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه. كالقوم.

قال الراغب: الملأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملأون العيون والنفوس جلالة وبهاء(٣).

قال الله تعالى: «ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل»(٤).

وقال الفيّوميّ: الملأ ـمهموزـ: أشراف القوم، سُمّوا بذلك لملاءتهم بما يُلتمس عندهم من المعروف، وجودة الرأي، ولأنّهم يملأون العيون ابّهة، والصدور هيبة(٥)

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ٦٣ و ٦٤.
(٢) سورة نوح: الآية ٩.
(٣) المفردات: ص ٤٧٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.
(٥) المصباح المنير: ص ٧٩٥.

....

إنتهى.

وما وقع لغير واحد من المترجمين من تخصيص الملأ هنا بالملآئكة لاوجه له.

والظرف من قوله: «على عيون الملأ» إمّا لغو متعلّق بـ«تعلن»، أو مستقرّ متعلّق بمحذوف حال من خبري قدّمت عليه لرعاية الفاصلة، والأصل ولا تعلن خبرى ظاهراً على عيون الملأ أو بمرأى منهم ومنظر، و«على» هنا بمنزلتها في قوله تعالى: «فَأتوا به على أعين النَّاس»(١).

قال الزمخشريّ في الكشّاف: معنى الاستعلاء في «على» وارد على طريق التمثيل. أي يثبت إثباته في الأعين، ويتمكّن ثبات الراكب على المركوب وتمكّنه منه(٢). إنتهى.

فإن قلت: هذا المعنى لايناسب الخبر، لأنّ الخبر إنّما يتمكّن في السمع، لا في العيون.

قلت: المراد بالخبر هنا: المخبر عنه وهو الحال أو العمل فإنّهم قد يكنّون به عنهما.

قال الراغب: قوله تعالى: «قد نبّأنا الله من أخباركم» أي من أحوالكم التي يخبر عنها(٣).

وقال الزمخشريّ في قوله تعالى: «ونبلوا أخباركم»: أي مايحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم، لنعلم حسنها من قبيحها، لأنّ الخبرعلى حسب المخبر عنه، إن حسناً فحسن، وإن قبيحاً فقبيح(٤).

قال السعد التفتازانيّ: يريد أنّ بلاء الأخبار كناية عن بلاء الأعمال، والمعنى نبلوا أخباركم أي مانخبر به عن أعمالكم، ليتميّز حسنه عن قبيحه، فيتميّز حسن الأعمال المخبر عنها عن قبيحها (٥)، لأنّ الخبر عن الشيء على حسب المخبر عنه، إن

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦١.

(٢) تفسير الكشّاف: ج٣ ص١٢٤.

(٣) المفردات: ص ١٤٢ وفيه نخبر.

(٤) تفسير الكشّاف: ج٤ ص ٣٢٨.

(٥) «ألف»: قبحها.

....

حسن حسن، وإن قبح قبح(١). إنتهى.

وقال السراج الفارسيّ في الكشف: قوله: لأنّ الخبر على حسب المخبر عنه، وهو العمل كذلك. فصحّ أن يجعل كناية عن بلاء الأعمال، ويكون أبلغ(٢). إنتهى.

إذا عرفت ذلك فإن حملت الخبر على العمل في الآخرة، أمكن أن يستأنس بهذه العبارة على تجسّم الأعمال في تلك الدار، لأنّها إذا تجسّمت تعلّقت بالعيون لا بالأسماع، ولذلك قال عليه السّلام: «على عيون الملأ» ولم يقل على أسماعهم، فتأمّله، فإنّه نفيس جداً.

قوله عليه السّلام: «وأخف عنهم مايكون نشره عليّ عاراً».

الإخفاء: يقابل الإبداء والإعلان.

قال تعالى: «إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها»(٣)، وقال: «وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم»(٤).

ونشر الخبر نشراً - من باب قتل -: بثّه وأشاعه. وأصله من نشر الثوب وهو بسطه.

وفي الأساس: نشر الخبر: أذاعه، وانتشر الخبر في الناس(٥).

والعار: كل شيء يلزم منه عيب ومذمّة. وأصله الياء.

وطوى عنّي الحديث: كتمه. وأصله من طيّ الثوب.

والشّنار - بالفتح -: أقبح العيب والعار، والأمر المشهور بالشنعة، كذا في القاموس(٦).

وعندك: أي في حكمك كقوله تعالى: «إن كان هذا هو الحقّ من عندك»(٧) وكأنّه احتراز عما يعدّه الجهلاء عيباً وعاراً، وليس به بأس عند الله تعالى. والله اعلم.

---

(١) و (٢) لم نعثر على كتابه.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧١.

(٤) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٥) أساس البلاغة: ص ٤٥٦.

(٦) القاموس المحيط: ج٢ ص٦٤.

(٧) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

شَرِّفْ دَرَجَتِي بِرِضْوَانِكَ، وَأَكْمِلْ كَرَامَتِي بِغُفْرَانِكَ، وَأَنْظِمْنِي فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَوَجِّهْنِي فِي مَسَالِكِ الآمِنِينَ، وَاجْعَلْنِي فِي فَوْجِ الفَائِزِينَ، وَاعْمُرْ بِي مَجَالِسَ الصَّالِحِينَ، آمينَ رَبَّ العَالَمِينَ.

الشَّرَف ـ بفتحتين ـ: العُلوّ شَرُف: ككرُم فهو شريف، وشرّفه تشريفاً أعلاه. وأصله من الشرف، وهو المكان المشرف العالي، ثمّ استعمل في القدر والمنزلة مجازاً.

قال في الأساس: ومن المجاز، لفلان شرف ـ وهو علوّ المنزلة ـ وشرّفه الله(١).

والدرجة: واحدة الدرج، وهي المرقاة، كقصبة وقصب.

قال الراغب: الدرجة نحو المنزلة، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود، دون الامتداد على البسيطة، كدرجة السطح والسلّم، ويعبّر بها عن المنزلة الرفيعة. قال الله تعالى: «وللرِّجال عليهن درجة» تنبيه لرفعة درجة الرجال عليهنّ في العقل والسياسة، وقال تعالى: «هم درجاتٌ عندالله» أي أُولو درجات(٢).

والرضوان ـ بكسر الراء، وقيس وتميم يضمّونها ـ: قيل: هو بمعنى الرضا، وقيل. هو الكثير من الرضا، ولذلك خصّ في القرآن بما كان من الله تعالى، لما كان أعظم الرضا رضاه سبحانه.

وكمل الشيء كمولاً ـ من باب قعد ـ تمّ، والاسم الكمال.

وقيل: الكمال: أمر زائد على التمام، لأنّ التمام يرد على الناقص فيتمّه، والكمال يرد على التمام(٣) فيكمل أوصافه.

وقيل: كمال الشيء حصول مافيه الغرض منه، فاذا قيل: كمل فمعناه حصل ماهو الغرض منه، قال تعالى: «والوالدات يرضعن أولادهنَّ حولين كاملين»(٤)

---

(١) أساس البلاغة: ص ٣٢٧.

(٢) المفردات: ص١٦٧ مع اختلاف يسير في بعض الفاظ العبارة.

(٣) «ألف»: التامّ.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

....

تنبيهاً على أنَّ ذلك غاية مايتعلّق به إصلاح الولد. ويتعدّى كمل بالهمزة والتضعيف، فيقال: أكملته إكمالاً، وكمّلته تكميلاً.

والكرامة: اسم من أكرمه أي أعزّه وعظمه. وله عليّ كرامة: أي عزازة وإجلال.

ويقال: أكرمه بالشيء: إذا أعطاه إيّاه عطاء على وجه الإعزاز والإجلال.

وقوله عليه السَّلام: «بغفرانك» يحتمل تعلّقه بالفعل، وبالكرامة، وبهما معاً على طريق التنازع.

ونظمت الدر نظماً ـ من باب ضرب ـ: جعلته وجمعته في سلك، وهو الخيط. أي اجعلني مع أصحاب اليمين واجمعني بهم. وهو إمّا استعارة مكنيّة، أو تبعيّة.

وأصحاب اليمين خلاف أصحاب الشمال، وقد تكلّموا في الفريقين، فقيل أصحاب اليمين: أصحاب المنزلة العليّة، وأصحاب الشمال أصحاب المنزلة الدنيئة، من قولهم. فلان منّي باليمين إذا وصفته بالرفعة عندك، وعليه قول الشاعر:

وقد كنت في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا

وقول(١) ابن الدمينة:

أبيني في يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيّرتني في شمالكا

ومن ذلك تيمّنهم بالميامن، وتشاؤمهم بالشمائل.

وقيل: الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم، والذين يؤتونها بشمائلهم.

وقيل: الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقيل: أصحاب اليمين(٢) وأصحاب الشؤم، فإنّ السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم، والأشقياء مشائيم على أنفسهم بمعاصيهم. فإن قلت: كيف لم يسأل عليه

---

(١) «ألف»: قال.

(٢) «ألف»: اليمن.

....

السَّلامنظمه في السابقين الذين هم أعلى درجة من أصحاب اليمين، كما دلّ عليه قوله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلاثة * فأَصحاب الميمنة ما أَصحاب الميمنة * وأَصحاب المشئمة ما أَصحاب المشئمة * والسَّابقون السابقون * أُولئك المقرَّبون»(١).

وكما ورد في الحديث إنّ السابقين هم رسُل الله عليهم السَّلام، وخاصّة الله من خلقه، وأصحاب اليمين هم المؤمنون(٢).

ولا شكّ أنّه عليه السَّلام من أقرب المقرّبين، وأشرف خاصّة ربّ العالمين، وهل يليق بالأعلى منزلة أن يسأل دون مقامه؟ قلت: يحتمل أنه عليه السَّلام أدمج سؤال نظمه في السابقين في سؤال نظمه في أصحاب اليمين، فإنّ السابقين من جملة أصحاب اليمين، إلّا إنّهم أرفع طبقة، وأقرب منزلة من سائرهم، كما يدلّ عليه مارواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره، بسنده إلى حذيفة بن اليمان(٣)، ورئيس المحدّثين بسنده إلى ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّ الله عزّوجلّ قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله تعالى في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وأناخير أصحاب اليمين. ثم قسم القسمين ثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً لقوله عزّوجلّ: «فأَصحاب الميمنة ما أَصحاب الميمنة، وأَصحاب المشئمة ما أَصحاب المشئمة، والسَّابقون السَّابقون» وأناخير السابقين(٤). الحديث.

فيكون إيثاره عليه السَّلام لسؤال نظمه في أصحاب اليمين، دون السابقين لأمرين:

أحدهما: التواضع والهضم لنفسه الشريفة من ترشيحها لذلك، كما هو دأبه

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٦ و٧ و٨ و٩ و١٠.

(٢) البرهان في تفسير القرآن:ج ٤ ص ٢٧٤ ح٣.

(٣) تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي:ج٢ ص٣٤٧.

(٤) البرهان في تفسير القرآن:ج ٤ ص٢٧٥ ح٥.

....

عليه السَّلام في دعائه.

الثاني: كون أصحاب اليمين أكثر من السابقين، كما قالوا في قول يوسف عليه السَّلام «تَوفَّني مسلماً وألحقني بالصَّالحين»(١). إنّه إن أراد بالصالحين الصالحين من آبائه فظاهر، وإن أراد الإلحاق بعامّة الصالحين، فوجهه إن اجتماع النفوس المشرقة(٢) بالأنوار الإلهيّة له أثر عظيم، وفوائد جمّة، كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تتعاكس أضواؤها، وتتكامل أنوارها، إلى حيث لا تطيقها العيون الضعيفة، وكلّما كانت أكثر كانت(٣) الإشراق أظهر. فلا يرد أنّ الصلاح أوّل درجات الصالحين، فكيف يليق بمن رتبته النبوّة أن يطلب البداية؟! والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قوله عليه السَّلام: «ووجّهني في مسالك الآمنين».

وجّهت الشيء: أرسلته في جهة.

والمسالك: جمع مسلك، وهو موضع السلوك، وهو النفاذ في الطريق. يقال: سلكت الطريق سلوكاً ـ من باب قعد ـ: أي ذهبت فيه.

والآمنين: جمع آمن، من آمن أمناً ـ من باب منع ـ إذا اطمأنّت نفسه، وزال خوفه، وكأنّه تلميح إلى قوله تعالى: «إنّ المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين»(٤)، ويجوز أن يراد بهم الآمنون من آفات الدنيا وعقوبات الآخرة.

والفوج: الجماعة من الناس. وقيل: الجماعة المارّة المسرعة.

والفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، ولذلك قال تعالى: «أصحابُ الجنَّة هم الفائزون»(٥) لظفرهم بكلّ خير، وسلامتهم من كلّ شرّ.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) «ألف»: المشرقة.

(٣) «ألف»: كان.

(٤) سورة الحجر: الآية ٤٥ و٤٦.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢٠.

....

والعمارة: نقيض الخراب، يقال عمرت الدار ـ من باب قتل ـ إذا بنيتها أوجددت ما استرمّ منها. وعمر المنزل أهله إذا سكنوه، وأقاموا به، فعمر هو بهم، يتعدّى ولايتعدّى، والجميع من باب قتل.

وعمارة مجالس الصالحين: عبارة عن(١) لزومها، وكثرة إتيانها وغشيانها، لمعاشرتهم وصحبتهم ومعاونتهم على الصلاح والبرّ والتقوى.

والصالح: قيل: هو الخالص من كل فساد. وقيل: هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس.

وكذا قال الزجّاج في معاني القرآن: الصالح هو الذي يؤدي ماافترض الله عليه، ويؤدي إلى الناس حقوقهم(٢).

وآمين بالمدّ والقصر: أي استجب، وقد سبق الكلام عليه مبسوطاً. والله أعلم.

هذا آخر الروضة الحادية والأربعين من رياض السالكين، وفّق الله لإ تمامها، وتأليف درّ نظامها، عشيّة يوم الجمعة، ثاني أيّام التشريق، من سنة أربع ومائة وألف، ولله الحمد.

---

(١) «ألف»: من.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الاول. من القسم الثاني ص١٧٩ نقلاً عنه.

الروضة الثانية والأربعون

وكان من دعائه عليه السلام عند ختم القرآن

اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً وجعلته
مهيمناً على كل كتاب أنزلته وفضلته على كل حديث قصصته
وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك وقرآناً أعربت به عن
شرائع أحكامك وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً ووحياً أنزلته
على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً وجعلته نوراً نهتدي
من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق
إلى استماعه وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه ونور هدى لا
يطفأ عن الشاهدين برهانه وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته
ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته اللهم فإذ أفدتنا
المعونة على تلاوته وسهلت جواسي ألسنتنا بحسن عبارته فاجعلنا
ممن يرعاه حق رعايته ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته ويفزع
إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيناته اللهم إنك أنزلته على
نبيك محمد صلى الله عليه وآله مجملاً وألهمته علم عجائبه مكملاً
وورثتنا علمه مفسراً وفضلتنا على من جهل علمه وقويتنا عليه

لِتَرفَعنا فَوقَ مَن لَم يُطِق حَملَهُ اللّٰهُمَّ فَكَما جَعَلتَ قُلوبَنا لَهُ حَمَلَةً وَعَرَّفتَنا
بِرَحمَتِكَ شَرَفَهُ وَفَضلَهُ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ الخَطيبِ بِهِ وَعَلىٰ آلِهِ الخُزّانِ
لَهُ وَاجعَلنا مِمَّن يَعتَرِفُ بِأَنَّهُ مِن عِندِكَ حَتّىٰ لا يُعارِضَنا الشَّكُّ في
تَصديقِهِ وَلا يَختَلِجَنا الزَّيغُ عَن قَصدِ طَريقِهِ اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجعَلنا مِمَّن يَعتَصِمُ بِحَبلِهِ وَيَأوي مِنَ المُتَشابِهاتِ إِلىٰ
حِرزِ مَعقِلِهِ وَيَسكُنُ في ظِلِّ جَناحِهِ وَيَهتَدي بِضَوءِ صَباحِهِ وَيَقتَدي
بِتَبَلُّجِ إِسفارِهِ وَيَستَصبِحُ بِمِصباحِهِ وَلا يَلتَمِسُ الهُدىٰ في غَيرِهِ اللّٰهُمَّ وَ
كَما نَصَبتَ بِهِ مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلالَةِ عَلَيكَ وَأَنهَجتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضا إِلَيكَ
فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجعَلِ القُرآنَ وَسيلَةً لَنا إِلىٰ أَشرَفِ مَنازِلِ
الكَرامَةِ وَسُلَّماً نَعرُجُ فيهِ إِلىٰ مَحَلِّ السَّلامَةِ وَسَبَباً نُجزىٰ بِهِ
النَّجاةَ في عَرصَةِ القِيامَةِ وَذَريعَةً نَقدَمُ بِها عَلىٰ نَعيمِ دارِ المُقامَةِ
اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاحطُط بِالقُرآنِ عَنّا ثِقلَ الأَوزارِ
وَهَب لَنا حُسنَ شَمائِلِ الأَبرارِ وَاقفُ بِنا آثارَ الَّذينَ قاموا لَكَ بِهِ
آناءَ اللَّيلِ وَأَطرافَ النَّهارِ حَتّىٰ تُطَهِّرَنا مِن كُلِّ دَنَسٍ بِتَطهيرِهِ وَتَقفُوَ
بِنا آثارَ الَّذينَ استَضاؤوا بِنورِهِ وَلَم يُلهِهِمُ الأَمَلُ عَنِ العَمَلِ فَيَقطَعَهُم

بِخُدَعِ غُرُوْرِهٖ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّ اٰلِهٖ وَ اجْعَلِ الْقُرْاٰنَ لَنَا فِىْ ظُلَمِ
اللَّيَالِىْ مُؤْنِسًا وَّ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ حَارِسًا وَّ
لِاَقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا اِلَى الْمَعَاصِىْ حَابِسًا وَّ لِاَلْسِنَتِنَا عَنِ الْخَوْضِ فِى الْبَاطِلِ
مِنْ غَيْرِ مَا اٰفَةٍ مُخْرِسًا وَّ لِجَوَارِحِنَا عَنِ اقْتِرَافِ الْاٰثَامِ زَاجِرًا وَّ لِمَا طَوَتِ الْغَفْلَةُ
عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ الْاِعْتِبَارِ نَاشِرًا حَتّٰى تُوْصِلَ اِلٰى قُلُوْبِنَا فَهْمَ عَجَآئِبِهٖ وَ زَوَاجِرَ
اَمْثَالِهِ الَّتِىْ ضَعُفَتِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِىْ عَلٰى صَلَابَتِهَا عَنِ احْتِمَالِهٖ اَللّٰهُمَّ
صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّ اٰلِهٖ وَ اَدِمْ بِالْقُرْاٰنِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا وَ احْجُبْ بِهٖ خَطَرَاتِ
الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَآئِرِنَا وَ اغْسِلْ بِهٖ دَرَنَ قُلُوْبِنَا وَ عَلَآئِقَ اَوْزَارِنَا
وَ اجْمَعْ بِهٖ مُنْتَشَرَ اُمُوْرِنَا وَ اَرْوِ بِهٖ فِىْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ظَمَاَ هَوَاجِرِنَا
وَ اكْسُنَا بِهٖ حُلَلَ الْاَمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الْاَكْبَرِ فِىْ نُشُوْرِنَا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى
مُحَمَّدٍ وَّ اٰلِهٖ وَ اجْبُرْ بِالْقُرْاٰنِ خَلَّتَنَا مِنْ عَدَمِ الْاِمْلَاقِ وَ سُقْ اِلَيْنَا بِهٖ رَغَدَ
الْعَيْشِ وَ خِصْبَ سَعَةِ الْاَرْزَاقِ وَ جَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَآئِبَ الْمَذْمُوْمَةَ وَ
مَدَانِىَ الْاَخْلَاقِ وَ اعْصِمْنَا بِهٖ مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ وَ دَوَاعِى النِّفَاقِ حَتّٰى
يَكُوْنَ لَنَا فِى الْقِيٰمَةِ اِلٰى رِضْوَانِكَ وَ جِنَانِكَ قَآئِدًا وَّ لَنَا فِى الدُّنْيَا عَنْ
سُخْطِكَ وَ تَعَدِّىْ حُدُوْدِكَ ذَآئِدًا وَّ لِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيْلِ حَلَالِهٖ وَ تَحْرِيْمِ حَرَا

شَاهِداً اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ
عَلٰى أَنْفُسِنَا كَرْبَ السِّيَاقِ وَجَهْدَ الْأَنِينِ وَتَرَادُفَ الْحَشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ
النُّفُوسُ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَتَجَلّٰى مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ
الْغُيُوبِ وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ وَدَافَ لَهَا مِنْ
ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ وَدَنَا مِنَّا إِلَى الْآخِرَةِ رَحِيلٌ وَ
انْطِلَاقٌ وَصَارَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي الْأَعْنَاقِ وَكَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوٰى
إِلٰى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَبَارِكْ لَنَا فِي
حُلُولِ دَارِ الْبِلٰى وَطُولِ الْمُقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرٰى وَاجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ
فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا وَافْسَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَلَاحِدِنَا وَلَا
تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثَامِنَا وَارْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِي مَوْقِفِ
الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ
عَلَيْهَا زَلَلَ أَقْدَامِنَا وَنَجِّنَا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَدَائِدِ
أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ
الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَاجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً وَلَا تَجْعَلِ الْحَيَاةَ
عَلَيْنَا نَكَداً اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا بَلَّغَ رِسَالَتَكَ وَصَدَعَ

بِاَمْرِكَ وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلٰى اٰلِهٖ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ اَقْرَبَ النَّبِيِّيْنَ مِنْكَ مَجْلِسًا وَاَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفَاعَةً
وَاَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْرًا وَاَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهًا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِ مُحَمَّدٍ وَشَرِّفْ
بُنْيَانَهُ وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ وَثَقِّلْ مِيْزَانَهُ وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ وَقَرِّبْ
وَسِيْلَتَهُ وَبَيِّضْ وَجْهَهُ وَاَتِمَّ نُوْرَهُ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ وَاَحْيِنَا عَلٰى سُنَّتِهٖ
وَتَوَفَّنَا عَلٰى مِلَّتِهٖ وَخُذْ بِنَا مِنْهَاجَهُ وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَهُ وَاجْعَلْنَا
مِنْ اَهْلِ طَاعَتِهٖ وَاحْشُرْنَا فِيْ زُمْرَتِهٖ وَاَوْرِدْنَا حَوْضَهُ وَاسْقِنَا بِكَاْسِهٖ
وَصَلِّ اللّٰهُمَّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ صَلٰوةً تُبَلِّغُهُ بِهَا اَفْضَلَ مَا يَاْمُلُ
مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرَامَتِكَ اِنَّكَ ذُوْ رَحْمَةٍ وَّاسِعَةٍ وَفَضْلٍ
كَرِيْمٍ اَللّٰهُمَّ اجْزِهٖ بِمَا بَلَّغَ مِنْ رِسَالَاتِكَ وَاَدّٰى مِنْ اٰيَاتِكَ وَنَصَحَ
لِعِبَادِكَ وَجَاهَدَ فِيْ سَبِيْلِكَ اَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ اَحَدًا مِنْ مَلٰٓئِكَتِكَ
الْمُقَرَّبِيْنَ وَاَنْبِيَآئِكَ الْمُرْسَلِيْنَ الْمُصْطَفَيْنَ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَعَلٰى اٰلِهِ
الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ وَرَحْمَةُ
اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ

الروضة
الثانية والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وإيّاه نستعين

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس، وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، والصلاة على نبيّه الفاتح الخاتم، سيّد ولد عدنان، الذي ختم بشريعته الشرائع، ونسخ بدينه الأديان، وعلى أهل بيته الذين حتم طاعتهم على الأنس والجان، وأقام بهم أساس الدين، وعماد اليقين، وكهف الإيمان.

فهذه الروضة الثانية والأربعون من رياض السالكين، في شرح صحيفة سيّد العابدين صلّى الله عليه وعلى آبائه(١)، وأبنائه الأئمّة الهادين. إملاء راجي فضل ربّه السنيّ، عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، ختم الله بالحسنى عمله، وبلّغه في الدّارين أمله، إنّه وليّ ذلك.

---

(١) «ألف»: صلّى الله عليه وآله.

شرح الدعاء الثاني والأربعين

وكان من دعائه عليه السَّلام عند ختم القرآن

القرآن: اسم للكتاب المنزل على نبيّنا محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما أنّ التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى عليه السَّلام، والإنجيل اسم للكتاب المنزل على عيسى عليه السَّلام، والزبور اسم للكتاب المنزل على داود عليه السَّلام. وعرّف بأنّه كلام منزل للإعجاز بسورة من مثله. واختلف العلماء في لفظه:

فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتقّ، خاصّ بكلام الله، فهو غير مهموز و به قرأ ابن كثير(١).

وقال قوم: هو مشتقّ من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر. وسمّي به لقران السور والآيات والحروف فيه(٢).

وقال الفرّاء: هو مشتقّ من القرائن، لأن الآيات منه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن. وعلى القولين هو بلا همز أيضاً ونونه أصليّة(٣).

وقال الزجّاج: هذا القول سهو، والصحيح إنّ ترك الهمز فيه من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها(٤).

---

(١) روح المعاني: ج١ ص٨.　(٢) تفسير روح المعاني: ج١ ص٨.

(٣) و(٤) تهذيب الأسماء واللغات:الجزء الثاني من القسم الثاني ص٨٤.

....

واختلف القائلون بأنّه مهموز، فقال قوم منهم اللحيّاني: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران، سمّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر(١).

وقال آخرون منهم الزجّاج: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض، أي جمعته(٢).

قال أبو عبيدة: وسمّي بذلك لأنّه جمع السور بعضها إلى بعض(٣).

وقال الراغب: لايقال لكل جمع قرآن، ولا لجمع كل كلام قرآن. قال: وإنما سمّي قرآنا، لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة، وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها(٤).

وحكى قطرب قولاً: إنه إنّما سمّي قرآناً، لأن القارئ يظهره ويبيّنه من فيه، أخذاً من قول العرب ماقرأت النّاقة سلى قط أي مارمت بولد أي ماأسقطت ولداً، أي ماحملت قط(٥) والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه، فسميّ قرآناً.

قال الجاحظ: سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمّى جملته قرآناً كما سمّوا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية(٦). إنتهى.

وللقرآن أسماء أخر سيأتي ذكرها في صدر الدعاء، واشتهر تسميته بالمصحف.

قال في القاموس: المصحف -مثلّثة الميم- من أصحف -بالضمّ- أي جعلت فيه

---

(١) تفسير روح المعاني: ج١ ص٨.

(٢) تفسير روح المعاني: ج١ ص٨ نقلاً عنه.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١ ص ١ - ٢ (الطبعة الاولى سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م) بمصر.

(٤) المفردات: ص٤٠٢.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الثاني من القسم الثاني ص٨٤.

(٦) تهذيب الاسماء واللغات للنووي: الجزء الثاني عن القسم الثاني ص ٨٤.

....

الصحف(١).

وقال الراغب: المصحف ماجعل جامعاً للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف(٢).

وقال الفيّوميّ: ضمّ الميم أشهر من كسرها(٣)، ولم يذكر الفتح.

وفي المقام مسائل:

الأولى: قال الشيخ أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ قدّس سرّه في كتاب الاعتقاد(٤) مانصّه:

إعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مابين الدّفتين، وهو مافي أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك. ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أنّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ولإيلاف وألم تركيفُ سورة واحدة، ومن نسب إلينا بأنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب(٥)، إنتهى.

وقال أمين الإسلام الطبرسيّ: أمّا الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانه، وأمّا النقصان منه فقد روى بعض أصحابنا وقوم من حشويّة العامّة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدّس الله روحه، وذكر أنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مجموعاً مؤلفاً على ماهو الآن عليه، واستدلّ على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتّى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له،

(١) القاموس المحيط: ج٣، ص١٦١.

(٢) المفردات: ص٢٧٥.

(٣) المصباح المنير: ص ٤٥٦.

(٤) هكذا في الاصل. والصحيح الاعتقادات.

(٥) الاعتقادات (للصدوق ره): في ضمن شرح باب الحادي عشر: ص٩٣.

....

وأنّه كان يعرض على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويتلى عليه، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيّ عليه السَّلام عدّة ختمات. وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتباً، غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف في ذلك من الأماميّة والحشويّة لايعتد بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحتها، لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته(١). إنتهى.

وقال بعض المتأخرين من أصحابنا: إسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى، كما يظهر لمن تأمّل في كتب الأحاديث من أوّلها إلى آخرها، ودلّت الأخبار على وجود مصحف غير هذا المشهور بين الناس، وهو موجود عند أهله، والظاهر إنّا مأمورين بقراءة مافي هذا القرآن ولايجوز لنا الزيادة على مافيه بما ورد في بعض الروايات أنّه اسقط منه(٢). إنتهى.

وأما العامّة فرووا أخباراً كثيرة في وقوع النقصان من القرآن، فمن ذلك مارواه أبوعبيد بسنده عن ابن عمر، قال: لايقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّه، وما يدريه ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير. ولكن ليقل قد أخذت منه ماظهر(٣).

وبسنده عن عائشة قالت كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبيّ صلّى الله عليه وآله مائتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا ما على ماهو الآن(٤).

وبسنده عن زر بن حبيش قال: قال لي أُبي بن كعب: كائن تعدّ سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وستين آية، أو ثلاثاً وستين آية قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة(٥).

---

(١) مجمع البيان: ج١ و ٢ ص١٥.
(٢) التبيان: ج١ ص٣.
(٣) البيان في تفسير القرآن: ص ٢٢٠ - ٢٢١.
(٤) و (٥) تفسير روح المعاني: ج٢١ ص ١٤٢ مع اختلاف.

....

وروى السيوطيّ في الدر المنثور، ومنه نقلت قال: أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يَا أَيُّهَا الرَّسول بلغ ما أُنزل إليك من ربّك إنّ عليّاً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس(١).

والروايات من طرقهم في هذا المعنى كثيرة جداً، لكنّهم أجمعوا على ماتضمّنته هذه المصاحف المشهورة بين الناس، وترك ماخالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأُخرى ممّا لم يثبت ثبوتاً مستفيضاً أنّه من القرآن. والله أعلم.

الثانية: اتّفقت العامّة على أن القرآن نزل على سبعة أحرف، ورووا في ذلك حديثاً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ(٢). ونصّ أبو عبيدة على تواتره(٣). واختلفوا في معناه على نحو أربعين قولاً:

أحدها: أنّه من المشكل الذي لايدرى معناه، لأنّ الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة(٤).

وقال أبو شامة: ظنّ قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أُريدت في الحديث. وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل(٥).

وقال محمّد بن أبي الصفرة: القراءات السبع التي يقرأها الناس، إنّما هو حرف واحد من تلك الأحرف السبعة(٦).

---

(١) الدرّ المنثور: ج٢، ص٢٩٨.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص ١٢، تفسير الطبري ج١ ص١١.

(٣) تفسير روح المعاني، ج١ ص٢٠.

(٤) تفسير روح المعاني: ج١ ص٢٠.

(٥) نقله عنه السيوطي في الاتقان: ج١ ص٢٧٤. ط أمير

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ج١ ص٤٦.

....

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن، أو صحيح عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام: إنّ الناس يقولون إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد(١).

وروى بسنده عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة(٢).

قال بعض أصحابنا: دلّ هذا الحديث على أنّ ذلك الحرف الواحد المنزل التبس بغيره على الأُمة لأجل اختلاف الرواة، فيجوز لهم القراءة بأحد هذه القرآءات المشهورة، حتّى يظهر الأمر، كما دلّ عليه حديث سفيان بن السمط قال: سألت أباعبدالله عليه السَّلام عن تنزيل القرآن قال: اقرأوا كما علّمتم(٣).

وحديث سالم بن سلمة عنه عليه السَّلام: إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فاذا قام القائم قرأ كتاب الله عزّوجلّ على حدّه(٤).

والرواية عن أبي الحسن عليه السَّلام: اقرؤا كما تعلّمتم فسيجيئكم من يعلّمكم(٥).

وقال أمين الأسلام الطبرسيّ: الظاهر من مذهب الأماميّة أنّهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء بينهم من القراءات، إلّا أنّهم اختاروا القراءة بما جاز بين القرّاء وكرهوا تجريد قراءة مفردة. والشائع بينهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد(٦) إنتهى.

الثالثة: روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن محمّد بن عبدالله قال: قلت لأبي عبدالله عليه السَّلام أقرا القرآن في ليلة؟ قال: لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر(٧).

وبسنده عن عليّ بن أبي حمزة قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السَّلام فقال له

(١) الكافي: ج٢، ص٦٣٠، ح١٣.
(٢) لكافي: ج٢، ص٦٣٠، ح١٢.
(٣) الكافي: ج٢ ص٦٣١ ح١٥.
(٤) الكافي: ج٢ ص٦٣٣ ح٢٣.
(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢١ ح٢.
(٦) مجمع البيان: ج١، ص١٢.
(٧) الكافي: ج٢، ص٦١٧، ح١.

....

أبوبصير: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا. قال: ففي ليلتين؟ قال: لا، قال: ففي ثلاث؟ قال: ها، وأشار بيده. ثمّ قال: يا أبامحمّد، إنّ لرمضان حقاً وحرمة لايشبهه شيء من الشهور، وكان أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يقرأون(١) القرآن في شهر أو أقل. إنّ القرآن لايقرأ هذرمة، ولكن يرتلّ ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فقف عندها واسأل الله الجنّة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوّذ بالله من النار(٢).

قال الجوهريّ: الهذرمة: السرعة في القراءة(٣).

وقال الزمخشري: هي السرعة في الكلام والمشي(٤).

الرابعة: روى ثقة الأسلام في الكافي بسنده عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: وقد روي هذا الحديث عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: من استمع حرفاً من كتاب الله العزيز من غير قراءة، كتب الله عزّوجلّ له به حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة. ومن قرأه نظراً من غير صلاة، كتب الله له بكل حرف حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة. ومن تعلّم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات. قال: لا أقول بكل آية، ولكن بكل حرف باء أو تاء أو شبههما. قال: ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاته، كتب الله له به خمسين حسنة، ومحا عنه خمسين سيئة، ورفع له خمسين درجة. ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاة كتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، ورفع له مائة درجة. ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة. قال: قلت جعلت فداك ختمه كله؟ قال: ختمه كله(٥).

---

(١) وفي المصدر: يقرأ أحدهم.
(٢) الكافي: ج٢، ص٦١٧، ح٢.
(٣) الصحاح: ج٥، ص٢٠٥٧.
(٤) الفائق في غريب الحديث: ج٤ ص٩٩.
(٥) الكافي: ج٢، ص٦١٢، ج٦.

....

وعن الحسين بن علي عليهما السَّلام قال: من قرأ آية من كتاب الله عزّوجلّ في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإن قرائها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات وإن استمع القرآن كتب الله له بكلّ حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتّى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلّت عليه الحفظة حتّى يمسي، وكانت له دعوة مجابة، وكان خيراً له ممّا بين السّماء(١) والأرض(٢).

وعن أبي جعفر عليه السَّلام قال: من ختم القرآن بمكّة من جمعة إلى جمعة، أو أقلّ من ذلك أو أكثر، وختمه في يوم جمعة كتب له من الأجر والحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة يكون فيها. وإن ختمه في سائر الأيّام فكذلك(٣).

الخامسة: روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن الزهريّ قال: قلت لعليّ بن الحسين عليهما السَّلام: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: الحالّ المرتحل، قلت: وما الحالّ المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه كلّما جاء بأوّله ارتحل في آخره، أي عمل الحالّ المرتحل(٤)، فالكلام على حذف مضاف.

وروت العامة هذا الحديث بعدّة طرق ومتون مختلفة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله.

فعن ابن عبّاس أن رجلاً قال: يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل؟ قال: عليك بالحالّ المرتحل، قال وما الحالّ المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه، صاحب القرآن يضرب من أوّله إلى آخره، ومن آخره إلى أوّله، كلّما حلّ ارتحل(٥).

وعن أبي هريرة إن رجلاً قام إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: يارسول الله:

---

(١) «ألف»: إلى الأرض.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦١١ ح٣.

(٣) الكافي: ج٢، ص٦١٢، ح٤.

(٤) الكافي: ج٢، ص٦٠٥، ح٧.

(٥) النشر في القراءات العشر: ج٢ ص٤٤٥.

....

أيُّ الأعمال أحبُّ الى الله؟ قال: الحالّ المرتحل، فقال: يارسول الله؛ وما الحالّ المرتحل؟ قال صاحب القرآن يضرب من أوّله إلى آخره، ومن آخره إلى أوّله كلّما حلّ ارتحل(١).

وعن زيد بن أسلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سئل: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: الحالّ المرتحل(٢).

قال ابن قتيبة: الحالّ: هو الخاتم للقرآن شبّه برجل سافر، فسار حتّى إذا بلغ المنزل حلّ به. كذلك تالي القرآن يتلوه حتّى إذا بلغ آخره وقف عنده. والمرتحل: المفتتح للقرآن، شبّه بالمرتحل أراد سفراً فافتتحه بالمسير(٣).

وقال الزمخشريّ في الفائق: أراد بالحالّ المرتحل المواصل لتلاوة القرآن الذي يختتمه ثم يفتتحه، شبّهه بالمسفار الذي لايقدم على أهله فيحلّ الّا أنشأ سفراً آخر فارتحل(٤).

وأخرج الداني بسنده عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان إذا قرأ قل أعوذ بربِّ الناس افتتح من الحمد، ثمّ قرأ من البقرة إلى «وأُولئك هم المفلحون»، ثمّ دعا بدعاء الختمة، ثمّ قام(٥).

قال الشيخ شمس الدين محمّد بن محمّد بن الجزريّ: وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين، حتّى لايكاد واحد يختم ختمة إلّا وشرع في الأُخرى، سواء ختم ماشرع فيه أو لم يختمه، نوى ختمها أو لم ينوه، بل جعل ذلك عندهم من سنّة الختم، ويسمّون من يفعل هذا الحالّ المرتحل، أي الذي يحلّ في قراءته آخر الختمة وارتحل إلى ختمة أُخرى.

وعكس بعض أصحابنا هذا التفسير كالسخاويّ وغيره فقالوا: الحالّ المرتحل

---

(١) و (٢) النشر في القراءات العشر: ج٢ ص٤٤٧.
(٣) النشر في القراءات العشر: ج٢ ص٤٤٧-٤٤٨.
(٤) الفائق في غريب الحديث: ج١ ص٣٠٨.
(٥) النشر في القراءات العشر: ج٢ ص٤٤٤.

....

الذي يحلّ في ختمه عند فراغه من أُخرى. والأوّل أظهر وهو الذي يدلّ عليه تفسير الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أفضل الأعمال الحالّ المرتحل(١). إنتهى كلام ابن الجزري.

قلت: تفسير السخاويّ وغيره أوفق(٢) بالحديث المرويّ عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام كما لايخفى. وحاول بعض الأصحاب تطبيقه على التفسير الأوّل، فقال: كأنّ قوله عليه السّلام في آخره ظرف للانتقال منه إلى أوّله، ولو كانت في بمعنى من لكان أظهر. والله أعلم.

السادسة: لاريب في استحباب الدعاء عند قراءة القرآن، وعند ختمه، كما وردت به روايات عن أرباب العصمة عليهم السّلام.

أمّا الدعاء عند قراءته فعقد له ثقة الإسلام في الكافي باباً وذكر فيه دعاء طويلاً قال: كان أبوعبدالله عليه السّلام يدعو به عند قراءة كتاب الله عزّوجلّ(٣).

وذكر السيّد عليّ بن طاووس بّرد الله مضجعه في كتاب الإقبال قال: روينا بإسنادنا إلى يونس بن عبدالرحمن، عن عليّ بن ميمون الصائغ أبي الأكراد، عن أبي عبدالله عليه السّلام أنه كان من دعائه إذا أخذ مصحف القرآن الجامع قبل أن يقرأ القرآن، وقبل أن ينشره، يقول حين يأخذ(٤) بيمينه: بسم الله، اللّهمّ إني أشهد أنّ هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله، وكتابك الناطق على لسان رسولك، وفيه حكمك وشرائع دينك، أنزلته على نبيّك، وجعلته عهداً منك إلى خلقك، وحبلاً متّصلاً فيما بينك وبين عبادك. اللهمّ إنّي نشرت عهدك وكتابك، اللهمّ فاجعل نظري عبادة، وقراءتي تفكّراً، وفكري اعتباراً، واجعلني ممن أتعظ ببيان مواعظك فيه، وأجتنب معاصيك، ولا تطبع عند

---

(١) النشر في القراءات العشر: ج٢ ص٤٤٤.

(٢) «ألف»: أوثق.

(٣) الكافي: ج٢، ص٥٧٣، ح١.

(٤) «ألف»: يأخذه.

....

قراءتي كتابك على قلبي، ولا على سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوة، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبّر فيها، بل اجعلني أتدبّر آياته وأحكامه، آخذاً بشرائع دينك، ولاتجعل نظري فيه غفلة، ولا قراءتي هذرمة، إنّك أنت الرؤوف الرحيم(١).

وأما الدّعاء عند ختمه فوردت به روايات من طرق العامة والخاصّة.

أما من طرق العامّة فأحسنها مارواه فخرخوارزم الموفّق بن أحمد أبو المؤيّد في كتاب المناقب، بسنده المتّصل عن عاصم، عن زرّبن حبيش قال: قرأت القرآن من أوّله إلى آخره، في مسجد الجامع بالكوفة، على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فلمّا بلغت الحواميم قال لي: قد بلغت عرائس القرآن، فلمّا بلغت رأس العشرين من «حم عسق» و «الذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير» بكى حتى ارتفع نحيبه، ثمَّ رفع رأسه إلى السماء وقال: يازرّ امّن على دعائي ثم قال: «اللهمَّ إني أسالك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل برٍّ، والسلامة من كل إثم، ووجوب رحمتك، وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنّة، والنجاة من النار». يازرّ إذا ختمت فادعُ بهذا فإنّ حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمرني أن أدعوهنّ عند ختم القرآن(٢).

وأمّا من طرق الخاصة فأشهرها دعاء الصحيفة الكاملة الذي نحن بصدد شرحه.

وذكر السيّد عليّ بن طاووس قدّس الله روحه(٣) باسناده المتقدم عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه كان يقول عند الفراغ من قراءة بعض القرآن العظيم: اللهمَّ إنّي قرأت ماقضيت من كتابك الذي أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه

---

(١) الإقبال: ص١١٠.

(٢) المناقب للخوارزميّ: ص٤٣.

(٣) «ألف»: قدّس الله سرّه.

....

ورحمتك ، فلك الحمد ربّنا، ولك الشكر والمنّة على ماقدّرت ووفّقت. اللهمَّ اجعلني ممّن يحلّ حلالك ، ويحرّم حرامك ، ويجتنب معاصيك ، ويؤمن بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، واجعله لي شفاء ورحمة، وحرزاً وذخراً. اللهمَّ اجعله لي أُنساً في قبري، وأُنساً في حشري، وأُنساً في نشري، واجعل لي بركة بكل آية قرأتها، وارفع لي بكل حرف درسته درجة في أعلى عليّين، آمين ياربِّ العالمين، اللهمَّ صلّى على محمَّد نبيّك وصفيّك ، ونجيبك ودليلك (١)، والداعي إلى سبيلك ، وعلى أمير المؤمنين وليّك وخليفتك من بعد رسولك ، وعلى أوصيائهما المستحفظين دينك (٢)، المستودعين حقك ، وعليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته(٣).

السابعة: القراءة في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب، لأنّ النظر فيه عبادة مطلوبة.

روى ثقة الإسلام في الكافي، بسنده عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السَّلام قال: قلت له: جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن على ظهر قلبي، فأقرأه على ظهر قلبي أفضل، أو أنظر في المصحف؟ قال: فقال لي: بل اقرأه، وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة(٤).

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام: من قرأ في المصحف مُتع ببصره، وخفّف على والديه، وإن كانا كافرين(٥).

الثامنة: لابأس بتكرير الآية وترديدها فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قام بآية يردّدها حتى أصبح «إن تعذبهم فإنهم عبادك »(٦) الآية.

---

(١) «ألف»: ووليّك.

(٢) «ألف»: بدينك.

(٣) الإقبال: ص ١١٢.

(٤) الكافي: ج٢ ص٦١٣ - ٦١٤، ح٥.

(٥) الكافي: ج٢، ص٦١٣، ح١.

(٦) الدر المنثور: ج٢، ص٣٥٠.

....

وعن الزهريّ: كان عليّ بن الحسين عليهما السَّلام إذا قرأ «مالك يوم الدين» يكرّرها حتى كاد أن يموت(١).

وروي عن الصادق عليه السَّلام أنّه كان يصلّي في بعض الأيام، فخرَّ مغشيّاً عليه في أثناء الصلاة، فسئل عن ذلك فقال: مازلت أُردّد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها(٢).

قال بعض العارفين: إنّ لسان الصادق عليه السَّلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور عند قوله: «إنّني أنا الله»(٣).

التاسعة: يستحب التوسّط في القراءة بين الإخفاء والجهر، كما قال تعالى: «وَلا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً»(٤).

فعن الصادق عليه السَّلام: الجهر: رفع الصوت عاليا، والمخافتة: مالم تُسمع نفسك(٥).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السَّلام إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان، فقال: إنّما ترائي. بهذا أهلك والناس، قال: يا أبا محمّد؛ اقرأ قراءة مابين القراءتين تسمع أهلك، ورجّع بالقرآن صوتك فإنّ الله عزّوجلّ يحبّ الصوت الحسن، يرجّع ترجيعاً(٦).

العاشرة: يستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لايقدر عليه، والحزن والخشوع. قال تعالى: «ويخُرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً»(٧).

وعن أبي عبدالله عليه السَّلام: «إنّ القرآن نزل بالحزن، فاقرأوه بالحزن»(٨).

وعن حفص بن غياث: مارأيت أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٠٢، ح١٣.

(٢) فلاح السائل لابن طاووس: ص١٠٣ - ١٠٤.

(٣) طه: الآية ١٤.

(٤) الاسراء: الآية ١١٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج٤، ص٧٧٤، ح٦.

(٦) الكافي: ج٢، ص٦١٦، ح١٣.

(٧) الإسراء: الآية ١٠٩.

(٨) الكافي: ج٢، ص٦١٤، ح٢.

....

عليهما السَّلام، ولا أرجأ للناس منه، وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنساناً(١).

الحادية عشرة: يسنّ الترتيل في قراءة القرآن قال تعالى: «ورتِّل القُرآن ترتيلاً»(٢).

روى ثقة الأسلام بسنده عن عبدالله بن سليمان قال: سألت أباعبدالله عليه السَّلام عن قول الله عزّوجلّ «ورتِّل القرآن ترتيلاً» قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: بيّنه تبياناً، ولا تهذّه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكون همّ أحدكم آخر السّورة(٣).

وعن أمّ سلمة رضي الله عنها: أنها نعتت قراءة النبيّ صلّى الله عليه وآله قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً(٤).

واعلم أنّه لاخلاف بين العلماء: أنّ هذّ القراءة وهو الإسراع فيها، إذا أفضى إلى لفّ الكلمات، وعدم إقامة الحروف، لايجوز لأنّـه لحن. وأما بعد إقامتها فالأفضل عندنا وعند أكثر العامّة الترتيل.

قال في شرح المهذّب: واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع. قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل. قالوا: واستحباب الترتيل للتدبّر، ولأنّه أقرب الى الإجلال والتوقير، وأشدّ تأثيراً في القلب. ولهذا يستحبّ للأعجميّ الذي لايفهم معناه(٥). إنتهى.

قال بعضهم: وكمال الترتيل تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، وأن لايُدغم حرفاً في حرف.

وقيل: هذا أقلّه، وأكمله أن يقرأه على منازله، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٠٦، ح١٠.

(٢) سورة المزمل: الآية ٤.

(٣) الكافي: ج٢، ص٦١٤، ح١.

(٤) سنن الترمذي: ج٥ ص١٨٢ ح٢٩٢٣.

(٥) شرح المهذّب: ج٢ ص١٦٥.

....

المتهدّد، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم.

الثانية عشرة: يستحبّ تحسين الصوت بالقراءة، كما وردت به أخبار كثيرة من طرق العامّة والخاصّة.

قال السيوطيّ في الإتقان: أخرج البزّاز وغيره حديث «حسن الصوت زينة القرآن» وفيه أحاديث صحيحة كثيرة(١). إنتهى.

وروى ثقة الأسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله لكلّ شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن(٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنّه سيجيء من بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانيّة، لايجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم(٣).

وعنه عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليه أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاءون يمرّون، فيقفون ببابه يسمعون قراءته(٤).

وعن عليّ بن محمّد النوفليّ، عن أبي الحسن عليه السّلام قال: ذكرت الصوت عنده فقال: إنّ عليّ بن الحسين عليه السّلام كان يقرأ فربّما مرّ به المارّ فيصعق من حسن صوته، وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله النّاس، قلت: ولم يكن رسول الله صلّى الله عليه وآله يصلّي ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يُحمّل الناس من خلفه مايطيقون(٥).

وقد تقدم في الفائدة التاسعة قول أبي جعفر عليه السّلام لأبي بصير: رجّع بالقرآن صوتك فإنّ الله عزّوجلّ يحبّ الصوت الحسن يرجّع ترجيعاً(٦).

---

(١) الاتقان: ج١ ص١٠٧.
(٢) الكافي: ج٢، ص٦١٥، ح٩.
(٣) الكافي: ج٢، ص٦١٤، ح٣.
(٤) الكافي: ج٢، ص٦١٦، ح١١.
(٥) الكافي: ج٢، ص٦١٥، ح٤.
(٦) الكافي: ج٢ ص٦١٦، ح١٣.

....

واعلم أنّ المراد بتحسين الصوت، وترجيعه والتغني به في القرآن هو تجويد اللفظ، وتقويم الحروف، وحسن الأداء، وتلطيف النطق بالحرف على حال صيغته وكمال هيئته، من غير إسرافٍ ولا تعسّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلّفٍ، ولا تمطيطٍ له كما يفعله أهل الفسق وأرباب الألحان الموسيقيّة، فإنّ ذلك حرام يفسق به القارئ، ويأثم المستمع بإجماع المحقّقين من الفريقين، ولا رخصة فيه بوجه، كما نصّ عليه قوله عليه السَّلام: «وإيّاكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر»(١) الحديث المتقدّم ذكره، ومن ظنّ، أو اعتقد غير ذلك فليتّهم فهمه.

قال خاتمة القراء شمس الدين بن الجزريّ: جرت سنّة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن متجوداً مصحححاً أن تلتذّ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتّى يكاد أن يسلب العقول، ويأخذ بالألباب، بسرّ من أسرار الله يودعه من يشاء من خلقه. ولقد أدركنا من شيوخنا من ليس له حسن صوت، ولا دريّة له بالألحان، إلّا أنّه كان جيّد الأداء، قيّماً بالألفاظ فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يجتمعون عليه، ويزدحمون على الاستماع إليه أُمم من الخواصّ والعوامّ، يشترك في ذلك من يعرف العربيّ، ومن لا يعرفه من سائر الأنام، مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التجويد والإتقان، وأخبرني جماعة من شيوخي وغيرهم أخباراً بلغ التواتر عن شيخهم الإمام تقيّ الدين محمّد بن أحمد الصائغ المصري، وكان أُستاذاً في حسن الأداء، وتجويد القراءة أنّه قرأ يوماً في صلاة الصبح «وتَفقَّد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد»(٢) الآية، وكرّر هذه الآية فنزل طائر فوقع على رأس الشيخ يستمع قراءته حتى أكملها، فنظروا إليه، فإذا هو هدهد(٣). إنتهى.

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦١٤ ح٣.
(٢) سورة النمل: الآية ٢٠.
(٣) النشر في القرآت العشر: ج١ ص٢١٢ - ٢١٣.

اللّهمَّ إنَّكَ أعنتني عَلى خَتْم كِتَابِكَ الَّذي أنزَلْتَهُ نوراً، وَجَعلْتَهُ مُهيْمِناً عَلى كُلِّ كِتَابٍ أنزَلْتَهُ، وَفضَّلْتَهُ عَلى كُلِّ حَدِيْثٍ قَصصْتَهُ، وَفُرْقَاناً فَرقتَ بَيْنَ حَلالِكَ وَحَرامِكَ، وقُرْآناً أعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرائعِ أحْكَامِكَ، وَكِتَاباً فَصَّلْتَهُ لِعبَادِكَ تَفصِيلاً، وَوحْياً أنزَلْتَهُ عَلى نَبيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَليْهِ وآلِهِ تَنْزيلاً،

تتمّة

يكره كتابة القرآن بماء الذهب لحديث محمّد الورّاق الكوفيّ قال: عرضت على أبي عبدالله عليه السّلام كتاباً فيه قرآن مختّم معشّر بالذهب، وكتبت في آخره سورة بالذهب، فأريته إيّاه، فلم يُعِبْ فيه شيئاً إلّا كتابة القرآن بالذهب، وقال: لايعجبني أن يكتب القرآن إلّا بالسّواد، كماكتب أوّل مرّة(١). أخرجه ثقة الإسلام في الكافي.

وهذا حين نشرع في المقصود من شرح الدعاء.

قال صلوات الله وسلامه عليه(٢):

إعانة الله تعالى: عبارة عن توفيقه وإعداده سبحانه لعبده أن يتحرّىٰ مافيه رضاه من طاعاته، والقيام بها كما وفّقه عليه السّلام لختم كتابه، وهوقراءته جميعه من أوّله إلى آخره.

والكتاب: إمّا مصدر سُمّي به المفعول مبالغة كالخلق للمخلوق، وإمّا فعال بُنِيَ للمفعول كاللّباس، وهومن الكتب الذي هوضمّ الحروف بعضها إلى بعض وأصله الجمع والضمّ في الأشياء الظاهرة للحس البصري. ومنه: الكتيبة للعسكر، وإطلاق الكتاب على المنظوم عبارة، لما أنّ ماله الكتابة.

والنزول: انتقال من علوّ إلى سفل. يقال: نزل نزولاً ـ من باب ضرب ـ

(١) الكافي: ج٢، ص٦٢٩، ح٨.

(٢) أي أوّل الدعاء.

....

ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أنزلته إنزالاً ونزّلته تنزيلاً. وأمّا تعديته بالباء فلا يقال: نزل به إلّا إذا كان مصاحباً له في النزول. ولهذا لايقال «نزل الله بالقرآن» مثلاً كما يقال: «أنزل الله بالقرآن، ونزّله»، وقال تعالى «نزل به الروح الأمين»(١).

فما وقع للفيّوميّ في المصباح -من قوله: يتعدى بالحروف والهمزة والتضعيف، فيقال: نزل به وأنزلته ونزلته(٢)- غير صواب لإيهامه تساوي التعدية بالوجوه الثلاثة، وليس كذلك لما عرفت. وسيأتي بيان الفرق بين الإنزال والتنزيل(٣).

قال شيخنا البهائيّ قدّس سرّه: ووصف الكتاب بمعنى القرآن بالنزول والإنزال الذي لايتصف به إلّا المتحيّز بالذات دون الأعراض، وسيّما الغير القارات كالأصوات، إنّما هو بتبعيّة(٤) محلّه سواء أُخذ حروفاً ملفوظة أو معاني محفوظة، وهو الملك الذي يتلقّف الكلام من جناب الملك العلام تلقّفاً سماعيّاً، أو يتلقّاه تلقيّا روحانيّا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ، ثمّ ينزل به على الرسول صلّى الله عليه وآله. وأنت خبير بأنّ هذا إنّما يتمشّى على القول بجسميّة الملآئكة، كما هو مذهب الأكثرين.

وأمّا على القول بتجرّدهم كما أطبق الحكماء عليه، وذهب بعض علماء أهل الإسلام إليه فلا. اللهمّ إلّا أن يسمّى ظهورهم للأنبياء عليهم السَّلام في صورة الماديّات نزولاً، تشبيهاً للنزول العقليّ المرئيّ، بالحسّ المكاني، فيكون قولنا نزل الملك استعارة تبعيّة(٥). إنتهى.

وقوله عليه السَّلام: «نوراً» نصب على الحال من الضمير العائد إلى الكتاب، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في سورة النساء: «وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً»(٦)، قيل:

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٩٣. (٢) المصباح المنير: ص ٨٢٤. (٣) «ألف» التنزيل عرفاً.

(٤) «ألف» تبعية. (٥) راجع العروة الوثقى للشيخ البهائي: ص٣٨٧، بالمعنى ولم نجد مانص عليه المصنف

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٤.

....

لأنّـه سبـب وقوع نـور الإيمـان في القـلب. وقـيل: لأنّـه يدرك به غـوامض الحلال والحرام.

وقال الراغب: الـنـور: الضـوء المـنتشر الذي يعين على الأبصـار، وهـو ضـربان دنيويّ وأُخرويّ: فالـدنيوي: ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ماانتشر من الأنوار الألهيّـة كنور العقـل، ونور الـقرآن ومنه: «قد جـاء كم مـن الله نورٌ» ومحسوس بعين البصر وهـو ماانتشر مـن الأجسام النـيّرة كالقـمرين والـنجوم النـيّرات، ومنـه «هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً». ومن النورِ الأُخرويّ قوله تعالى: «يسعى نورهم بين أيديهم»(١) إنتهى.

وفي المهيمن: خـلاف. قال الخليل وأبـوعبيدة: هو اسـم فاعل من هيـمن على كذا، يهيمن أي صار رقيباً عليه وحافظاً(٢).

وقال الزمخشريّ المهيمن: الرقيب على كلّ شيء، الحافظ له، مفيعل من الأمن إلّا أنّ همزته قلبت هاء(٣).

قال صاحب الـكشـف: وتحقيقـه أنّ أيمـن على فيعل مـبـالغة أمن مـن الـعدو، والزيادة في الياء. وإذا قـلت: أمـن الراعي الذئب على الغنم، مثـلاً دلّ على كمال حفظـه ورقيبه. فالله آمن كلّ شيء سـواء على خلقه وملـكه، لإحاطة علـمه وكمال قدرته، ثم استـعمـل مجـرّد الدلالة بمعنى الرقيب والحـفيظ على الشيء مـن غير ذكر المفعول للـمبالغة في كمال الحفظ وهو أولى من جعله من الأمانة نظراً إلى أنّ الأمين على الشيء حافظ له إذ لاينبئ من المبالغة ولا عن شمول العلم والقدرة.

وجعله الجوهري مـن آمـن غيـره من الخوف قال: وأصلـه أأمن فـهو مـا أأمن بهمزتين فليّـنت(٤) الهمزة الثـانية كراهة لاجتماعهما فصار مايمن، ثم صيّرت الأُولى هاء كما قالوا: هراق الماء وأراقه كـأنّه تعالى: يحفظـه إيّاهـم صيّرهم آمنين، وحرف

---

(١) المفردات: ص ٥٠٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٩ ص٢٩٣.

(٣) تفسير الكشّاف: ج٤، ص٥٠٩.

(٤) «ألف»: قلّبت.

....

الإستعلاء لتضمين معنى الإطلاع ونحوه، وأنت تعلم أن الإشتقاق على ماذكره العلّامة أولى والخروج من القياس فيه أقل(١) إنتهى.

وفي الدعاء تلميح إلى قوله تعالى في المائدة: «وأنزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لمابين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه»(٢).

قال في الكشّاف: التعريف في الكتاب الأول للعهد لأنه عنى به القرآن، وفي الثاني للجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزّلة، ويجوز أن يقال: هو للعهد لأنّه لم يرد به مايقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنّما أُريد نوع معلوم منه وهوما أُنزل من السماء سوى القرآن، ومهيمناً: أي رقيبا على سائر الكتب لأنّه يشهد لها بالصّحة والثبات(٣)إنتهى.

وقال العمادي: مهيمنا عليه أي رقيبا على الكتب المحفوظة عن التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات. ويقرر أصول شرائعها وما يتأبّد من فروعها ويعيّن أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيّتها المستفادة من تلك الكتب، وإنقضاء وقت العمل بها، ولا ريب في تميز أحكامها الباقية على المشروعيّة أبداً عمّا إنتهى وقت مشروعيّته وخرج عنها من أحكامه كونه مهيمنًا عليه(٤) إنتهى.

وفضّلته على غيره تفضيلاً: صيّرته أفضل منه أو حكمت واعتقدت بأنّه أفضل منه، وتفضيل(٥) القرآن على غيره وقع منه تعالى بالمعنيين كما سنبيّنه.

والحديث: ضدّ القديم، يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنّه يحدث شيئاً فشيئاً.

قال الراغب: يقال لكلّ ماقرب عهده: حديث فعالا كان أو مقالا، وكل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته ومنامه يقال له حديث،

---

(١) لم نتحقّقه.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٣) تفسير الكشاف: ج١، ص٦٣٩ - ٦٤٠.
(٤) تفسير أبي السعود: ج٣ ص٤٥.
(٥) «ألف»: تفضّل.

....

وسمّى تعالى كتابه حديثاً فقال: «فليأتوا بحديث مثله» وقال تعالى: «أفمن هذا الحديث تعجبون»(١).

وقصصت الحديث قصّا: حدّثته على وجهه وأخبرت به كما هو، من قصّ أثره إذا تبعه لأنّ من يقصّ الحديث يتبع ماحفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال: تلا القرآن لأنه يتبع ماحفظ منه آية بعد آية.

وفي هذه الفقرة من الدّعاء تلميح إلى قوله تعالى في الزمر: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً»(٢) الآية، وقوله في يوسف «نحن نقصّ عليك أحسن القصص»(٣).

قال النظام النيسابوري: ووجه كونه أحسن الحديث لفظاً ومعنى ممّا لايخفى على ذي طبع فضلا عن ذي لب(٤).

وقال العلاّمة الطبرسي: هو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع مايحتاج المكلّف إليه من التنبيه على أدلّة التوحيد والعدل وبيان أحكام الشرع وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء والترغيب والترهيب(٥).

وقيل: سمّي القرآن أحسن القصص لأنّه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الألفاظ مع التلاؤم المنافي للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل.

وقيل: لأنّ فيه ذكر أخبار الأمم الماضية، وأخبار الكائنات الآتية، وجميع مايحتاج إليه العباد إلى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في أحسن نظم وترتيب(٦) انتهى.

---

(١) المفردات: ص١١٠.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٣ ذيل الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٥) مجمع البيان: ج٧ - ٨، ص٤٩٥.

(٦) مجمع البيان: ج٥ - ٦ ص٢٠٧.

....

فظهر إنّه سبحانه فضّل القرآن على كل حديث قصّه بأن حكم بأنّه أحسن الحديث وأحسن القصص وفضّله بما خصّه به من المزايا والفضائل المذكورة التي إقتضت كونه أحسن من كل حديث وقصص.

والفرقان: قيل: في الاصل، مصدر فرقت بين الشيئين فرقاً وفرقاناً من باب -قتل- أي فصلت ثم اطلق على الفاعل مبالغة فهو بمعنى الفارق.

وقال الراغب: الفرقان: أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحقّ والباطل، وتقديره كتقدير رجل قنعان يقنع به في الحكم، وهو اسم لامصدر فيما قيل والفرق: يستعمل في ذلك، وفي غيره. والفرقان: كلام الله لفرقه بين الحقّ والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال والصالح والطالح في الأعمال(١) إنتهى.

والفرق بين الشيئين قد يكون مدركاً بالبصر كالفرق بين النور والظلمة، وقد يكون مدركاً بالبصيرة كالفرق بين الحقّ والباطل والحلال والحرام.

وحلال الله تعالى: ما أطلق فعله، وحرامه: ما منع منه وحكمه أن يأثم المرء بفعله ويثاب على تركه بنيّة التقرّب إلى الله تعالى فيشمل الحلال والحرام أقسام الحكم الخمسة وهي: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام ولايجوز لأحد الحكم بتحليل شيء وتحريمه إلّا ماوجده في القرآن أو أخذه من العالم به.

وفصلت الشيءتفصيلاً: جعلته فصولاً متمايزة وهو من الفصل بمعنى إبانة أحد الشيئين عن الآخر حتّى يكون بينهما فرجة، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في حم السجدة: «كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون»(٢) وفي هود: «كتاب أُحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير»(٣).

قال الزمخشري: فصّلت: أي ميّزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك(٤).

---

(١) المفردات: ص ٣٧٨.
(٢) سورة فصّلت: الآية ٣.
(٣) سورة هود: الآية ١.
(٤) تفسير الكشاف: ج٤، ص١٨٤.

....

وقال أمين الأسلام الطبرسي: وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان أي بينّت آياته بياناً تاماً.

والتبيين: قيل على وجوه منها: تبيين الواجب ممّا ليس بواجب وتبيين الاولى في الحكمة ممّا ليس باولى، وتبيين الجائز ممّا ليس بجائز، وتبيين الحق من الباطل، وتبيين الدليل على الحقّ ممّا ليس بدليل، وتبيين مايرغب فيه ممّا لايرغب فيه، وتبيين مايحذر منه ممّا لايحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه.

وقيل: فصّلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والأمثال.

وقيل: فصّلت آياته أي نظّمت على أحسن نظام وأوضح بيان(١)إنتهى.

وبالجملة فالمراد بتفصيل القرآن جعل بعضه في الواجبات وبعضه في المحرّمات وبعضه في المندوبات وبعضه في المكروهات وبعضه في المباحات وبعضه في العقوبات وبعضه في الاخلاق والآداب وبعضه في المواعظ والنصائح وبعضه في أخبار من تقدّم وأنبائهم، وبعضه في أخبار ماسيأتي، وبعضه في أحوال الجنّة ومن يدخلها، وبعضه في أحوال النار ومن يسكنها، إلى غير ذلك مع بيان كل ذلك وإيضاحه بحيث لايشتبه شيء منها بالآخر، وهذا هو معنى التفصيل كما قال تعالى: «وكلّ شيءٍ فصّلناه تفصيلاً»(٢) أي بيّناه في القرآن الكريم بياناً بليغاً لا إلتباس معه كقوله تعالى: «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ»(٣).

والوحي: الإشارة، والكتابة والكتاب والرسالة والإلهام والكلام الخفي.

قال ابن فارس: وكل ما ألقيته إلى غيرك لتعلّمه وحي(٤) وهو مصدر وحى

---

(١) مجمع البيان: ج٩ - ١٠، ص٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ج٦ ص٩٣. وفيه: «حتى علمه».

وَجَعَلْتَه نوراً نَهْتدي مِنْ ظُلَمِ الضلالَةِ والجَهالةِ باتّباعِهِ،وشفاءً لِمَنْ أنصتَ بفَهمِ التصديقِ الى استماعِهِ،وميزانَ قِسطٍ لايَحيفُ عَن الحَقِّ

اليه يحي من باب ـ وعد ـ ، وأوحى إليه بالألف مثله ثم غلب إستعماله فيما يلقى إلى الانبياء من عندالله تعالى.

وقد تقدّم الكلام على أنواعه في شرح السند فليرجع إليه.

وتنزيلاً: مصدر جار(١) غير الفعل ناب عن إنزالاً لأنّه قياس مصدر أُنزل وايثاره عليه للإشارة إلى كيفيّة إنزاله على النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو إلجاؤه إليه تدريجاً لما في التنزيل من الدلالة على التدرج والتكثير(٢) بخلاف الإنزال فإنّه أعم من أن يكون دفعة أو تدريجاً، وذلك لما روي: أنه الله تعالى أنزل القرآن دفعة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فحفظته الحفظة أو كتبته الكتبة في الصحُف ثم نزله منها إلى النبي صلّى الله عليه وآله منجمّاً موزّعاً على حسب المصالح وكفاء الحوادث(٣).

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سألته عن قول الله عزّوجلّ: «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» وانما أُنزل في عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال أبو عبدالله عليه السّلام، نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة(٤) الحديث.

وفي هذه المعنى من طرق العامة روايات كثيرة والله أعلم(*)

جعله نوراً:لكشفه ظلمات الشرك والشك وإبانته ماخفي على الناس من

---

(١) «ألف»: جاء.

(٢) «ألف»: التكثر.

(٣) الدر المنثور: ج١ ص١٨٩ وانوار التنزيل: ج١ ص١٠١ وتفسير الطبري: ج٢ ص٨٥ نقلاً بالمضمون.

(٤) الكافي: ج٢ ص ٦٢٨، ح٦.

لسانُه، ونورَ هدىً لايَطفأ عَنِ الشاهدينَ برهانُه، وعَلَمَ نجاةٍ لايضِلُّ مَنْ أمَّ قصدَ سُنّتِهِ ولا تنالُ أيدي الهلكاتِ مَنْ تعلَّقَ بعُروةِ عصْمَتِه.

الحقّ، وفرقه بين الحق والباطل وإيصاله إلى المطلوب من الحق كما أن النور الحسّي يكشف الظلمات الحسّية ويبيّن ماخفي بسببها ويفصل به بين الأشياء، ويدرك المطلوب.

والمراد بظلم الضّلالة: ظلم الكفر والانهماك في الغيّ، وبظلم الجهالة ظلم المعاصي والشبهات، وجمع الظلم لتعدّد فنون الضّلال والجهل.

وتبع زيد عمراً تبعاً من باب ـ تعب ـ وأتبعه إتّباعاً مشى خلفه ثم أستعمل في مطلق الإقتداء. وإتّباع القرآن: تلاوته والعمل به وفي الحديث: إتّبعوا القرآن ولا يتبعنّكم، قال ابن الأثير: أي اجعلوه أمامكم ثم اتلوه، وأراد لا تدعو تلاوته والعمل به فتكونوا قد جعلتموه وراءكم(١).

والشفاء: البرء من الداء والمرض، جعله شفاء لزوال الأمراض القلبيّة به كالجهل والشك والشّرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائفة الفاسدة.

قال تعالى: «قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصدور»(٢).

والإنصات: السكوت للإستماع.

يقال: نصت له ينصت من باب ـ ضرب ـ وأنصت إنصاتاً: أي سكت مستمعا.

و«الباء» من قوله: «بفهم التصديق» للملابسة أي أنصت ملتبساً بفهم التصديق.

والفهم: تصوّر المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: الفهم: إدراك خفيّ رقيق فهو أخصّ من العلم، لأنّ العلم نفس الإدراك سواء كان جليّاً أو خفيّا. ولهذا قال

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج١، ص ١٧٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٥٧.

....

سبحانه في قصّة داود وسليمان: «ففهمناها سليمان وكَلّاً آتينا حكماً وعلماً»(١) خصّ الفهم بسليمان وعمّم العلم لداود وسليمان.

والتصديق: أن ينسب السامع باختياره الصدق إلى الخبر، والمراد به هنا إعتقاد صدق القرآن والإيمان به، وأل فيه يجوز أن يكون نائبة عن الضمير المضاف إليه، والأصل بفهم تصديقه فحذف المضاف إليه وأُثيبت أل منابه كقوله تعالى: «فإنّ الجنّة هي المأوى»(٢) أي مأواه هذا عند من أجاز نيابة أل عن الضمير المضاف إليه وهم الكوفيّون وبعض البصريين، أما عند المانعين فهوعلى تقدير له أو به كما قدّروا له في الآية.

وإضافة الفهم إلى التصديق قيل: بيانيّة، والصواب إنّها لاميّة إذ المراد الفهم الملتبس بالتصديق المقارن له فهي بمعنى اللام الدالّة على الاختصاص.

واستمع له إستماعاً: قصد وتعمّد أن يسمعه.

قال الفيومي: إستمع لما كان بقصد لأنّه لا يكون إلّا بالإصغاء وهو الميل، وسمع: يكون بقصد وبدونه(٣).

وأدّى أنصت بـ«إلى» التضمين معنى الإصغاء والتوجه ولمّا كان قبول القابل شرطاً في ظهور الأثر من الفاعل قيّد عليه السّلام كونه شفاء بقوله: «لمن أنصت بفهم التصديق إلى إستماعه»، كما قال تعالى: «وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّاخساراً»(٤)، فإن المراد بالظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الإيقان والإرتياب محل الأطمئنان، فإنّ إستماع القرآن لايزيدهم إلّا هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم وشكهم وارتيابهم وكذلك البدن الذي قد فسدت أخلاطه، وكثرت موادّ أسقامه لايزيده الغذاء إلّا شرّاً وفساداً.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤١.

(٣) المصباح المنير: ص ٣٩٢.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

....

قوله عليه السَّلام: «وميزان قسط لايحيف عن الحق لسانه». القسط: العدل، وحاف يحيف: مال عن الحق، وجار وظلم، ولسان الميزان عذبته الكائنة في وسط العمود التي يعرف بها التعادل والرجحان، سمّيت لساناً لشبهها باللسان في الصورة أو لدلالتها على الإستواء في الوزن وعدمه، كما يدلّ اللسان بالنطق على مافي الضمير وإنّما جعل القرآن ميزان قسط موصوفاً بعدم الميل عن الحق لأنّ قدر العباد وقبول أعمالهم إنّما هو بقدر إيمانهم به وإتباعهم إيّاه فيما أمر به ونهى عنه ودلّهم عليه من الفروض والسنن والأخلاق كما قيل في رسول الله صلّى الله عليه وآله: كان خُلقه القرآن، فالمقبول الراجح من الأعمال: ماوافقه، والمرضيّ الحسن الجميل من الأخلاق والأقوال: ماطابق إرشاده وهدايته إليه، والحق الصّائب من العقائد: ماأُخذ منه، والمردود منها: ماخالف ذلك، وكلّما قرب من ذلك قرب من القبول، وكلّما بعد بعد، لاجرم كان ميزان عدل لايحيف ولا يميل لسانه فيشتبه رجحانه ونقصانه.

قوله عليه السَّلام: «ونور هدىً» شبّه الهدى بالنّور في الدلالة على المطلوب، والتقدير هدى كالنّور، ثمّ قدّم المشبّه به على المشبّه وأُضيف إليه كقوله:

والريح تعبث بالغصون، وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

وطفأت النار تطفئ بالهمزه من باب ـ تعب ـ طفوءاً(١) على فعول: خمدت، وأطفأتها إطفاء: أخمدتها. قال تعالى: «يريدون أن يطفئوا نورَالله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يُتمَّ نورَه»(٢).

والبرهان: الحجّة، وقيل: بيان الحجّة وإيضاحها(٣) قيل: النون زائدة وقيل أصليّة.

---

(١) «ألف»: طفوا.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٣) كتاب العين: ج٤ ص٤٩.

....

قال الخليل: البرهان مشتقّ من البرهرهة(١) وهي الجارية البيضاء(٢). كما اشتق السلطان من السليط لإضائته، أو من البرهة وهي المدة من الدهر لثباته.

وقال ابن جنّي: برهان عندنا فعلال كقرطاس وليست نونه بزائدة، يدلّ عليه قولك: برهنت له على كذا، أي أقمت الدليل عليه وهو قاطع، ومثله دهقان فعلال من تدهقن وليس في الكلام تفعلن، والقياس في نونيهما أن يكونا زائدتين حملاً على الأكثر لكن السّماع ورد بما رغب عن القياس(٣) إنتهى.

وحكى الأزهري: القولين فقال: في باب الثلاثي النون زائدة، وقال: برهن فلان مولد والصواب أن يقال أبره إذا جاء بالبرهان. وقال في باب الرباعي برهن: إذا أتى بحجته(٤).

واقتصر الجوهري على كونها أصليّة(٥).

والزمخشري على كونها زائدة(٦).

والمراد بالشاهدين: إما الشاهدون لله بالتوحيد وللأنبياء بالتصديق لأن القرآن أعظم برهان لهم على ذلك وإمّا محمّدوأهل بيته عليهم السّلام لتسميته تعالى لهم شهداء في قوله: «وكذلك جعلناكم أُمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»(٧).

فعن علي عليه السّلام: إن الله تعالى إيّانا عنا بقوله: «لتكونوا شهداء على الناس» فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجّته في أرضه(٨).

---

(١) «ألف»: البرهوهة.
(٢) كتاب العين: ج٤ ص٤٩.
(٣) حكاه الازهري في تهذيب اللغة: ج٦ ص ٢٩٥.
(٤) التهذيب في اللغة: ج٦ ص٢٩٤.
(٥) الصحاح: ج٥، ص ٢٠٧٨.
(٦) أساس البلاغة: ص ٣٧.
(٧) البقرة: الآية ١٤٣.
(٨) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣٣٤.

....

وفي هذا المعنى أخبار أُخر تقدم ذكرها في الروضة الثانية.

وبهذا المعنى فسّر ابن عبّاس قوله تعالى: «فاكتبنا مع الشاهدين»(١) قال: أي مع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأُمته(٢) لأنّهم مخصوصون بأداء الشهادة لقوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أُمّةً وسطاً لتكونوا شهداء»(٣) الآية، وعلى هذا فتخصيصهم عليهم السَّلام بذلك لأنّهم أهله الذين يستدلون ببرهانه ودليله ويحتجون بدقيقه وجليله.

وقال بعضهم المراد بالشاهدين كل من شاهده وأنصف من نفسه ولم يكن كغير الشاهد عناداً أو جهلا.

وقال آخر: المراد بهم الحاضرون ولا يخفى أنّ ماذكرنا أولى وأنسب والله أعلم بمقاصد أوليائه.

ولمّا شبّه عليه السَّلام «البرهان» بالسّراج في الإضائة والإيضاح نفى عنه الطفوء أو الأطفاء على الروايتين، ففي الكلام إستعارة مكنيّة تخييليّة، وتعدية يطفأ بعن لتضمينه معنى الذهاب والمعنى: إن برهان نور هدى القرآن لايزال واضحاً بيّنا للشاهدين المحتجين به والمبرهنين، على مطالبهم الحقّة بألفاظه ومعانيه لايبطل إحتجاجهم به أبداً كما يفيده الفعل المضارع الدال على الإستمرار والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «وعلم نجاة» إلى آخره. العلم محرّكاً: شيء ينصب في الفلوات ليهتدى به.

ونجا من الهلاك ينجو نجاةً: خلص، والاسم: النجاء بالمد، وإضافة العلم إلى النجاة من إضافة الشيء إلى سببه لان الضالّ في الفلوات يهتدي بالعلم فينجوبه من الهلكة.

وأمّه أمّا من باب -قتل-: قصده.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٣.
(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢، ص٤٤٨ والدر المنثور: ج٢ ص ٦.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

....

والقصد: إستقامة الطريق. قال الزمخشري في قوله تعالى: «وعلى الله قصد السبيل» القصد: مصدر بمعنى الفاعل. يقال: سبيل قصد وقاصد، أي مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السّالك لايعدل عنه(١) إنتهى.

وعلى هذا فإضافته إلى سنته من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي من أمّ سنّته القاصدة، أي المستقيمة ولامساغ لجعله من باب الإضافة إلى الجنس كالسبيل في قصد السبيل لأنّ السبيل منها جائر بخلاف سُنّة القرآن وطريقته، وفي نسخة قصد سننه بفتحتين: أي طريقه. يقال فلان على سنن واحد أي طريق واحد.

والهلكات: جمع هلكة بفتحتين كقصبة بمعنى الهلاك.

وإيثار صيغة الجمع للدلالة على أنواع من الهلاك فإن الهلاك كما يطلق على الموت والعدم، يطلق على العذاب والخوف والفقر، وهذه الأنواع الثلاثة هي المقصودة هنا بالهلكات دون المعنى الأوّل، وفي إضافة الأيدي إلى الهلكات إستعارة مكنيّة تخييليّة، شبّه الهلكات بالأعداء فأثبت لها الأيدي تخييلاً، وأسند النيل إليها ترشيحاً.

وتعلّق به: إستمسك.

والعروة: مايتعلّق به ويستوثق.

والعصمة: الحبل، وكل مايعتصم به من عقد وسبب، ومنه: «ولا تُمسكوا بعِصَم الكوافر»(٢)، والإستعارة فيه ظاهرة ولك جعلها تمثيليّة مصرّحه ومرشحه وقد مرّ نظير ذلك غير مرّة.

وحاصل المعنى في الفقرتين إنّ من اهتدى بالقرآن علماً وعملاً لايضلّ، ومن تمسّك واعتصم به نجا من المهالك الدنيويّة والأُخرويّة والله سبحانه أعلم.

---

(١) تفسير الكشاف: ج٢، ص ٥٩٦.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

اللَّهمَّ فإذ أفدتنا المعُونَة علىٰ تِلاوتِهِ وسَهلْتَ جَواسِيَ ألسنَتِنا بحُسنِ عِبارَتِهِ فاجعلْنا ممّن يَرْعَاهُ حَقَّ رعايَتِهِ، ويَدينُ لَكَ باعتقادِ التسليمِ لمحكَمِ آياته، ويَفْزَعُ إلى الإقرارِ بمتشابهِهِ ومُوضحاتِ بَيّناتِهِ.

«الفاء» للإشعار بعلّية ماقبلها من إعانته تعالى على ختم كتابه لجعل مابعدها تعليلاً للسؤال بأن يجعله ممّن يرعاه حقّ رعايته لأنّ إذ للتعليل، وهل هي حرف أو ظرف خلاف وقد تقدّم الكلام عليها في نظير هذه العبارة في الروضة الثانية والثلاثين.

والمعونة: اسم من المعاونة والمظاهرة فهي مفعلة بضم العين، وقيل: ميمها أصليّة من الماعون، ووزنها فعوله، والأوّل هو المشهور.

وتلوت القرآن تلاوة: قرأته، وأصله من تلاه بمعنى أتبعه.

قال الراغب: التلاوة: تختصّ باتّباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالإرتسام لمافيه من أمرٍ ونهي وترغيب وترهيب، أو مايتوهّم فيه ذلك، وهي أخص من القراءة، فكلّ تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة. فقوله تعالى: «وإذا تتلى عليهم آياتنا»: فهذا بالقراءة. وقوله: «يتلونه حق تلاوته»: مراد به الإتباع له بالعلم والعمل، وإنّما استعمل التلاوة في قوله تعالى: «واتبعوا ماتتلوا الشياطين» لما كان يزعمه الشياطين إن مايتلونه من كتب الله تعالى(١) إنتهى.

وسهل الشيء بضمّ العين سهولة: لان، وسهّله تسهيلاً ليّنه.

والجواسي: جمع جاسي فاعل من جسأ يجسؤ(٢) من باب ـ منع ـ جُسواً بالضم إذا يبس وصلب وغلظ، وإضافتها إلى الألسنة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي لينت مايبس وصلب من ألسنتنا بحسن عبارته، والمراد بجسو الألسن: تلعثمها وعدم إنطلاقها، وبتسهيلها بحسن عبارته: تمرينها وتثقيفها به.

---

(١) المفردات (للراغب): ص٧٥.

(٢) «ألف»: جسا ـ يجسو.

....

قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: اللسان إذا أكثرت تقليبه رقّ ولان، وإذا أطلت إسكاته جساً وغلظ(١).

وقال حكيم: إن اللسان إذا أكثرت(٢) حركته رقّت عذبته.

والمراد بحسن عبارته: حسن بيانه. يقال: عبّر عمّا في نفسه: أي أعرب وبيّن، وهو حسن العبارة: أي البيان، وهي بكسر العين وحكى في المحكم: فتحها وهو غريب(٣).

وقال الراغب: العبارة مختصّة بالكلام العابر الهواء من لسان المتكلم إلى سمع السامع(٤).

وفي نسخة: وسهلت حواشي ألسنتنا، بالشين المعجمة.

الحواشي: جمع حاشية: وهي الجانب من الثوب ونحوه، والمراد بها أطراف الألسنة وحافّاتها، لأن مدار التعبير عليها.

و «الفاء» من قوله: «فاجعلنا» عاطفة على محذوف إن قلنا: بأنّ إذ حرف تعليل، والتقدير لأجل إفادتك المعونة على تلاوته وفّقنا فاجعلنا ممّن يرعاه حق رعايته، وسببيّته إن قلنا بأنّ إذ ظرف، والمعنى إنك أفدتنا معونة تلاوته فيما مضى فبسبب ذلك إجعلنا ممّن يرعاه حق رعايته.

وقول بعض الطلبة إنها زائدة يدفعه أنّ سيبويه لايرى زيادتها أصلا(٥).

ورعيته: أرعاه رعياً: حفظته. ومنه قوله تعالى: «فما رعوها حقّ رعايتها»(٦) أي ماحافظوا عليها حقّ محافظتها.

والمراد برعاية القرآن حقّ رعايته: القيام بوظائفه من الايمان به، وتعظيمه وحفظه وتعلّمه وتعليمه والمواظبة على تلاوته بآدابها، والإستماع لقراءته، والعمل

---

(١) البيان والتبين: ج١، ص٣١. نقلاً بالمعنى.

(٢) «ألف»: كثرت.

(٣) المحكم لابن سيدة: ج٢ ص٩٣.

(٤) المفردات: ص ٣٢٠.

(٥) مغني اللبيب: ص ٢١٩.

(٦) سورة الحديد: الآية ٢٧.

....

بـأوامره ومستحباتـه، والوقوف عن مناهيـه، والإعتبار بأمثالـه وقصصه، والتدبّر فيه وفي أسـراره إلى غير ذلك مـمّا نصّـت علـيـه الأخبـار والآثار وأرشـدت إليـه العلماء الأخبار(١).

ودان بالإسلام ديناً: بالكسر تعبّدبه(٢)، كتديّن به.

واعتقـدت كذا إعـتقاداً: أي عقدت عـليه القلـب والضمير حتى قيل: العـقيدة مايدين الإنسان به.

وسلّم للدعوى تسليماً: إعترف بصحتها.

والمحكم لـغة: المـتقن، من أحكمت الشـيء إحكاماً إذا أتقـنته، وسيأتي مـعناه إصطلاحاً.

وفزعت إليه فزعاً من باب ـ تعب ـ: إلتجأت، وهو مفزع ماأي ملجأ.

وأقرّ بالشيء إقرارا: إعترف به. وقال الراغب: الإقرار: إثبات الشيء، وهو إمّا بالقلـب أو بـاللسان أو بهما، والإقرار بالـتوحيد ومايجري مجراه، لايغني باللسـان مالم يُضامه الإقرار بالقلب(٣).

والمتشابـه: اسم فـاعل من تشابه الشـيئان إذا أشبه أحـدهما الآخر بحيث يـعجز الذهن عن التميز بينهما، ثم قيل: لكلّ ما لايهتدي الإنسان إليه متشابها إطلاقاً لإسم السّبب على المسّبب ونظيره المشكل: أي دخل في شكل غيره فلم يتميّز ولم يظهر.

ووضح الأمر يضح من باب ـ وَعد ـ وضـوحاً: إنكشف وانجلى كاتّضح، ويـتعدّى بالألف، فيقال: أوضحته فأنا موضح له وهو موضح.

والرواية في الدعاء بـالوجهين بمعنى إنها تـوضح الحق وتكشفه وتبيّن مااشتبه من الشبهات، أو بمعنى إن الله سبحانه أوضحها وبيّنها.

---

(١) «ألف»: علماء الأخيار.

(٢) «ألف»: تقيّد به.

(٣) المفردات: ص ٣٩٨.

....

والبيّنات: جمع بيّنة وهي الدلالة الواضحة، من بان الشيء يبين: أي إتّضح وانكشف. قال تعالى: «أُنزل فيه القرآن هدىً للنّاس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان»(١) أي آيات واضحات مكشوفات تهدي إلى الحق وتفرّق بينه وبين الباطل وذلك أن الهدى قسمان: جليّ مكشوف وخفيّ مشتبه فوصفه أولاً بجنس الهداية، ثم قال: إنّه من نوع البيّن الواضح والله أعلم.

تنبيهات

الأول: دلّ القرآن على أنه كلّه محكم وذلك قوله تعالى: «كتاب أُحكمت آياته»(٢) وعلى أنه بتمامه متشابه، وهو قوله تعالى: «كتاباً متشابهاً مثاني»(٣)، وعلى أن بعضه محكم وبعضه متشابه وذلك قوله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات»(٤).

فالمراد بكونه كله محكماً: كونه كلاماً متقناً حقّاً فصحيح الألفاظ صحيح المعاني لايتطرق إليه نقص ولا إختلاف، وكونه بحيث لايتمكن أحد من الإتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه.

وبكونه كلّه متشابهاً: كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والحسن والإعجاز والبراءة من التناقض.

وبكون بعضه محكماً وبعضه متشابهاً: أنّ منه محكماً وهو ماوضح معناه من غير احتمال ولا اشتباه ومنه متشابها وهو نقيضه على أحد الأقوال.

وقيل: المحكم: مايؤمن به ويعمل به ويعتبر به، والمتشابه: مايؤمن به ولا يعمل به، عن أبي عبدالله عليه السَّلام(٥) وابن عباس(٦) وعكرمة(٧) وقتادة(٨).

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.
(٢) سورة هود: الآية ١.
(٣) سورة الزمر: الآية ٢٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٥) البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص٢٧١ ح٧.
(٦) و(٧) و(٨) تفسير الميزان: ج٣ ص٣٤.

....

وقيل المحكم: ماعرف المراد منه إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل والمتشابه: ما إستأثر الله بعلمه كقيام الساعة **وخروج الدجال**، والحروف المقطعة(١) في أوائل السور(٢).

وقيل: المحكم: مالايحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه: مااحتمل أوجهاً(٣).

وقيل: المحكم: ماكان معقول المعنى والمتشابه: بخلافه كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان(٤).

وقيل: المحكم: ماتأويله، تنزيله، والمتشابه: ما لايدرى إلّا بالتأويل(٥).

وقيل: المحكم: ما استقلّ بنفسه، والمتشابه: ما لايستقلّ بنفسه إلّا بردّه إلى غيره(٦).

وقيل: المحكم: مافيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضاً(٧).

وقيل: المحكم: هو الناسخ، والمتشابه: هو المنسوخ(٨).

وعن أبي جعفر عليه السَّلام: المنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات(٩).

وقيل: المحكم: مالم تتكرّر ألفاظه، والمتشابه: ما تكرّرت ألفاظه كقصّة موسى،

---

(١) «ألف»: المقطوعة.

(٢) و (٣) مرآة العقول: ج٢ ص٣٣٣. وروح المعاني: ج٣ ص٨٢.

(٤) روح المعاني: ج٣ ص٨٢.

(٥) الجامع لاحكام القرآن: ج٤ ص١١.

(٦) الجامع لاحكام القرآن: ج٤ ص١١.

(٧) روح المعاني: ج٣ ص٨٢.

(٨) تفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص١٨٢.

(٩) البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص٢٧ ح١.

....

وغير ذلك (١).

وقيل: المحكم: مالم تشتبه معانيه، والمتشابه: ماااشتبهت معانيه نحو: «ثمّ استوى على العرش»(٢)، فانّ الإستواء عليه يطلق على الجلوس وعلى الاستيلاء والقهر، وقيل غير ذلك، وحكى بعضهم في المسألة ثلاثين قولاً (٣).

قال الراغب: الآيات عند إعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الاطلاق، ومحكم من وجه ومتشابه من وجه.

فالمحكم على الإطلاق: ما لايعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى. والمتشابه في الجملة: ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللّفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما، فالمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة وذلك إمّا من جهة غرابته نحو الأب ويزفّون، وإما من جهة مشاركة اللفظ كاليد والعين.

والثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركّب وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب: لاختصار الكلام، نحو: «فإن خفتم ألّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النّساء»(٤).

وضرب: لبسط الكلام، نحو: «ليس كمثله شيء»(٥) لأن لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع.

وضرب: لنظم الكلام، نحو: «أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيّماً»(٦) تقديره أنزل على عبده الكتاب قيّما ولم يجعل له عوجاً.

---

(١) روح المعاني: ج٣ ص ٨٢.

(٢) الاعراف: الآية ٥٤ ويونس: الآية ٣.

(٣) الجامع لاحكام القرآن: ج٤ ص ١١.

(٤) النساء: الآية ٣.

(٥) الشورى: الآية ١١.

(٦) الكهف: الآية ٢.

....

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف القيامة فإنّ تلك الصفات لا تتصور لنا إذ كان لايحصل في نفوسنا صورة مالم نحسّه أو لم يكن من جنس مانحسّه.

والمتشابه من جهة اللّفظ والمعنى خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكميّة كالعموم والخصوص نحو: «اقتلوا المشركين»(١).

والثاني: من جهة الكيفيّة كالوجوب والندب: «فانكحوا ماطاب لكم من النّساء»(٢)

والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو: «فاتّقوا الله حقّ تقاته»(٣).

والرابع: من جهة المكان والأُمور التي نزلت فيها نحو: «ليس البرُّ أن تأتوا البيوت من ظهورها»(٤). «إنّما النسيءُ زيادة في الكفر»(٥) فانّ من لايعرف عادتهم في الجاهليّة يُتعذرعليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التي يصحّ بها الفعل، أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح، وهذه الجملة إذا تصورت علم أنّ كل ماذكره المفسّرون لايخرج عن هذه التقاسيم نحو قول من قال: المتشابه (الم) ونحو قول قتادة: المحكم النّاسخ والمتشابه المنسوخ، وقول الأصم: المحكم ماجمع على تأويله والمتشابه مااختلف فيه، ثم جميع المتشابهات على ثلاثة أضرب.

ضرب: لاسبيل على الوقوف عليه، كوقت السّاعة وخروج الدّابة، وكيفيّة الدابة، ونحو ذلك.

وضرب: للانسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ العربيّة والأحكام العقليّة.

---

(١) التوبة: الآية ٥.

(٢) النساء: الآية ٣.

(٣) آل عمران: الآية ١٠٢.

(٤) البقرة: الآية ١٨٩.

(٥) التوبة: الآية ٣٧.

....

وضرب: متردّد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم وهو الضرب المشار إليه بقوله صلّى الله عليه وآله في علي عليه السّلام: «اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل»، فاذا عرفت هذه الجملة عرفت أنّ الوقوف على قوله: «ومايعلم تأويله إلّا الله»(١) ووصله بقوله: «والرّاسخون في العلم»(٢) جائزان، وأنّ لكل واحد منهما وجهاً حسب مادلّ عليه التفصيل المتقدّم(٣) إنتهى.

وقال النظّام النيسابوري: الآيات ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقليّة فذلك هو المحكم حقّا.

وثانيها: التي قامت الدلائل القطعيّة على امتناع ظواهرها فذلك الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى فيه غير ظاهرة.

وثالثها: الذي لايوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى أنّ الأمر إشتبه فيه ولم يتميّز أحد الجانبين عن الآخر، لكن هاهنا عقدة أُخرى وهي أنّ الدليل العقلي مختلف فيه أيضاً بحسب مارتّبه كل فريق وتخيّله صادقا في ظنّه مادّة وصورة، فكل فريق يدّعي بمقتضى فكره قد قام على مايوافق مذهبه، وتأكّد به الظاهر الذي تعلّق به فلا خلاص من البين إلّا بتأييد سماوي ونور إلهي «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» (٤) إنتهى.

الثاني: طعن بعض الملاحدة في جعل بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً وقال: كيف يليق بالحكيم أن يجعل كتابه المرجوع إليه في دينه الموضوع إلى يوم القيامة بحيث يتمسّك به صاحب كلّ مذهب، فمثبت الرؤية يتمسّك بقوله: «وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة»(٥) ونافيها يتشبّث بقوله: «لا تدركه الأبصار»(٦) ومثبت

---

(١) و (٢) آل عمران: الآية ٧.

(٣) المفردات: ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠.

(٥) القيامة: الآية ٢٢-٢٣.

(٦) الأنعام: الآية ١٠٣.

....

الجهة يحتجّ بقوله: «يخافون ربّهم من فوقهم»(١)، والثّاني لها يبرهن بقوله: «ليس كمثله شيء»(٢)، فكلٌ منهم يسمّى الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة له متشابهة، وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى وجوه ضعيفة وتراجيح خفيّة، وهذا لايليق بالحكمة مع أنّه لو جعله كلّه واضحاً جليّاً ظاهراً خالصاً عن المتشابه نقيّا كان أقرب إلى حصول الغرض.

وأجاب الزمخشري: بأنّه لو كان كلّ القرآن محكماً لتعلّق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عمّا يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والإستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطّلوا الطريق الذي لايتوصّل إلى معرفة الله وتوحيده إلّا به ولما في المتشابه من الإبتلاء والتميز(٣) بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في إستخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليّة والعلوم الجمّة ونيل الدرجات عندالله ولأنّ المؤمن المعتقد أن لامناقضة في كلام الله ولا إختلاف إذا مارأى مايتناقض في ظاهره وأهمّه طلب مايوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكّر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبيّن مطابقة المتشابه المحكم إزداد طمأنينة إلى معتقده وقوّة في إيقانه (٤) إنتهى.

قال النيسابوري: وهاهنا سبب أقوى وهو أنّ القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامّة تنبو في الأغلب عن إدراك الحقائق فمن سمع منه في أوّل الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظنّ أنّ هذا عدم ونفي ووقع في التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالّة على بعض ماتوهّموه وتخيّلوه مخلوطاً بما يدلّ على الحقّ الصريح.

فالأول: وهو الذي يخاطب به في أوّل الأمر من باب المتشابهات.

---

(١) النحل: الآية ٥٠.

(٢) الشورى: الآية ١١.

(٣) «الف»: التميز.

(٤) تفسير الكشاف: ج١، ص ٣٣٨.

....

والثاني: وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات(١) إنتهى.

وأنا أقول وهاهنا سبب أقوى من ذلك أيضاً وهو أنّ في القرآن المجيد من الأسرار الإلهيّة والمعارف الربانيّة ما لايحتمله كلّ عقل ولا ينشرح له كلّ صدر، فلو كان القرآن كلّه محكما ظاهراً لضلّ كثير من العقول وزاغ كثير من القلوب ولكن جعل بعضه محكماً وهو ما تشترك العقول على تفاوت مراتبها في إحتماله وتتّفق القلوب على قبوله وبعضه متشابها موكولاً علمه إلى أهله، وهم أهل الذكر المأمور بسؤالهم في قوله تعالى: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»(٢) ليبيّنوا للنّاس معناه ويوضّحوا لهم مقاصده على مقادير عقولهم وحسب مقاماتهم وتفاوت مراتبهم فيرشدون إلى كل مقام أهله ويخفونه عن غير أهله إذ كانوا أطبّاء النفوس وكما أنّ الطبيب يرى أنّ بعض الأدوية ترياق وشفاء وذلك الدواء بعينه لشخص آخر سمّ وهلاك كذلك كتاب الله تعالى والموضّحون لمقاصده من الأنبياء والأوصياء يرون أنّ بعض الأسرار الإلهيّة شفاء لبعض الصدور فيلقونها إليهم وربّما كان تلك الأسرار بأعيانها لغير أهلها سبباً لضلالهم وكفرهم إذا ألقيت إليهم ولذلك قال صلّى الله عليه وآله «أمرت أن أُكلّم الناس على قدر عقولهم»(٣) وهذا أقوى الأسباب في جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابهاً والله أعلم.

الثالث: في قوله عليه السّلام: «ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه» تلميح إلى قوله تعالى: «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ماتشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّاً به كلّ من عند ربّنا»(٤)، فغرضه عليه السّلام أن يجعله من الرّاسخين في العلم الذين يقولون آمنّا به أي بمتشابهه وهو معنى الإقرار به.

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج١ ص٢٩٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٣ ح١٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

....

وتعبيره بالفزع إلى الإقرار: أي الإلتجاء(١) به إشعار بأن المتشابه لمّا كان محتملا لوجوه كثيرة بعضها من العلوم الخفيّة وبعضها يؤدّي إلى الكفر أو البدعة أو التناقض لم يكن للخلاص من الوقوع في محذور الشبهة سبيل إلاّ الفزع إلى الاقرار والإيمان به على ما أراد من تلك الوجوه وغيرها.

قال بعضهم: الرّاسخون في العلم: هم الذين علموابالدلالة(٢)القطعية،إن الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا أنّ القرآن كلام الله تعالى وأنّه لايتكلّم بالباطل والعبث، فإذا سمعوا آية ودلّت الدلائل القاطعة على أنّه لايجوز أن يكون ظاهرهامراداالله تعالى بل المرادمنها(٣) غيرذلك الظاهرفوضعواتعيين ذلك المراد إلى علمه تعالى، وقطعوابأنّ ذلك المعنى أي شيء كان فهوالحق والصواب، ولم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهرولاعدم علمهم بالمرادعن الايمان بالله والجزم بصحّة القرآن، ولم يكن ذلك شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى(٤) وفي خطبة أميرالمؤمنين عليه السَّلام المعروفة بخطبة الأشباح واعلم أن الرّاسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ماجهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله إعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً وسمّي تركهم التعمق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً فاقتصر على ذلك (٥) إنتهى.

فان قلت قد ورد في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنه قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله(٦).

وفي رواية أُخرى عنه عليه السَّلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والائمة من بعده عليهم السَّلام(٧).

---

(١) «ألف»: التجاء.

(٢) «ألف»: بالدلائل.

(٣) «ألف»: مراده منه.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص ١٩١

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٢ ص٣٣١.

(٦) و(٧) الكافي: ج١، ص٢١٣، ح١ و٣.

....

وفي خبر آخر: رسول الله صلّى الله عليـه وآله أفضل الراسخين في العلم قد علّمه الله جميع ماأنزل عليـه من التنزيل والتـأويل وما كان الله لينزل عـليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصيـاؤه من بعده يعلمونه كلّـه(١). فكيف يكـون الراسخون هم الـذين أقرّوا بجملة ماجهلوا تفسيره ولم يعلموا تأويله.

قلت: الرسوخ لـيس مرتبة واحدة هـي تقليد ظـواهر الشريعة واعـتقاد حقيـقتها فقط بل تقـليدهـا مرتبة أولى مـن مراتب الـرسوخ، ومن وراءها مراتب غير متـناهية بحسب مراتب السلوك وقوّة السالكين كما نصّ عليه بعض المحقّقين من أصحابنا.

فالـراسخون: الذين أشـار إليهم أمير المـؤمنين صلوات الله علـيه هـم الواقفون في المرتبة الأُولى وهم الذين اقتصروا على ماوقفتهم الشريعة عليه على سبيل الجملة(٢).

والراسخون في قول الصادق علـيه السَّلام: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله» هـم الواصلـون إلى أقصى مراتب الرسوخ(٣) كما دلّ علـيه مافي الخبر الآخر رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه أفضل الراسخين(٤)، ووقع الإنكـار على مـن ادّعى هـذه المـرتبة في قول أمير المؤمـنين عـليه السَّلام من خطبـة أُخـرى «أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً»(٥).

ومن هنـا يظهر سـرّ جـواز الوجهين في تـلاوة الآية من الوقـوف على قوله تـعالى: «وما يـعلـم تأويلـه إلّا الله»(٦) ووصلـه بقـوله: «والرّاسـخون في الـعلـم»(٧) فإن وقفت كان المـراد بالراسـخين جميع الراسخين على مراتبهم، وإن وصلـت كان المراد بهم العالمين بتأويلـه، فيكون قوله: «يقـولون» على الأوّل خبراً وعلى الثاني إستـئنافاً موضحـاً لحال الـراسخين او حالاً منهـم يتضـمّن المدح لهـم بالـتصديق به مع الـعلم بتأويله والله أعلم.

---

(١) الكافي: ج١، ص٢١٣، ح٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٢ ص٣٣٥.

(٣) و(٤) الكافي: ج١ ص٢١٣ ح١ و ٢.

(٥) نهج البلاغة: ص٢٠١، الخطب ١٤٤.

(٦) و (٧) سورة آل عمران: الآية ٧.

اللّهمَّ إنّك أنـزلتَه على نبيّك محمَّدٍ صلّى الله عليه وآلِهِ مُجمَلاً وألهمتَه عِلْمَ عجائبِه مكمّلاً، وورّثتنا علـمَه مفسَّراً،وفضَّلتَنا على مَن جَهِلَ علمَه وقوّيتنا عليه لترفعَنا فوقَ من لم يُطِقْ حَمْلَه.

أجملت الشيء إجمالا: جمعته من غير تفصيل فهو مجمل، ومنه قيل للحساب الذي لم يفصّل والكلام الذي لم يبيّن تفصيله مجمل.

قال الراغب: وحقيقة المجمل: هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخّصة أي غير مبيّنة(١).

قال بعضهم: معنى إنزاله تعالى القرآن على نبيّه مجملاً: إنّه لم يبيّن له أسراره وعجائبه المستنبطة منه حال إنزاله بل أوحاه إليه مجملاً ثم ألهمه بعد ذلك علمه بالتمام كما تدلّ عليه الفقرة الثانية.

وقيل: إجماله بالنسبة إلى غيره عليه السَّلام لا إليه ليكون هو الذي يفصّله ويبيّنه.

والأولى أن يكون المراد بقوله: «مجملاً» أنّه مشتمل على جملة أشياء كثيرة من الأسرار والأحكام غير مبيّنة ولا مشروحة فيه بحيث يعلمها كلّ أحد كما ورد في الحديث عن أبي عبدالله عليه السَّلام أنّه قال: ما من أمر يختلف فيه إثنان إلّا وله أصل في كتاب الله عزّوجلّ ولكن لايبلغه عقول الرجال(٢).

وعنه عليه السَّلام أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتّى والله ماترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لايستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه(٣)، والاخبار في هذا المعنى كثيرة.

والفرق بين هذا المعنى وبين المعنى الأوّل: أنّ علمه عليه السَّلام بما أجمل فيه لم يكن بعد عدم العلم به، بل علمه به بالتمام من نفس علمه به مجملاً، فان النّفوس

---

(١) المفردات: ص ٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٢ ص١٠٠ ح٧١.

(٣) بحار الأنوار: ج٩٢ ص٨١ ح٩.

....

القدسيّة إذا علمت الجمل فقد علمت تفسيرها وذلك كما إذا نظرت إلى زيد فقد أبصرت كلّه إجمالاً وأبصرت أجزاءه وتفاصيله جميعاً عند إبصار كله، بل إبصار الكل والأجزاء إبصار واحد وإنّما يتفاوت بالإعتبار.

والفرق بينه وبين المعنى الثاني: أنّ إجماله بالنسبة إليه ايضاً(١) عليه السَّلام لأشتماله على جملة الأحكام والأسرار التي أودعها سبحانه فيه، غير أنّه عليه السَّلام أُلْهِم علم ذلك كلّه مفصّلاً من علمه به مجملا بخلاف غيره والله أعلم.

والالهام: إلقاء الله تعالى الشيء في النفس بطريق الفيض.

وعجائب القرآن: نكته ولطائفه المندرجة في الأُسلوب، والمباني وأسراره ودقائقه المطوية في المقصود، والمعاني التي بعضها فوق بعض.

وقيل: هي ما أودع فيه من أنواع العلوم التي إذا أدركها العقل تعجب.

ومكمّلاً: أي بكماله، من كمل الشيء إذا تمّت أجزاؤه وكملت محاسنه.

والوراثة: إنتقال الشيء إليك عن غيرك من غير عقد ولا مايجري مجراه، وخصّ ذلك بالمنتقل عن الميّت ويقال له: ميراث، وارث وتراث وأصلهما ورث ووراث بالواو، والفعل ورث يرث بكسرهما كوثق يثق، يقال: ورث مال أبيه، ثم قيل: ورث أباه مالاً ويعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أورثه أبوه مالاً وورثه توريثاً، وبهما قرء قوله تعالى: «تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيّاً»(٢).

ولمّا كان علم القرآن منتقلاً إلى الأوصياء عن النبيّ صلّى الله عليه وآله عبّر عليه السَّلام عن جعله منتهياً إليهم وصائراً لهم بالتوريث إستعارة لأن الإرث لغة وشرعاً لايطلق إلّا على المنتقل من المال ولا يستعمل في غيره إلّا على طريق المجاز.

وفي عبارة الدعاء تلميح إلى قوله تعالى في فاطر: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لمابين يديه إنّ الله بعباده لخبير بصير * ثمّ أورثنا الكتابَ

---

(١) هكذا في الاصل. والصحيح إليه عليه السَّلام ايضاً.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٣.

....

الذين اصطفينا من عبادنا»(١).

قال أمين الإسلام: عن الباقر والصادق عليهما السَّلام، أنّهما قالا: «هي لنا خاصّة وإيّانا عنى» وهو أقرب الأقوال في الآية لأنّهم أحقّ الناس بوصف الإصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بجلائله ودقائقه (٢) إنتهى.

وفي رواية عن الصادق عليه السَّلام نحن الذين اصطفانا الله عزّوجلّ، وأورثنا هذا الكتاب الذي فيه تبيان كلّ شيء(٣).

وعن الرضا عليه السَّلام في تفسير الآية: أراد العترة الطاهرة(٤).

وفسّرت الشيء فسراً من باب ـضربـ: بيّنته وأوضحته، **والتثقيل للمبالغة**، والمراد به هنا مايعمّ التأويل قطعاً وقد اختلف العلماء في التفسير والتأويل.

فقال أبوعبيدةُ والمبرّد. وطائفة: هما بمعنى(٥).

وأنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه(٦).

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر إستعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر إستعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر مايستعمل في الكتب الإلهيّة، والتفسير: يستعمل فيها وفي غيرها(٧).

---

(١) فاطر: الآية ٣٠ و٣١.

(٢) مجمع البيان: ج٧ و٨، ص ٤٠٨.

(٣) نور الثقلين: ج٤ ص ٣٦١.

(٤) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٢٩ (في الفرق بين العترة والأُمة).

(٥) روح المعاني: ج١ ص٤. ومجمع البيان: ج١ - ٢، ص١٣.

(٦) **لم نقف على قوله.**

(٧) روح المعاني: ج١ ص٤ نقلاً عن الراغب.

....

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لايحتمل إلّا وجهاً واحداً والتأويل توجيه لفظ متوجّه إلى معان مختلفة إلى معنى واحد منها بما يظهر من الأدلّة(١).

وقال الما تريدي: التفسير: القطع على إن المراد من اللفظ هذا والشّهادة على الله إنه عنى باللفظ هذا، فان قام دليل مقطوع به فصحيح وإلّا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه(٢).

والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله سبحانه.

وقال أبو طالب الثعلبي: التفسير: بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق والصيّب بالمطر.

والتأويل: تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأوّل وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لأنّ اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، **مثاله قوله تعالى: «إنّ ربّك لبالمرصاد»**(٣) تفسيره إنّه من الرصد. يقال: رصدته أي رقبته. والمرصاد: مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأُهبّة والإستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلّة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الإصبهاني في تفسيره: إعلم أنّ التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتأويل أكثره في الجمل والتفسير إمّا أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز يتبيّن بشرح نحو: «أقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة» أو في كلام متضمّن لقصّة لايمكن تصويره إلّا بمعرفتها كقوله: «إنّما النسيء زيادة في الكفر».

---

(١) لاحظ تفسير الطبري: ج٢ ص٢٧، ط الاميريه، مصر.

(٢) روح المعاني: ج١ ص ٤ ـ ٥ نقلاً عنه على سبيل الايجاز.

(٣) الفجر: الآية ١٤.

....

وأمّا التـأويل فإنّه يسـتعمل تارة عامّا وتـارة خاصّا نحو الكفر المسـتعمل تارة في الجحـود المطلـق وتارة في جحـود البـارئ خاصـة، والايمان المستعمـل في التصـديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أُخـرى وأما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجدالمستعمل في الجدة والوجدة والوجود(١).

وقال غيره: التفسير يتعلّق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية(٢).

وقال قوم: ما وقـع مبيّـنا في كتاب ومعيّنـا في صحيح السنّة سمّـي تفسيراً لأنّ معناه قد ظهر ووضـح وليس لأحد أن يعرّض(٣) له باجتهـاد ولاغيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لايتعدّاه.

والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم.

وقال الطبرسي: التفسير: كشـف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى مايطابق الظاهر(٤).

وقال الزّركشي: التـفسير: علم يفهـم به كتاب الله المنزل على نبيّه عليه السّلام وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه(٥).

وقال بـعضهـم: التفسير: عـلم نـزول الآيات وشـئونها وأقـاصيصـها والأسـباب النازلة فيها ثم ترتيب مكّيها أو مدنيّها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصّها وعامّها ومطلقها ومقيّدها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها.

تنبيهان

الأول: تواتـرت الأخبـار عن العـترة الـزاكيـة وأجمعت الأصحـاب مـن الفـرقة

---

(١) تفسير الاصبهاني: لايوجد لدينا كتابه.

(٢) روح المعاني: ج١ ص ٥.

(٣) «ألف»: يتعرض.

(٤) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص١٣.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ج١ ص١٣.

....

الناجية أنّ أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والأوصياء من أبنائه علموا جميع مافي القرآن علماً قطعياً بتأييد إلهي وإلهام ربّاني وتعليم نبوي وقد طابق العقل في ذلك النقل وذلك أن الإمام إذا لم يعلم جميع القرآن لزم إهمال الخلق وبطلان الشرع وانقطاع الشريعة، وكلّ ذلك باطل بحكم العقل والنقل، ومن الأخبار في هذا المعنى ماورد من طريق العامة. عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّا يخطب وهو يقول: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله مامن آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل»(١).

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء: عن ابن مسعود، قال: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرفٍ وما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن وإن عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن(٢).

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيّاش، عن نصير(٣) بن سليمان الأحمسي، عن أبيه، عن عليّ عليه السّلام قال: «والله مانزلت آية إلّا وقد علمت فيم أُنزلت وأين أُنزلت إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلا»(٤).

وأمّا الرّوايات في ذلك من طريق الخاصّة فأكثر من أن تحصى.

منها: مارواه ثقة الإسلام بسند حسن، عن جابر قال: سمعت أباجعفر عليه السّلام يقول: ماادّعى أحد من النّاس إنه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب وماجمعه وحفظه كما نزل الله إلّا عليّ بن أبي طالب والائمة من بعده صلوات الله عليهم(٥).

---

(١) الغدير: ج٦، ص١٩٣.

(٢) حلية الأولياء: ج١ ص٦٥.

(٣) «ألف»: نصر.

(٤) حلية الاولياء: ج١ ص٦٧ - ٦٨. والمناقب لابن شهراشوب: ج٢، ص٤٣.

(٥) الكافي: ج١ ص ٢٢٨ ح١.

....

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إنّ في القرآن علم مامضى وعلم مايأتي إلى يوم القيامة، أو حكم مابينكم وبيان ماأصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم(١).

وعن أبي جعفر عليه السَّلام إنه قال: مايستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء(٢).

وعنه عليه السَّلام: إنّ من علم ما أُوتينا تفسير القرآن(٣).

وعن عبد الأعلى بن أعين، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السَّلام يقول: والله إني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ماكان وماهو كائن، قال الله عزّوجلّ: «فيه تبيان كلّ شيءٍ»(٤).

وقال بعض المحقّقين: قوله عليه السَّلام: «كأنّه في كفي» تنبيه على أنّ علمه بما في الكتاب علم شهودي بسيط واحد بالذات متعلّق بالجميع، كما أن رؤية مافي الكفّ رؤية واحدة متعلقة بجميع أجزائه، والتعدّد إنما هو بحسب الإعتبار.

وقوله: «فيه خبر السماء»: يعني من أحوال الأفلاك وحركاتها وأحوال الملائكة ودرجاتها وحركات الكواكب ومداراتها ومنافع تلك الحركات وتأثيراتها إلى غير ذلك من الأُمور الكائنة في العلويّات والمنافع المتعلّقة بالفلكيّات(٥).

وقوله: «وخبر الأرض» يعني من جوهرها وانتهائها ومافي جوفها وأرجائها وما

---

(١) نهج السعادة: ج٣ ص١٠١.

(٢) الكافي: ج١، ص ٢٢٨، ح٢.

(٣) الكافي: ج١ ص ٢٢٩، ح٣.

(٤) الكافي: ج١ ص ٢٢٩، ح٤. هذا ولكن في القرآن سورة النحل: الآية ٩١. «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء فهذا التغيير يحتمل أن يكون من تصحيف النساخ والرواة كما يحتمل أن يكون نقلاً بالمعنى، أو أنّه في قراءتهم عليهم السَّلام كان كذلك.

(٥) مرآة العقول: ج٣ ص ٣٣.

....

في تحتها وأهوائها وما فيها من المعدنيّات وما تحت الفلك من البسائط والمركبات التي تتحيّر في إدراك نبذ منها عقول البشر ويتحسّر دون بلوغ أدنى مراتبها طائر النظر.

وقوله: «خبر ما كان وما هو كائن» أي من أخبار السابقين وأحوال اللاحقين كلّياتها وجزئيّاتها، وأحوال الجنّة ومقاماتها، وتفاوت مراتبها ودرجاتها، وأخبار المثاب فيها بالإنقياد والطاعة، والمأجور فيها بالعبادة والزهادة، وأهوال النار ودركاتها، وأهوال مراتب العقوبة ومصيباتها، وتفاوت مراتب البرزخ في النّور والظلمه، وتفاوت أحوال الخلق فيه بالراحة والشدّة كل ذلك بدليل قوله تعالى: «فيه تبيان كل شيء(١) أي كشفه وإيضاحه فلا سبيل إلى إنكاره والله أعلم.

الثاني: ذهب جماعة من أصحابنا وغيرهم إلى أنّه لايجوز أن يتجاوز أحد المسموع في تفسير القرآن، ولا يسوغ تفسيره إلّا بالآثار الصحيحة والنصوص الصّريحة كما دلّ على ذلك الخبر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، وعن الائمة القائمين مقامه.

قال بعض المتأخّرين من أصحابنا: قد تظافرت الأخبار عن الائمة الأطهار عليهم السّلام بالمنع من تفسير القرآن والكلام على ظواهره واستنباط الأحكام النظريّة منها للرعيّة بل علم ذلك كلّه خاص بالائمة عليهم السّلام، وهم المخاطبون بالقرآن لاغيرهم والرعيّه مأمورون بالرجوع إليهم في ذلك وطلبه منهم ولذلك ترى مفسّري أصحابنا المتقدّمين لم يتجاوزوا النص كأبي حمزة الثمالي وعلي بن إبراهيم والعيّاشي وغيرهم، وأمّا من تأخّر عنهم كالشّيخ الطوسي والطبرسي فانّهم نقلوا في تفاسيرهم ماصحّ عندهم من كلام الائمة عليهم السّلام وما لم يكن عندهم فيه شيء نقلوا ما وصل إليهم فيه من أقوال المفسّرين من العامة بطريق الحكاية من غير ترجيح ولا رد وبيّنوا اللغات والإعراب لاغير، لأن علم القرآن ومعرفة تنزيله وتأويله

---

(١) قد عرفت آنفاً بأن في المصحف سورة النحل: الآية ٨٩ «تبياناً لكل شيء».

....

وظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه بيّنه الله لرسوله وبيّنه الرسول لأمير المؤمنين وأولاده عليهم السَّلام وخصهم به دون غيرهم، وأمر الرعيّة بسؤالهم فان ورد عنهم فيه شيء فذاك وإلّا فالسلامة في السكوت ومن تكلّم فيه من أصحابنا بغير ماورد فعن غفلة عمّا ورد فيه من المنع.

فان قلت: من تكلّم فيه من أصحابنا لم يذكر ذلك على سبيل الجزم وإنّما ذكره بطريق الإحتمال والظن الراجح.

قلت: هذا هو القول بغير علم وهو منهيّ عنه بنصّ الكتاب فان قلت إذا منعت من ذلك فكيف تصنع بالآيات التي ظاهرها الجبر والتشبيه وغير ذلك.

قلت: كل ما في القرآن من المتشابهات الموافق ظاهرها لما دلّ البرهان على استحالته فقد ورد تأويلها وبيان المراد منها في السّنة المطهرة على أحسن وجه وأكمله فلا داعي إلى تأويلها من عند انفسنا، والاخبار الدالة على ماقلناه كثيرة فمن ذلك مارواه الخاصّة والعامّة من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله «من فسّر القرآن برأيه فقد كفر»(١).

وروى الطبرسي في مجمع البيان: عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار»(٢).

وروي في الكافي عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: ماعلمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إنّ الرجل لينتزع الآية من القرآن يخر فيها أبعد مابين السماء والأرض(٣).

وفي روضة الكافي عن زيد الشّحام، قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السَّلام فقال: ياقتادة إنّك فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص١٩ ح١٣.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص٣ و٩.

(٣) الكافي: ج١، ص١٤٢، ح٤.

....

أبوجعفر عليه السَّلام: بلغني إنك تفسّر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم، فقال أبوجعفر عليه السَّلام: فان كنت تفسّر بعلم فأنت أنت وإن كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرّجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك ياقتادة إنّما يعرف القرآن من خوطب به(١)، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة والأخبار في هذا المعنى كثيرة إنتهى ملخّصاً.

وقال أمين الإسلام الطبرسي قدّس روحه(٢) في مجمع البيان روت العامة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّه قال: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ، قالوا: وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيّب، وعبيدة السلماني، ونافع، وسالم بن عبدالله وغيرهم، والقول في ذلك إن الله سبحانه ندَب إلى الإستنباط وأوضح السبيل إليه ومدح أقواماً عليه فقال «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» وذمّ آخرين على ترك تدبّره والإضراب عن التفكّر فيه. فقال: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها»(٣)، وذكر أن القرآن منزل بلسان العرب فقال: «إنّا جعلناه قرآناً عربياً»(٤). وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «إذا جاءكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»، فبيّن أن الكتاب حجّة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وأمثاله يدلّ على أنّ الخبر متروك الظاهر، فيمكن أن يكون معناه إن صحّ أنّ من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدّليل، وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله إنّه قال: «إنّ القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه». وروي عن عبدالله بن عباس، إنه قسّم وجوه التفسير على أربعة أقسام: تفسير لايعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لايعلمه إلّا الله

---

(١) روضة الكافي: ص٣١١ - ٣١٢، ح٤٨٥.

(٢) «ألف»: قدّس الله روحه.

(٣) سورة محمّد: الآية ٢٤.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٣.

....

عزّوجلّ فأمّا الذي لايعذر أحد بجهالته: فهو مايلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن، وجمل دلائل التوحيد. وأمّا الذي تعرفه العرب بلسانها: فهو حقائق اللّغة وموضوع كلامهم. وأمّا الذي تعلمه العلماء: فهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام. وأمّا الّذي لايعلمه إلّا الله عزّوجلّ: فهو مايجري مجرى الغيوب وقيام السّاعة. وأقول إنّ الإعراب أجل علوم القرآن فإنّ إليه يفتقر كلّ بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق، إذ الأغراض كائنة فيها فيكون هو المشير لها والباحث عنها والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لايبيّن نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لايميّز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه. وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: «اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»(١). وإذا كان ظاهر الكلام طبقا لمعناه فكلّ من عرف العربيّة والإعراب عرف فحواه ويعلم مراد الله به قطعا هذا إذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج إلى بيان، ولا محتمل لمعنيين أو معان وذلك مثل قوله: «ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلّا بالحق»(٢). وقوله: «وإلهكم إله واحد»(٣) وقوله: «ولا يظلم ربّك أحداً»(٤) وأشباه ذلك، فامّا ماكان مجملا لاينبئ ظاهره عن المراد به مفصّلا مثل قوله سبحانه: «أقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة»(٥) «وآتوا حقّه يوم حصاده»(٦)، فإنّه يحتاج فيه إلى بيان النّبي بوحي من الله تعالى إليه فيبيّن تفصيل أعيان الصلاة وأعداد الركعات ومقادير النصب في الزكاة وأمثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه، ويمكن أن يكون الخبر الذي تقدّم محمولاً عليه وأمّا ماكان محتملاً لأمور كثيرة أو لأمرين ولايجوز أن يكون الجميع مراداً بل قد دلّ

---

(١) شعب الايمان: ج٢ص٥٤١ح٢٦٥٢، بالمعنى.
(٢) سورة الاسراء: الآية٣٣، الأنعام: الآية ١٥١.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٣.
(٤) سورة الكهف: الآية ٤٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ٤٣.
(٦) سورة الانعام: الآية ١٤١.

....

الدليل على أنّه لايجوز أن يكون المراد إلّا واحدا فهو من باب المتشابه لإشتباه المراد منه بما ليس بمراد، فيحمل على الوجه الذي يوافق الدّليل، وجاز أن يقال: هو المراد، وإن كان اللفظ مشتركاً بين معنيين أو أكثر، ويمكن أن يكون كلّ واحد من ذلك مراداً فلا ينبغي أن يقدم عليه بجسارة فيقال: إن المراد به كذا قطعاً إلّا بقول نبيّ أو إمام مقطوع على صدقه بل يجوز أن يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد أحداً من المفسّرين فيه إلّا أن يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب إتّباعه لانعقاد الإجماع عليه. فهذه الجملة التي لخصتها أصل يجب أن يرجع إليه ويعود(١) عليه وتعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والأحكام(٢) إنتهى كلامه، رفع مقامه، وعليه عول جمهور الاصحاب والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «وفضّلتنا على من جهل علمه» أي جعلت لنا الفضيلة بعلمه على من لم يعلمه سواء خلت نفسه من العلم به أو اعتقده على خلاف ماهو عليه. فالجهل هنا أعمّ من أن يكون بسيطاً وهو عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون معلوماً أو مركباً وهو إعتقاد جازم غير مطابق للواقع.

وقوله عليه السَّلام: «وقوّيتنا عليه» أي أفضت علينا قوّة وجدّاً وعزيمة ربانيّة نقوى بها على فهم ظاهره وباطنه والاطلاع على سرائره وعجائبه والاضطلاع والعمل والتخلق بما فيه فهو كقوله تعالى «يايحيى خذ الكتاب بقوّةٍ»(٣) أي ملتبساً بجدّ وعزيمة أفضناها عليك تقوى بها على القيام به ليتحقّق فيك ميراث أبيك وميراث آل يعقوب.

والرفع في الأجسام: حقيقة في الحركة والإنتقال.

---

(١) «ألف» يعول.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص١٣ - ١٤.

(٣) سورة مريم: الآية ١٢.

....

يقال: رفعت الشيء أرفعه رفعاً إذا أعليته عن مقرّه، ثم استعمل في المعاني مجازاً، فقيل: رفعه أي شرّفه وأعلى منزلته ومنه: «ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجاتٍ»(١).

وأطقت الشيء إطاقة: قدرت عليه فأنا مطيق، والاسم الطاقة مثل الطاعة إسم من أطاع.

وحملته الشيء فحمله: أي كلّفته أن يقوم به فقام ومنه قوله تعالى: «مثل الذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها»(٢) قال الراغب: أي كلّفوا أن يتحمّلوها، أي يقوموا بحقّها فلم يحملوها(٣).

فقوله: «لم يطق حمله» أي لم يقدر على القيام بحقّ القرآن من فهم معناه والعلم بما أودع الله فيه من أسراره وحكمه كما روي عن أبي جعفر عليه السّلام إنّه قال في رسالة: وإنّما القرآنُ أمثال القوم يعلمون دون غيرهم ولقوم يتلونه حقّ تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه فأمّا غيرهم فما أشدّ إشكالاً عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّه ليس شيء بأبعد من قلوب الرّجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحيّر الخلق أجمعون إلّا من شاء الله(٤).

تنبيه

قال السيّد الجليل علي بن طاووس قدّس سرّه، قوله عليه السّلام: «وورثتنا علمه».

وقوله: «وفضّلتنا» ونحو ذلك من الألفاظ ينبغي تبديله بألفاظ تناسب حال الدّاعي إنتهى.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٢.
(٢) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٣) المفردات: ص ١٣٢.
(٤) بحار الأنوار: ج٩٢ ص١٠٠ ح٧٢.

اللّهمَّ فكما جعلتَ قلوبَنا له حَمَلَةً وعرّفتنا برحمتِك شرفَه وفضلَه، فصلِّ على محمَّدٍ الخطيبِ به، وعلى آله الخزّانِ له، واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندِك حتّى لايعارضَنا الشكُّ في تصديقِهِ ولا يختلجَنا الزّيغُ عن قصدِ طريقِه.

قلت: الأولى تبديل الضمير فقط فيقال في قوله: «وورثتنا علمه» وورثت أوصيائه علمه مفسرا عطفاً على قوله: «إنّك أنزلته على نبيّك مجملاً» ثم إعادة سائر الضمائر إليهم بأن يقال: «وفضلتهم وقوّيتهم عليه لترفعهم» لما في ذلك من إبقاء المعنى على أصله والله أعلم.

«الكاف»: للتعليل أو للتشبيه كما بيّناه في نظير هذه العبارة في أواخر الروضة الحادية والثلاثين.

والحملة بفتحتين: جمع حامل وهو جمع مطرد لفاعل وصف لمذكر عاقل كظالم وظلمة وساحر وسحرة.

وجعل قلوبهم حملة للقرآن: عبارة عن إعدادها لحفظه وإلهامها علمه وتدبّره والوقوف على حدوده وأحكامه وأمثاله إلى غير ذلك من مدارك خصائصه الخارجة عن طوق غيرهم من البشر.

ويجوز أن يراد بحمل القلوب له مطلق حفظه وتعلّمه فيعم غيرهم عليهم السَّلام.

وعرفتهم الأمر تعريفاً: علّمته إيّاه.

والشرف: العلو والفضل والكمال، وتعريفه سبحانه شرف القرآن الكريم وفضله على نوعين:

الأوّل: ما يشترك في معرفته كل أحد ووصفه له بنعوت الشرف والفضل والكمال كنعته بالشرف في قوله: «والقرآن ذي الذكر»(١): أي الشرف.

---

(١) سورة ص: الآية ١.

....

وبالإعجاز في قوله تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»(١).

ونعته بالبركة في قوله: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب»(٢) «وهذاذكرمبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون»(٣).

ونعته بالمجد والعزّة والعظمة والكرم والحكمة في قوله: «بل هو قرآن مجيد»(٤) «إنّه لكتاب عزيز»(٥) «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم»(٦) «إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسّه الا المطهرون»(٧) «تلك آيات الكتاب الحكيم»(٨) إلى غير ذلك من كونه هدى ورحمة وشفاء وموعظة وحقّاً وصدقاً وبلاغاً وفضلاً ومبيناً وبصائر وبياناً وعدلاً وأحسن الحديث وكل ذلك تعريف لشرفه وفضله يستوي في معرفته كل سامع له.

الثاني: مايختصّ به من اطلعه سبحانه على حقائقه ودقائقه(٩) وأسراره وعجائبه وغرائبه وتفاصيل ماأودع فيه من العلوم والأحكام وما كان وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة كما قال تعالى: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء»(١٠) فإنّ من اطلع على ذلك عرف شرف القرآن وفضله وصدّق أنّ الله سبحانه عرفه ذلك وهذا يختص به خاصّة الله من خلقه وهم الرسول وأهل بيته القائمون مقامه عليهم السّلام.

والخطيب: فعيل بمعنى فاعل من خطب يخطب من باب ـقتل ـ.

خطبة بالضم: إذا تكلّم بكلام يتضمن(١١) ترغيب الجمهور في فعل الخير وتنفيرهم عن الشرّ وصناعته.

---

(١) سورة الأسراء: الآية ٨٨.

(٢) سورة ص: الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

(٤) سورة البروج: ٢١.

(٥) سورة فصّلت: الآية ٤١.

(٦) سورة الحجر: الآية ٨٧.

(٧) سورة الواقعة: الآية ٧٧ـ٧٩.

(٨) سورة يونس: الآية ١.

(٩) «ألف»: وقائعه.

(١٠) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(١١) صاحب الشروح على الجمل، شرح الجزولية.

....

والخطابة بالكسر: كالتجارة والخياطة.

قال ابن عصفور: وفعالة بالكسر تنقاس في الصنائع، وأما الخطابة بالفتح فهو مصدر خطب بالضم خطابة كفصح فصاحة، فمن توهّم إنّها بالمعنى الأوّل بالفتح فقد أخطأ(١).

وعرّف أرباب المعقول الخطابة بأنّه قياس مركّب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة ممّن يعتقد فيه الجمهور لأمر سماويّ أو زهد أو علم أو رياضة إلى غير ذلك من الصفات المحمودة، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أُمور معادهم ومعاشهم كما يفعله الخطباء والوعّاظ.

إذا عرفت ذلك ظهر لك حسن تعبيره عليه السّلام بقوله: «الخطيب به». إذ كان الغرض من خطاب الخلق به هدايتهم إلى مصالحهم الدنيويّة والأخرويّة وإلّا فالقرآن ليس مقصورا على الخطابة بل هو مشتمل على أنواع القياس من البرهاني والخطابي والجدلي وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: «أدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»(٢). فالحكمة: هي البرهان. والموعظة الحسنة: هي الخطابة وجادلهم بالتي هي أحسن: أي بالمشهورات المحمودة التي يعترف بها الجميع أو أكثرهم هو الجدلي.

قوله عليه السّلام: «وآلِهِ الخزّان»(٣). الخزّان: جمع خازن، من خزنت الشّيء خزناً من باب ـقتل ـ إذا حفظته في الخزانة، ثم عبّر به عن كلّ حفظ كحفظ السرّ ونحوه.

والمراد بآله الخزّان له: أوصيائه الائمة عليهم السّلام لأنّهم الحافظون له لفظاً ومعنى كما رواه ثقة الإسلام بسنده عن جابر قال: سمعت أباجعفر عليه السّلام

---

(١) «ألف» يضمن.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٣) «ألف»: الخزان له.

....

يقول: ماادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله عزّوجلّ إلّا عليّ بن أبي طالب والائمة من بعده صلوات الله عليهم(١).

وعنه أيضاً عليه السَّلام أنّه قال: مايستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء عليهم السَّلام(٢).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

قوله(٣) عليه السَّلام: «ممن يعترف بأنّه من عندك» الإعتراف: الإقرار، وأصله إظهار معرفة مايقرّ به.

ومن عندك: أي منزل من عندك فمتعلّقه كون خاص، وقول أبي حيّان: أنّ الخاص لايحذف(٤).

وهم، لاتّفاقهم على جواز حذف الخبر.

و«حتى» تعليليّة.

وعارضه الشك: بمعنى إعترضه، أي عرض له فمنعه من اليقين، وأصله من قولهم: «سرت فعرض لي في الطريق عارض من جبل أو بناء أو نحو ذلك» أي مانع يمنعني من المضيّ.

وفي نسخة حتّى لايعترضنا، والشّك هنا خلاف اليقين وهو التردّد بين شيئين سواء استوى طرفاه أو رجّح أحدهما على الآخر فيشمل الظنّ.

قال تعالى: «فإن كنت في شكٍّ ممّا أنزلنا إليك»(٥) قال المفسّرون: أي غير مستيقنٍ وهو يعمّ الحالتين.

---

(١) الكافي: ج١ ص ٢٢٨ ح١.

(٢) الكافي: ج١، ص ٢٢٨، ح٢.

(٣) «ألف» وقوله.

(٤) لايوجد لدينا كتابه.

(٥) يونس: الآية ٩٤.

اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآلِه واجعلنا ممّنْ يعتصمُ بحبلِه ويأوي من المتشابهاتِ إلى حرزِ مَعقِلهِ،ويسكنُ في ظلّ جناحِه ويهتدي بضوءِ صباحِه ويَقتدي بتبلُّج إسفارِهِ ويستصبحُ بمصباحِه ولا يلتمس الهدى في غيرِه.

وصدقته تصديقاً: نسبته إلى الصدق، وقلت له: صدقت. ويحتمل أن يراد بتصديقه: التصديق به على الحذف والإيصال، أي الإذعان به والقبول له.

وخلجه خلجاً من باب ـقتل ـ واختلجه إختلاجاً: جنبه وانتزعه، ومنه: «الخليج» للنهر الذي يقتطع من النهر الأعظم إلى موضع آخر.

وفي الحديث: «ليردن على الحوض أقوام ثم ليختلجنّ دوني» أي يجتذبون ويقتطعون(١).

والزيغ: الميل عن الإستقامة.

وقصد الطريق: إستقامته، وطريق قصد أي قاصد بمعنى مستقيم فقصد طريقه، إمّا بمعنى إستقامة طريقه أو طريقه المستقيم من باب إضافة الصّفة إلى الموصوف والله أعلم .

الإعتصام بالشيء: التمسّك به.

والحبل: العهد والميثاق مستعار من الحبل المعروف لما في العهد، والميثاق من ثبات الوصلة بين المتعاهدين والمتواثقين.

قال الزمخشري: قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلاً لإستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتثال(٢) المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن إنقطاعه وأن يكون الحبل إستعارة لعهده، والاعتصام استعارة لوثوقه أو ترشيحاً لإستعارة الحبل بما يناسبه. (٣) إنتهى.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٥٩.

(٢) «ألف» بامتساك .

(٣) تفسير الكشاف: ج١، ص ٣٩٤.

....

والمعنى على الأوّل أعني التمثيل أي تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار مجاز في المفردات.

واجعلنا ممّن يستعين به: أي بالقرآن، وعلى الثاني وهو إعتبار مجاز المفردات إجعلنا ممّن يتمسّك بعهده، والمراد به عهد الله وميثاقه المذكور فيه كقوله تعالى: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلّا الحقّ»(١).

قال المفسّرون: أي ميثاق الله المذكور في كتابه وهو أن لايقولوا على الله إلّا الحقّ.

فعهده تعالى في القرآن هو ما كلّف به عباده من الأوامر والنواهي والعمل به واللزوم لطريقته والأخذ بأحكامه.

وأوي إلى كذا يأوي من باب ـضرب ـ أوياً على فعول: إنضمّ إليه والتجأ ومنه: سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء»(٢)، أي ألتجأ.

والمتشابهات: الأُمور التي تشابهت والتبست، فلم يتميز الحقّ فيها من الباطل، ولا داعي لتخصيصها بمتشابهات القرآن.

والحرز: الموضع الحصين الذي يحفظ فيه.

والمعقل: كمسجد: الملجأ جبلاً كان أو حصناً.

وسكن المكان وفيه: إستوطنه.

والظلّ: الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس مطلقاً.

وقيل: مخصوص بما كان منه إلى الزوال وما بعده هو الفيء.

والجناح: الجانب مأخوذ من جناح الطائر. يقال: أنا في ظلّ جناح فلان، أي في ذراه وستره وحمايته.

والضوء: النور وعرّف بانّه كيفية تدركها الباصرة أوّلاً وبواسطتها سائر

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٦٩. (٢) سورة هود: الآية ٤٣.

....

المبصرات، وفرق الحكماء بينهما فخصّوا الضوء بما يكون للشيء من ذاته كما للشّمس، والنّور بما يكون له من غيره كما للقمر، ولما كان هذا الفرق من تدقيقات الحكماء وكان الشائع في لغة العرب إطلاق كل منهما على الآخر وإجرائهما مجرى واحد أطلق عليه السّلام الضوء على النور لأنّ ضوء الصبح إنّما هو من ضياء الشمس قطعاً كما تقدم بيانه في الروضة السّادسة.

واقتدى به: فعل مثل فعله تأسّياً، والمراد به هنا الإستدلال، أي يستدلّ بتبلّج أسفاره.

أطلق الإقتداء على الأستدلال لأنّه لازم له من باب إطلاق اللازم على الملزوم.

وبلج الصّبح بلوجاً: من باب ـقعدـ. وتبلّج وابتلج أضاء وأشرق وأسفر الصبح إسفاراً وضح وأنكشف.

وقال الراغب: الإسفار: يختصّ باللون نحو: «والصّبح إذا أسفر»، أي أشرق لونه(١).

والمصباح: السراج، واستصبحت به: أسرجته.

وهذه الفقرات كلها إستعارات امّا تمثيلية على تشبيه الحالة بالحالة والمفردات على حقائقها من غير اعتبار مجازفيها، أو مصرّحة مرشحّة باعتبار مجاز مفرداتها كما ذكرناه في الفقرة الأولى، واعتبر في كلّ لفظ مايناسب إستعارته له من صفات القرآن ولاخفاء به.

والتمست الشيء: طلبته.

و«غير» هنا على أصلها من كونها صفة مفيدة لمغايرة مجرورها لموصوفها بالذات، أي في كتاب غيره مشتمل على غير ماأشتمل هو عليه ومرشد إلى غير ماأرشد إليه كقوله تعالى: «قال الّذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو

---

(١) المفردات: ص ٢٣٣.

اللّهمَّ وكما نَصبتَ به محمّداً عَلَماً للدّلالةِ عليك وأنهجتَ بآلهِ سُبُلَ الرضا إليْك ، فصلِّ على محمّدٍ وآلهِ واجعلْ القرآنَ وسيلةً لنا إلى أشرفِ منازلِ الكرامةِ وسُلَّماً نَعرُجُ فيه الى محلِّ السّلامةِ وسبباً نُجزىٰ به النجاةَ في عَرَصَةِ القيامةِ وذريعة نَقدِمُ بها على نعيمِ دارِ المُقامَةِ.

بدّله»(١).

وقال بعضهم: طلب الهدى في غيره إنّما يكون لظن أنّ غيره حقّ أو أحقّ وكلاهما كفر وضلال، ولذلك جاء في الحديث النبوي من ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله. أخرج الترمذي(٢) والدارمي(٣) وغيرهما من طريق الحرث الأعور رضي الله عنه عن عليّ عليه السّلام قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبّار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرّد ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق ومن عمل به أُجر ومن حكم به عَدل ومن دعى إليه هدي الى صراط مستقيم.

«الكاف» للتعليل أو التشبيه كما مر غير مرّة.

ونصبت العلم ونحوه نصباً من باب ـضرب ـ: أقمته.

و «الباء» في «به» للسّببيّة، أو للملابسة، أو للاستعانة.

والعلم بالتحريك: العلامة والراية والمنار الذي ينصب في الطريق ليهتدى به.

ودلّ على الشيء وإليه من باب ـقتل ـ دلالة بكسر الدّال وفتحها: أرشد إليه

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥.

(٢) سنن الترمذي: ج٥ ص١٧٢.

(٣) سنن الدارمي: ج٢ ص٤٣٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

وهدي إلى معرفته.فالمراد بالدّلالة عليه سبحانه الدّلالة على معرفته من كونه إلهاً وربّا وصانعاً والتصديق بوجوده وتوحيده وتنزيهه عن الشريك والمثل إلى غير ذلك من المعارف الإلهيّة والصفات الربّانيّة التي دلّ عليها الكتاب والسنّة.

وفي معنى هذه الفقرة من الدّعاء قول أمير المؤمنين عليه السَّلام من خطبته(١) «فبعث محمَّدا صلّى الله عليه وآله بقرآن قد بيّنه وأحكمه ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه وليقرّوا به بعد أن جحدوه وليثبتوه بعد أن أنكروه(٢).

ونهجت الطريق، وأنهجته: أوضحته وأبنته، ونهج الطريق وأنهج أيضاً: وضح واستبان، يستعملان لازمين ومتعدّيين.

والمراد بآله: أوصيائه من عترته الذين أوضح بهم سبل رضاه الموصلة إليه إذ كانوا عليهم السَّلام هم المعدّين لأذهان الخلق لقبول أنوار الله، والمرشدين لنفوسهم إلى سبيل رضاء الله وهي الطريق الموصلة إليه تعالى التي تطابقت على الهداية إليها ألسنة الأنبياء والأوصياء.

وفي هذا المعنى عن الصادق عليه السَّلام إنَّ الله أوضح بائمة الهدى من أهل بيت نبيّنا عن دينه وأبلج بهم عن سبيل منهاجه وضح بهم من باطن ينابيع علمه فمن عرف من أُمة محمَّد صلّى الله عليه وآله وأحبّ حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه(٣).

والوسيلة: مايتقرّب به إلى الشيء ومنه قوله تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة»(٤).

وأشرف منازل الكرامة: أرفعها وأعلاها من الشرف بمعنى المكان العالي.

ومنازل الكرامة: ما أعدّه سبحانه في دار القرار لأوليائه الأبرار من المراتب والمنازل **العلية من القصور المشيّدة** والغرف المبنيّة كما قال تعالى: «لكن الذين اتقوا

---

(١) ألف» من خطبة [illegible]

(٢) [illegible] البلاغة: خطبة ١٤١ [illegible] ٢٠٤.

(٣) الكافي: ج١ ص ٢٠٣ ح٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣٥.

....

ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار»(١).

والسّلّم: مايتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكلّ مايتوصّل به إلى شيء رفيع كالسّبب.

وعرج يعرج عروجاً من باب ـقعدـ: ذهب في صعود.

ومحلّ السّلامة: هو الجنّة لأنّها محل الخلوص من الآفات والمكاره ولذلك سمّيت دارالسلام.

قال الراغب: والسلامة الحقيقيّة ليست إلّا في الجنّة لأنّ فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّاً بلاذلّ وصحّة بلا سقم، ولذلك قال تعالى: «ادخلوها بسلام آمنين».(٢).

والسبب: كل مايتوصّل به إلى شيء وأصله الحبل الذي يصعد به النخل ونحوه.

وعرصة الدّار: ساحتها، وهي البقعة الواسعة التي ليست فيها بناء.

وقال الثعالبي في فقه اللّغة: كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرصة(٣).

والقيامة: عبارة عن قيام النّاس من قبورهم المذكور في قوله تعالى: «يوم يقوم النّاس لربّ العالمين»(٤) وأصلها مايكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة، أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة واحدة، وإضافة العرصة إليها كإضافة الدار إلى الندوة في قولهم دار الندوة للمكان المعروف بمكة لانّهم كانوا ينـدون بها أي يجتمعون ومن توهّم أنّ الإضافة كعرصة الدار فقد أغرب.

والذريعة: الوسيلة.

وقدم الرجل على أهله يقدم من باب ـتعبـ قدوماً: ورد عليهم من سفر ونحوه.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٦.

(٣) فقه اللغة: ص ٤.

(٤) سورة المطفّفين: الآية ٦.

اللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِهِ واحطُطْ بالقرآنِ عنّا ثقل الأوزارِ،وَهَبْ لنا حُسنَ شمائِلِ الأبرارِ،واقْفُ بِنا آثارَ الذينَ قاموا لَكَ بهِ آناءَ اللّيلِ وأطرافَ النهارِ حتّى تطهِّرنا من كلِّ دَنَسٍ بتطهيرِهِ وتَقْفو بنا آثارَ الذين استضاؤا بنورِهِ،ولم يُلهِهِمُ الأملُ عن العملِ فيقطعَهم بخُدعِ غُرورِهِ.

والنعيم: النعمة الوافرة: وهي الحالة الحسنة وطيب العيش.

ودار المقامة: أي دار الإقامة: وهي الجنّة، سمّيت بذلك لأنّه لا إنتقال عنها أبداً.

قال تعالى: «الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب»(١).

الحط: إنزال الشّيء من علو، ومنه قوله تعالى: «وقولوا حطّةٌ»(٢) أي حطّ عنّا ذنوبنا.

والثّقل بالكسر: الحمل الثقيل، وجمعه أثقال، ومنه قوله تعالى: «وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم»(٣).

والأوزار: جمع وزر بالكسر وهو الإثم، شبّه الأوزار بالحمل الثقيل ثم قدّم المشبه به على المشبّه وأضافه إليه كما في لجين الماء أي ماء كاللّجين، وما وقع لبعضهم من جعل الثقل مصدرا مخففا من ثقل كعنب لأنّه الأصل لايناسبه الحط إلّا بتأويل يرجع الى ماذكرناه وهو تطويل من غير طائل.

والشّمائل: جمع شمال بالكسر وهو الخلق.

يقال: هو كريم الشّمائل: أي الأخلاق، وما ذلك من شمالي أي من خلقي.

والأبرار: جمع بر بالفتح وهو التّقي أو الصّادق أو المتوسّع في طاعة الله تعالى

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٨، والأعراف: الآية ١٦١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٣.

....

بالعبادة، وهو خلاف الفاجر أيضاً.

وقفوت أثره قفواً من باب ـقال ـ تبعته، لأنّك تتبع قفاه وقفوت به أثره: إتبعته إياه، فالباء للتعدية.

والآثار: جمع أثر بفتحتين: وهو الطريق المستدّل(١) على من تقدّم وأصله من أثر المشي في الأرض، ومنه قوله تعالى: «فهم على آثارهم يهرعون»(٢) أي يسرعون.

وقام بالأمر: جدّ فيه واجتهد.

وآناء الليل: ساعاته، جمع إنى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمدّ.

وأطراف النّهار: أي طرفيه، ومجيئه بلفظ الجمع للمبالغة، وأمن الالتباس أو لأنّ أقلّ الجمع إثنان وأراد طرفيّ كلّ نهار لأنّ النهار جنس أو أجزاء النهار، لأنّ كلّ جزء كالطرف له، وإنّما قدمت آناء الليل على أطراف النهار هنا. وفي قوله تعالى: «ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النّهار»(٣) تنبيهاً على زيادة الإهتمام بشأن العبادة بالليل، لأنّ الليل وقت السكون والراحة وهدوّ الأصوات، فالقيام بالعبادة فيه أشقّ على النفس وأدخل في الإخلاص، وأقرب من المحافظة على الخشوع والإخبات، والكلام إمّا إستعارة تمثيليّة أن جعل المشبّه به فيه صورة منتزعة من إتباع شخص آثار قوم تقدموه يمشي خلفهم ويسلك طرقهم، والمشبّه صورة منتزعة من تصيير حاله كحالهم في القيام بما قاموا به وتوفيقه(٤) للعمل كأعمالهم، أو إستعارة مكنية تخييليّة إن قصد فيه إلى تشبيه القائمين بالقرآن، والمجتهدين في تلاوته، والعمل به بقوم تقدّموه في المسير وجعل إثبات الآثار لها تنبيهاً على ذلك وهو التخييل وذكر القفو ترشيح.

والدّنس بفتحتين: الوسخ، من دنس الثوب يدنس دنساً من باب ـتعب ـ إذا

---

(١) «ألف» المستدل به.

(٢) سورة الصافات: الآية ٧٠.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٤) «ألف»: توقيفه.

....

اتّسخ فهو دنس، استعير للإثم لتلوّث النفس ودرنها به.

وطهّره تطهيراً: نقّاه من الدنس والنجس، والمراد به هنا محو الذنب والتجاوز عن المعصية، وإنّما عبّر به لترشيح إستعارة الدنس للإثم والمعصية.

و «الباء» من قوله: «بتطهيره» للسببيّة، والضمير للقرآن وإضافة التطهير إليه من إضافة المصدر إلى الفاعل وإسناد التطهير إليه سبحانه أوّلاً باعتبار أنّه تعالى هو المفيض لقوّة الإستعداد للنقاء من الدنس، وإلى القرآن ثانياً باعتبار أنّه سبب له.

والإستضاءة بنور القرآن عبارة عن الإهتداء بهداه، والأخذ بأوامره ونواهيه، والتخلق باخلاقه والتأدب بآدابه إلى غير ذلك ممّا يدلّ عليه ويرشد إليه كما قال تعالى: «إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»(١).

واللّهو: مايشغل الإنسان عمّا يعنيه ويهمّه.

قال الطرطوشي: وأصل اللّهو: الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة(٢).

يقول أهل نجد: لهوت عنه ألهو لهياً والأصل فعول من باب ـقعدـ، وأهل العالية لهيت عنه إلهى من باب ـتعبـ وألهاني الشيء عن كذا: شغلني عمّا هو أهمّ ومنه قوله تعالى: «لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»(٣).

ومعنى لم يلههم الأمل عن العمل: أي لم يشغلهم التوقع لطول الأعمار، وبلوغ الأوطار عن الأعمال الصالحة والقيام بوظائف الطاعة والعبادة.

وقطعت زيدا عن حقّه واقتطعته: منعته منه، وقد يستعمل الإقتطاع في أخذ بعض الشيء.

يقال: إقتطع طائفة من الشيء: أي أخذها منه واقتطع الذئب الشّاة من الغنم: أي أخذها من جملة الغنم وذهب بها، ثم أطلق على مجرد الإصابة بالمكروه والأهلاك

---

(١) سورة الأسراء: الآية ٩.

(٢) المصباح المنير: ص ٧٦٨ نقلاً عنه.

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

اللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِهِ واجعَلِ القرآنَ لنا في ظُلَمِ اللّيالي مُؤنِساً، ومن نَزَغاتِ الشيطانِ وخَطَراتِ الوَساوِسِ حارِساً ولأقدامِنا عن نقلِها

من القتل ونحوه، ومنه حديث فخشينا أن يقتطع دوننا(١).

قال النووي: أي يصاب بمكروه من عدوّه(٢).

وحديث: لو شئنا لأقتطعناهم(٣): أي فتكنا بهم وقتلناهم، وإرادة هذا المعنى هنا أنسب وأوضح من معنى القطع بمعنى الحبس والمنع لتضمّن الهاء الأمل له، فيكون المراد باقتطاع الأمل لهم: إصابته لهم بالمكروه وإهلاكه لهم بخدع غروره حيت ألهاهم عن العمل وشغلهم عمّا به نجاتهم من المهالك والتأسيس خير من التأكيد.

والخدع: جمع خدعه بالضمّ: وهي مايخدع به الإنسان مثل اللعبة بالضمّ لما يلعب به.

وخدعه خدعاً من باب ـمنعـ: أنزله وصرفه عمّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف مايخفيه.

وغرّته الدنيا غروراً من باب ـقعدـ: خدعه(٤) بزينتها وغرور الأمل: إختداعه للإنسان بتوقّع الأُمور المحبوبة الدنيويّة الموجب لملاحظتها المستلزمة لاعراض النفس عن أحوال الآخرة ونسيانها، وبذلك يكون الهلاك الأبدي والشقاء السرمدي نعوذ بالله منه، وقد أسلفنا في الرياض السابقة من بيان مضارّ الأمل ما أغنى عن الإعادة.

الأُنس بالضمّ: خلاف الوحشة والنفور وهو اسم من أنس إنساً من باب ـعلمـ وفي لغة من باب ـضربـ: أي سكن قلبه واطمأنّ ولم ينفر.

وأنسه إيناساً: أزال وحشته فهو مؤنس والتخصيص بظلم الليل لحصول الوحشة

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص ٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم (للنووي): ج١ ص٢٣٥.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص ٨٢.

(٤) «ألف»: خدعته.

الى المعاصي حابِساً، ولألسنتِنا عن الخَوضِ في الباطلِ من غيرِ ماآفةٍ مُخرِساً، ولجوارحِنا عَنِ إقترافِ الآثامِ زاجِراً، ولِما طَوتِ الغَفلةُ عنّا من تَصَفُّحِ الاعتبارِ ناشراً، حتّى توصِلَ إلى قلوبِنا فَهمَ عجائبِه، وزواجِرَ أمثالِه، التي ضَعُفَتِ الجبالُ الرّواسي على صلابتِها عن إحتمالِه.

بها، ولهذا قيل: إذا جاء الليل إستأنس كلّ وحشي واستوحش كلّ إنسي.

والنزغات: جمع نزغة فعلة من النزغ وهو شبيه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ويبعثه وحمله على ما لاينبغي. قال تعالى: «وإما ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم»(١).

والخطرات: جمع خطرة. قال في الأساس: خطر ذلك ببالي وعلى بالي وله خطرات وخواطر: وهي مايتحرك في القلب من رأى أو معنى إنتهى(٢).

والوساوس: جمع وسوسة وهي الخطرة الرديّة من الخطرات الداعية إلى المعاصي فإضافة الخطرات إليها من باب ـخاتم حديدـ وإضافة الوساوس إلى الشيطان من باب ـإضافة الفعل إلى الفاعلـ لإلقائه الدواعي الرديّة في القلب. قال تعالى: «فوسوس إليه الشيطان»(٣). وقال «الذي يوسوس في صدور النّاس»(٤) أي يلقي الخواطر الرديّة في صدورهم.

وحرسه يحرسه من باب ـقتلـ: حفظه فهو حارس والاسم الحراسة بالكسر.

والأقدام: جمع قدم وهو العضو الذي يقدمه صاحبه للوطىء به على الأرض.

ونقل الشيء: تحويله من موضع إلى موضع، والفعل من باب كسب(٥) وإضافة النقل إلى ضمير الأقدام من باب إضافة الفعل إلى آلته المتّصلة ونسبته إليها كأنّها هي الفاعلة له، وحذف المفعول للعلم به، أي عن نقلها إيّانا إلى المعاصي،

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

(٢) اساس البلاغة: ١٦٨.

(٣) سورة طه: الآية ١٢٠.

(٤) سورة الناس: الآية ٥.

(٥) «ألف»: كتب.

....

كما قال الشّاعر:

لعمرك ما حدّثت نفسي بريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي

فأسند النّقل إلى الرّجل إسناد الفعل إلى فاعله وجعل نفسه المنقول.

وما وقع في كثير من التّراجم من أنّ النّقل مصدر نقل لازماً بمعنى الانتقال لا أصل له في اللّغة، إذ لم يسمع نقل إلّا متعدّيا.

والحبس: المنع من الإنبعاث، حبسه يحبسه حبساً من باب ـضرب ـ فهو حابس.

والألسنة: جمع لسان، قال الفيومي: اللسان: العضو يذكّر ويؤنث، فمن ذكّر: جمعه على ألسنة، ومن أنث: جمع على ألسن(١).

قال أبو حاتم: والتذكير أكثر وهو في القرآن كلّه مذكر(٢).

وخاض في الأمر خوضاً: دخل فيه وأصله من خاض الرّجل الماء خوضاً: إذا مشى فيه، ثم استعير في الأمور، وأكثر ماورد في القرآن ورد فيما يذم الدخول فيه.

وقوله عليه السَّلام: «في الباطل»: أي في الحديث الباطل بقرينة الألسنة.

والآفة: عرض يفسد مايصيبه، وهي العاهة ومن للإبتداء متعلّق بقوله: «مخرسا»، ومابعد غير زائدة غير كافة للعمل والتقييد بذلك للإحتراس عن إحتمال المكروه وهو أن يكون الإخراس عن آفة تصيب الألسنة فتمنعها الكلام كقوله تعالى: «واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاءَ من غير سوءٍ»(٣) احتراساً عن البرص.

وخرس خرساً من باب ـفرح ـ: إنعقد لسانه عن الكلام فهو أخرس، وأخرسه الله فهو مخرس وقيّده بعضهم بكونه خلقةً.

والجوارح: أعضاء الإنسان التي يكتسب بها.

---

(١) و (٢) المصباح المنير: ص ٧٥٩. (٣) سورة طه: الآية ٢٢.

....

واقترف الإثم: إجترحه واكتسبه.

وزجره زجراً من باب ـقتل ـ: منعه.

وطواه طيّا من باب ـرمى ـ: خلاف نشره، وأصل الطي والنشر في الثوب ونحوه ثم استعملا في المعاني مجازاً.

ومن: بيانيّة.

وتصفّح الأمر: نظر فيه.

والإعتبار: الإتّعاظ ومنه قوله تعالى: «فاعتبروا يا أُولي الأبصار»(١) والعبرة بالكسر: اسم منه، قال الخليل: العبرة: الإعتبار بما مضى(٢)، أي الا تعاظ والتذكر(٣).

و «حتّى»: تعليليّة متعلّقة بالجعل.

والضّمير في توصل خطاب لله تعالى.

وعجائب القرآن: اللطائف المعجبة من أنواع العلوم وفنون الحكم المودعة فيه.

وفي الحديث النّبوي «لا تنقضي عجائبه»(٤) وذلك أنّه كلّما تأمّله الإنسان إستخرج منه بفكره من بدائع الحكم ودقائق المعاني مالم يكن عنده من قبل.

و «زواجر أمثاله»: أي أمثاله الزواجر، أي المانعة عن إرتكاب المآثم واتّباع الأهواء.

والأمثال: جمع مثل بفتحتين وهو في الأصل بمعنى المثل والنظير. يقال: مثّل ومثل ومثيل كشبّه وشبه وشبيه، ثمّ أُطلق على القول السّائر الذي يمثل مضربه بمورده، وحيث لم يكن ذلك إلّا قولاً بديعاً فيه غرابة صيّرته جديراً بالتسيير في البلاد وخليقاً بالقبول عند كلّ حاضر وباد استعير لكلّ حال أو صفة أو قصّة لها شأن

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢.

(٢) كتاب العين: ج٢ ص ١٢٩.

(٣) المصباح المنير: ص ٥٣٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ١٨٢ ح١٨.

....

عجيب وخطر غريب من غير أن يُلاحظ بينهما وبين شيء آخر تشبيه.

ومنه قول عزّوجلّ: «ولله المثل الأعلى»(١) أي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل.

وقوله تعالى: «مثل الجنّة التي وعد المتّقون»(٢) أي قصّتها العجيبة. فالمراد بأمثال القرآن مااشتمل عليه من ذكر الأحوال، والصفات الغريبة، والأخبار والقصص العجيبة التي كأنّها أمثال في غرابتها. قال تعالى: «ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثلٍ»(٣) قال جار الله: أي وصفنا لهم كلّ صفة كأنّها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كلّ قصّة عجيبة البيان(٤).

وقال بعضهم: سمّيت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لإنتصاب صورها في العقول، مشتقّة من المثول الذي هو الانتصاب.

وروي عن الصادق عليه السَّلام أنّه قال أمثال القرآن لها فوائد فانعموا النظر وتفكّروا في معانيها ولا تمرّوا بها(٥).

قال بعض العلماء: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أُمور كثيرة: التذكير والوعظ والحثّ والزجر والإعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص لأنّها أثبت في الذهن لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ والغائب بالشّاهد.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذّم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر وتحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله.

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٥.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٧.

(٤) تفسير الكشاف: ج٣ ص ٤٨٨.

(٥) الكافي: ج١ ص٦٠٠.

....

قال تعالى: «وضربنا لكم الأمثال»(١) فامتنّ علينا بذلك لما تضمّنه(٢) من الفوائد إنتهى.

ولما كانت الأمثال لايدرك حسن مبانيها ولطف معانيها وكيفيّة إرتباطها بالمقصود وطريق دلالتها على المطلوب إلّا العلماء الذين ينقلون بنور بصيرتهم وضياء سريرتهم من ظاهره إلى باطنه ومن محسوسه إلى معقوله. قال تعالى: «وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلّا العالمون»(٣)، ولذلك وقع في الدعاء سؤال فهمها عطفاً على سؤال فهم عجائبه.

قال بعضهم: من أعظم علم القرآن علم أمثاله والنّاس في غفلة عنه لإشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والنّاقة بلازمام.

وقد عدّه الشّافعي(٤) ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ماضرب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته المبيّنة لاجتناب معصيته.

قال تعالى «ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون»(٥) أي يتّعظون.

قوله عليه السَّلام: «التي ضعفت الجبال الرّواسي على صلابتها عن احتماله».

الموصول في محل خفض نعت لعجائبه، وزواجر أمثاله وأفراده للتأويل بالجماعة، والضّمير في إحتماله للعجائب والزواجر المذكورة وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك كأنّه قيل: عن إحتمال ذلك ونظيره قوله تعالى: «وآتوا النّساء صدقاتهنّ نحلةً فإن طبنَ لكم عن شيءٍ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً»(٦).

قال الزمخشري وغيره الضمير في «منه» للصدقات وهو جار مجرى اسم الاشارة كأنّه قيل فإن طبن لكم عن شيء من ذلك فأنّه قد يشار به إلى متعدّد، كما قال

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٥.

(٢) «ألف»: تضمنته.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٤) الشافعي.

(٥) سورة الزمر: الآية ٢٧.

(٦) سورة النساء: الآية ٤.

....

تعالى: «قل أؤنبـئكم بخيرٍ من ذلكم»(١) بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب(٢) مارواه أبوعبيدة قال: قلت لرؤبة بن العجّاج لمّا أنشد:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنّه في الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل: كأنّها، وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنهما، فقال: أردت كأنّ ذاك ويلك(٣)

وقال الرضي: قد يشار بما للواحد إلى الإثنين كقوله تعالى: «عوان بين ذلك»، وإلى الجمع كقوله تعالى: «كلّ ذلك كان سيّئه» بتأويل المثنّى والمجموع بما ذكر(٤)إنتهى.

والرواسي: الثوابت، من رسا الشيء يرسو رسواً أي ثبت فهو راس، وجبال راسية وراسيات ورواس.

وعلى صلابتها: أي مع صلابتها نحو: «وآتى المالَ على حبّه»(٥) والصّلابة: مصدر صلب الشّيء بالضم، أي اشتدّ وقوى فهو صلب بالضم.

والإحتمال: إفتعال بمعنى الحمل. يقال: إحتملته إحتمالاً بمعنى حملته حملاً.

وفي الدّعاء تلميح إلى قوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله»(٦).

والغرض: التمثيل لعظم شأن القرآن المجيد وقوة تأثير ما انطوى عليه من المواعظ والقوارع بحيث لو كلّفت الجبال الراسية الثابتة مع غاية صلابتها بتفهيمها له وتكليفها بما فيه بعد إعطائها القوى المدركة لضعفت وعجزت عن القيام بذلك وإحتماله ولرأيت خاشعة متذلّلة لعظمة الله متصدّعة متشقّقة من خشية الله، وفيه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥.

(٢) تفسير الكشاف: ج١ ص ٤٧٠.

(٣) تفسير الكشاف: ج١ ص ١٤٩.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٦) سورة الحشر: الآية ٢١.

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه،وأدِمْ بالقرآنِ صلاحَ ظاهِرِنا وأحجُبْ بهِ خَطَراتِ الوساوِسِ عن صِحّةِ ضمائرِنا،وأغسِلْ بهِ دَرَنَ قلوبِنا،وعلائِقَ أوزارنا واجمع بهِ منتشر أُمورِنا وارْوِبهِ في موقفِ العرضِ عليك ظَمأ هواجرنا واكسنا بهِ حُلَلَ الأمانِ يومَ الفزعِ الأكبرِ في نشورِنا.

توبيخ للإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشّعه عند تلاوته وقلّة تدبّره لما فيه والله أعلم.

دام الشيء يدوم دوماً ودواماً وديمومةً: ثبت، ويعدّى بالهمزة فيقال: أدامه: أي ثبّت بالقرآن صلاح ظاهرنا، وقد يطلق الدّوام على إمتداد الزّمان على الشيء ومنه: أدام الله عزّك.

والصلاح: الخير والصواب.

والظاهر: خلاف الباطن، وهو ماظهر للبصر والبصيرة ولم يخف أمره.

وحجبه حجباً من باب ـقتل ـ: منعه من الوصول.

والصحة: ذهاب المرض والبراءة من كلّ عيب.

والضمائر: جمع ضمير على التشبيه بسريره وسرائره وإلّا فباب ـفعيل ـ إذا كان اسماً لمذكّر أن يجمع جمع رغيف وأرغفة ورغفان.

وضمير الإنسان: قلبه وباطنه، وقيل هو ماينطوي عليه القلب ويدقّ الوقوف عليه، وتسمى القوّة التي تحفظ ذلك ضميراً.

وصحة الضمائر: عبارة عن خلوصها من سوء العقائد، وسلامتها من مرض الشكوك والارتياب.

وغسلت الشيء غسلاً من باب ـضرب ـ: أسلت عليه الماء فأزلت درنه، والأسم الغسل بالضمّ، وبعضهم جعل المضموم والمفتوح بمعنى وعزاه إلى سيبويه.

وقال ابن القوطيّة: الغسل بالضمّ تمام الطهارة، وهو اسم من الإغتسال.

والدرَن بفتحتين: الوسخ. درن الثوب درناً من باب ـتعب ـ فهو درن: مثل

....

وسخ وسخا فهو وسخ زنة، ومعنى، أستعيرهنا لما في القلوب من الغفلة والقسوة ونحو ذلك والغسل ترشيح.

والعلائق: جمع علاقة بالفتح وهي القدر الذي يتمسّك به في الخصومة والعقوبة ونحو ذلك، يقال: ما أبقى له في هذا الأمر علقة بالضمّ، وعلاقة بالفتح: أي شيئاً يتعلق به.

والمعنى: إغسل به عنّا مايتعلّق به في إثبات أوزارنا والمؤاخذة عليها.

ونشرت الشيء فانتشر: فرّقته فتفرّق، وانتشروا في الأَرض: تفرّقوا وإنتشار الأُمور: عبارة عن عدم إنتظامها وانتساقها.

وروى من الماء ريّا من باب -علم-: يشرب منه حتّى زال ظماؤه فهو ريّان، والمراة ريّا كغضبان وغضباً، والجمع في المذكّر والمؤنّث رواء، ككتاب ويعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أرويته وروّيته فارتوى منه.

والموقف: كمسجد محلّ الوقوف.

وعرضت الشّيء عرضا من باب -ضرب-: أظهرته وأبرزته ومنه عرض الأمير الجند إذا أمّرهم عليه ونظر إليهم ليعرفهم. قال تعالى: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربّك صفّاً»(١).

قال الزمخشري: شبّهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان(٢).

والظمأ: كالعطش وزناً ومعنى وفعلهما من باب -تعب-، وقيل: هو شدّة العطش.

والهواجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ، أو عند زوال الشمس مع الظهر، أو من عند زوالها إلى العصر لأنّ الناس يستكنون في بيوتهم كأنّهم قد تهاجروا من شدّة الحرّ.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٧ و٤٨.

(٢) تفسير الكشاف: ج٢، ص ٧٢٦.

....

وقال الراغب: وهي الساعة التي يمتنع فيها من السير للحرّ كأنّها هجرت الناس أو هجرت لذلك(١).

وقال بعضهم: الهاجرة: نصف النهار في القيظ خاصّة، وإضافة الظمأ إليها مجاز عقليّ لكونها ظرفاً له كمكر الليل والنهار.

وكسوته ثوبا، أكسوه: ألبسته إيّاه، والكسوة بالضمّ والكسر: اللّباس.

والحلل: جمع حلّة بالضمّ، وهي إزار ورداء، لا تسمّى حلّة حتّى تكون ثوبين من جنس واحد وهي إستعارة مصرّحة تحقيقيّة.

شبّه عليه السّلام مايدركه الإنسان من سكون النفس وإطمئنان القلب عند حصول الأمان بالحلّة من حيث أنّه يشمله ويلازمه كأنّه محيط به إحاطة الحلّة بلابسها، وذكر الكسوة ترشيح، ويحتمل الحمل على التخييل أيضاً بأن يجعل من الأمان أمر وهمي يشمل الإنسان ويحيط به شبيهاً بالحلّة والترشيح بحاله.

والفزع بفتحتين: إنقباض ونفار يعرو الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع، وقيل: هو الخوف الشديد.

والأكبر: أي الأعظم وفيه تلميح إلى قوله تعالى «لايحزنهم الفزع الأكبر»(٢)، قيل: هو الخوف والفزع من دخول النار وعذابها.

وقيل: هو النفخة الأخيرة لقوله تعالى: «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض»(٣).

وعن الحسن: هو الإنصراف إلى النار(٤)فانه لافزع أكبر ممّا إذا شاهدوا النار.

وقيل:هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة.

وقيل: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح وينادى ياأهل الجنّة خلود ولا

---

(١) المفردات: ص ٥٣٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٤) تفسير الكشاف: ج٣ ص ١٣٧.

اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآلِه،واجْبر بالقرآنِ خِلّتنا من عدم الإملاق، وسُقْ إلينا بِهِ رَغَدَ العيشِ وخِصْبَ سعة الأرزاق،وجنّبنابه الضرائب المذمومة ومداني الأخلاق،واعصمنا به من هُوّةِ الكفرِ ودواعي النّفاق، حتّى يكونَ لنا في القيامة إلى رِضوانك وجِنانك قائداً،ولنا في الدّنيا عن سُخْطك وتعدّي حدودِك ذائداً،ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً.

موت، ويا أهل النّار خلود ولاموت فعند ذلك يستقرّ أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: ثلاثة على كثبان من مسك لايحزنهم الفزع الأكبر، ولا يكترثون بالحساب رجل قرأ القرآن محتسباً ثم أمّ به قوماً محتسباً ورجل أذّن محتسباً ومملوك أدّى حقّ الله عزّوجلّ وحق مولاه(١).

والنشور: مصدر نشر الميت نشوراً من باب ـقعدـ أي عاش بعد الموت وهو أيضاً مصدر. نشر الله الميت نشوراً: أي أحياه فهو لازم ومتعدّ ويتعدّى بالهمزة أيضاً فيقال: أنشره الله، وبها قرأ العشرة في قوله تعالى: «إذا شاء أنشره»(٢) وقرأ أبوحياة، وشعيب بن أبي حمزة، نشره بغير همزة(٣) .

الجبر: اصلاح الشيء بضرب من القهر والإكراه.

يقال: جبرته جبراً من باب ـقتلـ فانجبر، ثم قد يستعمل الجبر تارة في مجرّد الإصلاح كعبارة الدّعاء، وقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «يا جابر كل كسير ويا مسهّل كل عسير»(٤).

---

(١) مجمع البيان: ج٧ و ٨ ص٦٥.

(٢) سورة عبس: الآية ٢٢.

(٣) مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠ ص ٤٣٦.

(٤) مصباح الكفعمي: ص٢٦٢، من دعاء المشلول.

....

وتارة في مجرّد القهر والأكراه، ومنه: لاجبر ولا تفويض(١).

والخلّة بالفتح: الحاجة والفقر من الخلل بفتحتين، وهو الفرجة بين الشيئين.

والعدم بالتحريك وبالضم وبضمتين: فقدان الشّي، وغلب على فقدان المال عدمه عدماً من باب ـ تعب ـ. وقيل: هو بالتحريك مصدر، وبالضمّ اسم. وأعدم بالألف: إفتقر فهو معدم وعديم.

والإملاق: الفقر وأصله الإنفاق، والإخراج. يقال: أملق الرّجل إذا أنفق ماله حتى افتقر، وأملق الدّهر ماله: أذهبه واخرجه من يده.

وساق الله إليه خيراً: أرسله إليه وأصله من سوق الماشية.

ورغد عيشه بالضمّ رغداً ككرم كرما، ورغد رغداً كسمع سمعاً: إتّسع وطاب وهو في رغد من العيش، أي رزق واسع طيّب.

والعيش: الحياة المختصّة بالحيوان ويطلق على المعيشة وهي مايعاش به وهو المراد هنا.

والخصب بالكسر: النماء والبركة وهو خلاف الجدب. والسّعة خلاف الضيق يوصف بها الحال كما يوصف بها المكان ومنه «لينفق ذوسعة من سعته».

وجنبت الرجل الشرّ جنوباً من باب ـ قعد ـ: أبعدته عنه ومنه: «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام»(٢).

وجنبته إيّاه تجنيباً بالتثقيل للمبالغة.

والضرائب: جمع ضريبة، وهي السجيّة والطبيعة من قولهم ضرب فلان على الكرم، أي طبع عليه ومداني الاخلاق: خلاف معاليها، جمع مدناة بفتح الميم، وهي مفعلة من دنا يدنو دناوة ودناية، أي حقر وضعف فهو دنيّ أي حقير خسيس، قيل: وأصله الهمزة يقال: دنأ يدنأ بفتحتين ودنؤ يدنؤ مثل قرب يقرب فهو دنئ على فعيل

---

(١) الكافي: ج١ ص ١٦٠ ح١٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.

....

كلّه مهموز أي لؤم فعله وخبُث ثم خفّف في لغة من غير همز فقيل: دنا يدنو دناوه. وفرّق بعضهم بين المخفّف والمهموز، فجعل المخفّف للخسيس الحقير، والمهموزللئيم الخبيث.

ومعنى مداني الأخلاق: مايكسب الخسّة والحقارة منها كما أنّ معالي الأخلاق وهي جمع معلاة بفتح الميم مايكسب الشرف والرفعة منها من علا في المكارم يعلى من باب ـتعب ـ علاء بالفتح والمدّ.

وفي نسخة ابن إدريس: مذام الأخلاق: جمع مذمّة بالفتح، وهي مفعلة من الذمّ خلاف المدح. يقال: البخل مذمّة، أي ممّا يذمّ عليه.

والهوّة بالضم: الحفرة وقيل: الوهدة العميقة، وهي الأرض المنخفضة شبّه الكفر بطريق ذاهوّة يسقط فيها من سلكه ودلّ على ذلك بإثبات الهوّة له فهي إستعارة مكنيّة تخييليّة.

ودواعي النفاق: الأُمور الداعية إليه من دعاه إلى الشيء أي حثّه على قصده.

والنفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب وقد مرّ الكلام عليه مبسوطاً.

وقاد الرّجل البعير قوداً من باب ـقال ـ جرّه خلفه فهو قائد.

قال الخليل: القود: أن يكون الرّجل أمام الدابّة آخذاً بقيادها وهو خلاف السوق(١).

وحدود الله: شرائعه وأحكامه المحدودة التي لايجوز مجاوزتها وتعدّيها قال تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين»(٢).

---

(١) كتاب العين: ج٥ ص١٩٦. مع تقديم وتأخير، والمصباح المنير: ص٧١٢ نقلاً عنه.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤.

اللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه وهوِّنْ بالقرآن عندَ الموتِ على أنفسِنا كُرَبَ السّياقِ، وجُهْدَ الأنين وترادُفَ الحشارجِ إذا بَلَغَتِ النّفوسُ التراقي

وذاده عن الأمر يذوده ذوداً من باب ـ قال ـ منعه ودفعه فهو ذائد وأصله من ذاد الراعي إبله عن الماء أي منعها وطردها عن أن ترده.

ولما عندك: أي لما هو في حكمك، من قولهم: هذا عندي أفضل من هذا: أيّ في حكمي ومنه قوله تعالى: «إن كان هذا هو الحقّ من عندك»(١) أي في حكمك.

والمراد بتحليل حلاله: إعتقاد حلّ مابيّن الله فيه إنّه حلال وهو كلّ شيء لايعاقب عليه باستعماله.

وبتحريم حرامه: إعتقاد حرمة مابيّن الله فيه أنّه حرام وهو كلّ ما يأثم بفعله مستعمله ويعاقب عليه أي وحتى يكون القرآن لأجل ما ثبت عندك ووجب في حكمك من التكليف باتباعه والعمل بأحكامه شاهداً لنا بتحليلنا حلاله وتحريمنا حرامه وماقيل: من أن المعنى.

وحتى يكون القرآن شاهداً لتحليل ماثبت عندك أنّه حلال وتحريم ماثبت عندك أنّه حرام، فيكون الضمير في حلاله وحرامه عائداً إلى ما الموصولة والغرض كون القرآن مبيّناً للحلّ والحرمة اللتين حكم الله بهما في الواقع فلا يخفى بعده وعدم مناسبته لما قبله على أنّه من باب تحصيل الحاصل.

وقول بعضهم: أي لما عندك من جزيل الثواب لايناسبه قوله شاهداً والله أعلم بمقاصد أوليائه.

وفي نسخة: ولنا عندك والمعنى عليها واضح.

هان الأمر يهون هوناً من باب ـ قال ـ: سهل ولان وهوّنه عليه تهويناً: سهّله.

وعند الموت: أي عند حضوره.

والكرب: مصدر كرب، الأمر يكربه كربا من باب ـ قتل ـ: شقّ عليه.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

وقيلَ مَنْ راقٍ،وتجلَّى مَلَكُ الموتِ لقبضها من حجب الغُيوبِ ورَماها عن قوس المنايا بأَسْهُم وحشةِ الفراق،وداف لها من ذُعافِ الموتِ كأساً مسمومةَ المذاقِ،ودنا منّا إلى الآخرة رحيلٌ وانطلاق،وصارتِ الأعمال قلائدَ في الأعناقِ وكانت القبورُ هي المأوىٰ إلى ميقاتِ يومِ التّلاقِ.

وساق المريض سوقا وسياقا من باب ـقام ـ: شرع(١) في نزع الروح.

وجهده الأمر والمرض جهداً من باب ـمنع ـ: بلغ منه المشقّة، ومنه جهد البلاء.

وأنّ المريض يئنّ بالكسر أنيناً: تأوّه وصوّت من شدّة الألم.

والترادف: التتابع، يقال ترادف القوم: أي تتابعوا، وأصله من الرديف، وهو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة ثم أطلق على مطلق التتابع، فقيل لكلّ شيء تبع شيئاً: هو رديفه، وردفه.

والحشارج: جمع حشرجة، وهي الصوت الذي يردّده المريض في حلقه عند الموت.

وفي القاموس: الحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردّد النفس(٢).

والتراقي: جمع ترقوة وهو مقدّم الحلق من أعلى الصدر تترقى إليها النفس عند الموت، وإليها يترقى النفس والبخار من الجوف وهناك تقع الحشرجة.

قال ذو الرّمة:

وربّ عظيمة دامغت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي(٣)

قال الزمخشري: التراقي: العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال(٤) إنتهى.

والمراد بالنفس التي تبلغ التراقي: الروح الحيوانيّة، وهي الجوهر المجرّد البخاري

---

(١) «ألف»: سرع.

(٢) القاموس المحيط: ج١، ص١٨٣.

(٣) مجمع البيان: ج٩ ـ ١٠، ص٤٠٠.

(٤) تفسير الكشاف: ج٤، ص٦٦٣.

....

اللّطيف الحامل لقوّة الحياة والحسّ والحركة الإراديّة ومنبعه تجويف القلب الجسماني وتنتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وبواسطته تتعلق النفس الناطقة التي هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان بالبدن حتّى قالوا إنّها مركب لها.

قال بعض المفسّرين:(١) ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالإبتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثم تصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر ثم تنتهي الى الحلق ليتمكن العبد في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى والوصيّة والتوبة مالم يعاين والإستحلال وذكر الله سبحانه فتخرج روحه وهو رطب اللّسان بذكر الله تعالى فيرجى بذلك حسن خاتمته رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه.

قوله عليه السّلام: «وقيل من راق»: يجوز أن يكون من الرقية. يقال: رقاه يرقيه من باب ـ رمى ـ رُقيا بالضم إذا عوّذه بالله، والاسم الرّقيا على فعلى والمراة رقية، فالقائل هم بعض أصحاب الميّت وأقاربه والإستفهام إمّا على أصله لأنّ العادة جارية بطلب الطبيب، والراقي وقت مايشتّد المرض وإمّا بمعنى الإنكار أي من الذي يقدر أن يرقى هذا الإنسان المشرف على الموت.

ويجوز أن يكون إشتقاقه من الرقي بمعنى الصعود. يقال: رقى يرقى من باب ـ تعب ـ رقياً بالضمّ على فعول. قال تعالى: «ولن نؤمنَ لرقيّك»(٢). فالقائل بعض الملائكة يعني أيّكم يرقى بروح هذا المحتضر ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب.

وعن ابن عبّاس: إنّ الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت: من يرقى بروح(٣) هذا الكافر(٤).

---

(١) بحار الأنوار: ج٦ ص١٦.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٩٣.

(٣) «ألف»: روح.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٣٠ ص٢٣١. وفيه: من يرق بهذا الكافر.

....

وقال الكلبي: يحضر العبد عند الموت سبعة أملاك من الملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم إلى بعض أيّهم يعرج بروحه إلى السماء(١).

والفقرة من الدعاء إقتباس من قوله تعالى في القيامة: «كلّا إذا بلغتِ التّراقيَ وقيل من راقٍ»(٢) ولا يضرّ التغيير اليسير كما مرّ بيانه في الرّياض السابقة.

وتجلّى: أي ظهر وبان ومنه جلوت العروس إذا أبرزتها وأظهرتها.

وملك الموت: عبارة عن الروح المتولي لإفاضته صورة العدم على أعضاء هذا البدن وحال مفارقة النفس له.

والحجب: جمع حجاب وهو السّتر، شبّه الغيوب بالأماكن المستورة فأثبت لها الحجب على طريقة الإستعارة المكنيّة التخييليّة.

والغيوب: جمع غيب، وهو في الأصل مصدر غاب الشيء يغيب غيباً من باب ـ باع ـ إذا استتر عن العين، ثم استعمل فيما غاب عن العلم والعقل، وفيما غاب عن الذكر أيضاً.

ولمّا كان ملك الموت غائباً عن أكثر الناس بجميع هذه المعاني جاء به بلفظ الجمع، وقد تواترت الأخبار بأنّ الميّت يرى ملك الموت عياناً ويخاطبه عند كشف الغطاء ويسمّى وقت المعاينة(٣).

وفي رواية: إنه يسأل المؤمن هل أخذت فكاك رقبتك وأمان برائتك وتمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا؟ فيقول: نعم، فيقول: وماذاك ؟ فيقول: ولاية عليّ بن أبي طالب، فيقول: صدقت، ثم يؤمّنه ويبشّره بما يسرّه،

---

(١) التفسر الكبير للفخر الرازي: ج٣٠ ص٢٣١ مع اختلاف يسير.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢٧.

(٣) راجع الكافي: ج٣، ص ١٢٨ ـ ١٣٧ ـ باب مايعاين المؤمن والكافر، وباب اخراج روح المؤمن

....

ويسأل الكافر كما سئل المؤمن فيقول: لافيبشره بسخط الله وعذابه والنار(١).

وحكى أبو جعفر الخيّاط قال: حضرت موت عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس الإصبهاني وكان من الثقات المعمّرين فقال وهو محتضر ونحن جلوس عنده: هذا ملك الموت قد جاء فقال بالفارسية: أقبض روحي كما تقبض روح رجل يقول تسعين سنة: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وكان عمره ثمانياً وتسعين سنة.

و «عن» من قوله: «عن قوس المنايا»، للمجاوزة أي مجاوزة مدخولها عما قبلها، لأنّ الرامي يجاوز السهم عن القوس.

وقال ابن مالك: هي في رميت عن القوس للإستعانة لأنّهم يقولون، أيضاً رميت بالقوس حكاهما الفرّاء وفيه ردّ على الحريري في إنكاره أن يقال ذلك إلّا إذا كانت القوس هي المرميّة، وحكى أيضاً رميت على القوس(٢).

وفي شرح اللّباب يجوز رميت بالقوس بالنظر إلى أنّ القوس جعلت آلة للرّمي ومستعاناً بهافيه، ورميت على القوس بالنظر إلى يد الرامي التي إعتمدت على القوس في الرمي، ورميت عن القوس بالنظر إلى السهم، وإضافة القوس إلى المنايا من باب إضافة المشبّه به إلى المشبّه، كذلك إضافة الأسهم إلى وحشة الفراق شبه ملك الموت بالرامي على الإستعارة بالكناية فأثبت له قوساً وأسهماً على التخييل، ولمّا كانت المنايا وهي جمع منيّه بمعنى الموت سبباً لحصول الوحشة في النّفوس شبّهها بالقوس التي هي آلة للرّمي وسبب لحصول السّهم في الغرض ولمّا كانت الوحشة حاصلة عن الموت واقعة في النفوس وقوع الأسهم من الهدف متألمة بها شبّهها بالأسهم ثمّ قدّم المشّبه به في الموضعين وأضافه إلى المشبّه كلجين الماء، وإنّما

---

(١) الكافي: ج٣ ص١٣١ - ١٣٢، ح٤.

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك: ص١٤٦.

....

أفرد القوس وجمع الأسهم لأنّ الرامي في الغالب لايرمي إلّا عن قوس واحدة وأسهم متعدّدة.

ووحشة الفراق: هي وحشة فراق الدنيا ونعيمها.

ودفت الدواء أدوفه دوفا بالدّال المهملة: إذا بللته بماء وخلطته فهو مدوف.

والذعاف: بالذال المعجمة المضمومة على وزن غراب السّم أو سّم ساعة.

والكأس بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها: القدح مملوءاً من الشراب ولا تسمّى كأساً إلّا وفيها الشراب وهي مؤنّثة.

المسمومة: اسم مفعول من سمّمت الطعام سمّاً من باب ـقتل ـ إذا جعلت فيها السمّ.

والمذاق: مصدر ميمي بمعنى الذوق وهو إدراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة المنبثة بالعصب المفروش على عضل اللسان.

يقال: ذقته أذوقه ذوقاً ذوقاناً وذواقاً ومذاقاً: إذا عرفته بتلك الواسطة، والكلام إمّا استعارة تمثيلية أو مكنيّة تخييليّة مرشّحة، وإيقاع الذوق على الكأس مجاز عقليّ لكونها ظرفاً للمذوق.

ودنا يدنو دنوا: قرب(١).

والرحيل: مصدر رحل عن البلد إذا سار عنه.

والإنطلاق: الذهاب يقال: أطلقته فانطلق إذا خليت عنه فذهب محلّى.

والقلائد: جمع قلادة، وهي مايعلّق في العنق، شبّه الأعمال بها للزومها أربابها لزوم القلائد للأعناق، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في بني إسرائيل: «وكلّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ في عنقه»(٢).

قال الطبرسيّ: معناه: وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شرّ في عنقه، عن

---

(١) «ألف» أقرب.

(٢) سورة بني إسرائيل: الآية ١٣.

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآله،وبارِكْ لنا في حُلُول دارِ البِلى وطولِ المُقامةِ بين أطباقِ الثّرى، واجعل القبورَ بعد فِراقِ الدّنيا خيرَ منازلِنا وافسَحْ لنا برحمتك في ضيقِ ملاحدِنا،ولا تفضحنا في حاضرِ القيامةِ بموبِقاتِ آثامِنا وارحمْ بالقرآنِ في موقفِ العرضِ عليك ذُلَّ مَقامِنا

ابن عبّاس، ومجاهد يريد جعلناه كالطوق في عنقه لايفارقه(١).

وقال صاحب الكشّاف: طائره ـ عمله، وعن إبن عيينة: هو من قولك: طارله سهم إذا خرج يعنى ألزمناه ماطار إليه من عمله والمعنى: إنَّ عمله لازم له لزوم القلادة، أو الغلّ لاينفكّ عنه. ومنه مثل العرب: تقلّدها طوق الحمامة، وقولهم: الموت في الرّقاب وهذا ربقة في رقبته. عن الحسن: يابن آدم بسطت لك صحيفة إذا بُعثت قلّدتها في عنقك (٢) إنتهى.

والمأوى: اسم للمكان الذي يأوي إليه من أوى إلى منزله يأوي من باب ـضرب ـ أوياً على فعول أي نزل به وأقام فيه.

ويوم التلاق: يوم القيامة. قال تعالى «لينذرَ يومَ التلاقِ»(٣)، قيل: لأنّه يلتقي فيه أهل السماء والأَرض.

وقيل: يلتقي فيه الأوّلون والآخرون والخصم والمخصوم، والظالم والمظلوم.

وقيل: يلتقي الخلق والخالق.

وقيل: تلتقي الأرواح والأجساد والله أعلم.

بارك الله له في الشيء: جعل فيه الخير.

قال الراغب: البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك: مافيه ذلك الخير ومنه قوله تعالى: «أنزلني منزلاً مباركاً» أي حيث يوجد الخير الإلهي (٤)إنتهى.

---

(١) مجمع البيان: ج٥ ـ ٦ ص ٤٠٤.

(٢) تفسير الكشاف: ج٢ ص٦٥٢.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥.

(٤) المفردات: ص ٤٤.

وثـبِّت به عند اضطرابِ جسرِ جهنّمَ يومَ المجازِ عليها زَلَلَ أقدامِنا، ونوِّر به قبلَ البعثِ سدفَ قبورنا ونجّنابه من كلِّ كربٍ يومَ القيامةِ، وشدائدِ أهوالِ يومِ الطامّةِ وبيِّضْ وجوهَنا يوم تسوَدّ وجوهُ الظلمةِ في يومِ الحسرةِ والندامةِ، واجعلْ لنا في صدورِ المؤمنينَ وُدّاً ولا تجعلِ الحياةَ علينا نكداً.

والحلول في المكان: النزول به وأصله من حل الأحمال عند النزول ثم جرّد إستعماله للنّزول، فقيل: حلّ حلولا وأحلّه غيره.

والبلى بالكسر والقصر: مصدر بلى الميّت يبلى من باب ـ تعب ـ بلى وبلاء بالفتح والمدّ إذا أفنت الأرض جسده، فالمراد بدار البلى القبر، وإنّما سأل عليه السَّلام البركة في حلوله لما تواترت به الأخبار وانعقد عليه الإجماع من ثبوت نعيم القبر وعذابه فسأل عليه السَّلام أن يجعل له الخير في حلوله ليفوز بنعيمه ويجيره من عذابه.

وفي الحديث المشهور «القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّار»(١) نعوذ بالله منها.

والمقامة بالضمّ: مصدر بمعنى الإقامة.

والأطباق: جمع طبق بفتحتين كسبب وأسباب، وهو في الأصل الشيء الذي يكون على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه يقال: أطبقوا على الأمر بالألف: إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين، ثم أستعمل في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة، وفيما يوافق غيره أُخرى. فاطباق الثّرى: ما كان بعضها فوق بعض.

والثّرى: قيل: هو التراب مطلقا، وقيل: التراب الندي فإن لم يكن نديّا فهو التراب.

قال بعضهم: كأن طول الإقامة بين أطباق الثرى إشارة إلى مراتب

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٤٢، ح٢.

....

الإستحالات.

قوله عليه السَّلام: «واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا» قال بعض الأصحاب: يحتمل أن يكون المراد خير منازلنا في الدنيا قبل المفارقة وبعدها، أو خير المنازل بالنسبة إلى قبور أُخرى تتفاوت بالنعيم والعذاب، أو خيرها باعتبار عدم الإنتقال إلى جهنّم من غير تفصيل إنتهى.

قلت: وأظهر من ذلك كلّه أن يكون المراد خير منازلنا بعد فراق الدنيا إلى وقت دخول الجنّة.

فقد ورد في حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ القبر أوّل منزل من منازل الآخرة فان نجامنه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه(١).

والله أعلم بمقاصد أوليائه.

والفسحة بالضمّ: السعة، وفسح له في المكان فسحاً من باب ـ منع ـ وسع وفرج.

والضيق بالكسر: اسم من ضاق الشيء ضيقاً من باب ـ سار ـ: خلاف إتّسع.

وفي القاموس: الضيق بالفتح: ماضاق عنه صدرك ، وبالكسر: يكون فيما يتّسع ويضيق كالدار والثوب(٢).

والملاحد: جمع ملحد بمعنى اللحد وهو الشق يكون في جانب القبر.

وحاضر القيامة: إمّا بمعنى الجمع الكثير الذين يحضرون يوم القيامة من قولهم: «للحيّ العظيم والقبيلة الكبيرة» حاضر.

قال الجوهري: الحاضر: الحيّ العظيم. يقال حاضر طيّ وهو جمع، كما يقال

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٦٣.

(٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٢٥٨.

....

سامر للسمّار وحاج للحجاج(١).

وقال الزمخشري: في الفائق: الحاضر: الحيّ إذا حضر، والدار التي بها مجتمعهم ومنه حديث أُسامة؛ «وإنّهم قد أحاطوا ليلاً بحاضر»(٢).

فعمّ، أيّ ضخم جمّ، وإمّا بمعنى المكان المحضور يوم القيامة.

قال الخطابي: ربما جعلوا الحاضر اسماً للمكان المحضور فيقولون: نزلنا حاضر بني فلان فهو فاعل بمعنى مفعول(٣).

قال ابن الأثير: ومنه الحديث: «هجرة الحاضر» أي المكان المحضور(٤).

وقد تكرّر في الحديث وما وقع لبعض المترجمين من أن معنى حاضر: القيامة يوم القيامة الحاضر الذي لايخفى فعبّر عنه بالحاضر لظهوره وعدم خفائه، أو لحضور الخلائق فيه فلا يخفى سقوطه.

والمقام: بالفتح يكون مصدراً، واسم مكان القيام وزمانه، وكذلك المقام بالضمّ يكون مصدراً بمعنى الإقامة واسم مكانها وزمانها. وقد وردت الرّواية فيه بالوجهين، وإضافة الذلّ إلى المقام مجاز عقلي.

وثبت الشيء ثبوتاً من باب ـقعدـ: إستقرّ ويعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبته وثبّته.

والأضطراب: إفتعال من الضّرب، ومعناه كثرة الذهاب في الجهّات، وعدم الإستقرار في جهة، وهو من الضّرب في الأرض، وهو الذهاب فيها، وسميّ الذهاب في الأرض ضرباً لضربها بالأرجل.

والجسر بكسر الجيم وفتحها: ما يعبر عليه، مبنيّاً كان أو غير مبني، وجسر جهنّم: هو الصراط الممدود على متن جهنّم، وهو طريق المؤمنين إلى الجنّة، وقد

---

(١) الصحاح: ج٢، ص٦٣٢.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج١ ص١٨٨.

(٣) و (٤) النهاية لابن الأثير: ج١، ص٣٩٩.

....

تواترت الأخبار بأنّه يُمدّ يوم القيامة على متن جهنّم جسر أوّله في الموقف وآخره على باب الجنّة يجوزه من أخلص لله فيدخل الجنّة، ومن عصاه سقط عن جنبيه إلى النّار(١)، وورد في وصفه إنّه أدقّ من الشّعر وأحدّ من السّيف وإن المؤمن يجوزه كالبرق الخاطف(٢).

وأمّا إضطرابه الذي دلّ عليه متن الدّعاء فقد ورد في بعض الأخبار أن الصراط يتزلزل ويرتعد بأهله حتّى تكاد مفاصلهم ينحل بعضها من بعض والخلائق يتساقطون منه في النار كالذر فلا ينجو إلّا من رحم الله(٣) وعلى هذا فلا داعي إلى حمل إضافة الإضطراب إلى الجسر على المجاز لأنّ المضطرب إنّما هو أهله لا هو كما وقع لبعض المترجمين فإنّ الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز والله أعلم.

وزلل الأقدام: زلقها واسترسالها من غير قصد وإيقاع التثبيت عليه دون الأقدام مجاز في الإثبات من قبيل الإيقاع على السبب نحو: «ولا تطيعوا أمرَ المسرفين»(٤).

تنبيـه

قال بعض العلماء: إعلم أن الصراط الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الإيمان به وإن اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة، والذي عليه جمهور المسلمين ومن أثبت المعاد الجسماني يقتضي أنّه جسم في غاية الدّقة والحدّة ممدود على جهنّم وهو طريق إلى الجنّة يجوزه إليها من أطاع الله ويسقط عنه إلى النار من عصاه.

وأمّا الحكماء فقالوا بحقّيّته لكنّهم قالوا حقيقته هو الوسط الحقيقي بين الأخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهوّر والجبن، والإقتصاد بين

---

(١) بحار الأنوار: ج٨ ص٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٨ ص٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٨ ص٦٥.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٥١.

....

الإسراف والتقتير، والتواضع بين التكبر والمهانة، والعدالة بين الظلم والإنظلام، فالأوساط بين هذه الأخلاق المتضادّة هي الأخلاق المحمودة، ولكلّ واحد منها طرفا تفريط وإفراط هما مذمومان، وكلّ واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه، وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان.

قالوا: وتحقيق ذلك إنّ كمال الإنسان في التشبّه بالملائكة وهم منفكّون عن هذه الأوصاف المتضادة وليس في إمكان الانسان الأنفكاك عنها بالكليّة فغايته التباعد عنها إلى الوسط تباعداً يشبه الإنفكاك عنها، فالسخي كأنّه لابخيل ولامبذّر. فالصراط المستقيم: هو الوسط الحقّ الذي لاميل له إلى أحد الجانبين ولا عرض له وهو أدقّ من الشعر، ولذلك قال تعالى «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كلّ الميل»(١)(٢) والله أعلم.

والسدف: جمع سدفة بالضمّ، وهي الظلمة، ومنه حديث «وكشفت عنه سدف الرّيب» أي ظلمها(٣).

والكرب: الغمّ والحزن، يأخذ بالنفس، وكربه الأمر كرباً من باب ـقتل ـ أيضاً: شقّ عليه.

والأهوال: جمع هول وهو الفزع والخوف، من هالني الأمر هولاً من باب ـقال ـ أفزعني فهو هائل.

والطامّة: القيامة، من طمّ الأمر طمّا من باب ـقتل ـ أي علا وغلب لأنّها تطمّ على سائر الطامات، أي تعلوها وتغلبها ومن ذلك يقال: «ما من طامّة إلّا وفوقها طامّة»(٤).

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٢ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص ٣٥٥.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص ١٣٩.

....

والقيامة فوق كلّ طامّة، ولذلك وصفها تعالى بالكبرى فقال: «فاذاجاءتِ الطامّةُ الكبرى»(١) أي العظمى.

وقيل: هي النفخة الثّانية.

وقيل: هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى محشرهم.

وقيل: هي الساعة التي يساق فيها أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النّار إلى النّار.

وبياض الوجوه وسوادها: كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيها.

وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه وإشراق البشرة، وأهل الباطل بضدّ ذلك. قال تعالى: «يوم تبيّض وجوه وتسوّدوجوه» (٢)، وقد تقدّم الكلام عليه.

ويوم الحسرة: هو يوم القيامة لتحسّر جميع الناس فيه وتأسّفهم، أما المسيئ فعلى إساءته، وأمّا المحسن فعلى عدم إزدياده من الإحسان.

وقيل: إنّما يتحسّر من يستحقّ العقاب وأمّا المؤمن فلا يتحسّر، وفيه تلميح إلى قوله تعالى «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر»(٣) أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنّة والنار.

وروى عليّ بن إبراهيم قال: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: سُئل عن قوله تعالى: «وانذرهم يوم الحسرة»، قال: ينادي مناد من عندالله وذلك بعد ماصار أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النّار في النّار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون: لافيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنّة و النارثم ينادون جميعا أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ثم يأمر الله به فيذبح، ثم قال: ياأهل الجنّة خلود فلا موت أبدا ويا أهل النّار خلود فلا موت أبدا، وهوقول الله تعالى: «وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي

(١) سورة النازعات: الآية ٣٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٩.

....

الأمر وهم في غفلة» أي قضي على أهل الجنّة الخلود فيها وعلى أهل النّار الخلود فيها»(١).

وفي رواية أُخرى: فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذٍ ميّتا لماتوا فرحاً ويشهق أهل النّار شهقة لو كان أحد يومئذ ميّتا لماتوا حزناً(٢).

والندامة: التحسّر من تغيّر رأي على أمر فائت.

وقيل: هي كراهة الإنسان شيئاً فعله وتمنّيه أنّه لم يكن فعله.

وسمّي يوم القيامة بيوم الندامة، لندامة أهل الضلال به قال تعالى: «وأسرّوا النّدامة لمّا رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لايظلمون»(٣).

والود ـبتثليث الواو: المحبّة يقال: وددته أودّه من باب ـتعب ـ: أي أحببته والاسم المودّة، ولمّا كانت المحبّة تقتضي الالطاف والإكرام سأل عليه السَّلام أن يجعل له وداً في صدور المؤمنين والغرض سؤال خلق داعية إكرامه في صدورهم.

وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً»(٤).

قال المفسّرون: أي سيحدث لهم في القلوب مودّة من غير ماسبب من الأسباب المعهودة كقرابة أواصطناع معروف كما يقذف في قلوب أعدائهم الرّعب وذلك إمّا في الدنيا لكون المؤمنين ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله الموّدة عند الناس وإمّا يوم القيامة بأن يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم. وعن ابن عبّاس: يعني يحبّهم الله ويحببهم إلى خلقه(٥).

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج٢ ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢) مجمع البيان: ج ٥ و ٦ ص ٥١٥. فيه «لماتوافرحا».

(٣) سورة يونس: الآية ٥٤.

(٤) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٥) تفسير الكشاف: ج٣، ص٤٧.

اللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، كما بلَّغ رسالتَك، وصَدَعَ بأمرِك، ونَصَحَ لعبادك، اللّهمَّ إجعل نبيَّنا صلواتِك عليه وعلى آلِهِ يومَ القيامةِ أقربَ النبيّينَ منك مجلساً، وأمكنَهم منك شفاعةً، وأجلَّهم عندك قدراً وأوجهَهم عندك جاهاً.

وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله عزّوجلّ إلاّ أقبل الله بقلوب العباد إليه(١).

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله «إذا أحبَّ الله عبداً يقول لجبرئيل قد أحببت فلاناً فأحبّه فيحبّه جبرئيل عليه السَّلام ثم ينادي في أهل السماء إنّ الله قد أحبّ فلاناً فأحبوه فيحبّه أهل السماء ثم يوضع له المحبّة والقبول في الأرض(٢).

وفي تفسير أبي حمزة الثمالي: حدّثني أبو جعفر الباقر عليه السَّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السَّلام: قل اللّهمَّ اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّا فقالها عليّ عليه السَّلام فنزلت هذه الآية(٣).

ونكد العيش نكدا: من باب ـ تعب ـ فهو نكد ونكد كجبل وكتف: إشتدّ وتعسّر وقلّ، ومنه: «ناقة نكداء» إذا كانت قليلة الدّر صعبة الحلب، وعطاء منكود نزر قليل، ورجل نكد وأنكد شؤم عسر*.

«الكاف» للتعليل، أو للتشبيه كما مرّ مراراً، ونظيرها قوله تعالى: «واذكروه كما هداكم»(٤).

وصدع بالأمر: جهر به. من قولهم: «صدع بالحجّة» إذا تكلّم بها جهاراً. وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «فاصدعْ بما تؤمر واعرض عن المشركين»(٥) أي بالأمر أو بما تؤمر به(٦).

---

(١) و (٢) تفسير الكشاف: ج٣، ص٤٧. وايضاً مجمع البيان: ج٥ ـ ٦، ص٥٣٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦ ص ٥٣٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٥) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٦) معاني القرآن: ج٢ ص ٩٣.

....

قال الفرّاء: أراد: أظهر دينك(١).

يقال: صدع بالحق إذا أظهره وتكلّم به جهاراً، وصدع بالحجّة أي تكلّم بها وأظهرها إظهاراً تامّا كأنّه شقّ باطنها وكشف عن جليتها بحيث لا تلتبس بعد ذلك أصلاً.

وقال أهل البيان: هو مستعار من صدع الزجاجة وهي إستعارة محسوس لمعقول فإنّ الصدع المستعار وهو كسر الزجاجة محسوس، والتبليغ المستعار له معقول، والجامع التأثير وهو أبلغ من بلّغ وإن كان بمعناه لأنّ تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لايؤثر التبليغ والصدع يؤثر جزما.

والنصح: تحري الأنسان فعلا أو قولاً فيه صلاح صاحبه.

يقال: نصح له ينصح من باب ـ منع ـ نصحاً بالضّم ونصيحة هذه اللّغة الفصيحة وعليها عبارة الدعاء. وقوله تعالى: «ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم»(٢) وفي لغة يعدى بنفسه فيقال: نصحته.

وقال الراغب: نصحت لكم من قولهم: نصحت له الوّد، أي أخلصته(٣).

وإضافة النبيّ إلى ضمير المتكلّم مع غيره تعظيم لشأن المضاف إليه وتشريف له.

والمراد بالقرب في قوله عليه السّلام: «أقرب النبيّين منك مجلساً»: قرب المنزلة والرتبة لاالقرب المكاني لتنزهه تعالى عن ذلك، ولمّا كان صلّى الله عليه وآله أشرف النبيّين وسيّد المرسلين دعا له عليه السّلام بأن يجعله يوم القيامة أقربهم منه تعالى منزلة إظهاراً لشرفه وكرامتة لديه سبحانه على رؤوس الخلائق حيث يجتمع الأوّلون والآخرون ليشهد ذلك الخلائق أجمعون.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج١١ ص٦١.

(٢) سورة هود: الآية ٣٤.

(٣) المفردات: ص ٤٩٤.

....

ومكّن فلان عند السلطان مكانه: وزن ضخم ضخامة، عظم عنده وارتفع فهو مكين وهو أمكن من غيره.

و «من» في قوله: «منك» في الفقرة الأُولى: للإنتهاء على قول الكوفيّين وابن مالك لقولهم قربت منك مثل قولك قربت إليك(١)، وفي الفقرة الثانية: بمعنى «عند» لمساواتها قولك أمكن عندك وموافقة من لعند.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: «لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا»(٢) أي عنده(٣)، وتأولها الجمهور على البدل أي بدل طاعة الله أو بدل رحمة الله وهذا التأويل لايصح هنا.

وجلّ يجلّ من باب ـ ضرب ـ جلالة: عظم فهو جليل.

وقَدر الشّيء بالسّكون: مبلغه ثم استعمل في الحرمة والوقار والتعظيم.

يقال: ما لفلان عندي قدر: أي حرمة ووقار ومنه: «ما قدروا الله حقّ قدرِهِ»(٤) أي ماعظموه حقّ تعظيمه.

ووجه بالضمّ وجاهة فهو وجيه: إذا كان له حظ ورتبة وحرمة، قال العبّاس بن مرداس:

وقال بنيّ عاد هلكتم فجهزوا خيـاركم أهل الوجاهة والمجد(٥)

والجاه: القدر والمنزلة والحظوة عند الناس.

قال الراغب: قال بعضهم: الجاه مقلوب عن الوجه، لكن الوجه يقال في العضو والحظوة، والجاه لايقال إلّا في الحظوة(٦).

---

(١) خزانة الأدب: ج٣ ص ٣٣٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٦.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١ ص٨٧.

(٤) سورة الانعام: الآية ٩١.

(٥) أساس البلاغة: ص ٦٦٧.

(٦) المفردات: ص ٥١٤.

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِهِ،وشرِّف بنيانَه وعظِّم برهانَه،وثقِّلْ ميزانَه، وتقبَّلْ شفاعتَه،وقرِّبْ وسيلَته،وبيِّضْ وجهَه،وأتمَّ نورَه،وارفع درجتَه، وأحيِنا على سنّتِهِ وتوفَّنا على ملّته،وخُذ بنا منهاجَه،واسلُك بنا سبيلَه واجعلنامِن أهل طاعتِهِ،واحشُرنافي زمرته وأوردنا حوضَه،واسقنا بكأسه.

الشرف بفتحتين: علو المنزلة والمكان العالي. وشرّفه الله تشريفا: أعلاه.

والبنيان: البناء وكلاهما مصدران ويستعملان بمعنى المبني.

قال الزمخشري في الأساس: بنى بيتاً أحسن بناء وبنيان وهذا بناء حسن وبنيان حسن «كأنّهم بنيان مرصوص» سمّي المبني بالمصدر(١) إنتهى.

وفي معنى هذه الفقرة قول أمير المؤمنين عليه السَّلام في خطبة علّم فيها الناس الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله: «اللّهمَّ أعلِ على بناء البانين بناءَه»(٢).

قال الشيخ كمال الدين ميثم البحراني «قدّس سرّه»: يحتمل أن يريد «ببنائه» ماشيّده من الدين فيكون، إعلاؤه المطلوب هو إتمام دينه وإظهاره بعده على الأديان كلّها، ويحتمل أن يريد به ماشيّده من ملكات الخير واستحقّه من مراتب الجّنة وقصورها(٣) إنتهى.

والإحتمالان جاريان في عبارة الدّعاء، ويحتمل وجهاً ثالثاً: وهو أن يكون المراد ببنيانه مابناه من الشّرف والذكر والمكارم.

قال في القاموس: وتكون البناية في الشرف(٤).

وفي الأساس بنى مكرمة وأبتناها وهو من بناة المكارم. قال:

بناة مكارم وأساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء(٥)

إنتهى.

---

(١) أساس البلاغة: ص ٥١.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٠١ الخطب ٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٢ ص٢٠٢.

(٤) القاموس المحيط: ج٤، ص٣٠٥.

(٥) أساس البلاغة: ص ٥٢.

....

والبرهان: الدّليل والحجّة. وتعظيمه عبارة عن إعلائه وإظهاره، وقهر الخصم به وإذهان (١) العقول والأفهام له.

وتثقيل الميزان: كناية عن ترجيح الحسنات وتكثير الخيرات قال تعالى: «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضيةٍ»(٢).

قال بعضهم: الوزن عبارة عن القدر والخطر فكان المعنى: فأمّا من عظم قدره عندالله لكثرة حسناته فهو في معيشة(٣) يرضاها(٤).

وتقبّل شفاعته: أي إقبلها، وإنّما عدل إلى صيغة التفعل لكونها مشعرة بحسب أصل الوضع بالتكلّف، وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل فكان المراد بها في حقّه تعالى مايترتّب عليه من كمال قوّة الفعل وكثرته.

والوسيلة: مايتوسّل به إلى الشيء برغبة. قال الراغب: وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرّي مكارم الشريعة وهي كالقربة(٥) إنتهى.

وتقريبها: عبارة عن قبولها وكمال الرضا بها.

وتبييض الوجه: كناية عن إيتائه من الكرامة والفضيلة مايسرّ به فيظهر لذلك بهجة المسرّة في وجهه.

قال بعضهم: لما كان البياض أفضل لون عندهم عبرّ عن الفضل والكرم بالبياض حتى قيل لمن لم يتدنّس بمعاب هو أبيض الوجه(٦).

وقوله تعالى: «يوم تبيّض وجوه»(٧) عبارة عن المسرّة واسودادها عن الغمّ، **وعلى نحو ذلك قوله تعالى: «وجوه يومئذٍ ناضرة»(٨)و«وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة»(٩).**

---

(١) «ألف»: اذعان.
(٢) القارعة: الآية ٦ و٧.
(٣) «ألف»: عيشة.
(٤) تهذيب اللغة: ج١٣ ص٢٥٦.
(٥) المفردات: ص ٥٢٤.
(٦) خزانة الأدب: ج٥ ص٢٨٣.
(٧) آل عمران: الآية ١٠٦.
(٨) القيامة: الآية ٢٢.
(٩) سورة عبس: الآية ٣٨ و٣٩.

....

ونوره صلّى الله عليه وآله إمّا النور الذي بعث به أي الدين.

وإتمامه: إنتشاره في قلوب العالمين، وإمّا النور الذي في جوهر ذاته، وإتمامه: زيادة كماله.

ورفع درجته: عبارة عن إعطائه كمال الرفعة وتشريفه بالفضيله التّامة.

وسنّته صلّى الله عليه وآله: طريقته التي كان عليها وسبيله التي دعا إليها وهي الموصلة إلى ثواب الله تعالى وجواره.

وملّته: دينه، غير أن الملّة لا تستعمل إلّا في جملة الشرائع دون آحادها ولا تضاف إلّا إلى النبيّ الذي تسند إليه نحو: «اتبعوا ملّة إبراهيم»(١)، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد اُمّة النبيّ، فلا يقال ملّة الله ولا ملّتي ولا ملّة زيد كما يقال: دين الله وديني ودين زيد، وأصل الأخذ التناول وإمساك الشيء باليد، يقال: أخذ الخطام وأخذ بالخطام أي أمسكه ثم استعمل في مطلق الإستيلاء على الشيء وما تضمن معناه فيقال: خذبنا طريق القوم أي سر بنا طريقهم لما في السير بالشيء من الإستيلاء عليه.

وفي الحديث: «فيؤخذ بهم ذات الشّمال» فأقول ربّ أصحابي وأصحابي أي يسار بهم(٢).

والمنهاج: الطريق الواضح: أي سر بنا منهاجه ولمّا كان غرضه عليه السَّلام بالسؤال إفاضة قوّة جاذبة قاهرة له على سلوك منهاجه صلّى الله عليه وآله أثر التعبير بالأخذ الذي لايكون إلّا بطريق الاستيلاء والقهر.

وسلكت بزيد الطريق: ذهبت به فيه.

والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة يذكّر ويؤنث والمراد بسبيله صلّى الله عليه

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) الاعتقادات للصدوق: باب الاعتقاد في الحوض ص٨٥ بضميمة كتاب الحادي عشر.

....

وآله: السبيل المشار إليها بقوله تعالى: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني»(١) أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص سبيلي وطريقتي وسيرتي.

وقوله: «ادعوا إلى الله» تفسير لسبيله.

واجعلنا من أهل طاعته أي من المنقادين لأحكامه الممتثلين لأوامره.

والحشر: إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم منه.

وقيل: جمعهم من كلّ ناحية للخروج حشرهم حشراً من باب ـقتل ـ ومن باب ـضرب ـ لغة وبالأُولى قرأ السبعة.

والزُّمرة بالضم: الجماعة من الناس واشتقاقها من الزّمر وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه.

وورد البعير وغيره الماء يرده وروداً: بلغه ووافاه ويعدّى بالهمزة فيقال: أوردته إيراداً.

والحوض: مجتمع الماء، وحوضه صلّى الله عليه وآله: هو الذي يرده خيار أُمته يوم القيامة.

قال بعض أصحابنا: قد ثبت أن له صلّى الله عليه وآله حوضاً في الآخرة من طرق الخاصّة والعامّة رواه مسلم عن سبعة عشر صحابيّا(٢) ورواه غيره عن عشرة منهم غيرهم.

قال عياض: الإيمان به واجب والتصديق به من الأيمان(٣) إنتهى.

وقال القرطبي: ممّا يجب على كل مكلّف أن يعلمه ويصدق به، أن الله تعالى قد خصّ نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وآله بالحوض المصرّح باسمه وصفاته وشرابه في

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٧٩٢ باب اثبات حوض نبينا صلّىٰ الله عليه وسلم وصفاته ح٢٥ الى ٤٥.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج٢ ص ٢ و ٣.

....

الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل مجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عنه صلّى الله عليه وآله من الصحابة نيّف على الثلاثين منهم في الصحيحين ماينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صحّ نقله واشتهرت روايته(١).

وقال القرطبي أيضاً: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس والصحيح: أن للنبيّ صلّى الله عليه وآله حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنّة وكلّ منهما يسمّى كوثراً(٢).

وتعقبه ابن حجر: بأنّ الكوثر: نهر داخل الجنّة وماؤه يصبّ في الحوض ويطلق على الحوض كوثراً لكونه يمدّ منه إنتهى(٣).

قلت: وممّا ورد من طرقنا في وصف الحوض: مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنّة التي وعدنيها ربي ويتمسّك بقضيب غرسه ربّي بيده فليتوال عليّ بن أبي طالب وأوصياءه من بعده فإنّهم لايدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدى فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم وإنّي سألت ربي أن لايفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا عليّ الحوض هكذا وضمّ بين إصبعيه، وعرضه مابين صنعاء إلى أيلة فيه قدحان ذهب وفضّة عدد النجوم(٤) إنتهى.

وصنعاء ممدودة: قصبة معروفة من بلاد اليمن وأيلة بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت مدينة معروفة نصف مابين مكة ومصر وقيل: هي جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع(٥).

---

(١) فتح الباري: ج١١ ص٤٦٧. نقلاً عن القرطبي.

(٢) فتح الباري: ج١١ ص٤٦٦ نقلاً عن القرطبي في كتابه التذكرة.

(٣) فتح الباري: ج١١ ص٤٦٦.

(٤) الكافي: ج١، ص٢٠٨، ح٦.

(٥) مرآة العقول: ج٢ ص٤٢٤.

وصلِّ اللّهمَّ على محمَّدٍ وآلِهِ صلاةً تبلّغُه بها أفضلَ مايأمُلُ من خيرِك وفضلِكَ وكرامتِك إنّك ذو رحمةٍ واسعةٍ وفضلٍ كريمٍ. اللّهمَّ اجزِهِ بما بلَّغ من رسالاتِكَ وأدّى من آياتِكَ، ونَصَح لعبادك، وجاهَدَ في سبيلك، أفضلَ ماجزيتَ أحداً من ملائكتِك المقرّبين، وأنبيائِك المرسَلين المصطَفِينَ والسَّلامُ عليه وعلى آلِهِ الطيبين الطاهرين، ورحمة الله وبركاته.

وروى ثقة الإسلام أيضاً في كتاب الروضة في وصيّة الله تعالى لعيسى عليه السَّلام حيث قال في وصف محمَّد صلّى الله عليه وآله: له الكوثر والمقام الأكبر في جنات عدن يعيش أكرم معاش ويقبض شهيداً له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم فيه آنية مثل نجوم السماء وأكواب مثل مدر الأَرض عذب فيه من كلّ شراب وطعم كلّ ثمار الجنّة من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً(١).

قال بعض الأصحاب: لابد من حمل التحديد في هذا الخبر على المقدار في الطول للجمع بينه وبين الحديث السابق المصرّح فيه بتحديد العرض وإلّا وقع الإختلاف بينهما اللّهمَّ إلّا أن يقال: المقصود منهما هو الكناية عن السعة لاعلى التقدير المحقّق إنتهى.

والضمير في قوله عليه السَّلام: «واسقنا بكأسه» يحتمل عوده إلى الحوض إشارة إلى الأقداح والآنية والأكواب التي فيه، ويحتمل عوده إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وإضافتها إليه باعتبار أنّه الساقي بها أو باعتبار أنّ السّقي بها إنّما يكون بإذنه عليه السَّلام.

قال الراغب: صلوات الله على العباد في التحقيق تزكية لهم أي تنمية بالخيرات والبركات وهي من الملائكة والناس الدعاء والإستغفار(٢).

وأملته أمله من باب ـ طلب ـ: رجوته فأنا آمل وهو مأمول على فاعل ومفعول.

---

(١) روضة الكافي: ج٨، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) المفردات: ص ٢٨٥.

....

وأملته تأميلا: مبالغة وتكثير وهو أكثر إستعمالا من المخفّف حتى أنكر بعضهم التخفيف وكأنّه لم يسمع قول كعب: أرجو وآمل يدنو(١) مودّتها، وقوله أيضاً: وقال كلّ خليل كنت آمله والخير مايختار ويرغب فيه، وخيره تعالى خير مطلق أي مرغوب فيه على كلّ حال وعند كلّ أحد.

والفضل: العطاء الذي لايلزم المعطي وعليه قوله تعالى: «واسئلوا الله من فضله»(٢).

والكرامة: اسم من أكرمه إكراماً إذا فعل به مايوجب تعظيمه وتوقيره.

وجملة: «إنّك ذو رحمة واسعة»: مستأنفة وهي تعليل لما قبلها وتحريك لسلسلة الإجابة وهو إقتباس من قوله تعالى: «فقل ربّكم ذو رحمة واسعة»(٣) أي لا تضيق عن شيء كما قال تعالى: «ورحمتي وسعت كلّ شيء»(٤).

وفضل كريم: أي خطير كبير وافر كثير لايخاف عليه فناء ولا نقصان، والعرب تصف كل نفيس مستحسن بكونه كريماً.

قال الواحدي: الكرم اسم جامع لكل مايحمد ويستحسن في بابه(٥)، فالله تعالى كريم لأنّه محمود في كلّ مايحتاج إليه، والقرآن كريم لأنه يوجد فيه بيان كلّ شيء: «أُولئك لهم مغفرة ورزق كريم»(٦) هو نعيم الجنّة المقرون بالدوام واللّذة.

والباء من قوله: «بما بلّغ» للمقابلة، وهي الدّاخلة على الأعواض نحو: إشتريته بألف وكافأت إحسانه بضعف.

وقوله تعالى: «ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون»(٧) ويجوز أن تكون للسّببيه أي بسبب تبليغ مابلغ من رسالاتك «وما»: على التقديرين موصولة. و«من»: بيان لها.

---

(١) «ألف»: وآمل أن تدنو.
(٢) المفردات: ص ٣٨٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٧.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.
(٥) التفسير الكبير الرازي: ج١٥ ص١٢٤.
(٦) سورة سباء: الآية ٤.
(٧) سورة النحل: الآية ٣٢.

....

وبلّغ الرسالة تبليغاً: أنهاها وأداها إلى المرسول إليه بها.

والرسالة بالكسر: قد تكون اسم مصدر بمعنى التوجيه وقد تكون بمعنى القول المتحمّل وهو المراد هنا.

وأدّى من آياتك: أي وبما أوصله منها، من أدّى الأمانة تأدية إذا أوصلها إلى أهلها، والاسم الأداء بالمدّ.

والآيات: جمع آية إمّا بمعنى الآية من القرآن ومعنى تأديتها ظاهر، وإمّا بمعنى العلامة أي علامات ربوبيّتك ووحدانيّتك فتكون تأديتها عبارة عن تنبيه الخلق عليها وإرشادهم إليها وقد أسلفنا الكلام على بيانها(١) في شرح السند فليرجع إليه.

ونصحه عليه السَّلام للعباد هو تحرّيه وقصده لمافيه صلاحهم قولاً وفعلاً.

والجهاد والمجاهدة: إستفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو يكون باليد واللسان.

قال عليه السَّلام: «جاهدوا الكفّار بأيديكم وألسنتكم». وسبيله تعالى مايوصل إلى رضاه وثوابه.

والملائكة المقرّبون: قيل هم الذين قرّبهم الله سبحانه ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه، وقيل: هم الكروبيّون الذين حول العرش وقيل: هم أعلى من الكروبيّين رتبة.

وقال الحكماء: هم الذوات المقدّسة عن الجسميّة والجهة وعن حاجتها إلى القيام بها.

والنبيّ: من أُوحي إليه بملك، أو أُلهم في قلبه، أو نُبّه بالرؤيا الصّالحة.

فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً.

وإصطفاء الله سبحانه للأنبياء والمرسلين يعود إلى إفاضة الكمال النبوي عليهم

---

(١) «الف»: بنائها.

....

بحسب ماوهبته لهم العناية الإلهيّة من القبول والإستعداد.

والطيب من الإنسان من تعرّى من دنس الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال.

والطاهر: من طهر من نجاسة الميلاد، وتنزّه عن درن المعاصي والفساد.

ورحمة الله تعالى: أنعامه وأفضاله.

وبركاته: خيراته النامية المتكاثرة التي لاتحصى ولا تحصر. وفيه: إقتباس من قول الملائكة في سورة هود: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت»(١).

روي أنّ أمير المؤمنين عليه السَّلام مرّ بقوم فسلّم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال عليه السَّلام: لاتجاوزوا بنا ماقالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السَّلام: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد (٢) والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثانية والاربعين من رياض السالكين وقد وفق الله سبحانه بمنّه وكرمه، لا تمامها، وحسن ختامها ضحوة يوم الأربعاء لا ثنتي عشرة خلون من صفر سنة أربع ومائة وألف ولله الحمد كثيرا، والصلاة على نبيّه وآله الذين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

---

(١) سورة هود: الآية ٧٣.

(٢) مجمع البيان: ج٥ ـ ٦ ص ١٨٠.

الروضة الثالثة والأربعون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْهِلَالِ

أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ الدَّائِبُ السَّرِيعُ الْمُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ الْمُتَصَرِّفُ
فِي فَلَكِ التَّدْبِيرِ آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهَمَ
جَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ مُلْكِهِ وَعَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ سُلْطَانِهِ وَامْتَهَنَكَ
بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ وَالطُّلُوعِ وَالْأُفُولِ وَالْإِنَارَةِ وَالْكُسُوفِ فِي
كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ سُبْحَانَهُ مَا أَعْجَبَ مَا
دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ وَأَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ
حَادِثٍ لِأَمْرٍ حَادِثٍ فَأَسْأَلُ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكَ وَخَالِقِي وَخَالِقَكَ
وَمُقَدِّرِي وَمُقَدِّرَكَ وَمُصَوِّرِي وَمُصَوِّرَكَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ
آلِهِ وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَةٍ لَا تَمْحَقُهَا الْأَيَّامُ وَطَهَارَةٍ لَا تُدَنِّسُهَا
الْآثَامُ هِلَالَ أَمْنٍ مِنَ الْآفَاتِ وَسَلَامَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ هِلَالَ سَعْدٍ
لَا نَحْسَ فِيهِ وَيُمْنٍ لَا نَكَدَ مَعَهُ وَيُسْرٍ لَا يُمَازِجُهُ عُسْرٌ وَخَيْرٍ لَا
يَشُوبُهُ شَرٌّ هِلَالَ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَنِعْمَةٍ وَإِحْسَانٍ وَسَلَامَةٍ وَإِسْلَامٍ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَى مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ وَأَزْكَى
مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ وَوَفِّقْنَا فِيهِ لِلتَّوْبَةِ وَاعْصِمْنَا

فيه من الحوبة واحفظنا من مباشرة معصيتك واوزعنا فيه شكر
نعمتك والبسنا فيه جنن العافية واتمم علينا باستكمال طاعتك
فيه المنة انك المنان الحميد وصلى الله على
محمد واله الطيبين الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

الحمد لله الذي اطلع في افق السماء أهلّة الشهور، وجعلها مواقيت للنّاس والحج على مرّ الدهور والصلاة والسّلام على نبيّه الذي هو في جبهات الأنبياء غرّة ولأعين الناظرين إلى هلال جبينه الشريف قرّة وعلى أهل بيته شموس الخلافة وبدور الولاية وأقمار الإمامة ونجوم الهداية.

وبعد: فهذه الروضة الثالثة والأربعون من رياض السالكين تتضمّن شرح الدعاء الثالث والأربعين من صحيفة سيد العابدين سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الهاذين.

أملاء راجي فضل ربّه السني علي صدرالدين بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني أطلع الله هلال أمله في مطالع النجاح بدراً وشرح له بالإيمان والأمان صدراً.

---

(١) «ألف»: وبه ثقتي.

شرح الدعاء الثالث والأربعين

وكان من دعائه عليه السَّلام إذا نظر إلى الهلال.

الهلال: غرّة القمر أو لليلتين أو إلى ثلاث أو إلى سبع، ولليلتين من آخر الشهر ستّ وعشرين وسبع وفي غير ذلك قمر كذا في القاموس(١).

وقال الفارابي في ديوان الأدب وتبعه الجوهري في الصحّاح، الهلال: لثلاث ليال من أوّل الشهر ثم هو قمر بعد ذلك(٢).

وقال الأزهري: يسمّى لليلتين من أوّل الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً ومابين ذلك يسمّى قمراً(٣).

وقال بعضهم: الصّحيح إنّه مخصوص بأوّل يوم فإن خفي ففي الثاني وفي ماعدا ذلك يسمّى قمراً، فلو غطاه سحاب أو نحوه فلم يظهر إلّا بعد ذلك فهو قمر ولا يدعى هلالاً.

واختاره أبو حيان في الإرتشاف(٤).

وقال العلّامة الطبرسي «قدّس سرّه» في مجمع البيان قال بعضهم: يسمّى

---

(١) القاموس المحيط: ج٤ ص٧٠.

(٢) ديوان الأدب: ج٣ ص٩٣، الصحاح: ج٥ ص١٨٥١.

(٣) تهذيب اللغة: ج٥ ص٣٦٦.

(٤) لايوجد لدينا كتابه.

....

هلالاً لليلتين من الشهر ثمّ لايسمّى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني، وقال آخرون: يسمّى هلالا ثلاث ليال ثم يسمّى قمراً، وقال آخرون: يسمّى هلالاً حتى يتحجّر، وتحجّره أن يستدير بخط دقيق وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم: يسمّى هلالاً حتّى يبهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في الليلة السّابعة(١) إنتهى.

قال شيخنا البهائي طاب ثراه: لا يخفى أنّ قوله وهذا يكون في اللّيلة السابعة يخالف بظاهره قول صاحب القاموس أو إلى سبع، ووجه التوفيق بينهما غير خفيّ(٢) إنتهى.

يريد أنّ وجه التوفيق بحمل عدم دخول مابعد إلى من كلام صاحب القاموس في حكم ماقبلها.

قالوا: واشتقاق الهلال من الإهلال وهو رفع الصوت لرفع الناس أصواتهم بالتكبير، أو بذكره عند رؤيته، ومنه الإهلال في الذبيحة: وهو رفع الصّوت بالتسمية، وأهلّ المحرم بالإحرام: رفع صوته بالتلبية وأهلّ المولود واستهلّ: إذا رفع صوته بالبكاء عند الولادة وكلّ من رفع صوته فقد أهلّ إهلالاً واستهلّ إستهلالاً بالبناء للفاعل فيهما، وأهلّ الهلال بالبناء للمفعول وللفاعل أيضاً، ومنهم من يمنعه، واستهلّ بالبناء للمفعول، ومنهم من يجيز بناءه للفاعل.

وهلّ: من باب ـضرب ـ لغة أيضاً حكاها الثّقة إذا ظهر، وأهللنا الهلال واستهللناه رفعنا الصوت برؤيته وجمعه أهلّة، وأهاليل قيل. وإنّما سمّي بعد الهلال قمراً لأنّه يقمر ضوء الكواكب أي يغطيها، وقيل: سمّي قمراً لبياضه، والأقمر: الأبيض، ويتعلّق بالمقام مسائل لابأس بالتعرّض لها.

الأُولى: الدعاء عند رؤية الهلال سنّة مأثورة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله

---

(١) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٢٨٣.

(٢) الرسالة الهلالية: ص١.

....

وأوصيائه المعصومين عليهم السَّلام، ولاريب في إستحبابه بإجماع المسلمين.

وانفرد ابن أبي عقيل رحمه الله بالقول بوجوب قراءة هذا الدعاء عند رؤية هلال شهر رمضان وهو: «الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدّر منازلك وجعلك مواقيت للناس، اللَّهمَّ أهلّه علينا إهلالاً مباركاً، اللَّهمَّ ادخله علينا بالسلامة والإسلام واليقين والإيمان والبرّ والتقوى والتوفيق لما تحبّ وترضى(١).

قال شيخنا البهائي طاب ثراه: قول ابن أبي عقيل بوجوب ذلك لانعلم له فيه موافقاً وكأنّه وجد الأمر بهذا الدّعاء في بعض الرّوايات فحمله على الوجوب كما هو مقرّر في علم الأُصول ولم يلتفت إلى تفردّه بين الأصحاب بهذا الحكم، وربّما حمل قوله بالوجوب على إرادة تأكيد الإستحباب صوناً له عن مخالفة الجمهور(٢).

وقال العلاّمة الحلّي قدّس سرّه في المختلف: ولم يوجب أحد من أصحابنا ذلك فإن كان مراده من الوجوب تأكيد الإستحباب فسلّم، وإن أراد المعنى الحقيقي فممنوع(٣).

الثانية: للدعاء عند رؤية الهلال آداب ينبغي مراعاتها حال قراءة الدعاء منها:

أن يكون قراءة الدعاء في المكان الذي رأى فيه الهلال كما يدلّ على ذلك مارواه الصّدوق رحمه الله في الفقيه(٤)، وشيخ الطائفة في التهذيب(٥) والمصباح عن أمير المؤمنين عليه السَّلام إنّه قال: إذا رأيت الهلال فلا تبرح وقل: اللَّهمَّ إنّي أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونوره ونصره و بركته وطهوره ورزقه واسألك خير مافيه وخير مابعده وأعوذبك من شرّ مافيه وشرّ مابعده، اللَّهمَّ أدخله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والبركة والتقوى والتوفيق لما تحبّ وترضى (٦).

فإنّ قوله عليه السَّلام: لا تبرح: أي لا تزل عن مكانك الذي رأيته فيه، يقال:

---

(١) مختلف الشيعة: ص ٢٣٦.
(٢) الرسالة الهلالية للشيخ البهائي: ص ٢.
(٣) مختلف الشيعة: ص ٢٣٦.
(٤) من لايحضره الفقيه: ج٢ ص ١٠٠ ح ١٨٤٥.
(٥) تهذيب الاحكام: ج٤ ص١٩٧ ح٥٦٤.
(٦) المصباح المتهجّد: ص ٤٨٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

برح يبرح من باب ـتعبـ براحاً: زال من مكانه، واحتمال أنّ المراد لا تؤخر وقل على الفور خلاف الظاهر.

ومنها: أن لايشير إلى الهلال بيده ولا برأسه ولا بشيء من جوارحه كما تضمّنته الرواية عن الصادق عليه السَّلام: إذا رأيت هلال شهر رمضان فلا تشر إليه ولكن استقبل القبلة وارفع بيديك إلى الله عزّوجلّ وخاطب الهلال وقل: ربّي وربّك الله ربّ العالمين اللّهمَّ أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والمسارعة إلى ماتحبّ وترضى، اللّهمَّ بارك لنا في شهرنا هذا وارزقنا عونه وخيره واصرف عنّا ضرّه وشرّه و بلاءه وفتنته(١).

ولعلّ هذا الحكم مختص بشهر رمضان. وصرّح بعض العامّة بكراهيّته مطلقا وعلّله بأنّه من أفعال الجاهليّة، وأمّا إستقبال القبلة ورفع اليدين فلا خصوصيّة لهما(٢) بدعاء الهلال مطلقا بل يعمّان كلّ دعاء.

ومنها: أن يخاطب الهلال بالدعاء كما تضمّنته الرواية المذكورة، ولعلّ المراد مخاطبته بما يتعلّق به من الألفاظ نحو قوله عليه السَّلام: «ربّي وربّك الله» وغير ذلك ممّا اشتملت عليه الأدعية المأثورة لرؤية الهلال كأكثر ألفاظ هذا الدعاء الذي نحن بصدد شرحه، ولا منافاة بين إستقبال القبلة ومخاطبة الهلال في البلاد التي لايمكن فيها إستقبالهما معاً لأنّ مخاطبة الهلال لايستلزم إستقباله إذ قد يخاطب الإنسان من استدبره، ويمكن القول بإستقبال الدّاعي الهلال حال قراءة مايتعلّق بخطابه من فصول الدعاء واستقبال القبلة فيما عدا ذلك.

الثالثة: قال شيخنا البهائي طاب ثراه: يمتدّ وقت قراءة الدعاء بامتداد وقت التسمية هلالاً والأولى عدم تأخيره عن الليلة الأولى عملاً بالمتيقّن المتّفق عليه لغة

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج٢ ص ١٠٠ ح ٢٨٤٦.
(٢) «ألف»: لها.

قال صلوات الله وسلامُهُ عليه: أيُّها الخلقُ المطيعُ،الدّائبُ السّريعُ، المتردِّد في منازلِ التقدير المتصرّفُ في فَلَكِ التّدبيرِ.

وعرفاً فإن لم يتيسّر فعن الليلة الثانية لقول أكثر أهل اللّغة: بالامتداد إليها، فإن فاتت فعن الثالثة لقول كثير منهم: بأنّها آخر لياليه، وأمّا إطلاق الهلال عليه إلى السابعة فكأنّه مجاز من قبيل إطلاقه عليه في الليلة السادسة والعشرين والسابعة والعشرين(١).

فلو نذر قراءة دعاء الهلال وغيره عند رؤيته وقلنا بالمجازيّة فيما فوق الثلاث لم تجب عليه القراءة برؤيته فيما فوقها حملاً للمطلق على الحقيقة، وهل تشرع؟ الظاهر نعم إن رآه في تتمّة السّبع رعاية لجانب الإحتياط، أمّا فيما فوقها فلا لأنّها تشريع، ولو رآه يوم الثلاثين فلا وجوب على الظاهر لعدم تسميته حينئذٍ هلالاً، وما في حسنة حماد بن عثمان عن الصادق عليه السّلام، من إطلاق اسم الهلال عليه قبل الغروب لعلّه مجاز إذ الأصل عدم النقل(٢) إنتهى.

أي: اسم مبهم يتوصّل به إلى نداء مافيه أهل لاستكراههم إجتماع آلتي تعريف صورة، وإن كان في إحديها من الفائدة ماليس في الأُخرى ففصّلوا بينهما باسم مبهم يحتاج إلى مايزيل إبهامه ليكون المنادى في الظاهر ذلك المبهم، وفي الحقيقة ذلك المخصّص الذي يزيل الإبهام ويعيّن الماهيّة، والتزموا بعدها هاء التنبيه تنبيهاً على أنّ المنادى الحقيقي هو مابعدها وإن كان في الظاهر تابعاً لها، ولذلك إلتزم رفعه لأنّه المقصود بالنداء، والمنادى المفرد لاينصب.

قال أبو حيّان في الارتشاف: التابع لأيّ في النّداء وصف، وقيل: عطف بيان، قال ابن السيد: وهو الظاهر (٣) إنتهى.

وفي شرح الخلاصة لبدر الدين بن مالك إنه إن كان مشتقّا فهو نعت نحو ياأيّها

---

(١) الرسالة الهلالية: ص ٢. (٢) الرسالة الهلالية: ص٤. (٣) لايوجد لدينا كتابه.

....

الفاضل وإلّا فهو عطف بيان نحو يا أيّها الرجل.

فإن قلت قد نقل صاحب القاموس جواز النصب في تابع أيّ، فقال: وأُجيز نصب صفة أيّ فتقول يا أيّها الرّجل أقبل(١)، فكيف ادّعيت إلتزام الرّفع فيه؟

قلت: جواز النصب قول قال به المازني(٢) ولم يلتفت إليه أحد.

قال الزجاج: ولم يتقدّمه أحد إلى ذلك ولا تابعه عليه أحد وهو مخالف لكلام العرب(٣).

والخلق: في الأصل مصدر بمعنى التقدير وإبداع الشيء من غير أصل ولا إحتذاء، ثم استعمل بمعنى المخلوق كاللّفظ بمعنى الملفوظ.

ودأب في عمله دأباً من باب -منع-، ودأباً بفتحتين ودؤباً على فعول بالضّم: جدّ واجتهد وتعب فهو دائب.

وقيل: الدؤب:(٤) دوام العمل على حالة مستمرّة مطردة أخذاً من الدأب بمعنى العادة المستمرّة دائماً على حالة. قال تعالى: «وسخّر لكم الشّمس والقمر دائبَين»(٥)، أي مستمرّين في سيرهما وإنارتهما وسائر منافعهما وخواصّهما على عادة مطردة دائمة.

والسرعة ضدّ البطؤ، يقال سرع سرعاً فهو سريع على وزن صغر صغراً فهو صغير، وأسرع إسراعاً فهو مسرع، وفرّق سيبويه بين سرع وأسرع فقال: أسرع: طلب ذلك من نفسه وتكلّفه كأنّه أسرع المشي أي عجّله وأمّا سرع فكأنّها غريزة(٦).

وعرّف الحكماء السرعة بأنّها كيفيّة قائمة بالحركة بها تقطع المسافة المساوية لمسافة أُخرى في زمان أقصر من زمانها أو مسافة أطول في الزمان المساوي أو الأقصر

---

(١) القاموس المحيط: ج٤ ص ٣٠٢.

(٢) خزانة الأدب: ج١ ص١٥٠.

(٣) خزانة الأدب: ج٢ ص١٥٠.

(٤) «ألف»: الدوب.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٣.

(٦) لم نعثر عليه.

....

والسرعة والبطؤ في شيء واحد بالذات وهو كيفيّة واحدة قابلة للشدّة والضعف، وإنّما يختلفان بالإضافة العارضة لهما، فما هو سرعة بالقياس إلى شيء هو بعينه بطؤ بالقياس إلى آخر، ووصفه عليه السَّلام القمر بالسرعة إشارة إلى سرعة حركته العرضيّة التي تكون بتوسّط فلك تدويره فإنّه أسرع من سائر الكواكب حركة بهذا الإعتبار، أمّا الثوابت فظاهر لكون حركتها من أبطأ الحركات حتى أنّ القدماء لم يدركوها فقيل: إنّها تتمّ الدورة في ثلاثين ألف سنة، وقيل: في ستّةٍ وثلاثين ألف سنة، وأمّا السيّارات فلأنّ زحل يتمّ الدورة في ثلاثين سنة، والمشتري في اثنتي عشرة سنة، والمرّيخ في سنة وعشرة أشهر ونصف شهر، وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب سنة، وأمّا القمر فيتمّ الدّورة في نحو من ثمانية وعشرين يوماً فكان أسرعها حركة، وأمّا حركته الذاتيّة وإن قال: بها جمّ غفير من أساطين الحكماء حيث أثبتوا لجميع الكواكب حركة ذاتية تدور بها على أنفسها فهي على تقدير ثبوتها غير محسوسة ولا معروفة، فحمل وصف القمر بالسرعة على هذه الحركة بعيد، نعم لايبعد حمله على حركته المحسوسة على أنّها ذاتيّة له كما ذهب إليه بعضهم من جواز كون بعض حركات السيّارات في أفلاكها من قبيل حركة السابح في الماء، ويؤيّده ظاهر قوله تعالى: «والشّمس والقمر كلٌ في فلكٍ يسبحون»(١)، والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «المتردّد في منازل التقدير» يقال: تردّدتُ إلى فلان: أي رجعت إليه مرّة بعد أُخرى وتردّدت في الطريق إذا سرت فيها مرّة بعد أُخرى.

والمراد بمنازل التقدير: منازل القمر التي قدرت له أي جعلت له على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسب ما اقتضته الحكمة وهي المشار إليها بقوله تعالى: «والقمر قدّرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم»(١) وقوله تعالى: «هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السّنين والحساب»(٣)،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٣. (٢) سورة يس: الآية ٣٩. (٣) سورة يونس: الآية ٥.

....

أي قدّرنا مسيره منازل، أو قدرناه دا منازل وكذلك قوله: «وقدّره منازل»(١).

قال العلّامة النيسابوري: ومنزل القمر هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وهي: الشرطان والبطين والثريّا والدبران والهقعة(٢) والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والإكليل والقلب والشوْلة والنعايم والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود وسعد الأخبية، والفرع المقدّم، والفرع المؤخّر، والرشاء، وهي كواكب ثابته معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فيرى القمر كل ليلة نازلاً بقرب واحد منها وذلك إنّهم قسّموا دور الفلك وهو اثناعشر برجاً على ثمانية وعشرين منزلاً أيّام دور القمر فأصاب كل برج منزلان وثلث، فسمّوا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت التسمية بحذائه (٣) إنتهى.

والمراد بتردّد القمر في هذه المنازل تكرّر سيره فيها بحركته الخاصة به، ففي على معناها الأصلي من الظرفيّة ولا داعي إلى جعلها بمعنى إلى لعود القمر إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إيّاها في السابق، كما وقع في الحديقة الهلاليّة فان التردّد إنما يعدّى بإلى إذا كان المتردّد إليه هو المقصود بالتردّد كما يقال: تردّدت إلى مجالس العلم وتردّدت إلى فلان، وأما منازل السفر والمراحل والمسافات فإنّما تردّدت فيها لا تردّدت إليها كما يشهد به موارد الإستعمال.

تنبيه

ليس سير القمر في هذه المنازل على وتيرة واحدة بل قد يسرع تارة ويبطئ أخرى، فإذا أسرع فربّما تخطا منزلاً في الوسط وإذا أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل

(١) سورة يونس: الآية ٥. (٢) «ألف»: والمقعة.

(٣) تفسير النيسابوري: ج٢ ص ٢٨٧ تفسير رغائب القرآن وغرائب الفرقان: ج٢ ص ٢٨٧.

....

واحد وقد يرى في بعض الليالي بين منزلتين، فما وقع في الكشاف(١) وتفسيري القاضي(٢) والعمادي من أنّه ينزل كل ليلة في واحد منها لايتخطاه ولا يتقاصر عنه(٣) ليس كذلك.

قوله عليه السَّلام: «المتصرّف في فلك التدّبير». الفلك بفتحتين: مدار النجوم، سمّي بذلك تشبيها بفلكة المغزل لدورانه.

قال جدّنا العلّامة السيّد غياث الدين منصور «قدّس سرّه»: المستفاد من أرباب الأرصاد الروحانيّات والنبوات والأنبياء وأعاظم الحكماء إنّ الأفلاك تسعة لاغير وهي منحصرة في سبع سماوات وكرسي وعرش(٤).

وقال الشيخ الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة: الشرع والبرهان تطابقا على أنّ الأفلاك تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع سماوات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الإلهي، قالوا: وهي أجسام كرويّات متّسعات مجوّفات مركّبة بعضها في جوف بعض وأكثرها يشتمل على الكواكب وهي أجرام نورانيّة مستديرة مصمتة مركوزة في أجرام الأفلاك، فأوّل الأفلاك ممّا يلينا ليس فيه من الكواكب إلّا القمر، ويسمّى فلك القمر(٥).

والسماء الدنيا وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كإحاطة قشر البيضة ببياضها، والأرض في جوف الهواء كمحّة البيضة في بياضها، ومن وراء فلك القمر فلك عطارد وليس فيه من الكواكب غيره، ومن وراء فلك عطارد فلك الزهرة وليس فيه من الكواكب غيرها، ومن وراء فلك الزهرة فلك الشمس وليس فيه غيرها، ومن وراء فلك الشمس فلك المرّيخ وليس فيه غيره، ومن وراء فلك المريخ

(١) تفسير الكشاف: ج٤ ص ١٦.
(٢) انوار التنزيل واسرار التأويل: ج٢ ص٢٨١.
(٣) تفسير أبي السعود: ج٧ ص ١٦٧.
(٤) لم نعثر عليه.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج١ ص١٥٠.

....

فلك زحل وليس فيه غيره، وهذه السّبعة الكواكب يقال لها السّيارة ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة وهو يشتمل على ماسوى السّبعة المذكورة من الكواكب ويسمّى فلك البروج، وفلك الثوابت لكونه مكاناً لهاولتسميتهم كواكبه بالثّوابت إما لبطؤ حركتها فلا تحسّ، وإما لثبات أوضاع بعضهامن بعض فإنا نجددائماً وضعاً(١) معينا ثابتاً بين النسر الطائر والنسر الواقع ويسمّى في الشرع بالكرسي، ومن ورائه الفلك المحيط لإحاطته بجميع الأفلاك ويسمّى فلك الأفلاك، والفلك الأعظم والفلك الأطلس لأنّه غير مكوكب إمّا لخلوه من الكواكب أو لعدم إدراكنا لمافيه منها إن كان وهو المسمّى بالعرش المجيد في لسان الشرع، وهذا الفلك دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق إلى المغرب فوق الأرض ومن المغرب إلى المشرق تحت الأرض في كلّ يوم وليلة دورة واحدة ويدير سائر الأفلاك والكواكب معه كما قال عزّ اسمه «وكلٌّ في فلك يسبحون»(٢)، وسائر الأفلاك يدور كل منها بحركته المختصّة به من المغرب إلى المشرق فوق الأرض، ومن المشرق إلى المغرب تحت الأرض بدليل إنّ الهلال يُرى في الليلة الأُولى في مكان وفي الثانية ينتقل إلى مكان آخر أخذاً إلى جهة الشرق وهكذا إلى آخر الشهر حتى يتمّ بفلكه الدورة وهي أن يعود إلى النقطة التي كان عليها أوّلاً فكأنّ لكل فلك من الأفلاك الثمانية دورتان ذاتيّة وهي التي من المغرب إلى المشرق وقسرية وهي التي من المشرق إلى المغرب وشبّهوا ذلك بنملة على رحى، فالرحى تسعى إلى جهة اليمين مثلاً والنّملة الى جهة اليسار فللنّملة حركتان ذاتيّة وقسريّة وإنّما سمّيت هذه الحركة العظمى قسريّة لأنّها تقسّر الأفلاك وتدور بها إلى غير جهة حركتها الذاتيّة عكساً، وهذه الحركة هي التي ترى بها الشمس كلّ يوم في شروق وغروب وإلّا ففلكها لايتمّ الدورة إلّا في قريب من سنة كما تقدّم.

---

(١) «ألف»: وصفاً.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٣.

....

إذا عرفت ذلك فالمراد بفلك التدبير في عبارة الدّعاء فلك القمر الذي هو أوّل الأفلاك ممّا يلينا وأقربها من عالم العناصر، وإنّما عبرّعنه بفلك التدبير إمّا لتدبير بعض مصالح عالم الكون والفساد به كما ذكره بعض المفسّرين في تفسير قوله تعالى: «فالمدبّرات أمراً»(١)، إنّ المراد بها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء(٢) فتكون الإضافة فيه من باب إضافة الفاعل إلى الفعل، وأمّا لأنّ ملائكة سماء الدنيا يدبّرون أمر العالم السُفلى فيه أو إنّ كلا من السيارات السبع تدبّر في فلكها أمراً هي مسخرّة له بأمر خالقهاو مبدعها كما ذكره جماعة من المفسّرين في قوله تعالى: «فالمدبّرات أمراً»، فالإضافة فيه من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف كقولهم: مجلس الحكم ودارالقضاء أي الفلك الذي هومكان التدبير ومحلّه.

قال الحكماء: ولـمّا كان القمر وفلكه أقرب الكواكب والأفلاك إلى العالم السفلي كان القمر هو متولي تدبيرعالم الكون والفساد، ولا يبعد أن يكون المراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبّره الفلك بنفسه نظراً إلى ماذهب إليه طائفة من أنّ كل فلك جسد لكوكبه وهو المدبّر لجميع مافيه بالمشية الإلهية كما أنّ النفس تدبّر الجسد.

قال جدّنا العلاّمة السيدغياث الدين منصور قدّس سرّه العزيز: الذي يستفاد ممّا أفاده القدماء من الحكماء أنّ كل فلكٍ كلّي شخص واحد فكلّ من الكليّات التي للسيارات السبع شخص له قلب هو كوكبه، وأعضاء هي أفلاكه الجزئيّة، وبَدن هو الفلك الكلّي، والنفس الفلكيّة تتعلّق أولاً بالقلب الّذي هو الكوكب(٣) ثم بغيره من الأعضاء وهذا كالشخص الإنساني فانّ نفسه أولاً تتعلّق بروحه الحيواني الذي في القلب، ثم بسائر أعضائه والإرادة النفسيّة في الكوكب(٤)

(١) سورة النازعات: الآية ٥.
(٢) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص٤٣٠.
(٣) و (٤) «ألف»: الكواكب.

....

فالنفس بالإرادة الكوكبيّة تحرّك البدن وسائر الأعضاء على ماشاء وأراد كما أنّ كلّ إنسان وحيوان يحرّك بدنه وأعضاءه على ماأراد إنتهى.

وعلى هذا فاثبات التصرّف للقمر في الفلك ظاهر.

وقال بعض المتأخّرين: المراد بتصرّفه في فلك التدبير دورانه فيه شبّه تدبيره تعالى بالفلك وعبّر عن دوران القمر على وفق التدبير بتصرفه في الفلك إنتهى وهو كما تراه.

تنبيـه

قال العلّامة البهائي قدّس الله سرّه: خطابه عليه السّلام للقمر ونداؤه له ووصفه إيّاه بالطاعة والجدّ والتّعب والتردّد في المنازل والتّصرف في الفلك ربّما يعطي بظاهره كونه ذاحياة وإدراك ولا إستبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى إلّا أنّه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل، أو نقلي ساطع لايقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما أشعر به، وقد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: «والشّمس والقمر كل في فلك يسبحون»(١)،فإنّ الواو والنون لايستعمل حقيقة لغير العقلاء، وقد أطبق الطبيعيّون على أنّ الأفلاك بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها وأكثرهم على أنّ غرضها من حركاتها نيل التشبّه بجنابه والتقرّب إليه جلّ شأنه، وبعضهم على أنّ حركاتها لورود الشّوارق القدسيّة عليها آناً فآناً، فهي من قبيل هزّة الطرب والرقص الحاصل من شدّة السرور والفرح، وذهب جمّ غفير منهم إلى أنّه لاميّت في شيء من الكواكب أيضاً حتى أثبتوا لكل واحد منها نفساً على حده تحركه حركة مستديرة على نفسه وابن سينا مال في الشفاء إلى هذا القول، ورجّحه وحكم به في النمط السادس من الإشارات، ولو قال: به قائل لم يكن مجازفا، وكلام

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٣

....

ابن سينا وأمثاله وإن لم يكن حجّة يركن إليها الديانيّون في أمثال هذه المطالب إلّا أنّه يصلح للتأييد ولم يرد في الشريعة المطهّرة على الصادع بها وآله أفضل الصلوات واكمل التسليمات ماينافي ذلك القول، ولا قام دليل عقلي على بطلانه وإذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنملة فمادونهما حياة فأي مانع من أن يكون لتلك الأجرام الشريفة أيضاً حياة.

وقد ذهب جماعة إلى أنّ لجميع الأشياء نفوساً مجرّدة ونطقاً وجعلوا قوله تعالى: «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده» محمولاً على ظاهره، وليس غرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة إستبعاد المصرّين على إنكاره وردّه وتسكين صولة المشنّعين على من قال به أو جوّزه والله الهادي إنتهى كلامه رفع مقامه(١).

وقد يتعقب ذلك بما ذكره السيّد المرتضى علم الهدى «قدّس سرّه» في بعض مسائله ونصّه: أقوى شيء في نفي كون الفلك ومافيه من شمس وقمر وكواكب(٢) أحياء السمع والإجماع، فإنّه لاخلاف بين المسلمين في إرتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب، وأنّها مسخّرة مدبَّرة مصرّفة، وذلك معلوم من دين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ضرورة (٣) إنتهى.

وذكر نحو ذلك في ملحقات الغرر والدّرر أيضاً، وللبحث في دعوى الإجماع والعلم بذلك من الشريعة ضرورة مجال، وعلى القول بذلك: فخطاب القمر ونداؤه ووصفه بما ذكر تنزيل له منزلة العالم لاعتبار مناسب وهو في كلام البلغاء غير قليل والله أعلم.

---

(١) الرسالة الهلالية: ص٨.

(٢) «ألف»: كوكب.

(٣) أمالي المرتضى: ج٢ ص ٣٨٥.

آمنتُ بمن نوّر بك الظُلَمْ، وأوضحَ بك البُهَمْ، وجَعَلكَ آيةً من آياتِ ملكِهِ، وعلامةً من علاماتِ سلطانِهِ، وامتَهَنك بالزيادةِ والنُّقصانِ، والطلوعِ والأُفولِ، والإنارةِ والكسوفِ، في كلِّ ذلك أنت له مطيعٌ، وإلى إرادتِهِ سريعٌ.

المراد بالإيمان هنا: إذعان النفس على سبيل التصديق، وهو معناه اللغوي، وقد تقدّم الكلام على ذكر الإختلاف في حقيقة الإيمان وتحقيق الحقّ فيه فيما سبق.

والنور: كيفيّة تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات، فهو عرض قائم بالجسم ويرادفها الضوء لغة وفرّق بينهما الحكماء بأنّ تلك الكيفيّة إن كانت للشيء من ذاته فهي الضوء كما للشمس، وإن كانت له من غيره فهي النّور كما للقمر وعليه جرى قوله تعالى: «جعل الشّمس ضياءاً والقمر نوراً»(١).

والظلم: جمع ظلمة وهي عدم الضوء عمّا من شأنه أن يكون مضيئاً، فالتقابل بين النور والظلمة تقابل العدم والملكة، ومنهم من زعم أنّ الضوء أجسام شفّافة منفصلة عن المضيئ متّصلة بالمستضيئ، وزعم بعضهم أنّ الظلمة كيفيّة وجوديّة مانعة من الإبصار، والأوّل أصح وهو الذي عليه الجمهور.

و«الباء» من قوله: «نوّر بك الظلم» للسّببية أو للآلة ومعنى تنوير الظلم به على قول الجمهور من كون النور عرضاً جعلها متصفة بالنور كما تقول بيّضت الشيء وسوّدته أي صيّرته متّصفا بالبياض والسّواد، وعلى القول بأنّه جسم جعلها ذات نور كما تقول لبنته وتمرته أي صيرته ذالبن وتمر، وعلى القول بأنّ الظلمة كيفيّة وجوديّة إعدام الظلم وإحداث الضوء في محالّها، ثم المراد بالظلم المنوّرة على القولين الأوّلين إمّا الأهوية المظلمة بناء على ماهو الحقّ من تكيّف الهواء بالنور واستضاءته به، وأمّا الأجسام المظلمة سوى الهواء لاحقيقة الظلم التي هي عدم النور فإنّ العدم لايتصف بالنور.

---

١) سورة يونس: الآية ٥.

....

واللام في الظلم: للإستغراق العرفي، أي الظلم المتعارف، وتنويرها بالقمر نحو جمع الأمير الصاغة أي صاغة بلده أو مملكته، ويجوزأن تكون للعهد الخارجي.

واليهم: جمع بهمة بالضمّ كظلمة وظلم، وهي مايصعب إدراكه على الحاسّة إن كان محسوساً وعلى الفهم إن كان معقولاً.

والآية: العلامة الظاهرة.

وملكه وسلطانه تعالى: عبارة عن إستيلائه القاهر وغلبته التامّة، وقدرته على التصرّف الكلّي في الأُمور العامّة بالأمر والنّهي؛والتنكير في آية وعلامة إمّا للتعظيم أو للنّوعيّة كما قالوه في قوله تعالى: «وعلى أبصارهم غشاوة»(١)، واحتمال التحقير ينبؤعنه المقام ويتجافى عنه مساق الكلام.

والإمتهان: إفتعال من المهن، يقال: مهن مهناً من بابي -قتل- و-نفع-: خدم غيره فهو ماهن، والمهنة بالفتح أخصّ من المهن مثل الضربة والضرب، وقيل: المهنة بالكسر لغة، وأنكرها الأصمعي وقال: الكلام الفتح، وامتهنته إمتهانا إستخدمته وامتهنته أيضاً إبتذلته أي إستعملته في الخدمة.

والمراد بالزيادة والنقصان: زيادة نور القمر ونقصانه بحسب مايظهر للحسّ من المستنير بنور الشّمس من جرمه في الأشكال الهلاليّة والبدريّة لا أنّ الزيادة والنقصان حاصلان له في الواقع وبحسب نفس الأمر لأنّ الأزيد من نصفه منير دائماً كما بيّن في محلّه.

قال شيخنا البهائي: وربّما تراءى لبعض الأفهام من ظاهر قوله عليه السَّلام: «وامتهنك بالزيادة والنقصان»، إنّ زيادة نور القمر ونقصانه المحسوسين واقعان بحسب الحقيقة وحاصلان في نفس الأمر كما هو معتقد كثير من الناس، وهذا وإن كان ممكنا نظراً إلى قدرة الله تعالى على أن يحدث في جرمه أوّل الشهر شيئاً يسيراً

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧.

....

من النور ويزيده على التدريج إلى أن يصير بدراً ثم يسليه عنه شيئاً فشيئاً إلى المحاق إلّا أنّ حمل كلامه عليه السّلام على ما هو المتفق عليه بين أساطين علماء الهيئة الذين إقتبسوا هذا العلم من أصحاب الوحي سلام الله عليهم كشيث وإدريس عليهما السّلام أليق وأولى(١) إنتهى ملخّصاً.

إيضاح

قال علماء الهيئة: القمر جرم كروي مظلم في نفسه كثيف صقيل كالمرآة يقبل الضّوء لكثافته وينعكس عنه لصقالته، فنوره(٢) مستفاد من الشمس بمحاذاته لها كالمرآة المصقولة إذا حاذتها الشمس، ولمّا كانت الشمس أعظم منه كما بيّن في مقادير الأجرام من أنّ الشّمس ستّة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون مثلاً للقمر ونصف بالتقريب كان الأكثر من نصفه مستنيراً بضوئها دائماً، والأقلّ من نصفه مظلما دائماً لما بيّنه صاحب كتاب جرمي النيرين من أنّه إذا قيل: الضوء كرة صغرى من كرة عظمى كان المضيئ منها أعظم من نصفها فاذا سامت القمر الشمس وقارنها كان نصفه المستنير بضيائها مقابلاً لها ونصفه المظلم ممّا يلينا فلا نرى نوره، وهذه الحالة تسمّى بالمحاق، فإذا بعد عنها بقدر مسيره اليومي وهو إثنتا عشرة درجة أو أقل أو أكثر بحسب إختلاف أوضاع المساكن كما ذكره أصحاب الزيجات ترى من وجهه المستنير هلالا ويزداد نوره كلّ يوم إلى أن يحصل في المقابلة فنراه تامّ النور ويسمى حينئذٍ بدراً، وإذا انصرف عن المقابلة انتقص نوره على تلك النسبة إلى أن يعود المحاق عند الإجتماع(٣)، وبيان ذلك بأكثر من هذا يؤخذ من محلّه.

---

(١) الرسالة الهلالية: ص ١٢.

(٢) «ألف»: فنوره ابداً مستفاد.

(٣) أي جرمي النيرين.

....

تنبيـه

لايقال يرد على عبارة الدعـاء أنّ الإمتهان للقمر إنّما يكـون بحصول نقصان نوره وأمّا حصول زيـادة النور فلا إمتهـان به، ألا ترى أنّ الطـبيعيّين قـالوا: أنّ القـمر إذا كسته الشمس ضوءهـا وجعلته شبيهاً لها في الضوء والتمام كان كالرجل الذي يرفعه الملك ويشرّفه ويـعلي قدره ومنزلتـه وإذا إرتجعت منه ضـوءها وأعادته إلى حالـه من الكمودة والظلمة كان كالوزير العظيم القدر يحط عن شرفه ورئاسته ويصير إلى الذلّ والهوان، فالإمتهان إنّما هو بالنقصان لابالزيادة.

لأنّا نقول: الإمتهـان يكون بمجموع الزيادة والنقصـان باعتبار تغيـيره من حال إلى حال، وعدم بقـائـه على شـكـل واحد على أنّ تسخيـره لأن يـتـحـرّك على النهج الخاص الذي لايزيد بـه المنير منه في كلّ لـيلة إلّا شيئـاً يسيراً لايستطيع أن يتخطاه ولايقدر على أن يتعدّاه إمتهاناً له.

قـيل: ويمكن أن يكون المـراد بـالزيادة والنقصان: تـفاوت أجزائه في النور وهو بعيد.

وطلوع الـكوكب: ظـهـوره فوق الأُفق مـن تحت شعاع الشّـمس وأُفوله: غـروبه تحته.

وكسفت الشمس مـن باب ـ ضرب ـ كسـوفـاً وكذلك الـقمر قـالـه ابن فارس والأزهري، وقال ابن القوطية أيضاً كسف القمر والشمس والوجه: تغيّرت(١).

وقال تغلب: أجود الكلام خسف القمر، وكسفت الشمس(٢).

وقـال بـعضهـم: إذا ذهـب بعض الـنـور فـهو الـكسـوف وإذا ذهـب كـلّـه فهو الخسوف.

---

(١) المصباح المنير: ص٧٣٢.

(٢) لسان العرب: ج٩ ص٦٧.

....

وقال النووي في تهذيب اللغات: يقال: خسف القمر وخسفت الشمس، وكسف وكسفت وانخسف وانخسفت وانكسف وانكسفت وخسفا وكسفا كلّها لغات صحيحة (١) إنتهى.

قال في الحديقة الهلاليّة: فإن صحّ ماقيل: إنّ الأحسن خسف القمر وكسفت الشمس فلعلّه عليه السَّلام أراد بالكسوف زوال الضوء المشترك بين الشمس والقمر لاالمختص بالقمر وهو الخسوف ليكون خلاف الأحسن إنّما هو اطلاق الكسوف على الخسوف لاعلى الأمر الشامل له ولغيره، ولايخفى إنّ إمتهان القمر حاصل بسبب كسف الشّمس أيضاً فإنّه هو الساتر لها، ولمّا كان شمول الكسوف للخسوف أشهر من العكس إختاره عليه السَّلام(٢) إنتهى. وفيه نظر يظهر ممّا سنذكره في التنبيه الآتي.

إيضاح

قال علماء الهيئة: خسوف القمر وكسوفه هوعدم إنارته مايلينا من كرة البخار في الوقت الذي من شأنه أن يضيئ فيه لوقوعه في ظل الأرض لمقاطرتها النيّرين أعني كونها معهما(٣) في قطر واحد من أقطار العالم تحقيقا أو تقريباً وكونها جسماً كثيفاً حاجباً لنور الشمس، ولهذا لايقع عليه أو على بعضه حينئذٍ شيء من شعاعها وقوعاً أوليّا فيظلم لكونه غير مضيئ من ذاته كماتقدّم وهو خسوفه وكسوفه، وأمّا كسوف الشمس فهوعدم إضاءتها مايلينا من كرة البخار في الوقت الذي من شأنها أن تضيئ فيه لتوسّط القمر بينها و بين البصر أعني وقوعه على الخط الخارج من البصر إليها وحجب نورها عن الأبصار لكثافته وقطعه السموت(٤)المستقيمة التي بين البصر والشمس وهو كسوفها، هذا مجمل ماقالوه وتفصيله يؤخذ من مظانه.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: القسم الثاني. ج١ ص٩٠.

(٢) الحديقة الهلاليّة: ص٩.

(٣) «ألف»: معهما في قطر.

(٤) «ألف»: السموات.

سُبحانَهُ ما أعجبَ مادبَّرَ في أمرِك، وألطفَ ماصَنَعَ في شأنِك، جَعَلَكَ

تنبيه

وجه إمتهان القمر بالإنارة ماذكرناه في توجيه إمتهانه بزيادة النور.

وقال العلّامة البهائي «قدّس سرّه»: ويمكن أن يوجّه إمتهانه بالإنارة بوجه آخر وهو أن يراد بها إعطاؤه النوّر للغير كوجه الأَرض مثلا لااتّصافه هو بالنوّر، فإنّ الإنارة والاضاءة كما جاءا في اللغة لازمين فقد جاءا متعدّيين وحينئذٍ ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشّمس لتتمّ المقابلة ويصير المعنى إمتهنك بأن تفيض النور على الغير تارة وتسلبه عنه أُخرى (١) إنتهى.

قلت: في قوله ينبغي أن يُراد بالكسوف كسفه للشمس نظر فانّ كسف وإن ورد متعدّياً كماورد لازماً إلّا أنّ الكسوف مصدر اللازم لاالمتعدّي ومصدر المتعدّي إنّما هو الكسف لاالكسوف كما نصّ عليه الفيومي في المصباح حيث قال: كسفت الشّمس من باب ـضرب ـ كسوفا وكذلك القمر، وكسفها الله كسفاً من باب ـضرب ـ أيضاً، والمصدر فارق(٢). فجعل الكسوف على هذا مصدراً متعدّياً غير صحيح فينبغي أن يراد بالإ نارة إتّصافه بالنور، لا إنارته غيره لتتمّ المقابلة فلا يتّجه الوجه الذي ذكره فيتعيّن التوجيه الأوّل فقط والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «في كلّ ذلك أنت له مطيع وإلى إرادته سريع»: تقرير لإنقياده وطاعته للمشيئة والإرادة الإلهيّة، وإيثار الجملة الإسميّة للاشعار بدوام الطاعة واستمرار سرعة الإنقياد وتقديم الظرف في الفقرتين للإهتمام ورعاية التقفية.

سبحان: قيل اسم مصدر كعثمان، وقيل: مصدر كغفران بمعنى التنزيه، وقد استوفينا الكلام عليه في الروضة الثالثة.

قال بعض الأعلام: التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع:

---

(١) الرسالة الهلالية: ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) المصباح المنير: ص ٧٣٢.

مفتاحَ شهرٍ، حادثٍ لأمرٍ حادثٍ، فأسئلُ اللهَ ربّي وربّك، وخالقي وخالقُك، ومقدّري ومقدّرك، ومصوّري ومصوّرك، أن يصلّيَ على محمّدٍ وآل محمّد وأن يجعلَكَ هلالَ بركةٍ لا تمحقها الأيام، وطهارةٍ لا تدنّسُها الآثام، هلالَ أمنٍ من الآفاتِ وسلامةٍ من السيئاتِ، هلال سعدٍ لا نحسَ فيه، ويُمنٍ لا نكدَ معه، ويسرٍ لا يمازِجُه عسرٍ، وخيرٍ لا يشوبُه شرٌّ، هلال أمنٍ وإيمانٍ، ونعمةٍ وإحسانٍ وسلامةٍ وإسلام.

تنزيه الذات عن نقص الإمكان الذي هو منبع السوء، وتنزيه الصفات عن وصمة الحدوث بل عن كونها مغايرة للذات المقدّسة وزائدة عليها، وتنزيه الأفعال عن القبح والعبث وكونها جالبة إليه نفعاً أو دافعة عنه ضرّاً كأفعال العباد(١) إنتهى.

والقصد به هنا: التعجب، من عجب صنعه تعالى وإفادته التعجب مرّ بيانه في الروضة الثالثة عشرة.

وما أعجب: صيغة تعجّب وقد أجمعوا على أنّ مافيها إسم لأنّ في أعجب ضميراً يعود عليها، والضمير لايعود إلّا على الأسماء وعلى أنّها مبتدأ لأنّها مجرّدة عن العوامل اللفظيّة للإسناد إليها، وماروي عن الكسائي من أنّها لاموضع لها من الإعراب(٢)، فشاذ لايقدح في الإجماع، ثم قال سيبويه وجمهور البصريّين: هي نكرة تامّة(٣) بمعنى شيء وابتدء بها لتضمنّها معنى التعجّب ومابعدها خبر فموضعه رفع.

وقال الأخفش: هي معرفة ناقصة بمعنى الذي ومابعدها صلة لها فلا محلّ له، أو نكرة ناقصة بمعنى شيء ومابعدها صفة لها فمحلّه رفع وعليهما فالخبر محذوف وجوباً أي الذي أو شيء صيّر(٤).

«مادبّر في أمرك»، عجباً شيء عظيم، ورد بأنّ فيه إلتزام حذف الخبر دون

---

(١) تفسير القرآن لصدر الدين: ص١٢١-١٣٠.
(٢) نقله محمّد محي الدين في حاشيته على اوضح المسالك: ج٣ ص٢٥١.
(٣) شرح ابن عقيل: ج٢ ص١٤٨.
(٤) مغني اللبيب: ص٣٩٢.

....

شيء يسدّ مسّده ولا نظير له.

وقال الفرّاء وابن السراج وابن درستويه: ما: استفهاميّة ومابعدها الخبر(١) ونقله ابن مالك في شرح التسهيل(٢) عن الكوفيين وهو موافق لقولهم باسميّة أفعل فإنّ الإستفهام المشوب بالتعجب لايليه إلّا الأسماء نحو «ما أصحاب اليمين» وأمّا أفعل فقال البصريّون والكسائي وهشام هو فعل للزومه مع ياء المتكلّم نون الوقاية نحو ما أفقرني إلى رحمة الله ففتحته بناءً كالفتحة في زيد ضرب عمراً، ومابعده مفعول به، وقال سائر الكوفيّين: هو اسم لقول العرب: ماأُحسينه وما أُميلحه، والتصغير من خصائص الأسماء وأُجيب بأنّه شاذ، وعلى القول بالاسميّة ففتحته إعراب كالفتحة في زيد عندك وذلك لأنّ مخالفة الخبر للمبتدأ مقتض عندهم نصبه وأفعل إنّما هو في المعنى وصف للمتعجّب منه لا لضمير ما، والمتعجّب منه عندهم مشبّه بالمفعول به ولأنّ ناصبه وصف قاصر فاشبه قولك زيد حسن الوجه بالنصب.

وما من قوله «ما دبّر» موصولة العائد محذوف والتقدير مادبّره في أمرك، ودبّرت الأمر تدبيراً: فعلته عن فكرة ورويّة وهو هنا مستعار لتقديره سبحانه على حسب إرادته لتنزّهه تعالى عن الفكرة والروّية.

قال العلّامة الطبرسي في قوله تعالى: «يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض»(٣)، أي يدبّر الأُمور كلّها ويقدّرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض(٤).

واللّطف هنا: عبارة عن دقّة مافي شأنه من المصالح والحكم التي لا تدركها العقول والأفهام.

والأمر والشأن مترادفان وقد يراد بالأمر الإبداع.

قال الراغب: الأمر لفظ عام للأفعال والأقوال كلّها، وعلى ذلك قوله تعالى:

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣١٠.

(٢) لم نتحقّقه.

(٣) السجدة: الآية ٥.

(٤) مجمع البيان: ج ٧ـ ٨ ص ٣٢٦.

....

«إليه يرجع الأمر كلّه» ويقال: للإبداع أمر، نحو: (ألا له الخلق والأمر)، وعلى ذلك حمل الحكماء قوله تعالى: «قل الرّوح من أمر ربّي» أي هو من إبداعه ويختصّ ذلك بالله دون الخلائق(١) إنتهى.

وحمله على هذا المعنى هنا صحيح فيكون من باب الإضافة الى المفعول.

قوله عليه السَّلام: «جعلك مفتاح شهر حادث» فصل الجملة عمّا قبلها للإختلاف إنشاء وخبراً مع كون السابقة لامحلّ لها من الإعراب.

والشهر: العدد المعروف من الأيّام مابين الهلالين قيل: هو معرّب، وقيل: عربي مأخوذ من الشهرة وهي الظهور والإنتشار، وقيل: الشهر: الهلال، وقيل: القمر، سمّي به لشهرته ووضوحه، ثم سمّيت الأيّام به وجمعه شهور وأشهر، شبه الشهر بالبيت المقفّل ثم طوى ذكر المشبّه به على طريق الإستعارة بالكناية، وأثبت له المفتاح على طريق الإستعارة التخييليّة، وفي تشبيه الهلال بالمفتاح من اللطف ما لايخفى.

وحدث الشيء حدوثاً من باب -قعد- تجدّد وجوده فهو حادث.

و«اللام» من قوله: «لأمر حادث» تعليليّة متعلّقة بحادث السابق أي إنّ حدوث ذلك الشهر لأجل إمضاء أمر حادث متجدّد ويجوز تعلّقها بجعل وتنكير أمر للإبهام وعدم التعيين أي أمر منهم علينا حاله لانعلمه.

و«الفاء» في «فاسأل الله» للدّلالة على ترتّب(٢) السؤال على ماقبلها، أي بسبب كون ذلك الأمر الحادث مبهماً «اسأل الله أن يجعلك هلال بركة وأمن وسلامة» ونحو ذلك ولا مانع من جعلها فصيحة، أي إذا كان الأمر كذلك فسأل الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتعيين المبدع المسخر له بالذات أثر تعيينه بالصفات وللإشعار بتعليل الحكم فإنّ سؤال جعله هلال بركة وطهارة وأمن

---

(١) المفردات: ص ٢٤ مع التقديم والتأخير.

(٢) «ألف»: ترتيب.

....

وسلامة إلى غير ذلك من قضيّة الالوهيّة ولإرادة الوصف بمابعده إذ المضمر لا يوصف خلافاً للكسائي و إضافة الرّب إلى ياء المتكلّم حقيقيّة من قبيل. كريم البلد لإنتفاء عامل النصب لأنّه صفة مشبّهة وهي **لا تشتق إلّا من لازم أومن متعد بعد** نقله إليه فلا إشكال في وصف المعرفة به.

وأمّا خالق فبمعنى الماضي فليست إضافته لفظيّة غير موجبة تعرّفه ليشكل وصف المعرفة به وتسميتهم المضاف إليه حينئذٍ مفعولاً إنّما هو من حيث المعنى لا من حيث الإعراب حتّى يلزم كون الإضافة لفظية، ألا ترى إنّك تقول في ضارب عبده أمس إنّه مضاف إلى المفعول على معنى انه كذلك معنى لا إنّه منصوب محلاً.

والبركة: الزيادة، والنماء في الخير.

ومحقه محقاً من باب ـ نفع ـ نقصه وأذهب منه البركة، وقيل: هو ذهاب الشيء كلّه حتى لايرى له أثر ومنه: «يمحق الله الرّبا»(١) وانمحق الهلال لثلاث ليال من آخر الشهر لا يكاد يرى لخفائه، والاسم المحاق بالضمّ والكسر لغة.

والطهارة: النقاء والنزاهة من الدنس والنجس ويندرج فيها هنا نزاهة الجوارح عن الأفعال المستقبحة واللّسان عن الأقوال المستهجنة والنفس عن الأخلاق والأدناس الجسمانيّة والغواشي الظلمانيّة بل النزّاهة عن كلّ مايشغل عن الإقبال على الحق كائناً ماكان فإنّ كلّ ذلك ممّا يعدّ دنساً عند أهل الله تعالى.

والدنس: الوسخ، وتدنيس الآثام للطهارة القلبيّة ظاهر فإن كلّ معصية يرتكبها فاعلها يحصل منها ظلمة في القلب كما يحصل من نفس المتنفّس في المرآة ظلمة فيها فإذا تراكمت ظلمات الآثام على القلب صارت ريناً وطبعاً فيه كما تصير الأنفاس والأبخرة المتراكمة على جرم المرآة صدءاً فيه، وإسناد المحق إلى الأيّام والتدنيس إلى الآثام مجاز عقليّ، والملابسة في الأوّل زمانيّة وفي الثاني سببيّة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٦.

....

والأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف من لقاء مكروه.

وسعد يسعده من باب ـتعب ـ سعداً خلاف شقي والاسم منه السعادة.

قال الراغب: وهي معاونة الأمور الإلهيّة للإنسان على نيل الخير وتضادّه الشقاوة(١).

والنحس ضدّ السعد أيضاً.

واليمن: البركة وحصول الخير.

والنكد: تعسّر المطلوب وشدّة العيش.

واليسر بضمتين وبسكون السين: السهولة، يقال يسر الأمر يسراً من باب ـتعب ـ ويسر يسراً من باب ـقرب ـ أي سهل فهو يسير ويضادّه العسر، وقيل في قوله تعالى: «فإنّ مع العسر يسراً»(٢) أي مع الفقر غنى وقيل: مع الشدّة رخاء.

وشابه شوباً من باب ـقال ـ: خلطه مثل شوب اللّبن بالماء.

والنعمة: ماقصد به الإفضال والنفع، وقد تفسّر بالحالة الحسنة وحملها على كلّ من المعنيين هنا صحيح.

والإحسان يقال: على وجهين، أحدهما الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان: أي أنعم عليه.

والثاني: إحسان في فعله وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً، ومنه قوله عليه السَّلام: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنّه يراك (٣) وإرادة هذا المعنى هنا أحسن من الأوّل، وهو المعنى المتداول على ألسنة أصحاب القلوب، وينبغي حينئذٍ أن يراد بالإيمان والإسلام في قوله عليه السَّلام: «هلال أمن وايمان وسلامة وإسلام» المرتبتان المعروفتان بعين اليقين وحق اليقين على مامرّ

---

(١) المفردات: ص ٢٣٢.

(٢) سورة الانشراح: الآية ٥.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج١ ص ٣٨٧.

....

شرحه في الرياض السابقة، وقد طلب عليه السّلام الأمن مرّتين، مرّة مقيّداً بكونه من الآفات ومرّة مطلقا، وكذلك طلب السلامة مرّة مقيّدة بكونها من السيئات وأُخرى مطلقة.

قال العلّامة البهائي: يمكن أن يُراد بالسلامة المطلقة سلامة القلب عن التعلّق بغير الحقّ تعالى، وأمّا الأمن المطلق فلعلّ المراد به طمأنينة النفس بحصول راحة الأُنس وسكينة الوثوق، فإنّ السالك مادام في سيره إلى الحقّ يكون مضطرباً خائفاً لخوف العاقبة وما يعرض في أثناء السير من العوارض العائقة عن الوصول فإذا هبّ نسيم العناية الأزليّة وارتفعت الحجب الحائلة(١) للطمأنية، واندكت جبال التعينات الرسميّة تنوّر القلب بنور العيان، وحصلت الراحة والاطمئنان، وزال الخوف وظهرت تباشير الأمن والأمان، وهذان المقامان اللذان هما مقاما الأمن والسلامة من مقامات أصحاب النهايات لامن أحوال أرباب البدايات. ولعلّ السعد الذي لانحس فيه، واليمن الذي لانكد معه، واليسر الذي لايمازجه عسر، والخير الذي لايشوبه شرّ، من لوازم هذين المقامين(٢) إنتهى ملخّصاً وفي المقام مسائل. ذكرها العلّامة المذكور في الحديقة الهلالية لابأس بأيرادها هنا:

الأُولى: إنّ خطابه عليه السّلام في الدعاء بعضه متوجّه إلى الهلال، ومختصّ به كقوله عليه السّلام: «جعلك مفتاح شهر حادث، وأن يجعلك هلال بركة وهلال أمن وهلال سعد»، وبعضه موجّه إلى جرم القمر كقوله عليه السّلام: «وامتهنك بالزيادة والنقصان والإنارة والكسوف» فإنّ الهلال وإن حصل له الزيادة لكن لايحصل له النقصان. والكسوف لايكون للهلال، وقوله: «المتردّد في منازل التقدير» ويمكن أن يكون متوجّها إلى جرم القمر ايضاً لا الهلال لأنّ الجمع المضاف يفيد العموم، والهلال وإن كان يقطعها بأجمعها أيضاً إلّا أنّ الظاهر إن مراده

---

(١) «ألف»: الحائكة.

(٢) الرسالة الهلاليّة: ص ٢٥.

....

عليه السّلام قطعه لها في كل شهر، ثم لا إستبعاد في أن يكون بعض تلك الفقر مقصوداً بها بعض الجرم اعني الهلال و بعضها مقصوداً بها كلّه ولا مانع من جعل المقصود بكل الفقر كل الجرم بناء على أن يراد من الهلال جرم القمر في الليالي الثلاث الأُولى لا المقدار الذي يرى منه مضيئاً فيها كما أن البدر هو جرم القمر ليلة الرابع عشر لا المقدار المرئي منه فيها، وهذا وإن كان لا يخلو من بعد إلّا أنّه يصير به الخطاب جارياً على وتيرة واحدة كما هو ظاهر.

الثانية: جعله عليه السّلام مدخول «ما» التعجّبيّة فعلاً دالاً على التعجّب بجوهره ينبئ عن شدّة تعجّبه من حال القمر وما دبّره الله سبحانه فيه، وفي أفلاكه بلطائف صنعه وحكمته، وهكذا كلّ من هو أشدّ إطلاعاً على دقائق الحكم المودعة في مصنوعات الله سبحانه فهو أشدّ تعجّباً وأكثر إستعظاماً، ومعلوم أنّ مابلغ إليه علمه عليه السّلام من عجائب صنعه جلّ وعلا ودقائق حكمته في خلق القمر ونضد أفلاكه وربط ما ربطه به من مصالح العالم السفلى وغير ذلك فوق مابلغ إليه أصحاب الأرصاد ومن يحذو حذوهم من الحكماء الراسخين بأضعاف مضاعفة مع أنّ الذي إطلع عليه هؤلاء من أحواله وكيفيّة أفلاكه وماعرفوه ممّا يرتبط به من أمور هذا العلم(١) أُمور كثيرة يحار فيها ذو اللّب السّليم قائلا: «ربّنا ماخلقت هذا باطلاً» وتلك الأُمور ثلاثة أنواع:

الأوّل: مايتعلّق بكيفيّة أفلاكه وعدّها ونضدها ومايلزم من حركاتها من الخسوف والكسوف، واختلاف التشكّلات وتشابه حركة حامله حول مركز العالم لاحول مركزه ومحاذاة قطر تدويره نقطة سوى مركز العالم إلى غير ذلك ممّا هو مشروح في كتب الهيئة.

الثاني: ما يرتبط بنوره من التغيّرات في بعض الأجسام العنصريّة كزيادة

---

(١) «ألف»: العالم.

....

الرطوبات في الأبدان بزيادته ونقصانها بنقصانه، وحصول البحارين للأمراض وزيادة مياه البحار والبناء مع زيادة بنيّة في كل يوم من النصف الأوّل من الشهر ثم أخذها في النقصان يوماً فيوماً في النصف الأخير منه وزيادة أدمغة الحيوانات وألبانها بزيادة النور ونقصانها بنقصانه وكذلك زيادة البقول والثمار نمواً ونضجاً عند زيادة نوره حتّى أن المزاولين لها يسمعون صوتاً من القثاء والقرع والبطيخ عند تمدّده وقت زيادة النّور، وكأبلاء نور القمر الكتان وصبغه بعض الثمار إلى غير ذلك من الأُمور التي تشهد بها التجربة، قالوا وإنّما اختصّ القمر بزيادة مانيط به من أمثال هذه الأُمور بين سائر الكواكب لأنّه أقرب إلى عالم العناصر منها، ولأنّه مع قربه أسرع حركة فيمتزج نوره بأنوار جميع الكواكب ونوره أقوى من نورها فيشاركها شركة غالب عليها فيما نيط بنورها من المصالح بإذن خالقها ومبدعها جلّ شأنه.

الثالث: مايتعلّق به من السعادة والنحوسة ومايرتبط به من الأُمور التي هو علامة على حصولها في هذا العالم كما ذكره الديّانون من المنجّمين، وورد ببعضه الشريعة المطهرة كما رواه الشيخ عماد الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني قدّس الله روحه في الكافي عن الصادق عليه السَّلام قال: «من سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى» وكما رواه ايضاً عن الكاظم عليه السَّلام: «من تزوّج في محاق الشهر فليسلّم لسقط الولد»، وكما رواه شيخ الطائفة في كتاب التهذيب عن الباقر عليه السَّلام: «أن النبيّ صلّى الله عليه وآله بات ليلة عند بعض نسائه فانكسف القمر في تلك الليلة فلم يكن منه فيها شيء فقالت له زوجته: يارسول الله بأبي أنت وأُمي كلّ هذا البغض، فقال لها: ويحك هذا الحادث في السماء فكرهت أن أتلذّذ»، وفي آخر الحديث مايدلّ على أنّ المجامع في تلك الليلة إن رُزق من جُماعه ولداً وقد سمع بهذا الحديث لايرى مايحب(١).

---

(١) الرسالة الهلالية: ص ٢٠ ـ ٢١.

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه،واجعلْنا مِنْ أرضىٰ مَنْ طَلَعَ عليه،وأزكىٰ مَنْ نظَر إليه،وأسعدَ مَنْ تعبَّدَ لك فيه،ووفِّقنا فيه للتّوبة،واعصمنا فيه مِن الحوبة،واحفَظنا مِنْ مباشرةِ معصيتِك،وأوزِعنا فيه شكرَ نعمتِك وألبِسنا فيه جُنَنَ العافيةِ،وأتمِم علينا باستكمال طاعتِك فيه المنّة،إنّك المنّانُ الحميد، وصلّى اللهُ على محمَّدٍ وآله الطيِّبينَ الطاهرينَ.

الثالثة: ينبغي لنا إذا تلونا قوله عليه السَّلام «هلال آمن من الآفات» أن يقصد بالآفات البدنيّة والنفسيّة من الكبر والحسد والغلّ والغرور والحرص وحبّ المال والجاه وأمثال ذلك من دواعي النفس وحظوظها ومشتهياتها البهيميّة والسبعية فأن طلب الأمن من هذه الآفات التي هي بمنزلة الكلاب العاويات والحيّات الضاريات الموجبة للهلاك الحقيقي والشقاء السرمدي أهمّ وأحرى وأليق وأولى(*)

أرضى: اسم تفضيل يجوز أن يكون للفاعل على ماهو القياس في بنائه، ويجوز أن يكون للمفعول كأشهر وألوم فإنّه قياس عند سيبويه(١) وهو كثير في كلامهم وقد تقدّم له نظائر في الأدعية السابقة واستوفينا الكلام عليه هناك .

وطلع الشيء طلوعاً من باب ـقعدـ بدا من علو، والمراد بطلوعه ظهوره للحس والعيان كما هو الظاهر، ويمكن أن يراد به خروجه من الشعاع من قولهم: طلعت المرأة من خبائها أي خرجت، ثم المراد إمّا طلوعه الخاص في هذه اللّيلة وإمّا طلوعه في الزمان الماضي مطلقاً، ومثله قوله عليه السَّلام: «وأزكى من نظر إليه».

والزّكاء بالفتح والمد: الصلاح، يقال: زكى الرجل يزكو إذا صلح.

وتعبّد الرجل لله: تنسّك وتذلّل، وعرّفوا العبادة بأنّها فعل إختياري مباين للشهوات البدنيّة تصدر عن نيّة يراد بها التقرّب إلى الله تعالى طاعة للشّريعة.

ووفّقه الله لطاعته توفيقاً: هداه وأرشده وسدّده.

---

(١) كتاب سيبويه: ج٢ ص٣-٦.

....

والتوبة: الرجوع إلى الله تعالى بحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثمّ القيام بحقوق الربّ وقد مرّ الكلام عليها مستوفى في شرح دعائها.

وعصمه الله من المكروه يعصمه من باب ـ ضرب ـ حفظه ووقاه، والاسم منه العصمة بالكسر وهي في الإصطلاح لطف يفعله الله بالمكلّف بحيث لايكون معه داع إلى فعل المعصية مع قدرته عليها، وإرادة هذا المعنى هنا لايساعد عليها تعدية الفعل بمن إذ لم يعهد تعديتها بها مراداً بها هذا المعنى.

والحوبة بالفتح: الخطيئة والإثم من حاب حوباً من باب ـ قال ـ إذا اكتسب الإثم.

وباشر الأمر مباشرة: وليه بنفسه وحقيقتها إلصاق البشرة بالبشرة، ثم كثر حتى اسْتعمل في مطلق مزاولة الإنسان الأمر بنفسه وهي هنا عبارة عن إقتراف المعصية.

وأوزعه الله الشكر: ألهمه، وقيل أولعه به، من الوزوع بمعنى الولوع بالشيء.

والجنن: جمع جُنّة بالضمّ وهي الستر من جنّه يجنّه من باب ـ قتل ـ أي ستره.

والعافية: رفع الله عن العبد مايضرّه وتستعمل في دفع المضرّات البدنيّة والنفسيّة معاً، وقد سبق الكلام عليها مستوفى في الروضة الثالثة والعشرين، وإضافة الجنن إليها من قبيل لجين الماء أي العافية التي هي كالجنن ولك جعلها إستعارة بالكناية مع الترشيح.

وأتم الله عليه المنّة: أكملها، من تمّ الشيء يتمّ بالكسر: أي كملت أجزاؤه، واستكملت الشّيء بمعنى أكملته أي أتممته.

والمنّة: النعمة الثّقيلة ومنه: «لقد مَنَّ الله على المؤمنين»(١).

تنبيهات

الأوّل: (٢) المروي في أكثر النسخ من الصحيفة الشريفة فتح الدال من

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٢) «ألف»: الأولى.

....

«أسعد» ووقع في بعضها كسرها وهو الظاهر، ووجه النصب أنّه بتقدير: «واجعلنا أسعد من تعبّد لك فيه» فيكون من باب عطف جملة على جملة، أو هو معطوف على محلّ من أرضى كقوله:

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدّ فلتزعك العواذل(١)

ولك جعله معطوفاً على المفعول الثاني الذي هو متعلق الظرف في الحقيقة لأنّ مفعولي الجعل بمعنى التصيير أصلهما مبتدأ وخبر، فمتعلّق الظرف في الحقيقة الكون المقدّر العامل فيه فالتقدير؛ واجعلنا كائنين من أرضى من طلع عليه، والنكتة في سؤال جعله أسعد من تعبّد دون جعله من جملة الأسعدين لحرصه على كثرة العبادة وقبولها لإستلزام الأسعدية ذلك والله أعلم.

الثاني(٢): قال العلّامة البهائي قدّس الله روحه في الحديقة الهلاليّة: الضمائر الراجعة إليه سبحانه من أوّل هذا الدّعاء إلى هنا بأجمعها ضمائر غيبة ثمّ أنّه عدل عن ذلك الأُسلوب وجعلها من هنا إلى آخر الدّعاء ضمائر خطاب، ففي كلامه عليه السّلام إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، ولا يخفى أنّ بعض اللّطائف والنكت التي أوردها المفسّرون فيما يختص بالإلتفات في سورة الفاتحة يمكن جريانه هنا(٣) إنتهى.

قلت: من يشترط في الإلتفات كون المخاطب في الحالين واحداً يمنع كون ماوقع في الدعاء من باب الإلتفات لأنّ المخاطب أوّلاً الهلال والكلام جارٍ معه والمخاطب ثانياً هو الله سبحانه فالمخاطب غيران.

قال صدر الأفاضل: في صرام السقط: إنّ من شرط الإلتفات أن يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحداً كقوله تعالى: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» فإنّ

---

(١) مغني اللبيب: ص ٦١٦.

(٢) «ألف»: الثانية.

(٣) الرسالة الهلاليّة: ص ٢٤.

....

ماقبل هذا الكلام وإن لم يخاطب به الله من حيث الظاهر فهو بمنزلة المخاطب به لأنّ ذلك يجري من العبد مع الله لا مع غيره بخلاف قول جرير:

ثقي بـالله لـيس لـه شـريـك ومن عـنـد الخليـفـة بالنـجاح
أغـثني يـا فـداك أبي وامّـي بسـبـب مـنـك إنّـك ذو إرتـيـاح

فإنّه ليس من الإلتفات في شيء لأنّ المخاطب بالبيت الأول إمرأته وبالبيت الثّاني هو الخليفة (١) إنتهى.

لكن تعريف الجمهور للإلتفات بأنّه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التي هي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها يقتضي إنّه إلتفات كما ذكره العلّامة المذكور وعلى هذا في الدعاء إلتفاتان:

أحدهما: من الغيبة إلى الخطاب: وهو الإلتفات المذكور.

والثاني: الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو إعادة ضمائر الغيبة إلى الهلال بعد خطابه في قوله عليه السَّلام: طلع عليه ونظر إليه إلى آخر الدعاء، والنكتة فيه أنّه لما خاطب ربّه جلّ وعلا غاب عنه غيره فلم يبق له حضور على عادة الإنسان إنّه إذا لقي من يحبّ غاب عن قبله سواه فذكر الهلال بضمير الغيبة ولم يلتفت إليه حتى أتم الدعاء والله أعلم.

الثالث: قال العلّامة المذكور في الحديقة الهلاليّة أيضاً: الضمائر المجرورة في قوله عليه السَّلام «وأسعد من تعبّد لك فيه» إلى آخره راجعة إلى الهلال بمعنى الشّهر وليس كذلك المرفوع في طلع عليه والمجرور في نظر إليه ففي الكلام إستخدام من قبيل قول البحترى:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبّوه بين جوانحي وضلوعي

ولعلّه لايقدح في تحقّق الإستخدام كون إطلاق الهلال على الشّهر مجازاً لتصريح

---

(١) ديوان جرير: ص٧٧، ط. دارصادر، وشرح ديوان جرير: ص٧٤، ط. دارالكتب.

....

بعض المحققين من أهل الفنّ بعدم الفرق بين كون المعنيين حقيقيين أو مجازيّين أو مختلفين وإن قصره بعضهم على الحقيقيين على أنّ كون الإطلاق المذكور مجازاً محل كلام (١) إنتهى.

هذا آخر الروضة الثالثة والأربعين من رياض السالكين وقد وفق الله سبحانه لا تمامها وانتساق مسك ختامها صبيحة يوم الأثنين لثلاث عشرة بقين من شهر ربيع الأول من سنة خمس ومائة وألف. ولله الحمد.

(١) الحديقة الهلالية: ص ٢٤.

فهرس الموضوعات

الروضة الثانية والثلاثون

نصّ الدعاء الثاني والثلاثين: في الاعتراف بالذنب ٥
خطبةوديباجة الروضة الثانية والثلاثين ١٠
في بيان صلاة الليل، وعدد ركعاتها ووقتها ١١
في بيان معنى الملك المتأبّد ١٣
في بيان معنى الخلود ١٤
في بيان معنى الأزل ١٥
في معنى قوله تعالى: «كلّ يومٍ هو في شأن» ١٧
في بيان وصف سلطانه تعالى بالامتناع بلا جنود ولاأعوان ١٨
في بيان معنى بعضٍ من ظروف الزمان: كالدهر والزمن والأعوام وغيرها ١٩
في بيان أنّ الأزمان والأعوام والأيام من جملة مخلوقاته تعالى ٢٠
تبصرة: في بيان «الواجب بالذات ممتنع العدم دائماً» ٢١
تحقيق في معنى الأوّليّة والآخرّية ٢٢
في معنى قوله عليه السلام: «ولايبلغ أدنىٰ مااستأثرت...» ٢٣
في بيان معنى الكبرياء ٢٦
في بيان معنى الوهم وتنزيهه تعالى عن الأوهام ٢٦
تحقيق كلامي في قوله عليه السلام: «كذلك أنت الأوّل في أوّليّتك» ٢٨

في اعراب قوله عليه السلام: «كذلك أنت الله، الأوّل في أوّليّتك» ٣٠
بحث قرآنيّ وروائيّ في معنىٰ «العمل» ٣٠
تنبيه: في أنواع درجات أعمال العباد ٣٣
تحقيق في معنى قوله عليه السلام: «خرجت من يدي أسباب الوصلات» ٣٦
في بيان معنى قوله عليه السلام: «وتقطّعت عنيّ عصم الآمال» ٣٧
في معنى العصمة والعصم ٣٨
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «إلاّ ماأنا معتصم به من عفوك» ٣٨
في الفرق بين على وعند ٣٩
بيان معنى قوله عليه السلام: «ولن يضيق عليك عفومن عبدك» ٣٩
في حكم «لن» التأبيديّة ٤٠
تحقيق في حالات «إن» الشرطيّة وحكمها في قوله عليه السلام: «وإن أساء» ٤٠
في بيان معنى الإساءة والعفو لغةً ٤٢
في تفسير قوله تعالىٰ: «وإنّ ربّك لذو مغفرةٍ للناس علىٰ ظلمهم» ٤٢
في معنى قوله عليه السلام: «فاعفو عنّي» ٤٤
في بيان معنىٰ الخفايا والخُبر ٤٤
في بيان معنى الغيب ٤٥
تحقيق لغويّ للاستحواذ في قوله تعالىٰ: «ألم نستحوذ عليكم» ٤٦
في معنى الغواية ٤٦
في بيان معنى يوم الدين لغةً وعرفاً ٤٨
أساليب القرآن الكريم في استنظار ابليس ٤٨
تنبيهات: ٤٩
الأوّل: أنّ إنظار ابليس وامهاله كان إجابةً لدعائه ٤٩
الثاني: أنّ الإمهال وقع حسب السؤال الى يوم الدين وقيل بالأيام
الثلاثة: يوم القيامة ٥٠

الثالث: قول الأشاعرة بأنّ إنظار ابليس دليل على أنّ الله تعالى لايجب عليه رعاية مصالح العبد دنياً وآخرةً، وجواب المعتزلة ٥١

في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «فأوقعني وقد هربت» ٥٢

في معنىٰ الموبقة والمردية ٥٣

قول الزمخشريّ في الفائق في معنى قارف الذنب ٥٤

في معنىٰ السعي لغةً، والسخط اصطلاحاً ٥٤

بيان في معنىٰ الغدر وحمله على معنىٰ الحيلة ٥٥

في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «وتلقّاني بكلمة كفره» وفيه بحث قرآني ٥٦

قول لابن أبي الحديد في نهج البلاغة ٥٧

تنبيه: في قوله عليه السلام: «واستوجبت بسوء سعيي سخطتك» ٥٧

قول العلاّمة الطبرسي في وعد الشيطان لتابعيه في القرآن الكريم ٥٨

في بيان معنى قوله عليه السلام: «فأصحرني لغضبك فريداً» ٥٨

في معنى قوله عليه السلام: «وأخرجني الى فناء نقمتك طريداً» ٥٩

في بيان معنى قوله عليه السلام: «لاشفيع يشفع لي اليك» ٥٩

في معنى الحَجب والملاذ ٦٠

في بيان قوله عليه السلام: «فلا يضّيقنّ» ٦١

في بيان قوله عليه السلام: «ولاأكن» ٦١

في بيان قوله عليه السلام: «أخيب عبادك التائبين ولا أقنط وفودك الآملين» ٦٣

في بيان قوله عليه السلام: «واغفر لي إنك خير الغافرين» ٦٣

في بيان معنىٰ الخطاء ٦٤

في بيان معنى الخاطر ٦٥

في بيان معنىٰ التهجد ٦٦

في بيان قوله عليه السلام: «نهاراً» ٦٦

في بيان قوله عليه السلام: «ولا تثني عليّ بإحيائها سنةً» ٦٨

في بيان قوله عليه السلام: «حاشا فروضك التي مَن ضيّعها هلك»	٦٩
في بيان قوله عليه السلام: «أتوسل اليك بفضل نافلة»	٧١
في بيان قوله عليه السلام: «الى حرماتٍ انتهكتها»	٧٣
في بيان قوله عليه السلام: «كانت عافيتك لي من فضائحها»	٧٤
في بيان معنى الاستحياء	٧٤
في بيان معنى التلقّي	٧٥
في بيان معنىٰ الخشوع ـ بحث لغوي	٧٥
بيان للرضي في معنى «بين»	٧٦
بحث في بيان اجتماع الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء	٧٦
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «وأنت أولى من رجاه»	٧٧
أقوال في اصطلاح «إذ»	٧٨
في بيان معنىٰ تغمدّه	٧٩
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «فأجرني»	٨٠
في بيان معنىٰ الأشهاد	٨٠
في بيان معنى المقرّبين والشهداء والصالحين	٨١
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «من جارٍ كنت أُكاتمه سيّئاتي»	٨٢
في بيان قوله عليه السلام: «وأنت أولىٰ من وثق به وأعطىٰ من رغب اليه»	٨٣
في بيان معنىٰ الحدر والصلب	٨٤
في معنى التضائق لغةً	٨٥
في بيان قوله عليه السلام: «الىٰ رحمٍ ضيّقةٍ»	٨٦
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «تصرّفني حالاً عن حالٍ»	٨٧
في بيان معنىٰ قوله عليه السلام: «حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة»	٨٨
في تفسير قوله تعالى: «طبقاً عن طبق»	٨٨
في بيان معنىٰ الجوارح	٨٩

في معنى قوله عليه السلام: «نطفة ثم علقة» ٨٩
تنبيه: بحث قرآني وروائي في قوله عليه السلام: «كما نعتّ في كتابك نطفةً ثم علقةً» ٩١
بيان في معنى السلالة ٩٢
بيان في قوله تعالى: «ثم خلقنا النطفة علقة...» وتبيان دقائنها ٩٣
تقرير للشريف الرضي في «الفاء» من قوله تعالى: «فكسونا» ٩٦
في بيان معنى «القرار» ٩٧
بيان في أقسام دم العلمث في الحامل ٩٧
في بيان معنى «اللطيف» ٩٩
في بيان معنى قوله عليه السلام: «لاأعدم برّك ولايبطئ بي حسن صنيعك» ١٠٠
في بيان قوله عليه السلام: «قد ملك الشيطان عناني» ١٠٢
في بيان معنى المجاورة ١٠٢
في بيان معنى الملكة ١٠٣
في بيان معنى التضرع إلى الله ١٠٣
في بيان معنى الإلهام ١٠٤
في بيان معنى قوله عليه السلام: «واقنعني بتقديرك» ١٠٤
بيان للعلاّمة الطبرسي في قوله تعالى: «وارزقنا وأنت خير الرازقين» ١٠٦
بيان في معنى النار والإضاءة ١٠٧
في معنى قوله عليه السلام: «ومن نار نورها ظلمة» ١٠٨
تحقيق روائي في قوله عليه السلام: «وهيّنها ألين وبعيدها قريب» ١٠٩
بيان في معنى الأكل حقيقة ١١٠
بيان في معنى الرميم ١١١
بيان في معنى النكال والوبال ١١٢
تنبيه: في ذكر النار ومعنى العقارب ١١٣

بيان في معنى قوله عليه السلام: «الصالقة بأنيابها» ١١٤
بيان في معنى قوله عليه السلام: «يقطّع أمعاء وأفئدة سكانها» ١١٥
في معنى قوله عليه السلام: «واستهديك لما باعد منها وأخّر عنها» ١١٦
بيان في معنى قوله تعالى: «وإن منكم إلاّ واردها...» ١١٧
بيان معنى العثرة والكربة ١١٩
تحقيق لغوي في «إذا» وأنواعها وحالاتها ١١٩
في بيان معنى قوله عليه السلام: «مااختلف الليل والنهار» ١٢٠
في معنى قوله عليه السلام: «لاينقطع مددها...» ١٢١
بيان معنى قوله عليه السلام «صلى الله عليه حتى يرضى» ١٢٢

الروضة الثالثة والثلاثون

نص الدعاء الثالث والثلاثين: في الاستخارة ١٢٤
خطبة وديباجة الروضة الثالثة والثلاثين ١٢٥
بيان في أصل الاستخارة ١٢٦
مقدمة: في استحباب الاستخارة عند العامة والخاصة ١٢٨
بيان مسائل في آداب الاستخارة والمستخير ١٢٩
في بيان أنواع الاستخارة ١٣٠
بيان في أوقات الاستخارة وكيفيّتها ١٣١
الاستخارة بذات الرقاع وكيفيّتها ١٣٧
الاستخارة بالسبحة وكيفيتها و وجوهها ١٤٠
تتمة: في الأدعية المأثورة في الاستخارة ١٤٢
بيان في معنى القضاء ـ لغةً ـ ١٤٥
في بيان معنى الخيرة، وهما لغتان بمعنى واحد ١٤٥
بيان في معنى الارتياب والريب ١٤٦

بيان في معنى المحو والإماتة ١٤٩
بيان في معنى قوله عليه السلام: «وأيّدنا بيقين المخلصين» ١٤٩
في معنى قوله عليه السلام: «ولا تسمنا عجز المعرفة» ١٥٠
في بيان معنى قوله عليه السلام: «فنغمط قدرك ، ونكره موضع رضاك » ١٥١
في معنى قوله عليه السلام: «ونجنح إلى التي هي أبعد من حسن العاقبة» ١٥٢
بيان في معنى العاقبة والعافية ١٥٣
تحقيق حول علم الله تعالىٰ وعلم البشر ١٥٤

الروضة الرابعة والثلاثون

نصّ الدعاء الرابع والثلاثين: إذا ابتلي أو رأى مبتلىً بفضيحة بذنب ١٥٨
خطبة وديباجة الروضة الرابعة والثلاثين ١٥٩
بيان في معنى البلاء والإبتلاء ١٦٠
في معنى الفضيحة والذنب ١٦١
في بيان معنى قوله عليه السلام: «ومعافاتك بعد خبرك » ١٦٢
في معنى قوله عليه السلام: «فكلّنا قد اقترف العائبة فلم تشهره » ١٦٣
تفصيل في قوله عليه السلام: «كم نهيٍ لك قد أتيناه » ١٦٤
في معنى قوله عليه السلام: «وقفتنا عليه فتعدّيناه» ١٦٧
في بيان معنى المطلع عليها ١٦٧
في معنى قوله عليه السلام: «كانت عافيتك لنا حجاباً» ١٦٨
تفسير الزمخشري لقوله تعالى: «فأعينوني بقوة...» ١٦٨
في معنى العورة ١٦٩
في معنى الزجر ١٦٩
في معنى السعي ١٧٠
في معنى الرغبة إلى الله ١٧١

بيان في معنى الخِيرَة والعترة والصفوة ١٧٢
في بيان معنى قوله عليه السلام: «كما أمرت» ١٧٣
بيان في من هم أُولي الأمر في قوله تعالى: «وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر» ١٧٣

الروضة الخامسة والثلاثون

نص الدعاء الخامس والثلاثين: في الرضا إذا نظر إلىٰ أصحاب الدنيا ١٧٧
خطبة وديباجة الروضة الخامسة والثلاثين ١٧٨
في معنى الرضا والنظر، لغة ١٧٩
في معنى الدنيا وأسمائها وأصحابها ١٨٠
في معنى القسمة والمعائش ١٨١
بيان في معنى العدل ١٨١
بحث مفصّل في معنى قوله عليه السلام: «وأخذ على جميع خلقه بالفضل» ١٨٢
بيان في معنى الفتنة واستعمالاتها ١٨٤
بيان في معنى الغمط ١٨٥
في معنى مواقع الحكم ١٨٦
في بيان معنى الشكر ١٨٧
في تفصيل معنى قوله عليه السلام: «واعصمني من أن أضنّ بذي عدمٍ خساسة» ١٨٨
تحقيق في معنى قوله عليه السلام: «فإنّ الشريف من شرّفته طاعتك» ١٨٩
بيان في معنى المتعة والسرح ١٩١
في معنى الأبد ١٩١
بحث كلامي في معنى قوله عليه السلام: «إنّك الواحد الأحد» ١٩٢
في بيان معنى الصمد ١٩٣
بيان مفصّل لقوله عليه السلام: «لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد» ١٩٤

* * *

الروضة السادسة والثلاثون

نصّ الدعاء السادس والثلاثين: اذا نظر الى السحاب والبرق، وسمع صوت الرعد ١٩٩
خطبة وديباجة الروضة السادسة والثلاثين ٢٠٠
في بيان معنى السحاب والبرق والرعد ٢٠١
في بيان معنى العون ٢٠٢
في بيان معنى قوله عليه السلام: «يبتدران» ٢٠٣
في معنى الاحسان والنفع ٢٠٤
في بيان المراد بالنقمة ٢٠٤
في بيان قوله عليه السلام: «فلا تمطرنا بهما مطر السوء» ٢٠٥
في معنى قوله عليه السلام: «ولا تلبسنا لهما لباس البلاء» ٢٠٦
في معنى البركة ٢٠٧
في معنى الآفة والعاهة ٢٠٨
في بيان معنى السخطة ٢٠٨
في معنى الميل ٢٠٨
في معنى السقيا، وبيان في معنى الوحر ٢٠٩
في بيان معنى قوله عليه السلام: «فانّ الغنيّ من أغنيت» ٢١٠
في بيان معنى الوقاية ٢١١
بيان في معنى قوله عليه السلام: «ما عند أحدٍ دونك دفاع» ٢١٢
في معنى قوله عليه السلام: «تحكم بما شئت على من شئت» ٢١٣
بحث لغوي وكلامي في معنى المشيئة والارادة ٢١٤
بحث في معنى الحمد ٢١٥
بيان في معنى المنّان ٢١٥
بيان في بعضٍ من صفات الله تعالى ٢١٦

في معنى الطول ٢١٧

الروضة السابعة والثلاثون

نصّ الدعاء السابع والثلاثين: اذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر ٢٢١
خطبة وديباجة الروضة السابعة والثلاثين ٢٢٤
في معنى الاعتراف وأوجهه ٢٢٥
مقدمة: في الشكر، ومعانيه اللغويّة والعرفيّة، وأركانه ٢٢٥
كلام لبعض العارفين حول الشكر ٢٢٧
فائدة: في قوله عليه السلام: «أحداً» وضروب استعمالاتها ٢٢٩
في بيان معنى قوله عليه السلام: «إلاّ حصل عليه من إحسانك مايلزمه شكراً» ٢٣٠
بيان في معنى قوله عليه السلام: «فأشكر عبادك» ٢٣١
في تفسير قوله تعالى: «وإذ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنّكم» ٢٣٣
في تفسير قوله صلى الله عليه وآله لربّه تعالى: «قلت فك رهاني وثقّل ميزاني» ٢٣٤
بيان في قوله عليه السلام: «لايجب لأحدٍ أن تغفر له باستحقاقه» ٢٣٧
في معنى الاثابة ٢٣٩
في معنى ملك الأمر ٢٤٠
في معنى الاستطاعة ٢٤٠
في معنى قوله عليه السلام: «وأعددت ثوابهم قبل أن يفيضوا في طاعتك» ٢٤٣
في معنى العفو ٢٤٤
في بيان الاعتراف ومعانيه ٢٤٥
في بيان معنى قوله عليه السلام: «وكلّ مقرّ على نفسه بالتقصير عمّا استوجبت» ٢٤٦
في معنى قوله عليه السلام: «فلولا أن الشيطان يختدعهم» ٢٤٦
في قوله عليه السلام: «ولولا أنّه صوّر لهم الباطل» ٢٤٧
في معنى «طريقه تعالى» ٢٤٨

تبصرة: في أنّ أصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان ٢٤٨
في معنى الغواية وأوجه تأثيرها في نفوس الناس ٢٤٩
في معنى قوله عليه السلام: «فسبحانك ماأبين كرمك» ٢٤٩
في معنى قوله عليه السلام: «تشكر للمطيع ما أنت تولّيت» ٢٥٠
في معنى قوله عليه السلام: «أعطيت كلاً منهما» ٢٥٠
في معنى المكافأة ٢٥١
في معنى قوله عليه السلام: «لو كافأت المطيع...» ٢٥١
بيان في معنى قوله عليه السلام: «ولكنّك بكرمك جازيته» ٢٥٣
في معنى قوله عليه السلام: «وعلى القريبة بالغاية المديدة» ٢٥٤
تبصرة: في توضيح قول أبي عبدالله عليه السلام: «إنّما خلد أهل النار في النار لأن نيّاتهم كانت في الدنيا...» ٢٥٥
في بيان قوله تعالى: «خلقكم من نفسٍ واحدة ثم جعل منها زوجها» ٢٥٦
في معنى القصاص ٢٥٦
في معنى المناقشة والآلات التي تسبب باستعمالها المغفرة ٢٥٧
في معنى الكدح ٢٥٧
في معنى قوله تعالى: «كل امرئٍ بما كسب رهين» ٢٥٨
في بيان قوله عليه السلام: «فمتى كان يستحقّ من ثوابك شيئاً، لا متى» ٢٥٩
في معنى قوله عليه السلام: «هذا ياإلهي حال من أطاعك» ٢٦٠
في معنى الانابة ٢٦٢
في معنى قوله عليه السلام: «ولقد كان يستحقّ» ٢٦٢
في قوله عليه السلام: «وكل ما أعددت...» ٢٦٣
في معنى قوله عليه السلام: «فمن أكرم منك ياإلهي ومن أشقى ممّن هلك عليك، لامن» ٢٦٤
في معنى قوله «تباركت» ٢٦٤

في المراد بالعدل: المساواة في المكافأة ٢٦٥
في قول أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعال: «إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان» ٢٦٥
في قوله عليه السلام: «لايخشى جورك على من عصاك» ٢٦٦
في معنى الأمل ٢٦٦
بحث مفصّل في معنى الهداية والهدى ٢٦٧

الروضة الثامنة والثلاثون

نصّ الدعاء الثامن والثلاثين: في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم، وفي فكاك رقبته من النار ٢٧٣
خطبة وديباجة الروضة الثامنة والثلاثين ٢٧٤
بيان في معنى الإعتذار ٢٧٥
بيان في معنى التبعات ٢٧٦
في معنى قوله تعالى: «فكّ رقبة» ٢٧٦
بيان في معنى قوله عليه السلام: «اعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره» ٢٧٧
في معنى قوله عليه السلام: «ومن معروف أُسدي إليّ فلم أشكره» ٢٧٨
بيان مفصّل في معنى قوله عليه السلام: «ومن مسيءٍ اعتذر إليّ فلم أعذره» ٢٨٤
في معنى قوله عليه السلام: «ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره» ٢٩٠
بيان في معنى قوله عليه السلام: «ومن كل إثمٍ عرض لي فلم أهجره» ٢٩١
في معنى المعاشرة والتوقير ٢٩٢
في معنى الندامة ٢٩٣
في معنى «بين اليدين» ٢٩٣
في معنى الزلّة ٢٩٤
بيان في معنى قوله عليه السلام: «يامحبّ التوّابين» ٢٩٥

***

الروضة التاسعة والثلاثون

نصّ الدعاء التاسع والثلاثين: في طلب العفو والرحمة	٢٩٩
خطبة وديباجة الروضة التاسعة والثلاثين	٣٠٢
بيان في معنى العفو والرحمة	٣٠٣
في معنى كسر الشهوة	٣٠٤
في معنى زويت الشيء	٣٠٥
في معنى المأثم والأذى	٣٠٥
في معنى الاسلام وضروبه	٣٠٦
في معنى الحظر والظلامة	٣٠٧
المراد من قوله عليه السلام: «اغفر له ماألمّ به منّي»	٣٠٨
في معنى قوله عليه السلام: «عمّا أدبر به عنّي»	٣٠٨
في معنى قوله عليه السلام: «ولا تكشفه عمّا اكتسب بي»	٣٠٩
في معنى التبرّع والتصدّق	٣١٠
في معنى التقّرب إلى الله	٣١١
المراد من قوله عليه السلام: «حتى يسعد كلّ منّا بفضلك»	٣١١
في معنى قوله تعالى: «لاتخاف دركاً ولاتخشى»	٣١٢
في معنى قوله عليه السلام: «بي أو بسببي ظلم ففته بحقّه»	٣١٣
بيان في معنى السبق	٣١٣
في معنى الوجد	٣١٤
بيان في ظلم العباد ومحظوراته	٣١٥
في معنى الاستقلال بالشيئ	٣١٦
في قوله عليه السلام: «وإلاّ تغمّدني»	٣١٦
بيان في معنى النقص	٣١٧

المراد من «بهضه الحمل بهضاً» ٣١٧
بيان في معنى قوله عليه السلام: «استوهبك ياإلهي من نفسي» ٣١٨
تنبيهان:
الأول: في قوله عليه السلام: «لم تخلقها لتمتنع بها من سوء» ٣١٩
الثاني: في قوله عليه السلام: «ولكن أنشأتها إثباتاً لقدرتك على مثلها» ٣٢٠
بيان: في الرغبة إلى الله تعالى في طلب المعونة ٣٢١
في معنى فدحه الأمر فدحاً ٣٢١
في معنى التوكيل والاصر ٣٢٢
بيان في معنى المسيئين والخاطئين ٣٢٣
في معنى الصرع ٣٢٣
في معنى الورطات ٣٢٤
في مُعنى الطليق والعتيق ٣٢٥
بحث في الخوف والرجاء وأقسامهما ٣٢٦
في معنى الحجج ٣٣٠
تنبيه: في اعترافه عليه السلام بين الخوف والرجاء ٣٣٠
بيان في معنى «الصدّيقوّن» ٣٣٣
في معنى قوله عليه السلام: «لأنّك الربّ العظيم» ٣٣٣
بيان في المراد من ذكر الله تعالى ٣٣٤
في بيان المراد «بأسمائه تعالى» ٣٣٥

الروضة الأربعون

نصّ الدعاء الأربعين: إذا نعي إليه ميّت أو ذَكَرَ الموت ٣٣٩
خطبة وديباجة الروضة الأربعين ٣٤٠
بيان في معنى نعي الميت ٣٤١

فائدة: في معاني الموت مجازاً ٣٤٢
بيان في معنى صدق العمل ٣٤٣
في معنى الغرور والشرور ٣٤٤
من وصيته صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ ٣٤٥
بيان في معنى طول الأمل وأسبابه ٣٤٦
بيان في معنى الغبّ ٣٤٨
في معنى قوله عليه السلام: «واجعل لنا» ٣٤٩
في معنى المأنس والمألف ٣٥٠
تبصرة: في معنى الموت ٣٥٠
بيان في مراتب الموجودات ٣٥٢
تتمة: في ضروب الناس في محبّة الموت ٣٥٤
بيان في معنى الضيافة ٣٥٦
في معنى الخزي ٣٥٦
بيان في المراد بالاهتداء ٣٥٧
في معنى الضلال ٣٥٨
بيان في معنى قوله عليه السلام: «ياضامن جزاء المحسنين ومستصلح عمل المفسدين» ٣٥٩

الروضة الحادية والأربعون

نصّ الدعاء الحادي والأربعون: في طلب الستر والوقاية ٣٦٣
خطبة وديباجة الروضة الحادية والأربعين ٣٦٤
بيان في معنى الستر والوقاية ٣٦٥
في المراد من «المهاد» ٣٦٦
بيان في معنى «المشارع» ٣٦٦

في معنى «سمْته ذلاً»	٣٦٧
في معنى المنع والصرف	٣٦٧
في معنى قوله عليه: «ولا تكشف مستوري»	٣٦٨
بيان في معنى الميزان والانصاف	٣٦٩
تبصرة: في ذكر الوزن والميزان يوم القيامة	٣٦٩
بيان في معنى قوله عليه السلام: «ولا تعلن على عيون الملأ خبري»	٣٧٢
بيان في معنى قوله عليه السلام: «واخف عنهم مايكون نشره عليّ عاراً»	٣٧٤
بيان في معنى الشرف والدرجة والرضوان	٣٧٥
في معنى قوله عليه السلام: «بغفرانك»	٣٧٦
بيان في معنى قوله عليه السلام: «وانضمني في أصحاب اليمين»	٣٧٧
بيان في معنى قوله عليه السلام: «ووجّهني في مسالك الآمنين»	٣٧٨
في معنى العمارة وعمارة مجالس الصالحين	٣٧٩

الروضة الثانية والأربعون

نصّ الدعاء الثاني والأربعين: عند ختم القرآن	٣٨٣
خطبة وديباجة الروضة الثانية والأربعين	٣٨٨
بيان في معنى «القرآن»	٣٨٩
بيان في الإجماع على بطلان الزيادة أو النقصان في القرآن	٣٩١
بيان في القراءات السبع	٣٩٣
في ثواب قراءة القرآن وختمه	٣٩٥
في الدعاء قبل قراءة القرآن وعند ختمه	٣٩٨
في فضل القراءة في المصحف	٤٠٠
في استحباب التوسّط في القراءة بين الاخفات والجهر	٤٠١
في استحباب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لايقدر عليه	٤٠١

في فضل الترتيل في قراة القرآن، وحسن الصوت ٤٠٢
في معنى قوله عليه السلام: «وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر» ٤٠٤
تتمة: في كراهة كتابة القرآن بماء الذهب ٤٠٥
بيان في معنى نزول الكتاب ٤٠٥
في معنى قوله عليه السلام: «نوراً» ٤٠٦
في معنى المهيمن ٤٠٧
بيان في قصص الحديث وأحسنه ٤٠٩
في معنى الفرقان ٤١٠
في معنى التفصيل ٤١٠
في التبيين وأوجهه ٤١١
في معنى الوحي وأنواعه ٤١٢
في المراد بظلم الظلالة ٤١٣
في معنى الشفاء ٤١٣
بيان في معنى التصديق ٤١٤
في معنى قوله عليه السلام: «وميزان قسط لا يحيف عن الحقّ لسانه» ٤١٥
بيان في معنى البرهان ٤١٥
في المراد بالشاهدين ٤١٦
في معنى قوله عليه السلام: «وعلم نجاة» ٤١٧
في معنى القصد ٤١٨
في معنى الايثار ٤١٨
في معنى المعونة ٤١٩
في معنى الجواسي ٤١٩
في المراد بحسن عبارته ٤٢٠

في معنى الحواشي ٤٢٠
في معنى الإقرار ٤٢١
في معنى المتشابه ٤٢١
في معنى البينات ٤٢٢
تنبيهات:
الأول: في دلالة القرآن على أنه كلّه محكم ٤٢٢
الثاني: في طعن بعض الملاحدة في أن بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً ٤٢٦
الثالث: في قوله عليه السلام: «ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه» ٤٢٨
في معنى «الراسخون في العلم» ٤٢٩
بيان في معنى المجمل ٤٣١
في معنى عجائب القرآن ٤٣٢
بيان في معنى الوراثة ٤٣٢
بيان في معنى التأويل والتفسير ٤٣٤
تنبيهان:
الأول: تواتر الأخبار وإجماع الصحابة على أن أمير المؤمنين وأبناءه (ع) علموا جميع مافي القرآن علماً قطعياً بتأييد إلهي ٤٣٥
الثاني: في قول جماعة من الأصحاب وغيرهم بعدم تجاوز المسموع في تفسير القرآن ٤٣٨
في معنى قوله عليه السلام: «وفضلّتنا على من جهل علمه» ٤٤٢
في معنى قوله عليه السلام: «وقوّيتنا عليه» ٤٤٢
في معنى قوله عليه السلام: «لم يطق حمله» ٤٤٣
تنبيه: في معنى قوله عليه السلام: «و ورّثتنا علمه» وقوله: «وفضلّتنا» ٤٤٣
في معنى «حملة القرآن» ٤٤٤
في نوعي شرف وفضل القرآن ٤٤٤
بيان في معنى الخطيب والخطبة والخطابة ٤٤٥

في معنى قوله عليه السلام: «وآله الخزّان» ٤٤٦
في معنى قوله عليه السلام: «ممّن يعترف بأنّه من عندك» ٤٤٧
في بيان بعض المفردات من قوله عليه السلام: «واجعلنا ممن يعتصم بحبله...» ٤٤٨
بيان في بعض الاستعارات التمثيلية والمصرّحة ٤٥٠
في معنى العلامة والدلالة ٤٥١
في معنى الوسيلة ٤٥٢
في معنى محل السلامة ٤٥٣
في معنى القيامة ٤٥٣
في معنى دار المقامة ٤٥٤
في معنى الأوزار ٤٥٤
في معنى آناء الليل وأطراف النهار ٤٥٥
في معنى الطهارة والتطهير ٤٥٦
في معنى الخدعة والغرور ٤٥٧
بيان في معنى النزغات، الخطرات والوسواس ٤٥٨
في معنى نقل الأقدام ٤٥٨
في معنى الآفة ٤٥٩
في معنى عجائب القرآن ٤٦٠
في معنى الأمثال ٤٦٠
في معنى قوله عليه السلام: «التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله» ٤٦٢
في معنى الدوام ٤٦٣
في معنى الضمائر ٤٦٤
في معنى العلائق ٤٦٥
في معنى الهواجر ٤٦٥

في معنى الحلل ٤٦٦
بيان في معنى الفزع الأكبر ٤٦٦
في معنى النشور ٤٦٧
في معنى الضرائب ٤٦٨
في معنى مداني الأخلاق ومذامّها ٤٦٩
في معنى حدود الله ٤٦٩
في معنى تحليل حلاله وتحريم حرامه ٤٧٠
في معنى الترادف ٤٧١
في معنى التراقي ٤٧١
في بيان معنى «وقيل من راق» ٤٧٢
في معنى ملك الموت ٤٧٣
بيان في معنى الحجب والغيوب ٤٧٣
في بيان قوله عليه السلام: «عن قوس المنايا» ٤٧٤
في معنى «الكأس المسمومة» ٤٧٥
بيان في معنى القلائد ٤٧٦
في معنى يوم التلاق ٤٧٦
بيان في معنى الأطباق ٤٧٧
بيان في معنى قوله عليه السلام: «واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا» ٤٧٨
في معنى المقام ٤٧٩
في معنى الاضطراب ٤٧٩
تنبيه: في أن الصراط الموعود به في القرآن حق يجب الايمان به ٤٨٠
بيان في معنى الكرب ـ الأهوال ـ الطامة ٤٨١
بيان في معنى بياض الوجوه وسوادها يوم الحسرة ٤٨٢
في معنى نكد العيش ٤٨٤

في معنى الصدع بالأمر ٤٨٤
في معنى النصح ٤٨٥
في معنى قوله عليه السلام: «أقرب النبيّين منك مجلساً» ٤٨٥
في معنى القدر والجاه ٤٨٦
في معنى البنيان والأساس ٤٨٧
في قبول الشفاعة، والوسيلة ٤٨٨
في معنى الملّة، والمنهاج ٤٨٩
في معنى الحشر ٤٩٠
في معنى الحوض ٤٩٠
في معنى قوله عليه السلام: «واسقنا من كأسه» ٤٩٢
في معنى الكرامة والكرم ٤٩٣
في معنى الآيات ٤٩٤
في معنى النبيّ ٤٩٤
في معنى البركات ٤٩٥

الروضة الثالثة والأربعون

نصّ الدعاء الثالث والأربعين: إذا نظر إلى الهلال ٤٩٩
خطبة وديباجة الروضة الثالثة والأربعين ٥٠٢
بيان في معنى الهلال ٥٠٣
في معنى الخلق المطيع الدائب ٥٠٨
بيان في معنى السرعة ٥٠٨
بيان في معنى قوله عليه السلام: «المتردد في منازل التقدير» ٥٠٩
تنبيه: في أن سير القمر في منازله ليس على وتيرة واحدة ٥١٠
بيان في معنى قوله عليه السلام: «المتصرف في فلك التدبير» ٥١١

في تفسير قوله تعالى: «فالمدبرات أمراً» ٥١٣

تنبيه: في خطابه عليه السلام للقمر وندائه له و وصفه إيّاه بالطاعة ٥١٤

في بيان المراد بالايمان ٥١٦

في معنى الملك والسلطان ٥١٧

في المراد بالزيادة والنقصان ٥١٧

إيضاح: في قول علماء الهيئة بأن القمر جرم كروي مظلم في نفسه ٥١٨

تنبيه: في عدم إرادة القول على عبارة الدعاء بأنّ الامتهان للقمر من نقصان نوره ٥١٩

في معنى الطلوع والأفول والكسوف ٥١٩

إيضاح: قول علماء الهيئة بأن خسوف القمر وكسوفة هو عدم إنارته مايلينا ٥٢٠

تنبيه: في توجيه امتهان القمر في الإنارة امتهانه بزيادة النور ٥٢١

في معنى قوله عليه السلام: «في كل ذلك أنت له مطيع...» ٥٢١

في معنى التنزيه وأنواعه ٥٢١

في معنى القصد للتعجّب ٥٢٢

في معنى قوله عليه السلام: «مادبّر في أمرك» ٥٢٣

في معنى قوله عليه السلام: «جعلك مفتاح شهر حادث» ٥٢٤

في معنى المحق ٥٢٥

في معنى الطهارة والدنس ٥٢٥

في معنى اليسر ٥٢٦

في أوجه الإحسان ٥٢٦

في معنى التعبّد ٥٣٠

في معنى العصمة اصطلاحاً ٥٣١

في معنى العافية والمنّة ٥٣١

تنبيهات:

الأول: في المروي في فتح الدال من «اسعد» ٥٣١

الثاني: في أن الضمائر الراجعة إليه سبحانه وتعالى من أوّل هذا الدعاء
إلى هنا ضمائر غيبة ٥٣٢
الثالث: في أنّ الضمائر المجرورة في قوله عليه السلام: «وأسعد...»
راجعة إلى الهلال، بمعنى الشهر ٥٣٣

فهرس فواتح الجمل من أدعية الصحيفة

الدعاء الثاني و الثلا ثون

فواتح الأدعية	الصفحة
اللّهمّ ياذا المُلكِ المتأبّد بالخلود والسلطان...	١٢
عزّ سلطانك عزاً لاحدّ له بأوليّة،...	٢١
ملكك علّواً، سقطت الاشياء دون بلوغ أمده...	٢٢
ضلّت فيك الصفات، وتفسّخت دونك النعوت...	٢٥
كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله...	٢٦
وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسيم أملاً،...	٣٠
قلّ عندي ماأعتدّ به من طاعتك ،...	٣٨
اللّهمّ وقد أشرف على خفايا الأعمال علمك ، ...	٤٤
وقد استحوذ عليّ عدوّك الذي استنظرك لغوايتي...	٤٦
حتّىٰ اذا قارفت معصيتك ، ...	٥٣
فَتَلَ عنّي عذار غدره، وتلقّاني بكلمة كفره، ...	٥٤
فهذا مقام العائذ بك ، ومحلّ المعترف لك ، ...	٦٠
فضلك ، ولايقصرنّ دوني عفوك ، ...	٦١
اللّهمّ إنّك أمرتني فتركت، ونهيتني فركبت، ...	٦٤

ولأستشهد على صيامي نهاراً، ... ٦٥
تثني عليّ بإحيائها سنةٌ حاشا ... ٦٦
ولست أتوسّل اليك بفضل نافلةٍ مع كثير ماأغفلت ... ٧١
وهذا مقام من استحيى لنفسه منك ... ٧٤
واقفاً بين الرغبة اليك والرهبة منك ... ٧٥
اللّهمّ وإذ سترتني بعفوك ، وتغمّدتني بفضلك ... ٧٨
والصالحين، من جارٍ كنت أُكاتمه سيئاتي، ... ٧٩
اللّهمّ وأنت حدرتني ماءاً مهيناً من صلبٍ ستضائق العظام، ... ٨٤
حتى اذا احتجت الى رزقك ولم أستغن عن غياث ... ٩٦
ولو تكلني يارب في تلك الحالات الى حولي، ... ٩٨
الى غايتي هذه، لاأعدم برّك ، ولايبطئ بي حسن ... ٩٩
وأتضرّع إليك في أن تسهّل الى رزقي سبيلاً، ... ١٠٣
فصلّ على محمدٍ وآله، وسهّل عليّ رزقي ، ... ١٠٤
اللّهمّ إنّي أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك ... ١٠٦
ومن نارٍ يأكل بعضها بعض، ويصول بعضها على بعضٍ، ... ١١٠
ومن نارٍ لا تبقي على من تضرّع اليها ، ... ١١٢
وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحيّاتها ... ١١٣
وشرابها الذي يقطّع أمعاء وأفئدة سكّانها، ... ١١٤
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله، وأجرني منها بفضل رحمتك ، ... ١١٨
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله إذا ذُكر الأبرار، ... ١١٩
عددها، صلاةً تشحن الهواء، ... ١٢٠

الدعاء الثالث والثلاثون

اللّهمّ إنّي أستخيرك بعلمك ، ... ١٤٥

فأزح عنّي ريب الارتياب، وأيدنا بيقين المخلصين، ... ١٤٦
حبّب إلينا ما نكره من قضائك ، ... ١٥٣
واختم لنا بالتي هي أحمدُ عاقبةً، ... ١٥٥

الدعاء الرابع والثلاثون

اللّهمّ لك الحمد على سترك بعد علمك ، ... ١٦١
كم نهيٍ لك قد أتيناه، وأمرٍ قد وقفتنا عليه ... ١٦٤
فاجعل ماسترت من العورة، وأخفيت من الدخيلة، ... ١٦٩
وصلّ على خيرتك ـ اللّهمّ ـ من خلقك ... ١٧٢

الدعاء الخامس والثلاثون

الحمدُ لله بحكم الله، شهدت أنّ الله قَسَمَ معائش ... ١٨٠
اللّهمّ صلّ على محمد وآله ولا تفتنّي بما أعطيتهم ... ١٨٤
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله، وطيب بقضائك نفسي ، ... ١٨٥
بمواقع حكمك صدري، وهب لي الثقة، ... ١٨٦
واجعل شكري لك على مازويتَ عنّي أوفر من شكري ... ١٨٧
واعصمني من أنّ أظنّ بذي عدم خساسة،... ١٨٨
فصل على محمد وآله، ومتعنا بثروة لا تنفد،... ١٩١

الدعاء السادس والثلاثون

اللّهمّ إنّ هذين آيتان من آياتك ، وهذين عونان ... ٢٠٢
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله، وأنزل علينا نفع هذه السحاب ... ٢٠٦
اللّهمّ وإن كنت بعثتها نقمةً، وأرسلتها سخطةً، ... ٢٠٧
غضبك ونبتهل اليك في سؤال عفوك ، ... ٢٠٨

اللّهمّ أذهب محل بلادنا بسقياك ، ... ٢٠٩
ما عند أحدٍ دونك دفاع، ولا بأحدٍ عن سطوتك امتناع، ... ٢١١
فلك الحمد على ماوقيتنا من البلاء، ... ٢١٤
إنّك المنّان بجسيم المنن، الوهاب العظيم ... ٢١٥

الدعاء السابع والثلاثون

اللّهمّ إنّ أحداً لايبلغ من شكرك غايةً إلاّ حصل عليه ... ٢٢٨
لايجب لأحدٍ أن تغفر له باستحقاقه، ... ٢٣٧
تشكر يسير ماشكرته، وتثيب على قليل ما تطاع فيه، ... ٢٣٨
بل ملكت ياإلهي أمرهم قبل أن يملكوا عبادتك... ٢٤٢
ثوابهم قبل أن يفيضوا في طاعتك ، ... ٢٤٣
فكلّ البرية معترفة بأنّك غير ظالم لمن عاقبت، ... ٢٤٤
فسبحانك ماأبين كرمك في معاملة من أطاعك ... ٢٤٩
ولو كافأت المطيع على ماأنت تولّيته، ... ٢٥١
ثمّ لم تسمه القصاص فيما أكل من رزقك الذي تقوّى به ... ٢٥٥
باستعمالها الى مغفرتك ، ولو فعلت ذلك به لذهب ... ٢٥٦
فأمّا العاصي أمرك ، والمواقع نهيك ... ٢٦٠
يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة ... ٢٦١
فتباركت أن توصف إلاّ بالاحسان وكرمت أن ... ٢٦٤
أرضاك . فصلّ على محمدٍ وآل محمدٍ، وهب لي أملي، ... ٢٦٥

الدعاء الثامن والثلاثون

اللهمّ إنّي أعتذر اليك من مظلومٍ ظلم بحضرتي فلم أنصره ... ٢٧٧
أعتذر اليك ياإلهي منهنّ، ومن نظائرهنّ اعتذار ندامةٍ ... ٢٩٢

ندامتي علىٰ ما وقعت فيه من الزلاّت ... ٢٩٣

الدعاء التاسع والثلاثون

اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآل محـمدٍ، واكسر شهوتي عن كل محرم ... ٣٠٤
اللّهمّ وأيّما عبدٍ نال مني ماحظرت عليه، ... ٣٠٦
واجعل ماسمحت به من العفوعنهم، ... ٣٠٩
وعوّضني من عفوي عنهم عفوك ، ... ٣١٠
اللّهمّ وأيما عبدٍ من عبيدك أدركهُ منّي دَركٌ ، ... ٣١٢
ثمّ قني مايوجب له حكمك ، ... ٣١٥
اللّهمّ إني أستوهبك ياإلهي مالاينقصك بذله، ... ٣١٧
وأستحملك من ذنوبي ما قد بهظني حمله، ... ٣٢١
فصل على محمدٍ وآله، واجعلني أُسوة من قد أنهظته ... ٣٢٣
أنك إن تفعل ذلك ياإلهي تفعله بمن لايجحد استحقاق ... ٣٢٥
فأمّا أنت ياإلهي فأهل أن لايغترّ بك الصدّيقون، ... ٣٣٢
تعالىٰ ذكرك عن المذكورين، وتقدّست أسماؤك ... ٣٣٣

الدعاء الأربعون

اللّهمّ صلّ على محمد وآله واكفنا طول الأمل ... ٣٤٢
العمل حتى لانؤمّل استتمام ساعة بعد ساعة، ... ٣٤٣
وانصب الموت بين أيدينا نصباً، ... ٣٤٧
لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطئُ معه المصير إليك ، ... ٣٤٨
فاذا أوردته علينا، وأنزلتهُ بنا فأسعدنا به زائراً، ... ٣٥٥
أمتنا مُهتدين غير ضالين، طائعين غير مستكرهين، ... ٣٥٧

* * *

الدعاء الواحد والأربعون

اللّهمّ صلِّ على محمدٍ وآله، وافرشني مِهاد كرامتك ... ٣٦٦
ولا تسمني بالردّ عنك، ولا تحرمني بالخيبة منك، ... ٣٦٧
ولا تحمل على ميزان الإنصاف عملي، ولا تعلن على عيون الملأ ... ٣٦٨
شرِّف دَرجتي برضوانك، وأكمل كرامتي بغفرانك، ... ٣٧٥

الدعاء الثاني والأربعون

اللّهمّ إنك أعنتني على ختم كتابك الّذي أنزلتهُ نوراً، ... ٤٠٥
وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ... ٤١٢
لسانه ونور هدى لايطفأ عن الشاهدين برهانه وعلم نجاة ... ٤١٣
اللّهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمدٍ صلّى الله عليه وآله مجملاً وألهمته علم ... ٤٣١
اللّهمّ فكما جعلت قلوبنا له حملةً، وعرّفتنا برحمتك شرفه ... ٤٤٤
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله واجعلنا ممّن يعتصم بحبله ويأوي من المتشابهات ..٤٤٨
اللّهمّ وكما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك، وأنهجت بآله سبل الرضا ... ٤٥١
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله واحطط بالقرآن عنّا ثقل الأوزار، وهب لنا ... ٤٥٤
اللّهمّ صلّ على محمدٍ وآله واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ... ٤٥٧
الى المعاصي حابساً ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ماآفةٍ مخرساً ... ٤٥٨
اللّهمّ صل على محمدٍ وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا واحجب به خطراته ... ٤٦٤
اللّهمّ صلّ على محمد وآله واجبر بالقرآن خلّتنا من عدم الإملاق ... ٤٦٧
اللّهمّ صل على محمد وآله وهوّن بالقرآن عند الموت على أنفسنا ... ٤٧٠
وقيل من راقٍ وتجلّى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ... ٤٧١
اللّهمّ صل على محمد وآله وبارك لنا في حلول دار البلى وطول المقامة ... ٤٧٦
وثبت به عند اضطراب جسر جهنّم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا ... ٤٧٧

اللّهمّ صل على محمدٍّ عبدك ورسولك كما بلّغ رسالتك وصَدِع ... ٤٨٤
اللّهمّ صل على محمد وآله وشرّف بنيانه وعظم برهانه وثقّل ... ٤٨٧
وصلّ اللّهمّ على محمد وآله صلاة تبلغه بها أفضل مايأمل من خيرك ... ٤٩٢

الدعاء الثالث والأربعون

أيّها الخلقُ المطيع، الدّائب السريع، المترددّ في منازل ... ٥٠٧
آمنتُ بمن نوَّر بك الظُّلم، وأوضحَ بك البُهَم ... ٥١٦
سبحانه ما أعجب مادبرّ في أمرك ، وألطف ماصنع ... ٥٢١
مفتاح شهرٍ حادثٍ لأمرٍ حادث، فأسأل الله ربّي وربّك ... ٥٢٢
اللّهمّ صلِّ على محمدٍ وآله، واجعلنا من أرضىٰ مَن طلع عليه ... ٥٣٠

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

رقم الآية		الصفحة
٧	وعلى أبصارهم غشاوة	٥١٦
١٦	اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	٢٩٥
١٩	أو كصيِّبٍ مِن السماء	٢٤١
٢٤	ولن تفعلوا	٤٠
٣٥	وكُلا منها رغداً	٨٧
٤٦	الذين يظنّون أنّهم ملاقوا ربهِّم	١٨٨
٤٩	يسومونكم سوء العذاب	٣٦٧
٥٣	وإذ آتينا موسىٰ الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون	٣٥٧
٥٨	وقولوا حطّةٌ	٤٥٤
٦٠	اضرب بعصاك الحجر فانفجرت	٢٤٠
٦١	أتستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير	٢٦٢
٨٨	فقليلاً مايؤمنون	٣٨
٩٤	قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من	٣٥٢

١١٤	وسعىٰ في خرابها	١٧٠
١٢٤	وإذ ابتلىٰ إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ	١٦١
١٣١	إذ قال له ربُّه أسلم قال أسلمت لربِّ العالمين	٣٠٦
١٤٣	وكذلك جعلناكم أُمّةً وسطاً لتكونوا شهداء	٤١٧
١٤٣	وكذلك جعلناكم أُمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ...	٤١٦
١٥٧	أُولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون	٣٥٨
١٦٢	خالدين فيها لايُخفّف عنهم العذاب	١١٢
١٦٣	ولايظلم ربّك أحداً	٤٤١
١٧٠	أولو كان آباؤُهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون	٣٥٨
١٧٧	وآتىٰ المال علىٰ حبّه	٣٢٢و٤٦٣
١٧٩	ولكم في القصاص حياة	٢٠٧
١٨٥	يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر	٢١٤
١٨٥	أُنزل فيه القرآن هدىً للنّاس وبيناتٍ من الهدىٰ والفرقان	٤٢٢
١٨٦	ولاتحمل علينا إصراً	٣٢٢
١٩٨	واذكروه كما هداكم	٤٨٤
٢٠٩	فإن زللتم من بعد ماجاءتكم البيّنات	٢٩٥
٢١٦	وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبّوا	١٥٤
٢٢٢	إنّ الله يحبُّ التّوابين ويحبّ المتطهّرين	٢٩٥
٢٢٩	تلكَ حدود الله فَلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فأولئك	٧٣
٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهنَّ حولين كاملين	٣٧٥
٢٤٦	الم تر الىٰ الملأ من بني إسرائيل	٣٧٢
٢٥٦	لاإكراه في الدين	٣٥٨
٢٦٠	بلىٰ ولكنْ ليطمئنّ قلبي	١٤٦
٢٧١	إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي وإن تخفوها...	٣٧٤

٢٧٦ يمحق الله الرّبا ٥٢٤
٢٨٠ فنظرة الىٰ ميسرةٍ ٤٧

(٣) سورة آل عمران

٧ وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم ٤٣٠
٧ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أُمّ ٤٢٢
٧ فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا ٤٢٨
٧ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات.... ٢٦١
١٥ قل أؤُنبّئكم بخيرٍ من ذلكم ٤٦٣
١٩ إنَّ الدين عند الله الاسلام ٣٠٦
٣٧ نباتاً حسناً ٢٠٦
٣٧ كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ٢٦٣
٥٩ إنّ مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثمّ قال له كن فيكون ٢٨٧
٨٣ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ٣٥٩
١٠٣ فأصبحتم بنعمته إخواناً ٣٢٥
١٠٦ يوم تبيضّ وجوه ٤٨٨
١٠٦ يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ٤٨٢
١١٨ ياأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودّوا ماعنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ٢١٣

١٥٣ والله خبير بما تعملون ١٦٣
١٥٣ فأثابكم غمّاً بغمٍّ ٢٣٩
١٦٤ لقد منّ الله على المؤمنين ٢١٥ـ٥٣٠

(٤) سورة النساء

٤ وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه
نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ٤٦٢
٦ غنياً فليستعفف ٢١١
١٤ ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً
فيها وله عذاب مهين ٤٦٩
٤٢ ولا يكتمون الله حديثاً ٣٦٨
٥٩ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأُولي الأمر منكم ١٧٣
٦٩ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ٣٣٢
٩٢ ودية مسلّمة الى أهله إلاّ أن يصّدّقوا ٣١٠
١١٢ ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ٣١٤
١٢٥ اتبعوا ملّة إبراهيم ٤٨٩
١٢٩ ولن تسطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا
تميلوا كلّ الميل ٤٨١
١٢٩ ولن تسطيعوا أن تعدلوا بين النساء ١٨١
١٧٢ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة
المقرّبون ٨١

١٧٤ وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً ٤٠٦
١٧٥ فأمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضلٍ ٢٦١

(٥)سورة المائدة

٢ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ٣١٦
٣٥ وابتغوا اليه الوسيلة ٤٥٢
٤٥ فمن تصدّق به فهو كفّارة له ٣١٠
٤٨ وأنزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ٤٠٨
٦١ وقد دخلوا بالكفر ١٦٣
٨٥ فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ ٢٣٩
٩٧ جعل الله الكعبة البيت الحرام ٢٩
١١٠ أيدّتك بروح القدس ١٩١
١١٤ وارزقنا وأنت خير الرازقين ١٠٦

(٦) سورة الانعام

٣٨ مافرطنا في الكتاب من شيءٍ ٤٤٥
٥٦ قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ٣٥٧
٥٩ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاّ هو ٣٥٧
٩١ وما قدروا الله حقّ قدره ١٥١و٢٣٦و٤٨٦
٩٢ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الذي بين يديه ٢٩٣
٩٤ وتركتم ماخوّلناكم ١٨٧
٩٧ هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ٣٥٧
١٠١ أنّىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ١٩٤

١٢٢	أومن كان ميتاً فأحييناه	٣٤٢
١٣٨	وقالوا هذه أنعام وحرث حجرٌ	٣٠٧
١٤١	وآتوا حقه يوم حصاده	٤٤١
١٤٧	فقل ربّكم ذو رحمةٍ واسعةٍ	٤٩٣
١٤٩	فلله الحجّة البالغة	٣٣٠
١٥١	ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق	٤٤١

(٧) سورة الأعراف

٨	والوزن يومئذٍ الحقّ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون	٣٧
٨	فأولئك هم المفلحون	٣٧١
١٤-١٦	قال انظرني الىٰ يوم يبعثون قال إنّك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم سراطك المستقيم	٤٨
١٦	فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم	٢٤٨
٢٦	قد أنزلنا عليكم لباساً	٢٠٦
٣٤	لايستأخرون ساعةً	٣٤٤
٥٧	أقلّت سحاباً ثقالاً	٣١٦
٩٩	أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون	٧٧
١٥٦	ورحمتي وسعت كلّ شيء	٤٩٣
١٦١	وقولوا حطةٌ	٤٥٤
١٦٩	ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلاّ الحقّ	٤٤٩
١٨٣	وأُملي لهم إنَّ كيدي متين	٢٥٠
٢٠٠	وإمّاينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم	٤٥٨

(٨) سورة الانفال

٣٢ إن كان هذا هو الحقّ من عندك ٣٧٠و٣٧٤

(٩) سورة التوبة

٣٢ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
إلاّ أن يتمّ نوره ٤١٥

٣٧ إنّما النسيُ زيادة في الكفر ٤٣٤

٤٠ إلاّ تنصروه فقد نصره الله ٣١٦

٧٣ ياأيّها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ١٠٦

١٠٢ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ٣٤٣

١٠٢ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً
عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم ٣٢٩

١٠٣ خُذ من أموالهم صدقةً ٣١٠

١٢٠ إنّ الله لايضيع أجر المحسنين ٣٥٩

(١٠) سورة يونس

١ تلك آيات الكتاب الحكيم ٤٤٥

٥ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا
عدد السنين والحساب ٥٠٩

٥ وقدره منازل ٥١٠

٥ جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ٥١٦

١٥ قال الذين لايرجون لقاءنا ائتِ بقرآنٍ غير هذا أو بدّله ٤٥١

٥٤ وأسرّوا الندامة لمّا رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لايظلمون ٤٨٣

٥٧	قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور	٤١٣
٨١	إنَّ الله لايصلح عمل المفسدين	٣٦٠
٩٤	فإن كنت في شكٍّ ممّا أنزلنا إليك	٤٤٧
١٠٨	فمن اهتدىٰ فإنّما يهتدي لنفسه	٣٥٨

(١١) سورة هود

١	كتاب أُحكمت آياته	٤٢٢
١	كتاب أُحكمت آياته ثم فصلّت من لدن حكيمٍ خبيرٍ	٤١٠
٧	ليبلوكُم أيُّكم أحسنُ عملاً	٣٠
٣٤	ولاينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم	٤٨٥
٤٣	سآوي الى جبلٍ يعصمني من الماء	٤٤٩
٧٣	رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت	٤٩٥
١٠٨	وأمّا الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها	٣١١
١١٢	فاستقم كما أُمرت	١٧٣
١٢٣	اليه يرجع الأمر كلّه	٢٤٠

(١٢) سورة يوسف

٣	نحن نقصّ عليك أحسن القصص	٤٠٩
٧٦	وفوق كلّ ذي علمٍ عليم	١٧
٨٢	وسئل القرية	١٨٠
٨٧	إنّه لاييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون	٧٠١
١٠٠	وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن	٢١٦
١٠١	توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين	٣٠٦و٣٧٨
١٠٨	قل هذه سبيلي أدعوا الىٰ الله علىٰ بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني	٢٦٠و٤٩٠

(١٣) سورة الرعد

٦	وإنّ ربّك لذو مغفرةٍ للناس علىٰ ظلمهم	٣٢٨و٣٢٢و٤٢
١٢	هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً	٢٠٤
١٣	ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء	٢٠٤
٢٣و٢٤	والملائكة يدخلون عليهم من كلّ بابٍ* سلامٌ عليكم	٩٠
٣٥	مثل الجنّة التي وعد المتقون	٤٦١

(١٤) سورة ابراهيم

٧	وإذ تأذّن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنّكم	٢٣٢
١٧	ويأتيه الموت من كلّ مكانٍ وماهو بميّتٍ	٣٤٢
٢٢	إنّي كفرتُ بما أشركتمون من قبل	٥٦
٣٣	وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين	٥٠٧
٣٤	إنَّ الإنسان لظلوم كفّار	٢٣٥
٣٤	وآتاكم من كلّ ماسألتموه	٢٦٣
٣٤	وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها	٢٣٥
٣٥	واجنبني وبنّيّ أن نعبد الأصنام	٤٦٨
٤٥	وضربنا لكم الأمثال	٤٦٢

(١٥) سورة الحجر

٢و٣	ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون	٣٤٥
٣٦-٤٠	قال ربّ فأنظرني الىٰ يوم يبعثون قال فإنّك من المنظرين الىٰ يوم الوقت المعلوم قال ربِّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الارض ولأُغوينهم أجمعين إلاّ عبادك	

	منهم المخلصين	٤٨
٤٥-٤٦	ان المتقين في جنات وعيون....	٣٧٨
٤٦	ادخلوها بسلام آمنين	٤٥٣
٥٦	ومن يقنط من رحمة ربه الاّ....	٣٣
٨٧	ولقد آتيناك سبعاً من....	٤٤٥
٩٤	فاصدع بما تؤمر واعرض....	٤٨٤

(١٦) سورة النمل

١٨	إنَّ الله لغفور رحيم	٢٣٥
٣٢	ادخلوا الجنة بما كنتم....	٤٩٣
٣٧	إن تحرص على هداهم	٣٠٥
٥٣	وما بكم من نعمةٍ فمن الله	٢١٢
٦٠	ولله المثل الأعلىٰ	٤٦١
٦١	لايستأخرون ساعةً	٣٤٤
٨٩	ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ	٤١١
٨٩	تبياناً لكلّ شيءٍ	٤٣٨
٩٠	إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهى....	٦٤
١٢٥	أدع الى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم....	٤٤٦

(١٧) سورة الإسراء

١	سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً	٦٨
٩	إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	٤٥٦
١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل	١٤٩
١٢	وكلّ شيءٍ فصّلناه تفصيلاً	٤١١

١٣	وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه	٤٧٥
٣١	إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً	٦٨
٣٣	ولا تقتلوا االنفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ	٤٤١
٦٧	وإذا مسكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه	٢٤٥
٧٢	ومن كان في هذه أعمىٰ فهو....	٣٥٥
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك	١٨٤
٧٩	ومن اللّيل فتهجد نافلةً لك عسىٰ أن....	١٠
٨٢	وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد....	٤١٤
١٠٩	ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً	٤٠١
١١٠	ولاتجهر بصلا تك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً	٤٠١
٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل...	٤٤٥

(١٨) سورة الكهف

١٦	وإذِ اعتزلتموهم ومايعبدون إلاّ الله فأووا الى الكهف	٧٨
٢٨	ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا	١٧١
٤٧و٤٨	وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعُرضوا....	٤٦٥
٤٩	أقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة	٤٤١

(١٩) سورة مريم

١٢	يايحيىٰ خذ الكتاب بقوّةٍ	٤٤٢
٢٧	لقد جئت شيئاً فريّا	١٦٦
٣٩	وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر	٤٨٢
٤١	إنّه كان صدّيقاً نبيّاً	٣٣٢
٥٩	فخَلفَ مِن بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة	٧٠

٦٣	تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً	٤٣٢
٦٦	أئذا مامتُّ لسوف أُخرج حيّاً	٣٤٢
٧١و٧٢	وإن منكم إلاّ واردها كان على ربّك ...	١١٧
٩٦	إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات....	٤٨٣

(٢٠) سورة طه

١٤	إنّني أنا الله	٤٠١
٢٢	واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من....	٤٥٩
٥٠	أعطىٰ كلّ شيء خلقه ثمّ هدىٰ	٢٦٨
٧٧	لاتخاف دركاً ولاتخشىٰ	٣١٢
٨٢	وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل....	٣٥٨
٩٠	وأطيعوا أمري	٢٩٤
٩٠	فاتّبعوني وأطيعوا أمري	٢٠٣
١٢٠	فوسوس اليه الشيطان	٤٥٨
١٣٠	ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار	٤٥٥

(٢١) سورة الأنبياء

٣٣	والشمس والقمر كلٌ في فلك	٥٠٨
٣٣	كلّ في فلكٍ يسبحون	٥١١
٣٥	ونبلوكم بالشرّ والخير فتنةً	١٦٠و١٨٤
٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامةفلا...	٣٧٠
٥٠	وهذّا ذكر مبارك أنزلناه فهل أنتم له منكرون	٤٤٥
٦١	فأتوا به علىٰ أعين الناس	٣٧٣
٧٩	ففهّمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً	٤١٤
١٠١	إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أُولئك	١١٧

(٢٢) سورة الحج

١٧	إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين....	٢٠٨
١٩و٢٠	يصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم* يصهر به مافي....	١١٦
٣٤و٣٥	وبشر المخبتين* الذين اذا ذكر الله وجلت....	٧٦
٣٨	إنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا	٢١٢
٧٣	لن يخلقوا ذباباً	٤٠
٨٨	قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل...	٤٤٥

(٢٣) سورة المؤمنون

١٢و١٣و١٤	ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طينٍ* ثم...	٩١
٨٨	وهو يجير ولايجار عليه	٦٠
١٠٣	ومن خفّت موازينه فأُولئك الذين خسروا أنفسهم في...	٣٧٠

(٢٤)سورة النور

٢	ولا تأخذكم بهما رأفة	١٨٣
١٠	ولولا فضل الله عليكم	١٨٢
١١	والذي تولّىٰ كبره	٢٥٠
٣٥	ولولم تمسَسْه نار	١٦٤
٣٧	لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله	٤٥٦

(٢٥) سورة الفرقان

٢٧	ياليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً	١٠٤
٣٣	وَلاَ يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحقّ وأحسن....	٢٣٠
٤٠	أُمطرت مطر السوء	٢٠٥

٦٢ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً ١٢٠
٧٠ إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاًفأُولئك ١٠٥

(٢٦) سورة الشعراء

١٥١ ولا تطيعوا أمر المسرفين ٢٩٤و٤٨٠
١٩٣ نزل به الروح الأمين ٤٠٦

(٢٧) سورة النمل

١٠ ولّى مدبراً ٥٦
٢٠ وتفقّد الطير فقال مالي لاأرىٰ الهدهد ٤٠٤
٤٠ قال الذي عنده علم من الكتاب ٢١١
٧٢ ردفَ لكم ٣١٥
٨٠ إنّك لا تسمع الموتىٰ ٣٤٢
٨١ إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ٣٠٦
٨٧ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن... ٤٦٦

(٢٨) سورة القصص

٢٣ ولّما وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ ١١٨
٢٧ فإن أتممت عشراً فمن عندك ٣١٤

(٢٩) سورة العنكبوت

١٣ وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ٤٥٤
٤٣ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ.... ٤٦٢
٥٤ يستعجلونك بالعذاب وإنّ جهنّم لمحيطةٌ بالكافرين ١١٠
٦٩ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ٢٦٨

(٣٠) سورة الروم

١٨	وله الحمد في السماوات والأَرض	٢١٥
٢٤	ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً	٢٠٢
٢٦	ولهُ من في السماوات والأرض كلٌ له قانتون	٢٤٦
٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثُمَّ يعيدهُ وهو أهون عليه	٢٥

(٣١) سورة لقمان

٢٨	ما خلقكم ولابعثكمُ إلاّ كنفسٍ واحدةٍ	١٦

(٣٢) سورة السجدة

٥	يدبّر الأمر من السماء إلىٰ الإرض	٥٢٢
٧	الذي أحسن كلّ شيءٍ خلقه	٢١٧
٨	ثُمَّ جعل نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ	٨٤
٢٤	وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا	٢٦٨

(٣٣) سورة الأحزاب

٣٢	لستُنَّ كأحدٍ من النساء	١٩٣
٣٣	إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل....	١٤٨و١٧٣

(٣٤) سورة سبأ

٣	لايعزب عنه مثقال ذرّةٍ	٤٥
٤	أُولئك لهم مغفرة ورزقٌ كريم	٤٩٣
٢٤	لعلىٰ هدىً أوفي ضلالٍ مبين	٢٦٧
٤٦	إن هو إلاّ نذير لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ	٢٩٤

٤٦ إنَّما أعظكمْ بواحدةٍ ١٦٩

(٣٥) سورة فاطر

١٥ والله هو الغنُّي الحميد ٢١٠
٣٠و٣١ والذي أوحينا اليك من الكتاب هو.... ٤٣٣
٣٢ فمنهم ظالمٌ لنفسهِ ومنهم مقتصد ومنهم.... ٣٦
٣٠-٣٤ «إنَّهُ غفور شكور» «إنّ ربنا.... ٢٣٨
٣٤و٣٥ لغفور شكور الذي أحلّنا دار.... ٣٥٥
٣٥ الذي أحلّنا دار المقامة من.... ٤٥٤
٣٦ لايقضىٰ عليهم فيموتوا ١٠١

(٣٦) سورة يس

٣٩ والقمر قدرناه منازل حتىٰ عاد.... ٥٠٨

(٣٧) سورة الصافات

٧٠ فهم علىٰ آثارهم يهرعون ٤٥٥
١٥٨ وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ١٩٥

(٣٨) سورة ص

١ والقرآن ذي الذكر ٤٤٤-٣٣٤
٢٩ كتاب أنزلناه اليك مبارك ... ٤٤٥
٧٥ استكبرت أم كنت من العالين ٢٤٩
٧٩-٨٣ قال ربِّ فأنظرني الىٰ يوم.... ٤٩
٨٢و٨٣ فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم.... ٢٤٨

* * *

(٣٩) سورة الزمر

٦	خلقكم من نفسٍ واحدةٍ ثمَّ جعل منها زوجها	٢٥٦
٢٠	لكن الذين اتقوا ربّهم لهم غرف منْ فوقها	٤٥٣
٢٣	الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابها	٤٠٩
٢٣	كتاباً متشابهاً مثاني	٤٢٢
٢٧	ولقد ضربنا للّناس في هذا القرآن من كلّ مثلٍ	٤٦١
٢٧	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ....	٤٦٢
٣٠	إنّك ميّت وإنّهم ميّتون	٣٤١
٤٢	الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها	٣٤٢
٦٧	والسموات مطويات بيمينه	١٦

(٤٠) سورة غافر

٩	وقهم السيّئات ومن تق السّيئات يومئذٍ...	٣٦٥
١١	ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين	١٤٩
١٣	يُنزّل لكم من السمّاء رزقاً	٢٠٦
١٥	لينذر يوم التلاق	٤٧٦
٣١	وما الله يريد ظلماً للعباد	٢١٤
٥٧	لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس	٢٥

(٤١) سورة فصلت

٣	كتاب فصلت آياته قرآناً عربيّاً لقومٍ يعقلون	٤١٠
٤١	إنّه لكتاب عزيز	٤٤٥

(٤٢) سورة الشورىٰ

٢	كذلك يوحىٰ إليك والىٰ الذين من قبلك	٨٩

١١	وليس كمثله شئ	١٩٤
٢٣	ومن يقترف حسنةً نزدله فيها حسناً إنَّ الله غفور شكور	٢٣٨

(٤٣) سورة الزخرف

٣	إنا جعلناه قرآناً عربيّاً	٤٤
٣٢	نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا	١٨٢
٣٢	نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا...	١٠٥
٤٤	وإنّه لذكر لك ولقومك	٣٣٤

(٤٤)سورة الدخان

٣٣	أنّىٰ لهم الذكرىٰ	٢٥٩

(٤٥)سورة الجاثية

٢٠	بصائر للناس وهدىً ورحمةٌ لقومٍ يؤمنون	١٠

(٤٧) سورة محمد

٤	فإمّا منّاً بعد وإمّا فداء	٢٦٨
١٥	وسقوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءهم	١١٦
١٧	والذين اهتدوا زادهم هدىً	٢٦٧و٢٦٨
٢٤	أفلا يتدبّرون القرآن أم علىٰ قلوبٍ أقفالها	٤٤٠

(٤٨) سورة الفتح

٦	عليهم دائرة السوء	٦٥
١٠	ومن أوفىٰ بما عاهد عليه الله فسيؤتيه....	٣٢٢

(٤٩) سورة الحجرات

٩	فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفئ إلىٰ....	٣٥٠

١٤ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ٣٠٦

١٧ يمنّون عليك أن أسلموا قل.... ٢٤١

(٥٠) سورة ق

١١ وأحيينا به بلدة ميتاً ٣٤٢

٢٢ فكشفنا عنك غطاءك ٣٦٨

٤٢ يوم يسمعون الصيَّحة ٣٦٧

(٥١) سورة الذاريات

١٧و١٨ كانوا قليلاً من الليل مايهجعون وبالأسحار.... ١٠

٢٠و٢١ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم.... ٣٢١

٤٨ فنعم الماهدون ١٠٤

(٥٣) سورة النجم

٣ وما ينطق عن الهوىٰ ٣٠٩

(٥٤) سورة القمر

٤ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجرٌ ١٧٠

٤٥ فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ٩٩

(٥٥) سورة الرحمن

٢٩ كل يوم هو في شأن ١٧

٢٩ يسئله من في السمٰوات والأرض ٢٤٦

(٥٦) سورة الواقعة

٦-١٠ وكنتم أزواجاً ثلاثة، فأصحاب الميمنة.... ٣٧٧

١٠و١١ والسّابقون السابقون أُولئك المقرّبون ٨١

٧٩ إنَّهُ لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسّه.... ٤٤٥

(٥٧) سورة الحديد

٢٧ فما رعوها حقّ رعايتها ٤٢٠

(٥٨) سورة المجادلة

٢٢ أُولئك حزب الله ألا إنّ حزب.... ٢٤٩

(٥٩) سورة الحشر

٢ فاعتبروا يا أُولي الأبصار ٤٦٠

٩ يؤثرون علىٰ أَنفسهم ولو كان بهم خصاصة ٢٨٥

٢٠ أصحابُ الجنَّة هم الفائزون ٣٧٨

٢١ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته.... ٤٦٣

(٦٠) سورة الممتحنة

١ ياأيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم.... ٤٧

١ وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ٣٧٤

١٠ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ٤١٨

(٦٢) سورة الجمعة

٥ مثل الذين حمّلوا التوّراة ثم لم.... ٤٤٣

١٦ قُل ياأيُّها الذين هادوا إنْ.... ٣٥٢

(٦٧) سورة الملك

٢ خلق الموت والحياة ٣٤١

***

(٦٨) سورة القلم

٣٢	إنّا إلىٰ ربّنا راغبون	١٧١

(٦٩) سورة الحاقة

٢٤	بما أسلفتم في الأيّام الخالية	١٩
٤٧	من أحدٍ عنه عاجزين	١٩٣

(٧١) سورة نوح

٩	ثمّ إنّي أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً	٣٧٢
٩	والله أنبتكم من الأرض نباتاً	٢٢

(٧٢) سورة الجن

٢٢	قل إنّي لن يجيرني من الله أحد ولن أجد....	٦٠

(٧٣) سورة المزمّل

٤	ورتّل القرآن ترتيلاً	٤٠٢
٨	وتبتّل اليه تبتيلاً	٢٢

(٧٤) سورة المدّثر

٣٨	كلّ نفس بما كسبت رهينة	٣٢٢

(٧٥) سورة القيامة

١و٢	لاأُقسم بيوم القيامة ولاأُقسم....	٢٥٩
٢٢	وجوه يومئذٍ ناضرة	٤٨٨
٢٧	كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راقٍ	٤٧٣

* * *

(٧٦) سورة الانسان

١١	فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم	٢١١و٣٦٥

(٧٧) سورة المرسلات

٢٠	ألم نخلقكم من ماءٍ مهين	٨٤
٣٥و٣٦	هذا يوم لاينطقون* ولايؤذن لهم....	٢٧٥

(٧٩) سورة النازعات

٣٤	فاذا جاءت الطامّة الكبرىٰ	٤٨٢
٤١	فإنّ الجنة هي المأوىٰ	٤١٤
٧٩	فالمدبّرٰت أمراً	٥١٢

(٨٠) سورة عبس

٢٢	اذا شاء أنشره	٤٦٧
٣٨و٣٩	وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة	٤٨٨

(٨٣) سورة المطفّفين

٦	يوم يقوم النّاس لربّ العالمين	٤٥٣

(٨٤) سورة الانشقاق

١٩	لتركبنّ طبقاً عن طبقٍ	٨٨

(٨٥) سورة البروج

٢١	بل هو قرآن مجيد	٤٤٥

(٨٧) سورة الأعلىٰ

٣	والذي قدّر فهدىٰ	٢٦٨

(٨٩) سورة الفجر

٢٤-٢٦ ياليتني قدّمت لحياتي* فيومئذٍ لايعذب.... ٣٥

(٩٠)سورة البلَد

١٣ فكّ رقبةٍ ٢٧٦

(٩٣) سورة الضحىٰ

٨ ووجدك عائلاً فأغنىٰ ٢١٠

(٩٤) سورة الانشراح

٥ فإنّ مع العسر يسراً ٥٢٥

٨ والىٰ ربّك فارغب ١٧١

(٩٦) سورة العلق

١٧ فليدع ناديه ١٨٠

(٩٩) سورة الزلزلة

٧و٨ فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره* ومن.... ٣٦٩

(١٠١) سورة القارعة

٦ فامّا من ثقلت موازينه فهو في عيشةٍ... ٤٨٨

(١١٢) سورة الإخلاص

١ قل هو الله أحد ٢٨و١٩٣

(١١٤) سورة الناس

٥ الذي يوسوس في صدور الناس ٤٥٨

فهرس الأحاديث

حرف الألف

القائل		الصفحة
النبي (ص):	اتّبعوا القرآن ولا يتبعنّكم . . .	٤١٣
النبي (ص):	أتمّكم عقلاً ، وأشدّكم لله خوفاً . . .	٣١
النبي (ص):	الأحمق : من اتبع نفسه هواها ، وتمنّى . . .	٣٥
النبي (ص):	أدنى الكفر أن يسمع الرجل . . .	٢٩١
النبي (ص):	اذا أحبّ الله عبداً يقول لجبرئيل . . .	٤٨٤
النبي (ص):	اذا جاءكم عنّي حديث . . .	٤٤٠
النبي (ص):	اذا دخل أهل الجنّة الجنّة قال بعضهم لبعض . . .	١١٧
النبي (ص):	اذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين	١٢٨
النبي (ص):	اشتكت النار الى ربّها فقالت : ربِّ . . .	١١١
النبي (ص):	أُشكر لمن أنعم عليك	٢٨٢
النبي (ص):	أعربوا القرآن والتمسوا . . .	٤٤١
النبي (ص):	الأعمال بالنيّات . . .	٣٥٨
النبي (ص):	اقرأوا القرآن بألحان العرب .	٤٠٣
النبي (ص):	اللّهمّ خِرلي واختر لي	١٢٨
النبي (ص):	(في علي عليه السلام) : اللهم فقهه في الدين ، . . .	٤٢٦

النبي (ص): أُمرتُ أن أكلِّم ... ٤٢٨
النبي (ص): إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه ... ٢٩٠
النبي (ص): أنت ياربّ أسبغت عليّ النعم ٢٣٣
في الحديث: إنّ بين يدي الساعة سنين غدّارةً ... ٥٥
في الحديث: إنّ البرق سوط من نار ... ٢٠١
في الحديث: إنّ جهنّم سوداء مظلمة ... ١٠٨
في الحديث: إنّ السابقين هم رسل ... ٣٧٧
في الخبر: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. ١٠٢
النبي (ص): إنّ القبر أوّل منزل من منازل ... ٤٧٨
النبي (ص): إنّ القرآن ذلول ذووجوه ٤٤٠
النبي (ص): إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ... ٣٩٣
النبي (ص): إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ قسم الخلق قسمين: ... ٣٧٧
في الحديث: إنّ الله يقتصّ من حسنات الظالم ... ٣١٥
في الحديث: إن من ورطات الأُمور ... ٣٢٤
في الحديث: إنّ النار تأكل أهلها حتّى اذا ... ١١٣
النبي (ص): إنّه ليس شيء بأبعد من قلوب ... ٤٤٣
النبي (ص): أُوقد على النار ألف سنةٍ حتّى احمرّت ١٠٨
النبي (ص): أيّكم أحسن عقلاً، وأورع ... ٣٠
في مناجاة بعضهم (ع) الهي انت تعلم عجزي عن مواقع شكرك ،... ٢٣٤
الإمام علي (ع): احذروا يوماً لا يُخاف من الحاكم ... ٢٦٦
الامام علي (ع): (لابنه محمد بن الحنفية): اقبل من متنصل عذره ٢٨٤
الامام علي (ع): اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار حطم ... ١١١
الإمام علي (ع): اللهمّ احملني على عفوك ، ولا تحملني ... ٢٦٦
الإمام علي (ع): اللهمّ أعل على بناء البانين بناءه ٤٨٧

امير المؤمنين (ع):	اللهم اني أسألك إخبات المخبتين...	٣٩٩
الإمام علي (ع):	اللهم اني استخيرك خيرة من فوض اليك امره	١٤٤
الإمام علي (ع):	اللهمّ إنّي قد هممت بأمر قد علمته...	١٣١
الإمام علي (ع):	إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان:...	٣٤٥
الامام علي (ع):	ان الله تعالى ايانا عنى بقوله: «لتكونوا شهداء...	٤١٦
الإمام علي (ع):	إنّ الله يأمر بالعدل...	٢٦٥
الإمام علي (ع):	إنّ في القرآن علم ما مضى...	٤٣٧
الإمام علي (ع):	أُوصيكم بتقوى الله الذي...	٥٧
الإمام علي (ع):	أين الذين زعموا...	٤٣٠
الحسين (ع):	إنّ الله يحبّ كلّ قلبٍ حزين	٢٨٣
الباقر(ع)	(في قوله تعالى: ومن يعمل مثقال ذرة): اذا كان...	٣٦٩
أبوجعفر(ع):	إنّ العبد ليرفع من صلاته نصفها أو ثلثها	٧٢
الباقر(ع):	إنّ من علم ما أُوتينا...	٤٣٧
الباقر(ع):	إن النبيّ (ص) بات ليلةً عند...	٥٢٩
الصادق (ع):	أدّوا الأمانات إلى أهلها	٢٨٨
الصادق (ع):	اذا أردت الاستخارة من الكتاب العزيز فقل بعد...	١٣٤
الصادق (ع):	اذا أردت أمراً فخذ ستّ رقاعٍ...	١٣٧
الصادق (ع):	اذا أراد أحدكم أمراً فلا يشاورنّ فيه أحداً...	١٣٣
الصادق (ع):	اذا أراد أحدكم شيئاً فليصلّ ركعتين...	١٣٢
الصادق (ع):	اذا رأيت هلال شهر رمضان...	٥٠٦
الصادق (ع):	اذا عرضت لأحدكم حاجة فليستشر ربّه...	١٣٣
الصادق (ع):	اذا كان يوم القيامة تجلّى الله...	٣٦٥
الصادق (ع):	(لاسحاق بن عمّار): اذا كنت كذلك فصلّ ركعتين	١٣٢
الصادق (ع):	استخر الله برحمته...	١٣٢

الصادق (ع)	(عن تنزيل القرآن): اقرأ كما علمتم	٣٩٤
الصادق (ع):	اقرأ كما يقرأ الناس حتّى يقوم...	٣٩٤
الصادق (ع)	(في اكرم الخلق): اكثرهم ذكر الله، واعلمهم بطاعته	١٤٧
الصادق (ع):	إنّ الله أوضح بائمة الهدى في أهل...	٤٥٢
الصادق (ع)	(عند الفراغ من قراءة القرآن): اللهم اني قرات...	٣٩٩
الصادق (ع):	أمثال القرآن لها فوائد...	٤٦١
الصادق (ع):	إنّ في إجلال الله تعالى...	٢٩٢
الصادق (ع):	أُنزل في القرآن تبيان...	٤٣١
الصادق (ع):	انظر اذا قمت الى الصلاة...	١٣٤
الصادق (ع):	إن القرآن نزل بالحزن...	٤٠١
الصادق (ع):	إنّما خلد أهل النار في النار لأنّ...	٢٥٥
الصادق (ع)	(في الاستخارة): ان يستخير الله الرجل في آخر...	١٣٣
الصادق (ع):	أُوحى الله الى موسى عليه السّلام...	٢٣٣
الصادق (ع):	إيّانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين...	١٧٣
الصادق (ع):	أيُّما عبدٍ أنعم الله عليه بنعمةٍ...	٢٣٢
الكاظم (ع):	آمرك بتقوى الله...	٢٨٥
الرضا (ع):	اذا أردت أمراً فصلِّ ركعتين...	١٣٣
أبوالحسن (ع):	اقرأوا كما تعلّمتم فسيجيئكم...	٣٩٤
الرضا (ع):	اللهمّ إن خيرتك فيما أستخيرك فيه...	١٤٣

حرف الباء

الإمام علي (ع):	بساع سريع نجا، وطالب بطيٍ، ومقصّر في النار	٣٦
الامام علي (ع)	(في تفسير: ورتل القرآن ترتيلا): بيّنه تبياناً...	٤٠٢
الصادق (ع):	بسم الله، اللهمّ إنّي أشهد أنّ هذا...	٣٩٨
الصادق (ع):	بل اقرأه، وانظر في المصحف...	٤٠٠

القائم (ع): بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمّ إنّي أسألك ١٤٤

حرف التاء

النبيّ (ص): تحيّضي في علم الله ستّة أو سبعة أيّام ١١٥

الإمام علي (ع): التوحيد: أن لا تتوهمه، والعدل: أن لا تتّهمه ١٤٧

الصادق (ع): تقرأ الحمد مرّة، والإخلاص ثلاثاً... ١٤٠

حرف الثاء

النبيّ (ص): ثلاثة على كثبان من مسكٍ... ٤٦٧

الصادق (ع): ثلاثة لا يجهل حقّهم... ٢٩٢

الكاظم (ع): ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبع... ٣٢

حرف الجيم

الصادق (ع): الجهر: رفع الصوت عالياً،... ٤٠١

حرف الحاء

النبيّ (ص): (في أحبّ الأعمال): الحال المرتحل... ٣٩٧

النبيّ (ص): الحسنة بالحسنة تعدل... ٣٦٥

الصادق (ع): حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له... ٢٧٨

حرف الدال

النبيّ (ص): دع ما يريبك الى ما لا يريبك ١٤٧

حرف الراء

الباقر (ع): رجّع بالقرآن صوتك... ٤٠٣

الصادق (ع): الراسخون في العلم... ٤٢٩

الصادق (ع): الرجس في هذه الآية هو الشكّ ١٤٨

حرف السين

النبيّ (ص): ستكون فتنٌ... ٤٥١

الإمام علي (ع): سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك،... ٢٥

الإمام علي (ع): سبحان الذي ليس له أوّل مبتدأ، . . . ٢٩
الامام علي (ع): السنة سنتان: سنة في فريضة؛ الأخذ بها هدي . . . ٦٩
الصادق (ع): (عن حق المؤمن): سبعون حقاً ٢٨٩

حرف الصاد

الصادق (ع): صلّ ركعتين، واستخر الله . . . ١٢٩

حرف الضاد

في الحديث: ضد القديم يستعمل في قليل الكلام ٤٠٨

حرف العين

النبيّ (ص): (في أفضل الأعمال): عليك بالحال المرتحل . . . ٣٩٦
في الحديث: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ١٢٠
الإمام علي (ع): عباد الله، إنّ من أحبّ الله إليه عبداً . . . ٣٣١

حرف الفاء

في الحديث: فيؤخذ بهم ذات الشمال . . . ٤٨٩
الإمام علي (ع): فاذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة . . . ١٨٤
الإمام علي (ع): فأصحِرّ لعدّوك ، وامضي على بصيرتك ٥٨
الإمام علي (ع): فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، . . . ٥٢
الإمام علي (ع): فإنّ الشريف من شرّفته طاعتك . ١٨٩
الامام علي (ع): فبعث محمدا ـ صلى الله عليه وآله ـ بقرآن . . . ٤٥٢
الهادي (ع): فأت المسجد في غير وقت صلاة . . . ١٣٤

حرف القاف

في الحديث: القبر روضة من رياض الجنّة ٤٧٧
النبي (ص) (لعلي عليه السلام): قل: اللهم اجعل لي عندك عهدا ٤٨٤
النبي (ص): قلت: فكّ رهاني، وثقل ميزاني ٢٣٤

* * *

حرف الكاف

حديث قدسيّ:	الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، ...	٢٦
النبيّ (ص):	(لرجلٍ): كيف أصبحت؟ ...	٢٢٨
اهل البيت (ع):	الكفر في آية: «انا براء منكم ... كفرنا بكم» البراءة	٥٦
أبوجعفر (ع):	كان عليّ بن الحسين (ع) اذا همّ بأمرٍ حجّ أو ...	١٣١
الباقر (ع):	كلّ ماميّز تموه بأوهامكم في أدقّ معانيه ...	٢٤
الصادق (ع):	كان أبي اذا أراد الاستخارة ...	١٣٠

حرف اللام

حديث قدسي:	لا يتكل العاملون بي على اعمالهم التي يعملون ...	٣٢
النبيّ (ص):	لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت ...	٢٦
النبيّ (ص):	لا تنقضي عجائبه ...	٤٦٠
النبيّ (ص):	لكلّ شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن	٤٠٣
النبيّ (ص):	لفقيهٌ واحدٌ اشد على الشيطان من ألف عابدٍ	١٩٠
النبيّ (ص):	للمؤمن على أخيه ثلاثون حقّاً	٢٩٠
في الحديث:	لوشئنا لاقتطعناهم ...	٤٥٧
في الحديث:	لو علم الله أنّ عبداً ...	٢٦٢
في الخبر:	لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم ...	١٠٢
في الحديث:	ليردنّ عليّ الحوض أقوامٌ ...	٤٤٨
في الحديث:	ليس أحد يدخل الجنّة بعمله	٣١٧
النبيّ (ص):	ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله	٣٥١
الإمام علي (ع):	لا تأمننّ على خير هذه الأُمة	٣٣٣
الإمام علي (ع):	لا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء	٢٠
الإمام علي (ع):	لا تجاوزوا بنا ماقالت الملائكة	٤٩٥

الامام علي (ع):	لماولاني النبي صلى الله عليه وآله على اليمن	١٢٩
الإمام علي (ع)	(في وصف الملائكة): لوعاينوا كُنه ماعليهم..	٢٣٦
أبوجعفر(ع):	ليس من عبدمؤمن إلا وفي قلبه نوران...	٧٧
الصادق (ع)	(لمحمّد بن عبدالله): لا يعجبني أن تقرأه في أقلّ	٣٩٤
الصادق (ع):	لا يعجبني أن يكتب القرآن إلّا بالسواد	٤٠٥
الصادق (ع):	لعن الله قاطعي سبيل المعروف	٢٨٣
الصادق (ع):	للصلاة أربعة آلاف حدٍّ	٧٢
الصادق (ع)	(في حق المسلم على المسلم): له سبع حقوق واجبات	٢٨٨
الصادق (ع):	ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا	٢٩٢
الصادق (ع)	(في تفسير: «ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً»): ليس...	٣١

حرف الميم

حديث قدسيّ:	ماتقرّب إليّ عبدبمثل أداء الفرائض	٣١١
حديث قدسيّ:	من شقاءعبدي أن يعمل الأعمال فلا يستخيرني	١٢٩
النبيّ (ص):	من ابتغى الهدى في غيرالله...	٤٥١
في الحديث:	من استذلّ مؤمناً، أواحتقره لقلّة ذات يده...	١٨٩
النبيّ (ص)	(لإقبال شهر رمضان): من أكثرفيه الصلاة عليّ...	٣٧٠
في الحديث:	من تنصل اليه أخوه فلم يقبل...	٢٨٤
النبيّ (ص):	من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي...	٤٩١
النبيّ (ص):	من سعادة ابن آدم استخارته الله	١٢٨
النبيّ (ص):	من عرف فضل كبيرلسنّهِ...	٢٩٢
النبيّ (ص):	من فسّرالقرآن برأيه...	٤٤٠
النبيّ (ص):	من فسّرالقرآن برأيه فقد كفر	٤٣٩
النبيّ (ص):	من قال في القرآن بغير...	٤٣٩
النبيّ (ص):	من لم يقبل من متنصِّلٍ...	٢٨٤

الإمام علي (ع):	من قال في مؤمن ما رأت...	٢٩١
الحسين (ع):	من قرأ آية من كتاب الله...	٣٩٦
الباقر (ع):	ما ادّعى أحد من الناس أنّه...	٤٤٧
الباقر (ع):	ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع...	٤٣٦
الباقر (ع):	ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا...	٤٢٩
الباقر (ع):	ما يستطيع أحد أن يدّعي...	٤٣٧
الباقر (ع):	ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ...	٤٤٧
الباقر (ع):	من ختم القرآن بمكّة من جمعةٍ...	٣٩٦
الباقر (ع):	المنسوخات في المتشابهات...	٤٢٣
الصادق (ع):	ما أُبالي اذا استخرت على أيّ طرفيّ وقعتُ	١٢٩
الصادق (ع):	ما إستخار الله عبدٌ سبعين مرّة بهذه الاستخارة...	١٤٣
الصادق (ع):	ما أقلّ من شكر المعروف	٢٨٣
الصادق (ع):	ما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم	٢٨٩
الصادق (ع):	ما حار من استخار	١٢٥
الصادق (ع):	ما عُبد الله بشيءٍ أفضل من أداء حقّ المؤمن	٢٨٨
الصادق (ع):	ما من أمر يختلف فيه اثنان...	٤٣١
الصادق (ع):	ما من مؤمنٍ ينصر أخاه...	٢٧٨
الصادق (ع):	من أتى معروف فليكافِ به	٢٨٣
الصادق (ع):	من إجلال الله إجلال المؤمن ذي الشيبة	٢٩٢
الصادق (ع):	من اراد أن يستخير الله تعالى فليقرأ الحمد عشر مرات	١٤١
الصادق (ع):	من استمع حرفاً من كتاب الله العزيز...	٣٩٥
الصادق (ع):	من حقّ المؤمن على أخيه أن يشيع...	٢٨٩
الصادق (ع):	من حقّ المؤمن على المؤمن: المودّة له في صدره	٢٨٩
الصادق (ع):	من دخل في أمر بغير استخارة ثمّ ابتُلي...	١٢٩

الصادق (ع):	من سافر أو تزوّج والقمر...	٥٢٩
الصادق (ع):	من قرأ في المصحف مُتّع ببصره	٤٠٠
الكاظم (ع):	من تزوّج في محاق الشهر...	٥٢٩
	حرف النون	
الصادق (ع):	نحن الذين اصطفانا الله عزّوجلّ	٤٣٣
الصادق (ع):	نحن الراسخون...	٤٢٩
الصادق (ع):	نزل القرآن جملة واحدة...	٤١٢
	حرف الهاء	
النبيّ (ص):	هذا الإنسان وخطّ الى جنبه...	٣٤٥
النبيّ (ص):	هم خلفائي يا جابر، وائمة المسلمين من بعدي	١٧٣
الإمام عليّ (ع)	(في آخر خطبة له): هذا مقام من أفردك بالتوحيد	٣٣٤
الباقر (ع):	هي لنا خاصة وإيّانا عنى	٤٣٣
الصادق (ع):	هؤلاء قوم يترجحون في الأماني	٣٥
الصادق (ع):	هو الملك الدائم الأبديّ في نفاذ...	١٩٢
الصادق (ع):	هي لنا خاصّة وإيّانا عنى	٤٣٣
	حرف الواو	
في الحديث القدسيّ:	وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر	١٨٧
النبيّ (ص):	الورود: الدخول، لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا دخلها	١١٧
الإمام علي (ع):	واعلموا، أنّ الأمل يُسهي العقل،...	٣٤٦
الإمام علي (ع)	(في خطبة الأشباح): واعلم، أنّ الراسخين في العلم..	٤٢٩
الإمام علي (ع):	والله مافجأني من الموت وارد فكرهته	٣٥٢
الإمام علي (ع):	والله لابن أبي طالب آنس بالموت...	٣٥٢
الإمام علي (ع):	والله مانزلت آية إلّا وقد علمت...	٤٣٦
الإمام علي (ع):	وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة	٣٤٧

الإمام علي (ع):	وتا الله لوانماثت قلوبكم انمياثاً...	٢٤٦
الإمام علي (ع):	والشمس والقمر دائبان، يبليان كلّ جديد،...	٢١
الإمام علي (ع)	(في خطبته الطالوتيّة): ولا كان خلواً عن الملك	١٥
زين العابدين (ع)	(في حديث الحقوق): وأمّا حقّ ذي المعروف عليك	٢٨٣
الباقر (ع):	و إنّما القرآن أمثال...	٤٤٣
الصادق (ع):	والله إنّي لأعلم كتاب الله...	٤٣٧
الصادق (ع):	والله لا نشكّ في ربّنا أبداً.	١٤٨
الجواد (ع):	ولا تكلّم أحداً بين أضعاف الاستخارة...	١٣

حرف الياء

حديث قدسي:	يا موسى، لا تطوّل في الدنيا أملك...	٣٤٥
النبيّ (ص)	(لأبي ذر): يا أباذر، ايّاك والتسويف بأهلك	٣٤٥
النبيّ (ص):	يا أنس، اذا هممت بأمرٍ فاستخِر ربّك	١٢٨
النبيّ (ص)	(لأمير المؤمنين (ع)): يا عليّ، من لم يقبل العذر...	٢٨٤
النبيّ (ص):	يُجاء بالعبد يوم القيامة، فتوضع حسناته...	٣٧٥
في الحديث:	يقرّب الى فيه، فاذا دنا من وجهه شوى وجهه...	١١٦
الإمام علي (ع)	(في دعائه): يا جابر كلّ كسير، و يا مسهل كلّ عسير..	٤٦٧
الإمام علي (ع):	يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أستخيرك	١٣٦
الباقر (ع):	يا قتادة، إنّك فقيه أهل البصرة؟...	٤٣٩
الصادق (ع)	(في قراءة القرآن): يا أبا محمّد، اقرأ قراءة ما بين القراءتين	٤٠١
الصادق (ع)	(في حقّ المؤمن): يا أبان، دعه لا تردّه...	٢٨٥
الصادق (ع)	(في قوله تعالى: وأنذرهم يوم الحسرة): قال: يناد...	٢٨٢
الصادق (ع):	يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصور...	٥٠
الكاظم (ع):	يا بُنيّ، عليك بالجدّ، ولا تخرجنّ نفسك...	٣٢
القائم (ع):	يقرأ الفاتحة عشراً، وأقلّه ثلاث...	١٤٠